إعلام الورى

بأعلام الهدى

تأليف

امين الاسلام ، ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره

من اعلام القرن السادس

صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

إعلام الورى

بأعلام الهدى

إعلام الورى

بأعلام الهدى

تأليف

امين الاسلام، ابى علي الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره

من أعلام القرن السادس

صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور - ص ب : ١١/٧١٢٠
هاتف: ٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧

Published by Alaalami Library
Beirut- Lebanon po. Box 7120
Tel - Fax: 450427
E-mail: alaalami@yahoo.com.

الإهـــداء

لا أُريد أن أُتعبك ـ أيها القارىء الكريم ـ ببيان ما أمضيته من وقت، وتبيين ما بذلته من جهد في إحياء هذا التراث الإسلاميّ النفيس. فذلك أمر لا أودُّ أن أُزعجك بتفصيله.

وقد تعجب إذا علمت أنَّ تحيّري في إهداء هذا الكتاب القيّم يزيد على ما أصابني من نصب في عمل تحقيقه.

ولا أدري فقد يـزداد تعجّبـك إذا نبّـأتـك أنّـي لـم أجـد أحداً ـ يهدى إليه الكتاب ـ خيراً من مؤلّفه العظيم.

علي أكبر الغفاري

بسم الله الرحمن الرحيم

حياة المؤلف

أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل أمين الإسلام الطبرسيّ، أحد أعلام الأُمّة في القرن السادس، عين أعيان الطائفة، بطل العلم، حسنة الدّهر، إمام من تأخّر عنه، فقيه محدّث متكلّم أديب أريب، جليلٌ قدره، عظيمٌ شأنه، كثيرٌ علمه، متدفّقٌ فضله، شامخٌ رتبته، طائر صيته، طائل شهرته.

توجد ترجمته في كثير من التراجم مشفوعة بالإكبار والتبجيل والإطراء، وقصارى قولهم فيه: أنّه جماع الفضائل ومختبأ المآثر كلّها، ضع يدك على أيّ أثر من آثاره تجده شاهد صدق على سموّ مكانه وعلوّ مقامه.

مشايخه

روى عن جمّ غفير من عباقرة الفضل منهم:

١ ـ الشيخ أبو علي الحسن بن شيخ الطائفة الملقّب بالمفيد الثاني.

٢ ـ الشيخ عبد الجبّار بن عليّ المقري أبو الوفاء الرازيّ.

٣ ـ الشيخ الجليل موفّق الدّين الحسين بن الفتح الواعظ البكر آباديّ الجرجاني.

٤ ـ الشيخ الأجل الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القميّ.

٥ ـ الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمّد بن الحسين البيهقيّ.

٦ ـ السيد محمّد بن الحسين الحسينيّ القصبي الجرجاني.

٧ ـ الشيخ السعيد الزَّاهد عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن أبو الفتح القشيريّ(١).

تلاميذه ومن روى عنه

روى عنه زرافات من الأعاظم وروّاد الفضيلة منهم:

١ ـ ولده الزَّاكي رضي الدّين الحسن بن الفضل أبو نصر الطبرسيّ.

٢ ـ الشيخ محمّد بن عليّ بن شهرآشوب السرويّ المازندرانيّ.

٣ ـ الشيخ منتجب الدين علي بن عبيد الله بن الحسن الملقّب بحسكا الرَّازي. من أحفاد ابن بابويه القميّ.

٤ ـ الشيخ سعيد بن هبة الله أبو الحسين المعروف بالقطب الرَّاونديّ.

٥ ـ الشيخ عبد الله بن جعفر الدوريستي.

٦ ـ الشيخ شاذان بن جبرئيل القميّ.

٧ ـ السيّد مهديّ بن نزار أبو الحمد الحسينيّ القائينيّ.

٨ ـ السيّد شرفشاه بن محمّد بن زيادة الأفطسيّ.

٩ ـ السيّد فضل الله بن عليّ بن عبيد الله الحسني ضياء الدّين الرَّاونديّ(٢).

تآليفه القيمة

له تآليف قيّمة نفيسة خالدة جداً منها:

١ ـ تفسيره الكبير الموسوم بمجمع البيان الجامع لما يحتاج إليه في تفسير القرآن.

---

(١) راجع خاتمة المستدرك ص ٤٨٧.

(٢) روضات الجنات ص ٤٩٠.

٢ ـ تفسيره الموسوم بجوامع الجامع مختصر من تفسيره الكبير.

٣ ـ تفسير آخر ـ ذكره صاحب مجالس المؤمنين ـ ولعله الكاف الشاف ويحتمل المغايرة.

٤ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى.

٥ ـ رسالة الآداب الدينيّة للخزينة المعينية، أخذ عنها ولد صاحب المكارم.

٦ ـ عدَّة السفر وعمدة الحضر وقد ينسب إلى ولده الشيخ حسن أبي نصر الطبرسي.

٧ ـ معارج السؤول.

٨ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ـ كما أشار إليه في تفسيره الكبير ذيل آية «يا أيها الرّسول بلّغ».

٩ ـ العمدة (فارسي) في أصول المعارف والفروع والفرائض والنوافل ـ على ما نسب إليه.

١٠ ـ نثر اللّئالي ألّفها على ترتيب حروف المعجم وجمع فيها كلمات عليّ عليه السلام على نهج الغرر والدُّرر للآمديّ وقد ينسب إلى السيد عليّ بن فضل الله الحسيني الراونديّ وعلى أيّ هو غير كتاب نثر اللّئالي لابن أبي جمهور الأحسائي.

١١ ـ كنوز النجاح[١].

وقد ينسب إليه كتب أُخرى غيرها.

وفاته ومدفنه

توفّي ـ رحمه الله ـ شهيداً ليلة النحر سنة ٥٤٨ بسبزوار وحمل جنازته إلى المشهد الرضويّ سلام الله عليه ودفن في مغتسل الرضا عليه السلام وقبره مزار معروف بمقبرة قتلگاه راجع روضات الجنات ض ٤٩٠ الطبعة الثانية[٢].

(١) الروضات ص ٤٩٠.

(٢) في تاريخ وفاته ـ رحمه الله ـ أقوال شتى يتعسر الجمع بينها.

بيته وأخلافه

قال صاحب رياض العلماء بعد ترجمته: كان ـ قدّس سرُّه ـ، وولده رضي الدّين أبو نصر الحسن بن الفضل صاحب مكارم الأخلاق، وسبطه أبو الفضل عليُّ بن الحسن صاحب مشكاة الأنوار، وسائر سلسلته وأقربائه من أكابر العلماء.

نسبته

اختلفوا في شيخنا المترجم هل هو من أهل طبرستان (مازندران) أو من أهل طبرش معرب تفرش وذهب إلى كلّ قوم واستدلّوا بما ليس هنا موضع ذكره، راجع معالم العلماء ص١٢٣، نقد الرجال ص٢٢٦، رياض العلماء (مخطوط) اللّؤلؤة ص٢٧٩، أمل الآمل ص٥٦، جامع الرواة ج٢ ص٤، روضات الجنات ص٤٩٠، الكنى والألقاب ج٢ ص٤٠٣، مقدمة شرح شواهد مجمع البيان، تاريخ بيهق، مستدرك الوسائل ص٤٨٦ أعيان الشيعة للعلاّمة العامليّ ـ رحمه الله ـ وغيره من مظانه.

تحقيق حول الكتاب ومؤلفه

قال المولى المتبحّر النحرير المتتبّع المتضلّع الخبير الشيخ محمّد محسن الرازيّ، الشهير بالشيخ آغا بزرك الطهرانيّ ـ لا ضحى ظلّه ـ في كتابه الموسوم بالذريعة ج٢ ص٢٤٠: إعلام الورى بأعلام الهدى في فضائل الأئمّة الهداة وأحوالهم عليهم السلام لإمام المفسّرين الشيخ أمين الإسلام أبي عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسيّ المتوفّى سنة ٥٤٨ صاحب مجمع البيان وغيره، كانت نسخة خطّ المؤلّف عند العلاّمة المجلسي، وعنها ينقل في كتابه البحار صرَّح به في أوّله، وهو مرتّب على أركان أربعة: (١) في ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. (٢) في ذكر أمير المؤمنين عليه السلام. (٣) في ذكر سائر الأئمّة من الحسن الزكيّ إلى الحسن العسكريّ عليهم السلام. (٤) في بيان إمامتهم وذكر الثاني عشر منهم، وفي كلّ ركن أبواب وفصول محتوية على تواريخ المواليد والوفيات وطرف من الأخبار ومحاسن الآثار، وفي آخرها دفع شبهات المنكرين لغيبته عليه السلام أوّله «الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الّذي لم يلد ولم يولد».

طبع سنة ١٣١٢ ومن غريب الاتّفاق مطابقة (كتاب ربيع الشيعة) المنسوب إلى السيّد ابن طاووس المتوفّى سنة ٦٦٤ مع هذا الكتاب وتوافقهما حرفاً بحرف إلاّ اختصارات قليلة في بعض الفصول وزيادات في الخطبة، فإنّ ربيع الشيعة مصدَّر باسم السيد ابن طاووس ومصرَّح فيه باسم الكتاب وأنّه ربيع الشيعة.

قال العلاّمة المجلسي في أوَّل البحار: «وهذا ممّا يقضي منه العجب» أقول: الممارس لبيانات السيّد ابن طاووس لا يرتاب في أنَّ ربيع الشيعة ليس له والمراجع له لا يشكّ في اتّحاده مع إعلام الورى للطبرسي، وقد احتمل بعض المشايخ كون منشأ هذه الشبهة أنّ السيّد ابن طاووس حين شرع في أن يقرأ على السامعين كتاب إعلام الورى هذا حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ وآله صلوات الله عليهم على ما هو

ديدنه ثمّ مدح الكتاب وأثنى عليه بقوله: «إنَّ هذا الكتاب ربيع الشيعة» والسامع كتب على ما هو ديدنه هكذا: «يقول السيّد الإمام، وذكر ألقابه واسمه إلى قوله: إنّ هذا الكتاب ربيع الشيعة ثمّ كتب كلّما سمعه عنه من الكتاب إلى آخره فظنَّ من رأى النسخة بعد ذلك أنَّ ربيع الشيعة اسمه وأنَّ مؤلّفه هو السيّد ابن طاووس اهـ.

وحكى شيخنا الجليل في خاتمة المستدرك ص٤٦٨ احتمالاً آخر عن بعض مشايخه هذا نصّه:

هذا الكتاب غير مذكور في فهرست كتاب إجازاته، ولا في كشف المحجّة، وما عثرت على محلّ أشار إليه وأحال عليه كما هو دأبه، وذاكرت ذلك مع شيخنا الأستاذ طاب ثراه فقال ـ وأصاب في حدسه ـ: إنَّ الظاهر أنَّ السيد عثر على نسخة من إعلام الورى لم يكن لها خطبة فأعجبه فكتبه بخطّه ولم يعرفه، وبعد موته وجدوه في كتبه بخطّه ولم يكن لهم علم بإعلام الورى فحسبوا أنّه من مؤلّفاته فنسبوه إليه.

المصحح

تنبيه

اعتمدت في تصحيح الكتاب:

أولاً ـ على نسخة مخطوطة في مكتبة السيد البارع الأجل الأستاذ السيد جلال الدّين الأُرمويّ المشتهر بالمحدّث.

ثانياً ـ كتاب بحار الأنوار حيث نقل تمام الكتاب في مطاويه.

ثالثاً ـ جميع المصادر الّتي أشار إليها المؤلّف في مواضيع الكتاب كالكافي وكمال الدين والأمالي والصحيحين وغيرها.

رابعاً ـ كتاب الإرشاد للشيخ المفيد ـ أعلى الله مقامه ـ وهو من أهمّ المصادر الّتي اعتمد عليها المؤلف ـ رحمه الله ـ وحذا في تأليفه هذا حذوه كما لا يخفى على الخبير.

خامساً ـ كتاب ربيع الشيعة المخطوط نسخته في (كتابخانه ملى ملك رقم ١٩٠٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، تعالى عن الصاحبة والولد، واستغنى عن العدد والعدد(١)، وتقدّست عن شبه الخلائق صفته، وارتفعت عن مذاهب العقول عظمته، وأعجزت غوامض الفكر جلالته، ووضحت بالشواهد الساطعة حجّته، وظهرت في كلّ شيء حكمته، أحقَّ الحقَّ بما نصب من أعلامه ودلالاته، وأوضح من حججه وبيّناته، وأبطل الباطل بما أدحض من شبهاته(٢) وأبان عن مشتبهاته.

وصلّى الله على عبده المجتبى ونبيّه المصطفى، خير الأنبياء والمرسلين، وأفضل الأوّلين والآخرين، البشير النذير، الداعي بإذنه والسراج المنير، سيّد سادات العرب والعجم، محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب.

وعلى أوصيائه وأصفيائه الأئمّة المهديّين المرضيّين المنتجبين من أُرومته(٣) الحافظين لشريعته المعصومين من كلّ دنس ورجس، المفضلين على كافّة الجنّ والإنس، الذين ينتجز الموعود يوم المآب بإنجازهم ولا يجاز الصراط إلاّ بجوازهم،

---

(١) بفتح العين في الأول وضمها في الثاني والأول معلوم والثاني جمع العدة ـ بالضم ـ بمعنى الاستعداد.

(٢) أدحض الحجة: أبطلها.

(٣) الأرومة: الأصل.

فهم النمرقة الوسطى[١] من تقدّمهم مرق[٢] ومن تأخّر عنهم زهق، ومن لزمهم لحق، وهم كباب حطّة ومثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق وهوى، وهم خاصّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصفوة عترته الّذين قرن الله معرفتهم بمعرفته وجعل محبّتهم في الوجوب كمحبّته، وهم دعائم الإسلام وأئمّة الأنام، وحجج المهيمن السّلام، سرُج في كلّ ظلام، ودرج إلى كلّ مرام، عليهم أفضل الصلاة والسّلام ما لاح برق واستهلّ غمام وتوسّمت الرياض بفرادى نباتها والتؤام[٣].

وبعد فإنّ أشرف الكلام عند الخاصّ والعامّ ما وجّه إلى أشرف من حاز الله له رُواء الملك[٤] إلى بهاء العلم وسناء الحلم، وإمضاء الحكم، لا زال مبرّاً على ملوك الدهر وولاة النهي والأمر بما آتاه من علوّ الشأن وجلالة القدر، وميّزه بجلائل من المجد والجلال وفواضل القدر من الفضل والإفضال، لا يندرج أدناها تحت القدرة والإمكان، ولا ينال أقصاها بالعبارة والبيان، وهذه صفة الأصفهبد الأجلّ، الملك العادل، المؤيّد المنصور، شرف الدنيا والدين، ركن الإسلام والمسلمين، ملك مازندران علاء الدولة شاه فرشوا ذكر، أبي الحسن عليّ بن شهريار بن قارن أعلى الله شأنه ونصر سلطانه، إذ هو باتّفاق الأولياء والأعداء، وإطباق القرباء والبعداء، واحد الدّهر وثمال أهل العصر[٥] وغرّة الأفلاك الدائرة وعمدة العترة الطاهرة، لا جرم قد ملّكه الله زمام الدّهر، وأنفذ حكمه في البرّ والبحر، وشدّ به أزر الإسلام ومهّد له أسباب المعدلة في الأنام، وجعل أيّامه للزّمان أعياداً ومواسم، وللإقبال مباهج ومباسم، ومتّعه الله تعالى بجمال هذه الحال، وأدام له في العباد والبلاد كرائم الإفضال وموادّ النوال، بلطفه وطوله وسعة جوده وفضله.

---

(١) النمرقة ـ بكسر النون وفتحها ـ: الوسادة، وفي الحديث «نحن النمرقة الوسطى» وهي استعارة لهم لكونهم عليهم السلام أئمة العدل يستند الخلق إليهم في كل أمورهم.

(٢) أي خرج عن دين الله، وقوله: «زهق» أي هلك.

(٣) توسمت أي تعرفت وتحلت. والرياض جمع الروضة وهي أرض مخضرة بأنواع النبات. وجاء القوم فرادى أي واحداً واحداً والتؤام أي زوجاً زوجاً. والمعنى ما دامت الرياض تحلت نباتها فرداً وتوأماً.

(٤) الرواء ـ بالضم والمد ـ: المنظر الحسن.

(٥) الثمال ـ بالكسر ـ: الغياث، يقال: فلان ثمال قومه أي غياث لهم يقوم بأمرهم.

ثم إنَّ خادم الدُّعاء المخلص بالولاء وإن سبق في ميدان الفضل فهو عكاشة غايته[١] وبرز على فرسان العلم فهو غرابة رايته وإن كان قد قصر وهمه وهمّه وجمع وكده وكدّه[٢] منذ خطَّ الشباب بالمسك عذاره إلى أن وخط الشيب بالكافور أطراره[٣] على اقتناء العلوم وجمع أفانينها، وضبط قوانينها مقتطفاً من ثمار النحو والأدب زواهرها[٤] وغررها، مغترفاً من بحار أصول الدين وفروعه جواهرها ودررها، فإنَّ كلَّ فاضل وإن بعد في الفضل مداه، وبلغ في كلّ علم أقصاه، إذا لم يتشرَّف بتقبيل [بساط] الحضرة العليّة ولم ينسب إلى جملة خدمها ولم يحسب في زمرة حشمها فهو ناقص عن حيّز الكمال، عادل عن الحقيقة إلى المحال.

لأنّها الغاية القصوى الّتي عجزت عن أن تأمّل إدراكاتها الهمم
ما تستحقُّ ملوك الدهر مرتبة إلاّ لصاحبها من فوقها قدم
فرأيه إن دجا ليل الشكوك هدى وظلّه إن خطا صرف الردى حرم[٥]

جلالة الملك أدنى درجاته وحماية الدين أقلُّ أدواته، وإكرام ذوي الفضل من الأنام واصطناع الكرام والإنعام على الخاصّ والعامّ أشهر صفاته، فالآمال منوطة به، والهمم مصروفة إليه، والثناء والحمد والشكر بأجمعها موقوفة عليه، استقلّ بما عجزت الملوك عن حمل أعبائه، وقام بما قعد الدّهر عن معاناة عنائه، بهمّة عليّة وعزيمة علانية وعقيدة علويّة، فردَّ سمل الدين جديداً[٦]، وأعاد ذميم الأيام حميداً.

فكلّ أروع من آل النبيّ نجد جذلان يرفل من نعماه في حلل[٧]

---

(١) العكاشة ـ بضم العين ـ: العنكبوت، أو بيتها.
(٢) الوكد ـ بضم الواو وسكون الكاف ـ: السعي والجهد. والكد أيضاً: السعي والتعب.
(٣) وخطه الشيب: خالط سواد شعره. والأطرار جمع طرة وهي الجبهة والناصية.
(٤) الاقتطاف: اجتناء الثمرة وأخذها من شجرتها.
(٥) المراد بصرف الردى حوادث الدهر.
(٦) السمل: الخلق من الثياب وقد سمل الثوب وأسمل (النهاية).
(٧) جذلان: فرحان. والرفل: الذيل، ورفل إزاره إذا أسبله وتبختر فيه.

فلــو أجــاب كتــاب الله ســائلــه   من خير هذا الورى لم يسم غير عليّ

ولمّا عاق الدّهر هذا الدّاعي المخلص عن الاستسعاد بخدمة حضرته العالية، والانبساط لتقبيل بساطها، والانخراط في سلك سماطها، والرتوع في ظلال كرمها، والشروع في مشارع حرمها، أراد أن يخدمها بخدمة تبقى عوائدها على تعاقب الأيام وتناوب الشهور والأعوام فيؤلّف كتاباً يتضمّن أسامي الأئمّة الهداة والسادة الولاة وأُولي الأمر وأهل الذكر وأهل بيت الوحي، الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، ويشتمل على تواريخ مواليدهم وأعمارهم، وطرف من أخبارهم ومحاسن آثارهم، والنصوص الدالّة على صحّة إمامتهم، والآيات الظاهرة من الله عليهم الشاهدة لتمييزهم عمّن سواهم وإبانتهم عمّن عداهم، ثمَّ فكّر في ذلك وقدَّر وتأمّل وتدبّر وقال: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الشجرة وهم أغصانها والدَّوحة هو وهم أفنانها، ومنبع العلم وهم عيبته[1]، ومعدن الحكم وهم خزانته، وشارع الدين وهم حفظته، وصاحب الكتاب وهم حملته، فهو أولى أن يقدَّم في الذكر[2] وتبيّن آياته الناطقة برسالاته وأعلامه الدالّة على نبوّته ومعجزاته القاهرة ودلالاته الباهرة، فاستخار الله سبحانه في الابتداء به واستعان به في إتمام ما قصده وسمّاه كتاب **إعلام الورى بأعلام الهدى** وجعله أربعة أركان.

الركن الأول في ذكر رسول الله عليه الصلاة والسلام.

والركن الثاني في ذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

والركن الثالث في ذكر الأئمّة من أبنائه من الحسن بن عليّ الرضيّ إلى الحسن بن عليّ الزَّكي عليهم السلام.

والركن الرابع في إمامة الأئمّة الاثني عشر والإمام الثّاني عشر.

وكلُّ ركن منها يتضمّن أبواباً وفصولاً يزهر بما فيها من مكنون العلم ومخزون الحكم، مفصولاً وموصولاً، وإنَّ من أولى الأمور وأصوبها عند الجمهور أن تحلّى

---

(١) كل شجرة عظيمة دوحة، والأفنان: أغصان الشجرة، والعيبة موضع السر.

(٢) في بعض النسخ [أن يؤم في الذكر].

مسائل العقائد على أجلّ معتقديها وتعرض فرائد الجواهر على أكمل منتقديها، والمأمول المسؤول من الرَّأي العالي أعلاه الله أن يغدَف[١] على هذه الكريمة الجسيمة ويسبل على هذه الرّسالة الجليلة النبيلة جناح القبول، لينال الدّاعي المخلص بذلك غاية المرام ونهاية المأمول فاستخرجت درَّة جلئت إلى قلوب المؤمنين وأكرم بشارة صبّت على آذان الموقنين والله تعالى المؤيّد الموفّق للسّداد، الهادي إلى الرَّشاد، وعليه توكّلت وإليه أُنيب.

* * *

(١) غدف له في العطاء ـ بتقديم المعجمة على المهملة ـ: أي أكثر، وقال الجزري في النهاية: في الحديث أنه أغدف على علي وفاطمة عليهما السلام ستراً أي أرسله وأسبله.

الركن الأول

من الكتاب في ذكر النبيّ المصطفى محمّد ﷺ ونسبه ومولده ومبعثه ومدّة حياته ووقت وفاته وبيان أسمائه وصفاته ودلائل نبوّته ومعجزاته، وأولاده وأزواجه وأعمامه وأخواله، ومعرفة بعض غزواته وأحواله ويشتمل على ستّة أبواب.

الباب الأول

في ذكر نسبه ومولده ومدة حياته ووقت وفاته وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في ذكر مولده ونسبه إلى آدم عليه السلام ووقت وفاته ـ ولد ﷺ يوم الجمعة عند طلوع الشمس السابع عشر من شهر ربيع الأوّل عام الفيل، وفي رواية العامّة ولد ﷺ يوم الاثنين، ثمَّ اختلفوا فمن قائل يقول لليلتين من شهر ربيع الأوّل، ومن قائل يقول: لعشر ليال خلون منه، وذلك لأربع وثلاثين سنة وثمانية أشهر مضت من ملك كسرى أنو شيروان بن قباد وهو قاتل مزدك والزّنادقة ومبيرهم(١) وهو الّذي عنى رسول الله ﷺ على ما يزعمون ولدت في زمان الملك العادل الصالح، ولثمان سنين وثمانية أشهر من ملك عمرو بن هند ملك العرب، وكنيته أبو القاسم.

وروى أنس بن مالك قال: لمّا ولد إبراهيم بن النبيّ من مارية أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم ـ أو يا أب إبراهيم ـ، ونسبه محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب ـ واسمه شيبة الحمد ـ بن هاشم ـ واسمه

---

(١) أباره أي أهلكه، والمبير: المهلك.

عمرو ـ بن عبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

روي عنه عليه السلام أنّه قال: إذا بلغ نسبي عدنان فأمسكوا.

وروي عن أُمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قالت: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: معد بن عدنان[١] بن أُدد بن زيد بن ثرا بن أعراق الثرى، قالت أمّ سلمة: زيد هميسع وثرا نبت وأعراق الثّرى إسماعيل بن إبراهيم، قالت: ثمَّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**وعاداً وثمود وأصحاب الرَّس وقروناً بين ذلك كثيراً**﴾ لا يعلمهم إلاّ الله.

وذكر الشيخ أبو جعفر بن بابويه رضوان الله عليه: عدنان بن أدّ بن أُدد بن يامين بن يشجب بن منحر بن صابوغ بن هميسع، وفي رواية أُخرى عدنان بن أُدد بن زيد بن يقدد بن يقدم الهميسع بن نبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم، وقيل: الأصحّ الّذي اعتمد أكثر النسّاب وأصحاب التواريخ أنَّ عدنان هو أُدُّ بن أُدد بن اليسع بن الهميسع[٢] بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام بن تارح بن تاخور بن ساروخ بن ارعواء بن فالغ بن عابر[٣] وهو هود عليه السلام بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام بن لمك بن متّوشلخ بن أخنوخ ويقال: أُخنوخ وهو إدريس عليه السلام بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام أبي البشر[٤].

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ ابن غالب.

---

(١) في كلام المؤرخين في ما بعد عدنان اختلاف شديد يكاد لا يوافق في أحدهم اثنان ولا يسعنا تصحيحه راجع مروج الذهب، تاريخ الطبري، روض الأنف، سيرة ابن هشام، المعارف لابن قتيبة، روضة الألباب (مخطوط)، مناقب ابن شهرآشوب وغيرها. وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم إذا انتسب لا يتجاوز عدنان وقال: كذب النسابون.

(٢) في بعض النسخ [الهيسع بن الهميسع].

(٣) في بعض النسخ [تارخ بن ناحور بن ساروغ بن ارغواء بن قانع بن عامر].

(٤) راجع مقدمة الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر القرطبي.

وأرضعته حتّى شبَّ حليمةُ بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة السعديّة من بني سعد بن هوازن، وكانت ثوبية مولاة أبي لهب بن عبد المطّلب أرضعته أيضاً بلبن ابنها مسروح وذلك قبل أن تقدم حليمة، وتوفّيت ثوبية مسلمة سنة سبع من الهجرة ومات ابنها قبلها وكانت قد أرضعت ثوبية قبله حمزة بن عبد المطّلب عمّه فلذلك قال رسول الله ﷺ لابنة حمزة: إنّها ابنة أخي من الرّضاعة. وكان حمزة أسنَّ من رسول الله ﷺ بأربع سنين، وأمّا جدَّته أُمُّ أبيه عبد الله فهي فاطمة بنت عمر [و] بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وأُمُّ عبد المطّلب سلمى بنت عمرة من بني النجّار وأُمُّ هاشم عاتكة بنت مرَّة بن هلال من بني سليم، وأُمُّ قصي وزهرة فاطمة بنت سعد من أزد السّراة.

وصدع ﷺ بالرّسالة يوم السّابع والعشرين من رجب وله يومئذ أربعون سنة وقبض عليه السلام يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشر من الهجرة وهو ابن ثلاث وستّين سنة.

الفصل الثاني

في ذكر أسمائه صلوات الله عليه وشرف أصله ونسبه

وأمّا أسماؤه وصفاته فمنها ما جاء به التنزيل وهو الرَّسول النبيُّ الأُميّ في قوله: ﴿**الّذين يتّبعون الرَّسول النبيَّ الأُميَّ الذي يجدونه مكتوباً في التّوراة والإنجيل**﴾ والمزَّمّل والمدَّثّر في قوله تعالى: ﴿**يا أيّها المزَّمّل**﴾ ﴿**يا أيّها المدَّثّر**﴾ والنذير المبين في قوله تعالى: ﴿**قل إنّي أنا النّذير المبين**﴾ وأحمد في قوله تعالى: ﴿**ومُبشّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾ ومحمّد في قوله تعالى: ﴿**محمّد رسول الله**﴾ والمصطفى في قوله تعالى: ﴿**الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس**﴾ والكريم في قوله تعالى: ﴿**إنّه لقول رسول كريم**﴾ وسمّاه سبحانه نوراً في قوله: ﴿**قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين**﴾ ونعمة في قوله تعالى: ﴿**يعرفون نعمة الله ثمَّ ينكرونها**﴾ ورحمة في قوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين**﴾ وعبداً في قوله تعالى: ﴿**نزَّل الفرقان على عبده**﴾ ورؤوفاً رحيماً في قوله: ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ وشاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً في قوله تعالى: ﴿**إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً**

وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ وسمّاه منذراً في قوله: ﴿**إنّما أنت منذرٌ﴾** وسمّاه عبد الله في قوله تعالى: ﴿**وأنّه لمّا قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً﴾** وسمّاه مذكّراً في قوله تعالى: ﴿**إنّما أنت مذكّر﴾** وسمّاه طه ويس.

ومنها ما جاء به الأخبار، ذكر محمّد بن إسماعيل البخاري في الصحيح عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ لي أسماء: أنا محمّد، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر يحشر النّاس على قدمي، وأنا العاقب الّذي ليس بعده أحدٌ وقيل: أنا الماحي الّذي يمحى به سيّئات لمن اتّبعه.

وفي خبر آخر المقفّي ونبيُّ التوبة ونبيُّ الملحمة والخاتم والغيث والمتوكّل(١).

وأسماؤه في كتب السّالفة كثيرة منها: مؤذ مؤذ بالعبرانيّة في التّوراة وفاروق في الزَّبور.

وروى الشّيخ أبو بكر أحمد البيهقي في كتاب دلائل النبوّة بإسناده عن الأعمش عن عباية بن ربعي، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله عزَّ وجل قسّم الخلق قسمين فجعلني في خيرها قسماً وذلك قوله في ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير من أصحاب اليمين، ثمَّ جعل القسمين ثلاثاً، فجعلني في خيرها ثلثاً فذلك قوله: ﴿**فأصحاب الميمنة ـ إلى قوله ـ أصحاب المشئمة والسّابقون السابقون﴾** فأنا من السّابقين وأنا خير السّابقين، ثمَّ جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله: ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل ـ الآية ـ﴾** فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثمَّ جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله عزَّ وجل: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾** فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذُّنوب.

---

(١) المقفي هو بمعنى العاقب لأنه تبع للأنبياء يقال: فلان يقفو أثر فلان أي يتبعه. والملحمة: الحرب وسمي صلوات الله عليه بذلك لأنه بعث بالذبح كما قاله صاحب المناقب وروى أنه ﷺ سجد يوماً فأتى بعض الكفار بسلا ناقة فألقاه على ظهره فقال: يا معشر قريش أي جوار هذا والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح، فقام إليه أبو جهل ولاذ به من بينهم وقال: يا محمد ما كنت جهولاً. وسمي نبي الملحمة بذلك.

وروى الحاكم بن عبد الله بإسناده، عن سفيان بن عيينة أنّه قال: أحسن بيت قالته العرب قول أبي طالب للنّبي ﷺ:

وشقَّ له من اسمه كي يجلّه فذو العرش محمود وهذا محمّد

وقال غيره: إنَّ هذا البيت لحسّان بن ثابت في قطعة له أوَّلها:

ألم تر أنَّ الله أرسل عبده ببرهانه والله أعلى وأمجد

ومن صفاته الّتي جاءت في الحديث: راكب الجمل، وآكل الذّراع، ومحرّم الميتة، وقابل الهديّة، وخاتم النبوّة، وحامل الهراوة[1] ورسول الرَّحمة. ويقال: إنَّ كنيته في التوراة أبو الأرامل، واسمه صاحب الهراوة.

وروى أنّه قال: أنا قثم. والقثم[2] الكامل الجامع، وقال: أنا الأوَّل والآخر أوَّل في النبوَّة وآخر في البعثة.

الفصل الثالث

في ذكر مدة حياته ﷺ

عاش ﷺ ثلاثاً وستّين سنة، منها مع أبيه سنتين وأربعة أشهر[3] ومع جدّه عبد المطّلب ثماني سنين، ثمَّ كفله عمّه أبو طالب عليه السلام بعد وفاة جدّه عبد المطّلب فكان يكرمه ويحميه وينصره أيّام حياته.

وذكر محمّد بن إسحاق بن يسار أنَّ أباه عبد الله مات وأُمّه حبلى وقيل أيضاً: إنّه مات والنّبي ﷺ ابن سبعة أشهر.

---

(١) الهراوة هي العصا الضخمة وجمعها هراوى ـ بفتح الواو كمطايا ـ.

(٢) القثم ـ بضم القاف وفتح الثاء المثلثة ـ: الجموع للخير وأيضاً المعطاء، (معدول عن القاثم).

(٣) هذا هو قول بعض المؤرخين من العامة كما نقله محمد بن مسعود الكازروني في المنتقى ولكن الأصح لما حملت آمنة برسول الله ﷺ توفي عبد الله بالمدينة في دار النابغة وله خمس وعشرون سنة كما هو رأي عامة أرباب السير، وأشار إليه المؤلف ـ رحمه الله ـ.

وذكر ابن إسحاق قال: قدمت آمنة بنت وهب أُمُّ رسول الله ﷺ به على أخواله من بني عديّ بن النجّار بالمدينة ثمَّ رجعت به حتّى إذا كانت بالأبواء فهلكت بها ورسول الله ﷺ ابن ستّ سنين.

وروى عن بريدة قال: انتهى النبيُّ ﷺ إلى رسم قبر فجلس وجلس النّاس حوله فجعل يحرّك رأسه كالمخاطب ثمّ بكى، فقيل: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربّي في أن أزور قبرها فأذن لي فأدركتني رقّتها فبكيت، فما رأيت ساعة أكثر باكياً من تلك الساعة. وفي خبر آخر استأذنت في زيارة قبر أُمّي فأذن لي فزوروا القبور تذكّركم الموت ـ رواه مسلم في الصحيح ـ.

وتزوَّج بخديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة. وتوفّي عمّه أبو طالب وهو ابن ستّ وأربعين سنة وثمانية أشهر وأربعة وعشرين يوماً. وتوفّيت خديجة بعده بثلاثة أيّام، وسمّى رسول الله ﷺ ذلك العام عام الحزن.

وروى هشام بن عروة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ما زالت قريش كاعة عنّي حتّى مات أبو طالب عليه السلام[1]

وأقام ﷺ بمكّة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، ثمّ هاجر منها إلى المدينة بعد أن استتر في الغار ثلاثة أيّام وقيل: ستّة أيّام، ودخل المدينة يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع الأوّل وبقي بها عشر سنين، ثم قبض ﷺ يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة.

واختلف أهل بيته وأصحابه في موضع دفنه فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ الله تعالى لم يقبض روح نبيّه إلاّ في أطهر بقاع فينبغي أن يدفن هناك. وأخذوا بقوله فدفنوه في حجرته الّتي مات فيها.

* * *

(١) الكاعة جمع كائع وهو الجبان ـ كبائع وباعة ـ وقد كاع يكيع عنه: جبن عنه وهابه، والمراد أنهم يخافون ويجبنون عن إيذاء النبي ﷺ ما دام أبو طالب حيّاً فلما مات ـ رحمه الله ـ اجترأوا عليه.

الباب الثاني

في ذكر آياته الباهرات ومعجزاته القاهرة للعادات

وهذه الآيات قسمان أحدهما ما ظهر قبل مبعثه والآخر ما ظهر بعد ذلك، فأمّا ما ظهر قبل الدَّعوة والمبعث فمن ذلك ما استفاض في الحديث أنَّ أُمَّ رسول الله ﷺ لما وضعته رأت نوراً أضاءت له قصور الشام وحدَّثت هي أنّها أنبئت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنّك حملت بسيد هذه الأمّة فإذا وقع على الأرض فقولي: أُعيذه بالواحد من شرّ كلّ حاسد فإنَّ آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بُصرى من أرض الشام فإذا ولد فسمّيه محمّداً، فإنَّ اسمه في التوراة أحمد، يحمده أهل السماوات والأرض، واسمه في الإنجيل حميد، يحمده أهل السماء والأرض، واسمه في الفرقان محمّد. قالت: فسمّيته بذلك.

وروى أمامة قال: قيل: يا رسول الله ما كان بك [من] أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أُمّي أنّه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام.

ومن ذلك ما رواه الأستاذ أبو سعد الواعظ الزّاهد الخركوشي[1] بإسناده، عن

---

(١) هو أبو سعد عبد الملك بن محمد النيسابوري الحافظ الواعظ صاحب كتاب شرف المصطفى، وفي العقبات قال السمعاني في الأنساب: الخركوشي ـ بفتح الخاء وسكون الراء وضم الكاف وفي آخرها شين معجمة ـ هذه النسبة إلى خركوش وهي سكة بنيشابور ينسب إليها جماعة من المشهورين منهم أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم الخركوشي الزاهد الواعظ أحد المشهورين بأعمال البر والخير، وكان عالماً زاهداً فاضلاً، رحل إلى العراق والحجاز وديار مصر وأدرك العلماء والشيوخ وصنف التصانيف المفيدة ـ إلى أن قال وجاور حرم الله مكة ثم عاد إلى وطنه نيسابور ولزم منزله وبذل النفس والمال للمستورين من الغرباء والفقراء المنقطعين منهم وبنى داراً للمرضى بعد أن خربت الدور القديمة لهم ووكل جماعة من أصحابه لتمريضهم وحمل مياههم وكانت وفاته في سنة ٤٠٦ بنيسابور انتهى. (الكنى والألقاب للمحدث القمي).

مخزوم بن أبي الخزوميّ، عن أبيه وقد أتت عليه مائة وخمسون سنة قال: لمّا كانت اللّيلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس[١] إيوان كسرى فسقط منه أربعة وعشرون شرفة وخمدت نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة ورأى المؤبذان[٢] أنَّ إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة فانتشرت في بلادها، فلمّا أصبح كسرى راعه ذلك وأفزعه وتصبّر عليه تشجّعاً، ثمَّ رأى أن لا يدَّخر ذلك عن وزرائه ومرازبته[٣] فجمعهم وأخبرهم بما هاله فبينا هم كذلك إذ أتاه كتاب بخمود نار فارس فقال المؤبذان: وأنا رأيت رؤيا وقصَّ عليه رؤياه في الإبل، فقال: أيُّ شيء يكون هذا يا مؤبذان؟ قال: حدث يكون من ناحية العرب، فكتب كسرى عند ذلك إلى ملك العرب النعمان المنذر:

أمّا بعد فوجّه إليَّ برجل عالم بما أُريد أن أسأله عنه. فوجّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن بعيلة الغسّانيّ، فلمّا قدم عليه أخبره بما رأى، فقال: علم ذلك عند خالي يسكن مشارق الشام، يقال له: سطيح، قال: فاذهب فسله وائتني بتأويل ما عنده، فنهض عبد المسيح حتّى قدم على سطيح وقد أشفى على الموت فسلّم فلم يحر جواباً فأنشأ عبد المسيح أبياتاً يذكر فيها ما أراده، ففتح سطيح عينيه ثمَّ قال: عبد المسيح على جمل يسيح إلى سطيح وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا المؤبذان، رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة[٤] وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكلُّ ما هو آت آت، ثمَّ قضى سطيح مكانه.

---

(١) الرجس بالفتح ـ: الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير، ورجست السماء ـ بالفتح ـ ترجس إذا رعدت وتمخضت وارتجست مثله.

(٢) هو بضم الميم وفتح الباء فقيه الفرس وحاكم المجوس. (القاموس) وقال الجزري: المؤبذان للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين وقوله: «غاضت بحيرة ساوة» أي غار ماؤها. انتهى.

(٣) المرازبة جمع مرزبان وهو الرئيس والأمير عند الفرس.

(٤) وهي العصا الضخمة والجمع هراوى كمطايا وقد مر. وسماوة ـ بفتح السين ـ موضع بالكوفة.

فنهض عبد المسيح وقدم على كسرى فأخبره بما قال سطيح، فقال: إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكاً كانت أمور، فملك منهم عشرة في أربع سنين والباقي إلى إمارة عثمان.

ومن ذلك ما رواه عليُّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن رجاله قال: كان بمكّة يهوديٌّ يقال له: يوسف فلمّا رأى النجوم تقذف وتتحرّك ليلة ولد النبيُّ ﷺ قال: هذا نبيٌّ قد ولد في هذه اللّيلة لأنّا نجد في كتبنا أنَّ إذا ولد آخر الأنبياء رجمت الشياطين وحجبوا عن السماء، فلمّا أصبح جاء إلى نادي قريش[١] فقال: هل ولد فيكم اللّيلة مولود؟ قالوا: قد ولد لعبد الله بن عبد المطّلب ابنٌ في هذه اللّيلة، قال: فاعرضوه عليَّ، فمشوا إلى باب دار آمنة، فقالوا لها: أخرجي ابنك فأخرجته في قماطه فنظر في عينه وكشف عن كتفيه ﷺ فرأى شامة سوداء بين كتفيه وعليها شعيرات، فلمّا نظر إليه اليهوديّ وقع إلى الأرض مغشيّاً عليه، فتعجّب منه قريش وضحكوا منه، فقال: أتضحكون يا معشر قريش هلاّ من قريب ليبيدنّكم[٢] وذهب النّبوّة عن بني إسرائيل إلى آخر الأبد، وتفرّق الناس يتحدَّثون بخبر اليهوديّ.

ومن ذلك بشارة موسى بن عمران به في التوراة ولقد حدَّثني من أثق به قال: مكتوب في التوراة في خروجه ﷺ من ولد إسماعيل وصفته هذه الألفاظ «وليشمعيل شمعتخ هني برختى أُتو دهفرتى أُتو هربتى وأُتو بمادماد شينم آسور نسيئم وأنا تيتو الكوى كادل»[٣] وتفسيره إسماعيل قبلت صلاته وباركت فيه وأنميته وكثّرت عدده بولد له اسمه محمّد يكون اثنين وتسعين في الحساب، سأخرج اثنا عشر إماماً ملكاً من نسله وأعطيه قوماً كثير العدد.

ومن ذلك ما أخبر به الثقة أنّه قرأ في الإنجيل، ذكره الشيخ أبو جعفر بن

---

(١) النادي بمعنى المجلس وموضع اجتماع القوم.

(٢) أباده: أهلكه والمبيد فاعل منه وفي بعض النسخ [ليبيرنكم] وأباره أيضاً بمعنى أباده.

(٣) صححناه من كتاب أنيس الأعلام ج٢ ص ١٥١. وفي كتاب منقول الرضا المخطوط (نسخة كتابخانه ملي ملك طهران رقم ٦٣٣١) هكذا: «وليشماعيل ـ شمعتيخا ـ هينة ـ برختى ـ أوتو ـ دهفريتى ـ أوتو ـ رهرقيتي ـ أوتو ـ بمئد ـ مئد ـ شنيم ـ عاسار ـ نسيئيم ـ يوليد ـ ونتيتو ـ لكوى ـ كادول».

بابويه ـ رحمه الله ـ في كتاب كمال الدّين وتمام النعمة: إنّي أنا الله الدّائم الذي لا أزول صدّقوا النبيَّ الأميّ صاحب الجمل والمدرعة والتاج وهي العمامة والنعلين والهراوة وهي القضيب، الأنجل العينين، الصلت الجبين، الواضح الخدَّين، الأقنى الأنف، المفلّج الثنايا، كأنَّ عنقه إبريق فضّة، كأنَّ الذّهب يجري في تراقيه، له شعرات من صدره إلى سرَّته، ليس على بطنه وصدره شعر، أسمر اللّون، دقيق المسربة، شثن الكفّ والقدم، إذا التفت التفت جميعاً وإذا مشى كأنّما ينقلع من صخرة وينحدر من صبب، وإذا جاء مع القوم بذَّهم، عرقه في وجهه كاللّؤلؤ، وريح المسك ينفح منه، لم ير مثله قبله ولا بعده، طيّب الرّيح نكّاح للنساء، ذو النسل القليل، إنّما نسله من مباركة لها بيت في الجنّة، لا صخب فيه ولا نصب، يكفلها في آخر الزّمان كما كفّل زكريّا أُمّك، لها فرخان مستشهدان، كلامه القرآن، ودينه الإسلام وأنا السّلام، طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيّامه وسمع كلامه، فقال عيسى عليه السلام: يا ربّ وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنّة أنا غرستها بيدي تظلُّ الجنان، أصلها من رضوان، ماؤها من تسنيم، برده برد الكافور، وطعمه طعم الزّنجبيل، من يشرب من تلك العين شربة لم يظمأ بعدها أبداً، فقال عيسى عليه السلام: أللّهمَّ اسقني منها، قال: حرام يا عيسى على النبيّين أن يشربوا منها حتّى يشرب ذلك النّبي، وحرامٌ على الأُمم أن يشربوا منها حتّى تشرب أُمّة ذلك النبيّ، أرفعك إليَّ وأُهبطك في آخر الزّمان لترى من أُمّة ذلك النبيّ العجائب ولتعينهم على اللّعين الدَّجال، أُهبطك في وقت الصّلاة لتصلّي معهم إنّهم أُمّة مرحومة[1].

---

(١) المدرعة ـ كمكنسة ـ: ثوب كالدرّاعة ولا تكون إلا من صوف. وهي جبة مشقوقة المقدم وعند اليهود ثوب من كتان كان يلبسه عظيم أحبارهم، والنجل ـ محركة: سعة العين وهو أنجل. والصلت: الجبين الواضح المستوي البارز، قال الجزري: أي واسعة والقناء في الأنف: طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه. وفي القاموس مفلج الثنايا: منفرجها. وقوله: «كان الذهب الخ» كناية عن سطوع النور منها أو حمرتها. والمسربة: شعر وسط الصدر إلى البطن. وشثن الكف والقدم أي أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر وقيل: هو الذي بين أنامله غلظ بلا قصر كما قاله في النهاية. وقال: بذ العالمين أي سبقهم وغلبهم. انتهى. يعني هو صلى الله عليه وآله وسلم ممتاز بين الجماعة بالحسن والبهاء أو بسبقه في المشي. والصخب ـ محركة ـ اضطراب الأصوات للخصام واختلاطها، والتسنيم: ماء في الجنة.

ومن ذلك حديث سلمان الفارسيّ فإنّه لم يزل ينتقل من عالم إلى عالم ومن فقيه إلى فقيه، ويبحث عن الأسرار، ويستدلُّ بالأخبار، وينتظر قيام سيّد الأوَّلين والآخرين محمّد ﷺ أربعمائة سنة حتّى بشّر بولادته، فلمّا أيقن بالفرج خرج يريد تهامة فسبي ـ والخبر في ذلك طويل مذكور في كتاب كمال الدّين ـ.

ومن ذلك حديث تبّع الملك وقوله: سيخرج من هذه ـ يعني مكّة ـ نبيٌّ مهاجره يثرب، وأخذ قوماً من اليمن فأنزلهم مع اليهود بيثرب لينصروه إذا خرج الأوس والخزرج وفي ذلك يقول:

شهدت على أحمد أنّه ... رسول من الله باري النّسم
فلو مدَّ عمري إلى عمره ... لكنت وزيراً له وابن عمّ
وكنت عذاباً على المشركين ... وأسقيهم كأس خوف وغمّ

ومن ذلك ما رواه أيضاً بإسناده عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: كان يوضع لعبد المطّلب فراش في ظلّ الكعبة لا يجلس عليه أحدٌ إجلالاً له، وكان بنوه يجلسون حوله حتّى يخرج عبد المطّلب فكان رسول الله ﷺ يخرج وهو غلام فيمشي حتّى يجلس على الفراش فيعظم ذلك على أعمامه ويأخذونه ليؤخّروه، فيقول لهم عبد المطّلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إنَّ له لشأناً عظيماً، إنّي أرى أنّه سيأتي عليكم يوم وهو سيّدكم، إنّي أرى غرَّته غرَّة تسود النّاس، ثمَّ يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبّله، ويقول: ما رأيت قُبلة أطيب منه ولا أطهر قطُّ، ثمَّ يلتفت إلى أبي طالب وذلك أنَّ أبا طالب وعبد الله لأُمّ واحدة فيقول: يا أبا طالب إنَّ لهذا الغلام لشأناً عظيماً فاحفظه واستمسك به فإنّه فردٌ وحيدٌ وكن له كالأب لا يوصل إليه بشيء يكرهه، ثمَّ يحمله على عنقه فيطوف به أسبوعاً وكان عبد المطّلب قد علم أنّه يكره اللآت والعزّى فلا يدخله عليهما، فلمّا تمّت له ستُّ سنين ماتت أمّه آمنة بالأبواء بين مكّة والمدينة وكانت قدمت به أخواله من بني عدي فبقي رسول الله ﷺ يتيماً لا أب له ولا أُمّ، فازداد عبد المطّلب له رقّة وحفظاً وكانت هذه حاله حتّى أدركت عبد المطّلب الوفاة، فبعث إلى أبي طالب فجاءه ومحمّد ﷺ على صدره وهو في غمرات الموت فصار يبكي ويلتفت إلى أبي طالب ويقول: يا أبا طالب انظر أن تكون

حامياً لذلك الوحيد الّذي لم يشمّ رائحة أبيه ولا ذاق شفقة أُمّه، انظر يا أبا طالب أن يكون من جسدك بمنزلة كبدك، فإنّي قد تركت بنيَّ كلّهم ووصّيتك به لأنّك من أُمّ أبيه، يا أبا طالب إنْ أدركت أيّامه فاعلم أنّي كنت من أبصر النّاس ومن أعلم النّاس به وإن استطعت أن تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك فإنّه عن قريب سيسود ويملك ما لم يملك أحدٌ من آبائي، يا أبا طالب ما أعلم أحداً من العرب مات عنه أبوه علٰى حال أبيه ولا أمّه على حال أُمّه فاحفظه لوحدته. هل قبلت وصيّتي؟ قال: نعم قد قبلت والله على ذلك شاهد. قال عبد المطّلب: فمدَّ يدك إليَّ، فمدَّ يده إليه فضرب يده على يده، ثمَّ قال عبد المطّلب: الآن خفّف عليَّ الموت ثمَّ ضمّه إلى صدره وجعل يقبّله ويقول: أشهد أنّي لم أقبّل أحداً من ولدي أطيب ريحاً منك ولا أحسن وجهاً منك. ويتمنّى أن يكون قد بقي حتّى يدرك زمانه. وتوفّي أبوه عبد المطّلب وهو ابن ثماني سنين فضمّه أبو طالب إلى نفسه لا يفارقه ساعة في ليل ولا نهار وكان ينام معه حتّى بلغ، لا يأتمن عليه أحداً.

ومن ذلك ما رواه سيف بن ذي يزن والرّواية مشهورة عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: لمّا ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بسنتين ذهبت جماعة من قريش منهم عبد المطّلب بن هاشم وأميّة بن عبد شمس وعبد الله بن جذعان وأسد بن خويلد ووهب بن عبد مناف وغيرهم من وجوه قريش إلى ابن ذي يزن فلمّا وصلوا استأذنوه وهو في قصر، يقال له غمدان وهو الّذي يقول فيه أُميّة بن أبي الصلت:

اشـرب هنيئـاً عليـك التّـاج مـرتفقـاً   في رأس غمدان في سعد وإقبال[(١)]

ثمَّ ساق الحديث إلى أن قال: فأرسل إلى عبد المطّلب فأدنى مجلسه ثمَّ قال: يا عبد المطّلب إنّي مفض إليك عن سرّ علمي أمراً لو كان غيرك لم أبح به إليه ولكنّي رأيتك معدنه فأطلعتك عليه، فليكن مطويّاً حتّى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره فإنّي أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجنّا دون غيرنا

---

(١) قال الجزري في نهايته: المرتفق: المتكىء على المرفقة وهي كالوسادة ومنه حديث ابن ذي يزن «اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً» انتهى وفي رواية الصدوق في كمال الدين المصراع الثاني هكذا «في رأس غمدان داراً منك محلالا».

خبراً عظيماً وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للنّاس عامّة ولرهطك كافّة، ولك خاصّة، فقال عبد المطّلب: مثلك أيّها الملك قد سرّ وبرّ فما هو فداك أهل الوبر زمراً بعد زمر، فقال: إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامّه(١) كانت له الإمامة ولكم به الزّعامة إلى يوم القيامة، فقال عبد المطّلب: أبيت اللّعن(٢) لقد أُبت بخبر ما آب بمثله وافد ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من أسراره ما أزداد به سروراً، فقال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد فيه، اسمه محمّد، يموت أبوه وأُمّه ويكفله جدُّه وعمّه، وقد ولد سراراً، والله باعثه جهاراً، وجاعل له منّا أنصاراً، يعزُّ بهم أولياءه ويذلُّ بهم أعداءه ويضرب بهم النّاس عن عرض ويستبيح بهم كرائم الأرض، يكسّر الأوثان، ويخمد النيران، ويعبد الرَّحمن، ويزجر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله، فقال عبد المطّلب: أيّها الملك عزَّ جدّك وعلا كعبك، ودام ملكك، وطال عمرك فهل الملك سارّي بإفصاح لي، فقد أوضح بعض الإيضاح؟ فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب والعلامات على النّصب إنّك يا عبد المطّلب لجدُّه غير كذب، قال: فخرَّ عبد المطّلب ساجداً، فقال له: إرفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئاً ممّا ذكرته؟ فقال: كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً فزوَّجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب فجاءت بغلام فسمّيته محمّداً مات أبوه وأُمّه وكفّلته عمّه، قال له ابن ذي يزن: أنا الّذي قلت لك كما قلت لك فاحتفظ من ابنك واحذر عليه اليهود فإنّهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطو ما ذكرت دون هؤلاء الرَّهط الّذي معك فإنّي لست آمن أن تدخلهم النّفاسة(٣) من أن تكون له الرّئاسة فيطلبون له الغوائل وينصبون الحبائل وإنّهم فاعلون ذلك أو أبناؤهم غير شكّ، ولولا أنّي أعلم أنَّ الموت مجتاحي(٤) قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتّى أصير بيثرب دار ملكه، فإنّي أجد في الكتاب النّاطق والعلم السّابق أنَّ يثرب دار ملكه

---

(١) الشامة: الخال في الجسد معروفة والمراد هنا خاتم النبوة.

(٢) في النهاية قال «أبيت اللعن» كان من تحايا الملوك في الجاهلية والدعاء لهم ومعناه أبيت أن تفعل فعلاً تلعن بسببه وتذم.

(٣) النفاسة في الأصل بمعنى البخل والاستبداد بالشيء والرغبة فيه والمراد هنا الحسد.

(٤) الاجتياح: الإهلاك والاستئصال.

فيها استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره، ولولا أنّي أخاف فيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنّه أمره في هذا الوقت ولأوطأت أسنان العرب عقبه[١] ولكنّي سأصرف ذلك إليك من غير تقصير منّي بمن معك، قال: ثمَّ أمر لكلّ رجل من القوم بعشرة أعبد وعشر إماء وحلّتين من البرد ومائة من الإبل وخمسة أرطال من الذَّهب وعشرة أرطال من الفضّة وكرش مملوءة من العنبر، قال: وأمر لعبد المطّلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال: إذا حال الحول فائتني. فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول قال: فكان عبد المطّلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وإن كثر فإنّه إلى نفاد ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي من بعدي ذكره وفخره وشرفه، فإذا قيل: وما هو؟ قال: ستعلمنَّ نبأ ما أقول ولو بعد حين.

وقد روى هذا الحديث الشّيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتاب دلائل النبوّة من طريقين.

ومن ذلك حديث بحيراء الرّاهب[٢] فقد أورد محمّد بن إسحاق بن يسار قال: إنَّ أبا طالب خرج في ركب إلى الشّام تاجراً فلمّا تهيّأ للرَّحيل وأجمع السّير انتصب له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال: يا عمُّ إلى من تكلني لا أب ولا أُمّ؟ فرقَّ له أبو طالب وقال: والله لأخرجنَّ به معي ولا يفارقني ولا أُفارقه أبداً، فخرج به وهو معه، فلمّا نزل الرَّكب بُصرى من أرض الشّام وبها راهب يقال له بحيراء الرَّاهب في صومعة له، وكان أعلم أهل النّصرانيّة وكان كثيراً ما يمرُّون به قبل ذلك لا يكلّمهم ولا يعرض لهم، فلمّا نزلوا ذلك العام قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً، وذلك فيما يزعمون من شيء رآه وهو في صومعته في الرَّكب حين أقبلوا وهو غمامة بيضاء تظلّه من بين القوم، ثمَّ أقبلوا حتّى نزلوا بظلّ شجرة قريباً منه ونظر إلى الغمامة حتّى أظلّت الشّجرة وتهصّرت[٣] أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتّى استظلّ تحتها فلمّا

---

(١) أسنان العرب: أكابرهم وأشرافهم كما قاله الجزري.

(٢) بحيراء ـ بفتح الموحدة وكسر الحاء ـ (كذا ضبطه الديار بكري في الخميس).

(٣) قال الجزري: أصل الهصر أن تأخذ برأس العود فتثنيه إليك وتعطفه ومنه الحديث أنه ﷺ كان مع أبي طالب فنزل تحت شجرة فهصرت أغصان الشجرة أي تهدلت عليه.

رأى ذلك بحيراء نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطّعام فصنع، ثمَّ أرسل إليهم فقال: إنّي صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وإنّي أُحبُّ أن تحضروا كلّكم صغيركم وكبيركم وحرُّكم وعبدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيراء إنَّ لك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنّا نمرُّ بك كثيراً فما شأنك اليوم قال له بحيراء: صدقت قد كان ما تقول ولكنّكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلّكم، فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنّه في رحال القوم تحت الشّجرة فلمّا رأى بحيراء القوم لم يجد الصّفة الّتي يعرف فقال: يا معشر قريش لا يتخلّف أحد منكم عن طعامي هذا، قالوا له: ما تخلّف عنّا أحدٌ ينبغي له أن يأتيك إلاّ غلامٌ هو أحدث القوم سنّاً تخلّف في رحالهم، قال: فلا تفعلوا، أُدعوه حتّى يحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل من قريش مع القوم: واللاّت والعزّى إنَّ هذا للؤم منّا أن يتخلّف ابن عبد المطّلب عن الطّعام من بيننا قال: ثمّ قام إليه فاحتضنه ثمَّ أقبل به حتّى أجلسه مع القوم فلمّا رآه بحيراء جعل يلحظ لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد يجدها عنده في صفته حتّى إذا فرغ القوم من الطّعام وتفرَّقوا قام بحيراء فقال: يا غلام أسألك باللاّت والعزّى إلاّ أخبرتني عمّا أسألك عنه، وإنّما قال له ذلك بحيراء لأنّه سمع قومه يحلفون بهما، فقال رسول الله ﷺ لا تسألني باللاّت والعزّى فوالله ما أبغضت كبغضهما شيئاً قطّ فقال له بحيراء: فوالله إلاّ أخبرتني عمّا أسألك عنه، فقال: سلني عمّا بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيراء من صفته، ثمّ نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوَّة بين كتفيه على موضعه من صفته الّتي عنده قال: لمّا فرغ بحيراء منه أقبل على عمّه أبي طالب فقال: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال بحيراء: وما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّاً، قال: فإنّه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمّه حبلى به، قال: فأنت رجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما قد عرفت منه ليبغنّه شرّاً فإنّه كائن لابن أخيك هذا الشأن فأسرع به إلى بلده، فخرج به عمّه إلى بلده سريعاً حتّى أقدمه مكّة حين فرغ من تجارته بالشّام فزعموا أنَّ نفراً من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ في ذلك السّفر الّذي كان فيه مع عمّه أشياء فأرادوه فردَّهم عنه بحيراء وذكّرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وأنّهم

إن أجمعوا لما أرادوا به، لم يخلصوا إليه ولم يزل بهم حتّى عرفوا ما قال لهم وصدّقوه بما قال وتركوه وانصرفوا، وفي ذلك يقول أبو طالب في قصيدته الدّاليّة أوردها محمّد بن إسحاق بن يسار يقول:

إنَّ ابن آمنة النّبيَّ محمّداً ... عندي بمثل منازل الأولاد
لمّا تعلّق بالزّمام رحمته ... والعيس قد قلّصن بالأزواد[(١)]
فارفضّ من عينيّ دمع ذارف ... مثل الجمان مفرّق الأفراد[(٢)]
راعيت فيه قرابة موصولة ... وحفظت فيه وصيّة الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومة ... بيض الوجوه مصالت أنجاد[(٣)]
ساروا لأبعد طيّة معلومة ... ولقد تباعد طيّة المرقاد[(٤)]
حتّى إذا ما القوم بُصرى عاينوا ... لاقوا على شرك من المرصاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً ... عنه وردّ معاشر الحسّاد
قوماً يهوداً قد رأوا ما قد رأى ... ظلّ الغمام وعزَّ ذي الأكباد
ساروا لقتل محمّد فنهاهم ... عنه وأجهد أحسن الإجهاد

وأمثال ما ذكرناه كثيرة لو قصدنا إيراد جميعها لخرجنا عن الغرض المقصود بهذا الكتاب.

---

(١) العيس ـ بالكسر ـ: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة. وقوله: «قلصن» أي اجتمعن والأزواد جمع الزاد وهو الطعام المتخذ للسفر.

(٢) ارفضّ أي جرى وذرفت العين تذرف إذا جرى دمعها، والجمان هو اللؤلؤ الصغار وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ. وقوله: «مفرق الأفراد» أي المنثورة.

(٣) المصالت جمع مصلت ـ بالكسر ـ وهو الماضي في الأمور والأنجاد جمع نجد ـ بالفتح ـ وهو الشجاع. وقيل: المصالت من أصلت السيف إذا جرده من غمده والنجاد: حمائل السيف.

(٤) الطية: الجهة والناحية، يقال: «مضى لطيته» أي لنيته التي نواها. وقال الجوهري: قال الخليل: الطيئة تكون منزلاً وتكون منتأى تقول منه: مضى لطيّته أي لنيته التي انتواها، وبعدت عنا طيّته وهو المنزل الذي انتواه.

فصل

وأمّا ما ظهر منه صلوات الله عليه عقيب البعث وإظهار النبوّة من الآيات . معجزات فضربان أحدهما هذا القرآن الذي أنزله الله سبحانه وأيّده به، والآخر غيره من المعجزات.

فوجه الاستدلال من القرآن أنَّ كلَّ عاقل سمع الأخبار وخالط أهلها قد علم ظهور نبوَّة نبيّنا عليه وآله السّلام وادّعاءه الرّسالة من الله إلينا وأنّه تحدّى العرب بهذا القرآن مع تطاول الأزمان، لم يعارضوه لتعذُّر المعارضة عليهم فهذا التعذُّر معجز خارق للعادة، فأمّا الّذي يدلُّ على أنّه عليه السلام تحدَّى بالقرآن فهو أنَّ المراد بالتحدّي أنه كان يدَّعي أنَّ جبرئيل يهبط عليه بذلك وأنَّ الله سبحانه قد أبانه به وهذا معلوم ضرورة وهو غاية التحدّي في المعنى.

وأيضاً فإن آيات القرآن صريحة في التحدّي وهي قوله تعالى: ﴿**فأتوا بعشر سور مفتريات**﴾ وفي موضع آخر ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾ وأمّا الّذي يدلُّ على انتفاء المعارضة منهم فهو أنّه لو وقعت المعارضة لوجب ظهوره ونقله فإذا لم ينقل وجب القطع على انتفائه، وإنّما قلنا ذلك لأنَّ جميع ما يقتضي نقل القرآن من قوَّة الدَّاعي وشدّة الحاجة وقرب العهد ثابتٌ في المعارضة، بل المعارضة تزيد عليها لأنّها كانت تكون الحجّة والقرآن شبهة ونقل الحجّة أولى من نقل الشّبهة وكيف لا تنقل المعارضة لو كانت وهم قد نقلوا كلام مسيلمة مع ركاكته وبعده عن الشّبهة، فإن ادّعي المانع من النّقل وهو الخوف من أهل الإسلام وقد بلغوا الكثرة إلى حدّ يخاف من مثلهم فجوابه أنَّ الخوف لا يقتضي انقطاع النّقل على كلّ وجه وإنّما يمنع من التظاهر به ألا ترى أنَّ فضائل أمير المؤمنين عليه السلام قد نقلت ولم ينقطع النّقل بها مع الخوف الشّديد من بني أُميّة والرَّهبة من المتظاهر بها وكان يجب أن ينقل ذلك أعداء الإسلام أو يكون نقلاً مكتوماً فيما بينهم، وأيضاً فإنَّ الكثرة في الإسلام كانت بعد الهجرة فكان يجب نقل المعارضة قبل ذلك في مدَّة مقامه بمكّة وإذا نقلت وانتشرت لم يكن قوَّة الإسلام موجبة بعد ذلك لخفائها إلاّ أن يدّعى أنَّ المعارضة لم تقع في

تلك المدَّة وإنّما وقعت بعد الهجرة وفي ذلك كفاية في إعجاز القرآن وثبوت خرق العادة به، على أنَّ الإسلام وإن قوي حينئذٍ بالمدينة فقد كانت لأهل الكفر ممالك كثيرة وبلاد واسعة ومملكة الفرس كانت ثابتة لم تزل وممالك الرُّوم وغيرها من البلاد إلى هذه الغاية عريضة، فكان يجب ظهور المعارضة في هذه البلاد، وأمّا الّذي يدلُّ على أنّ انتفاء المعارضة كان للتعذُّر أنّا قد علمنا أنَّ كلَّ فعل لا يقع من فاعله مع توفّر دواعيه وقوّة بواعثه عليه فإنّه يدلُّ على تعذُّره فإذا ثبت ذلك وعلمنا أنّ العرب تحدُّوا بالقرآن ولم يعارضوه مع شدّة حاجتهم إلى المعارضة وقوّة دواعيهم علمنا أنّها متعذّرة عليهم فإذا انضاف إلى ذلك أنّهم قد تكلّفوا الأُمور الشّاقّة من الحرب وغيره ممّا بلغوا غاية مرادهم لم يكن لهم بذلك حجّة اتّضح الأمر في أنّهم قد تعذّرت المعارضة عليهم، وقد دعاهم النبيُّ ﷺ وهم ذوو الأنفة والحميّة وطالبهم بالرُّجوع عن دياناتهم والنّزول عن رئاستهم والبراءة من آبائهم وأسلافهم وأبنائهم ومجاهدة من خالف دينه وإن كان من أنسابهم وأقربائهم، وعلموا أنّ بالمعارضة يزول ذلك كلّه ويبطل، فأيُّ داع أقوى من هذا وكيف لا يكونون مدعوّين إليها وقد تحمّلوا ضروباً من الكلف والمشاقّ كالمحاربة وبذل الأموال ونظم الهجاء مع أنّ كلّ ذلك لا يعني فلو تيسّرت لهم المعارضة لتبادروا إليها إذ كانت أسهل ممّا تكلّفوه وتحمّلوه وأحسم للمادَّة من كلّ ما فعلوه.

وأمّا الذي يدلُّ على أنّ ترك المعارضة كان على وجه الإعجاز فهو أنَّ ما يمكن أن يدَّعى في ذلك أن يقال إنّه عليه السلام كان أفصحهم فتأتّى له ما لم يتأتّ لهم أو يقال: إنّه تعمّل زماناً لم يكن طويلاً فلم يتمكّنوا مع قصر الزّمان من معارضته فإذا بطل هذان الوجهان لم يبق إلاّ أنَّ هذا التعذُّر غير معهود فهو خارق للعادة.

والّذي يدلُّ على فساد الوجه الأوّل أنَّ المطلوب في المعارضة ما يقارب الفصاحة والأفصح يقاربه في كلامه وفصاحته من هو دون طبقته فإذا لم يماثلوه ولم يقاربوه فقد انتقضت العادة وأيضاً فإنَّ الأفصح إنما يمتنع مساواته ومجاراته في جميع كلامه أو أكثره وليس يمتنع مجاراته ومساواته في البعض منه على من هو دون طبقته، بهذا جرت العادة ولهذا فقد ساوت الطّبقة المتأخّرة من الشعراء الطبقة المتقدّمة منهم في البيت والأبيات وربّما زادوا عليهم في القليل، وإذا كان التحدّي وقع بصورة

قصيرة من عرض القرآن فكونه أفصح لا يمنع من مساواته في هذا القدر اليسير وأيضاً فليس يظهر من كلامه فصاحة تزيد على فصاحة غيره من القوم ولو كان أفصحهم وكان القرآن من كلامه لظهرت المزيّة في كلامه على كلّ كلام في الفصاحة كما ظهرت مزيّة القرآن.

وأمّا الذي يدلُّ على فساد الوجه الثّاني وهو أنّه تعمّل زماناً طويلاً فهو أنّه كان ينبغي أن يتعمّلوا مثله فيعارضوه به مع امتداد الزّمان، فإذا ثبت أنَّ التعذُّر خارق للعادة فلا بدَّ من أحد الأمرين: إمّا أن يكون القرآن نفسه خرق العادة بفصاحته فلذلك لم يعارضوه، وإمّا أن يكون الله تعالى صرفهم عن معارضته ولولا الصّرف لعارضوه وأيُّ الأمرين كان أثبت مع صحّة النبوّة لأنّ الله تعالى لا يصدِّق كاذباً ولا يخرق العادة لمبطل ولو ذهبنا نصف ما سطره المتكلّمون في هذا الباب من الكلام وما فيه من السّؤال والجواب لطال به الكتاب وفيما ذكرناه ههنا مقنع وكفاية لذوي الألباب.

فصل

وأما المعجزات الباهرة الدالة على نبوته التي هي سوى القرآن فكثيرة أثبتنا متونها وحذفنا أسانيدها لاشتهارها بين الخاص والعام وتلقي الأمة بالقبول التام

فمنها مجيء الشّجرة إليه ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة قال: لقد كنت معه صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أتاه الملأ من قريش فقالوا له: يا محمّد إنّك قد ادَّعيت عظيماً لم يدَّعه آباؤك ولا أحدٌ من بيتك ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنّك نبيٌّ ورسولٌ، وإن لم تفعل علمنا أنّك ساحرٌ كذّاب، فقال لهم: وما تسألون؟ قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ الله على كلّ شيء قدير فإن فعل ذلك بكم تؤمنون وتشهدون بالحقّ؟ قالوا: نعم قال: فإنّي سأُريكم ما تطلبون وإنّي لأعلم أنّكم لا تفيئون إلى خير، وإنَّ فيكم من يطرح في القليب ومن يحزّب الأحزاب، ثمَّ قال: أيّتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أنّي رسول الله فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يديّ

بإذن الله، والّذي بعثه بالحقّ لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دويٌّ شديد وقصف كقصف أجنحة الطّير[١] حتّى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مرفرفة[٢] وألقت بغصنها الأعلى على رأس رسول الله وببعض أغصانها على منكبي وكنت عن يمينه ﷺ فلمّا نظر القوم إلى ذلك قالوا علوّاً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً فكادت تلتفّ برسول الله فقالوا كفراً وعتواً: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه فأمره ﷺ فرجع فقلت أنا: لا إله إلاّ الله فإنّي أوّل مؤمن بك يا رسول الله وأوّل من أقرّ بأنّ الشّجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقاً بنبوّتك وإجلالاً لكلمتك، فقال القوم: بل ساحرٌ كذّاب، عجيب السّحر خفيف فيه، وهل يصدّقك في أمرك غير هذا؟ ـ يعنونني ـ.

ومنها خروج الماء بين أصابعه وذلك أنّهم كانوا معه في سفر فشكوا أن لا ماء معهم وأنّهم بمعرض التّلف وسبيل العطب[٣] فقال: كلاّ إنّ معي ربّي عليه توكّلت ثمّ دعا بركوة فصبّ فيها ماء ما كان ليروي ضعيفاً وجعل يده فيها فنبع الماء من بين أصابعه فصيح في النّاس فشربوا وسقوا حتّى نهلوا وعلّوا وهم أُلوف وهو يقول أشهد أنّي رسول الله حقّاً.

ومنها حنين الجذع الّذي كان يخطب عنده صلوات الله عليه وذلك أنّه كان في مسجده بالمدينة فيستند إلى جذع فيخطب النّاس فلمّا كثر الناس اتّخذوا له منبراً، فلمّا صعده حنّ الجذع حنين النّاقة حين فقدت ولدها فنزل رسول الله ﷺ فضمّه إليه فكان يئنُّ أنين الصّبيّ الذي يسكَّت.

ومنها حديث شاة أُمّ معبد وذلك أنّ النبي ﷺ لمّا هاجر من مكّة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أُريقط اللّيثي فمرُّوا على أُمّ معبد الخزاعيّة وكانت امرأة برزة تحتبي[٤] وتجلس بفناء الخيمة فسألوا تمراً ولحماً ليشتروه فلم

---

(١) الدوي: صوت ليس بالعالي كصوت النحل ونحوه. وقصف الرعد وغيره قصفاً: اشتد صوته.

(٢) رفرف الطائر بجناحيه إذا بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه.

(٣) العطب هو الهلاك.

(٤) الاحتباء: الاشتمال بالثوب. أي جمع بين ظهره وساقيه بالثوب أو نحوه.

يصيبوا عندها شيئاً من ذلك وإذا القوم مرملون فقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى فنظُر رسول الله ﷺ في كسر خيمتها[١] فقال: ما هذه الشّاة يا أُمّ معبد؟ قالت: شاة خلّفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين لي أن أحلبها، قالت: نعم بأبي أنت وأُمّي إن رأيت بها حلباً فاحلبها[٢] فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها[٣] وذكر اسم الله وقال: اللّهمَّ بارك في شاتها، فتفاجت[٤] ودرَّت فدعا رسول الله بإناء لها يريض الرَّهط[٥] فحلب فيه ثجّاً حتّى علته الثّمال[٦] فسقاها فشربت حتّى رويت، ثم سقى أصحابه فشربوا حتّى رووا فشرب عليه السلام آخرهم وقال: ساقي القوم آخرهم شرباً فشربوا جميعاً علاًّ بعد نهل حتّى أراضوا ثم حلب[٧] فيه ثانياً عوداً على بدء فغادوا عندها ثمَّ ارتحلوا منها فقلّما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق عنزاً عجافاً هزلى[٨] مخهنَّ قليل، فلمّا رأى اللّبن قال: من أين لكم هذا والشّاة عازب[٩]، ولا حلوبة في البيت، قالت: لا والله إلاّ أنّه مرَّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت الخبر بطوله[١٠].

ومنها خبر سراقة بن جعشم[١١] الّذي اشتهر في العرب يتقاولون فيه الأشعار

---

١) قال الجزري: في حديث أم معبد «فنظر إلى شاة في كسر الخيمة» أي جانبها.

٢) الحلب ـ بالتحريك: اللبن المحلوب ومصدر حلب الناقة يحلبها حلباً.

٣) الضرع للشاة كالثدي للمرأة.

٤) تفاجت أي فتحت ما بين رجليها ووسعته. ودرت لبنها أي كثرت.

٥) قال الجزري: في حديث أم معبد «فدعا بإناء يريض الرهط» أي يرويهم بعض الري.

٦) ثجاً أي لبناً سائلاً. والثمال: جمع ثمالة وهي الرغوة. وقال الجزري هو ـ بالضم ـ: الرغوة.

٧) أراضوا من أراض الحوض إذا استنقع فيه الماء أي نقعوا بالري مرة بعد أُخرى.

٨) العجف ـ بالتحريك ـ: الهزال والأعجف: الهزول وقد عجف والأنثى عجفاء والجمع عجاف. وفي النهاية «مخاخهن قليل» والمخاخ جمع المخ.

٩) العازب: البعيد. والحلوب: التي تحلب وقد استغربه اللغويون لزعمهم أن فعول بمعنى مفعولة نظراً إلى الظاهر والحقيقة أنه بمعنى فاعلة.

١٠) راجع مفصل هذا الحديث تاريخ الخميس للديار بكري.

١١) سراقة بن مالك بن جعشم هو الذي تعرض لرسول الله ﷺ حين خرج من الغار وتوجه إلى المدينة وذلك أنه كانت قريش جعلت لمن أخذه عليه السلام مائة من الإبل فخرج سراقة فيمن يطلب فلحق به فقال ﷺ: «اللهم اكفني شر سراقة بما شئت» فساخت قوائم فرسه فثنى =

ويتعاوضونه في الدّيار أنّه تبعه وهو متوجّه إلى المدينة طالباً لغرّته ليحظى بذلك عند قريش حتّى إذا أمكنته الفرصة في نفسه وأيقن أن قد ظفر ببغيته ساخت قوائم فرسه[١] حتّى تغيّبت بأجمعها في الأرض وهو بموضع جدب وقاع صفصف[٢] فعلم أنّ الّذي أصابه سماويٌّ فنادى يا محمّد ادع ربّك يطلق لي فرسي وذمّة الله عليَّ أن لا أدلَّ عليك أحداً، فدعا له فوثب جواده كأنّه أفلت من أنشوطة وكان رجلاً داهية وعلم بما رأى أنّه سيكون له نبأ، فقال: اكتب لي أماناً فكتب له وانصرف.

قال محمّد بن إسحاق: إن أبا جهل قال في أمر سراقة أبياتاً فأجابه سراقة:

أبا حكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأنّ محمّداً ... نبيٌّ ببرهان فمن ذا يكاتمه
عليك بكفّ النّاس عنه فإنّني ... أرى أمره يوماً ستبدو معالمه

وروي أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول لأبي بكر: أله النّاس عنّي فإنّه لا ينبغي لنبيّ أن يكذب وكان أبو بكر إذا سئل ما أنت؟ قال: باغ. فإذا قيل من معك؟ قال: هاد يهديني.

ومنها حديث الغار وأنّه عليه وآله السّلام لمّا أوى إلى غار بقرب مكّة يعتوره النّزال[٣] ويأوي إليه الرّعاء متوجّه إلى الهجرة، فخرج القوم في طلبه فعمى الله أثره وهو نصب أعينهم وصدّهم عنه وأخذ بأبصارهم دونه وهم دهاة العرب وبعث سبحانه

= رجليه ثم اشتد، فقال: يا محمد إني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قبلك، فادع الله أن يطلق لي فرسي فلعمري إن لم يصبكم مني خير لم يصبكم مني شر، فدعا النبي ﷺ فأطلق الله عز وجل فرسه فعاد في طلب رسول الله ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرات كل ذلك يدعو رسول الله ﷺ فتأخذ الأرض قوائم فرسه فلما أطلقه في الثالثة، قال: يا محمد هذه إبلي بين يديك فيها غلامي فإن احتجت إلى ظهر أو لبن فخذ منه وهذا سهم من كنانتي علامة وأنا أرجع فأرد عنك الطلب فقال: لا حاجة لنا فيما عندك. راجع الكافي ج٨ ص٣٦٢.

(١) قال في النهاية: في حديث سراقة «ساخت قوائم فرسه» أي غاصت في الأرض.

(٢) قاع صفصف: المستوي من الأرض.

(٣) اعتور القوم الشيء: تعاطوه وتداولوه.

العنكبوت فنسجت في وجه النبيّ ﷺ فسترته وآيسهم ذلك من الطّلب فيه وفي ذلك يقول السيّد الحميري في قصيدته المعروفة بالمذهّبة:

حتّــى إذا قصــدوا لبــاب مغــاره ألقــوا عليــه نسيــج غــزل العنكــب
صنـع الإلــه لــه فقــال فـريقهــم مـا في المغـار لطـالـب مـن مطلـب
ميلـوا وصـدَّهـم المليـك ومـن يـرد عنـه الـدفـاع مليكـه لـم يعطـب(١)

وبعث الله حمامتين وحشيّتين فوقعتا بفم الغار، فأقبل فتيان قريش من كلّ بطن رجل بعصيّهم وهراواهم وسيوفهم حتّى إذا كانوا من النبيّ بقدر أربعين ذراعاً، فعجّل رجل منهم لينظر من في الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له: ما لك لا تنظر في الغار؟ فقال: رأيت حماماً بفم الغار فعلمت أن ليس فيه أحد وسمع النبيّ ﷺ ما قال، فدعا لهنّ النبيُّ ﷺ وفرض جزاءهنَّ فانحدرت في الحرم.

ومنها كلام الذّئب وذلك أنَّ رجلاً كان في غنمه يرعاها فأغفلها سويعة من نهاره فعرض ذئب فأخذ منها شاة، فأقبل يعدو خلفه فطرح الذّئب الشّاة ثم كلّمه بكلام فصيح فقال: تمنعني رزقاً ساقه الله إليَّ فقال الرَّجل: يا عجباً الذّئب يكلّم فقال: أنتم أعجب وفي شأنكم للمعتبرين عبرة، هذا محمّد يدعو إلى الحقّ ببطن مكّة وأنتم عنه لاهون فأبصر الرَّجل رشده وأقبل حتّى أسلم وأبقى لعقبه شرفاً لا تخلقه الأيّام يفخرون به على العرب والعجم يقولون: إنّا بنو مكلّم الذّئب.

ومنها كلام الذّراع وهو أنّه أُتي بشاة مسمومة أهدتها له امرأة من اليهود بخيبر وكانت سألت أيُّ شيء أحبُّ إلى رسول الله ﷺ من الشّاة؟ فقيل لها: الذّراع فسمّت الذَّراع فدعا ﷺ أصحابه إليه فوضع يده، ثم قال: ارفعوا فإنَّها تخبرني بأنّها مسمومة ولو كان ذلك لعلّة الارتياب باليهوديّة لما قبلها بدءاً ولا جمع عليها أصحابه وقد كان ﷺ تناول منها أقلّ شيء قبل أن كلّمته وكان يعاوده كلَّ سنة حتّى جعل الله ذلك سبب الشّهادة، وكان ذلك باباً من التمحيص ليعلم أنّه مخلوق.

ومنها أن أصحابه صلوات الله عليه وآله أرملوا وضاق بهم الحال وصاروا

---

(١) عطب يعطب ـ كعلم يعلم ـ: هلك.

بمعرض الهلاك لفناء الأزواد يوم الأحزاب فدعاه رجلٌ من أصحابه إلى طعامه فاحتفل القوم معه[١] فدخل وليس عند القوم إلاّ قوت رجل واحد أو رجلين، فقال رسول الله ﷺ: غطّوا إناءكم ثمَّ دعا وبرَّك عليه وقدَّمه والقوم أُلوف فأكلوا وصدروا كأن لم يسغبوا قطُّ شباعاً ورواء[٢]، والطعام بحاله لم يفقدوا منه شيئاً.

ومنها أنّه اجتمع إليه فقراء قومه وأصحابه في غزوة تبوك وشكوا الجوع فدعا بفضلة زاد لهم فلم يوجد لهم إلاّ بضع عشرة تمرة وطرحت بين يديه فاحتفل القوم فوضع يده عليها وقال: كلوا بسم الله، فأكل القوم حتّى شبعوا وهي بحالها يرونها عياناً.

ومنها أنّه ﷺ ورد في هذه الغزاة على ماء لا يبل حلق واحد والقوم عطاش فشكوا ذلك إليه فأخذ سهماً من كنانة فدفعه إلى رجل من أصحابه ثمَّ قال له: إنزل فاغرزه في الرَّكي، فنزل فغرزه فيه ففار الماء وطما إلى أعلى الرَّكي[٣] فارتوى القوم للمقام والظّعن[٤] وهم ثلاثون ألفاً ورجال من المنافقين حضور الأبدان غائبو العقول.

ومنها ظبية كلّمته حين وقعت في شبكة فقالت: يا رسول الله إنّ لي طفلاً يحتاج إلى لبن وإنّي قد وقعت في هذه الشّبكة فخلّني حتّى أُرضعه فقال ﷺ: كيف أُخلّيك وصاحب الشّبكة غائب؟ قالت: إنّي أرجع فخلاّها وجلس حتّى رجعت الظّبية وجاء صاحبها فشفع رسول الله ﷺ حتّى خلّى سبيلها فاتّخذ القوم من ذلك الموضع مسجداً.

ومنها أنَّ قوماً شكوا إليه ملوحة مائهم وأنّهم في جهد من الظماء وبعد المياه وأن لا قوَّة لهم على شربه، فجاء معهم في جماعة أصحابه حتّى أشرف على بئرهم فتفل فيها ثمَّ انصرف، وكانت مع ملوحتها غائرة، فانفجرت بالماء العذب الفرات فها

---

(١) الاحتفال الاجتماع ومنه المحفل أي مجتمع الناس.

(٢) السغاب: الجوع وضده الشبعان وجمعه شباع ـ ككتاب ـ.

(٣) طما الماء: ارتفع وملأ النهر. والركية ـ كزكية ـ: البئر ذات الماء، جمعها ركايا وركيّ وغرز الإبرة في الشيء أدخلها فيه، والراكب رجله في الغرز: وضعها فيه.

(٤) الظعن ـ كفلس وفرس ـ: الرحال والسفر.

هي يتوارثها أهلها ويعدُّونها أسنى مفاخرهم وأجلَّ مكارمهم وإنّهم لصادقون وكان ممّا أكّد الله به صدقه، أنَّ قوم مسيلمة سألوه مثلها لمّا بلغهم ذلك فأتى بئراً فتفل فيها فعادت ماؤها ملحاً أُجاجاً كبول الحمير وهي إلى اليوم بحالها معروفة الأهل والمكان.

ومنها أنَّ امرأة أتته بصبيّ لها ترجو البركة بأن يمسّه ويدعو له وكانت به عاهة فرحمها ـ والرَّحمة صفته ﷺ ـ فمسح يده على رأس الصبيّ فاستوى شعره وبرىء داؤه وبلغ ذلك أهل اليمامة فأتت مسيلمة امرأة بصبيّ لها فمسح يده على رأسه فصلع وبقي نسله إلى يومنا هذا صلعاً.

ومنها أنَّ قوماً من عبد القيس أتوه بغنم لهم فسألوه أن يجعل لها علامة يذكر بها، فغمز إصبعه في أُصول آذانها فابيضّت فهي إلى اليوم معروفة النّسل ظاهرة الأمر.

ومنها حديث الاستسقاء وأنَّ أهل المدينة مطروا حتّى أشفقوا من خراب دورها وانهدام بنيانها فقال ﷺ: اللّهمَّ حوالينا ولا علينا[1] فانجاب السّحاب عن المدينة وأطاف حولها مستديراً كالإكليل والشّمس طالعة في المدينة والمطر يهطل[2] على ما حولها يرى ذلك ظاهراً مؤمنهم وكافرهم، فضحك رسول الله ﷺ حتّى بدت نواجذه وقال: لله درُّ أبي طالب لو كان حيّاً قرَّت عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا رسول الله كأنّك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل[3]
يطوف به الهلاّك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل[4]

ومنها أنّه أخذ يوم بدر ملء كفّه من الحصاة فرمى بها وجوه المشركين وقال:

---

(١) يريد اللهم أنزل الغيث في مواضع النبات لا في مواضع الأبنية. وانجاب السحاب أي انكشف.
(٢) يهطل أي ينزل متتابعاً متفرقاً، عظيم القطر، فهو هاطل وهي هاطلة.
(٣) الغمام ـ بالفتح ـ: السحاب والثمال ـ بكسر الثاء: الغياث والذي يقوم بأمر القوم.
(٤) الهلاك ـ كجهال ـ: الصعاليك والمنتجعون الذين قد ضلوا الطريق.

شاهت الوجوه[١] فجعل الله سبحانه لتلك الحصاة شأناً عظيماً لم يترك من المشركين رجلاً إلاّ ملأت عينيه وجعل المسلمون والملائكة يقتلونهم ويأسرونهم ويجدون كلّ رجل منهم منكبّاً على وجهه[٢] لا يدري أين يتوجّه يعالج التّراب ينزعه من عينيه.

ومنها أمر ناقته حين افتقدت فأرجف المنافقون وقالوا: ينبئنا بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، فلمّا خاف صلوات الله عليه وآله على المؤمنين وساوس الشّيطان دلّهم عليها ووصف لهم حالها والشّجرة التي هي متعلّقة بها، فأتوها فوجدوها كما وصف.

ومنها أنّ القمر انشقّ له بنصفين بمكّة في أوّل مبعثه وقد نطق به القرآن وقد صحّ عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: انشقَّ القمر حتّى صار فرقتين فقال كفّار أهل مكّة: هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة[٣] انظروا السفّار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر سحركم به، قال: فسئل السفّار وقد قدموا من كلّ وجه فقالوا: رأيناه ـ استشهد البخاريُّ في الصّحيح بهذا الخبر بأنَّ ذلك كان بمكّة ـ.

ومنها أنَّ رجلاً من أصحابه أُصيب بإحدى عينيه في بعض مغازيه فسالت الدَّم حتّى وقعت على خدّه فأتاه مستغيثاً به فأخذها بيده فردَّها مكانها فكانت أحسن عينيه وأصحّهما وأحدَّهما نظراً.

ومنها أن أبا براء ملاعب الأسنّة كان به استسقاء فبعث إليه لبيد بن ربيعة وأهدى له فرسين ونجائب، فقال عليه السلام: لا أقبل هديّة مشرك، قال لبيد: وما كنت أرى أنَّ رجلاً من مضر يرد هديّة أبي براء، فقال صلى الله عليه وآله: لو كنت قابلاً هديّة من مشرك لقبلتها، قال: فإنّه يستشفيك من علّة أصابته في بطنه. فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثمَّ أعطاه وقال: دفها بماء ثمَّ اسقه إيّاه فأخذها متعجّباً يرى أنّه قد استهزأ

(١) شاهت الوجوه أي قبحت.

(٢) نكب عن الطريق عدل وتنحى، وعن الشيء: نحاه.

(٣) قال الطريحي: كان المشركون ينسبون النبي صلى الله عليه وآله إلى أبي كبشة وكان أبو كبشة رجلاً من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان فلما خالفهم النبي صلى الله عليه وآله في عبادة الأوثان شبهوه به وقيل: هو نسبة إلى جد النبي لأمه، فأرادوا أنه نزع إليه في الشبه.

به، فأتاه فشربه وأُطلق من مرضه كأنّما أُنشط من عقال[١].

ومنها شكوى البعير إليه عند رجوعه إلى المدينة من غزاة بني ثعلبة فقال: أتدرون ما يقول هذا البعير؟ قال جابر: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّه يخبرني أنَّ صاحبه عمل عليه حتّى إذا أكبره وأدبره[٢] وأهزله أراد نحره وبيعه لحماً، يا جابر إذهب معه إلى صاحبه فأتني به، قال: قلت: والله ما أعرف صاحبه، قال: هو يدلّك قال: فخرجت معه حتّى انتهيت إلى بني حنظلة أو بني واقف، قلت: أيّكم صاحب هذا البعير؟ قال بعضهم: أنا، قلت: أجب رسول الله ﷺ، فجئت أنا وهو والبعير إلى رسول الله ﷺ فقال: بعيرك هذا يخبرني بكذا وكذا، قال: قد كان ذلك يا رسول الله، قال: فبعنيه، قال: هو لك ﷺ قال: بل بعنيه فاشتراه رسول الله ﷺ ثمَّ ضرب على صفحته فتركه يرعى في ضواحي المدينة فكان الرَّجل منّا إذا أراد الرَّوحة والغدوة منحه رسول الله[٣] ﷺ قال جابر: فرأيته وقد ذهبت دبرته ورجعت إليه نفسه.

ومنها أنَّ أبا جهل عاهد الله أن يفضخ رأسه[٤] ﷺ بحجر إذا سجد في صلاته، فلمّا قام رسول الله ﷺ يصلّي وسجد وكان إذا صلّى بين الرّكنين: الأسود واليماني وجعل الكعبة بينه وبين الشّام احتمل أبو جهل الحجر، ثمَّ أقبل نحوه حتّى إذا دنا منه رجع مستنقعاً لونه[٥] مرعوباً، قد يبست يداه على حجره حتّى قذف الحجر من يده وقام إليه رجال من قريش فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: عرض لي دونه فحل من الإبل ما رأيت مثل هامته وقصرته[٦] ولا أنيابه لفحل قطّ فهمَّ أن يأكلني.

---

(١) قال الجزري: دفت الدواء أدوفه إذا بللته بماء وخلطته فهو مدوف ومدووف على الأصل. وقال: أنشطت الحبل: عقدته، وأنشطته: حللته.

(٢) الدبر ـ بالتحريك ـ: الجرح الذي يكون في ظهر البعير. وقيل: هو أن يقرح خف البعير (النهاية).

(٣) منحه الشيء أي أعطاه.

(٤) فضخ الشيء: كسره، والرأس: شدخه أي كسره.

(٥) استنقع لونه: تغير، والماء: اصفرّ.

(٦) القصرة محركة: العنق وأصل الرقبة إذا غلظت.

ومنها أنَّ أبا جهل اشترى من رجل طارىء بمكّة[1] إبلاً فبخسه أثمانها ولوا بحقّه فأتى الرَّجل نادي[2] قريش مستجيراً بهم وذكّرهم حرمة البيت فأحالوه على النبيّ ﷺ استهزاء به فأتاه مستجيراً به فمضى معه ودقّ الباب على أبي جهل فعرفه فخرج منخوب العقل[3] فقال: أهلاً بأبي القاسم، فقال له أعط هذا حقّه، قال: نعم فأعطاه من فوره فقيل له في ذلك، فقال: إنّي رأيت ما لم تروا، رأيت والله على رأسه تنّيناً فاتحاً فاه والله لو أبيت لالتقمني[4].

ومنها ما روته أسماء بنت أبي بكر قالت: لمّا نزلت ﴿**تبّت يدا أبي لهب**﴾ أقبلت العوراء أمُّ جميل بنت حرب ولها ولولة وهي تقول: مذمّماً أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، والنبيُّ ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلمّا رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، قال رسول الله: لن تراني وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال، وقرأ ﴿**وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الّذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً**﴾[5] فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله، فقالت: يا أبا بكر أُخبرت أنَّ صاحبك هجاني، فقال: لا وربّ البيت ما هجاك، فولّت وهي تقول: قريش تعلم أنّي بنت سيّدها.

ومنها ما رواه الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس أنَّ ناساً من بني مخزوم تواصوا بالنبيّ ﷺ ليقتلوه منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة ونفر من بني مخزوم، فبينا النبيّ ﷺ قائم يصلّي إذ أرسلوا إليه الوليد ليقتله، فانطلق حتّى انتهى إلى المكان الذي كان يصلّي فيه، فجعل يسمع قراءته ولا يراه، فانصرف إليهم فأعلمهم ذلك فأتاه من بعده أبو جهل والوليد ونفر منهم فلمّا انتهوا إلى المكان الذي يصلّي فيه سمعوا قراءته وذهبوا إلى الصّوت، فإذا الصّوت من خلفهم فيذهبون إليه فيسمعونه

---

(١) الطارىء: الغريب مطلقاً أو الغريب الذي يأتي عن قريب.

(٢) لوى برأسه أماله وأعرض. والنادي: المجلس ومحل اجتماع القوم.

(٣) رجل نخب ـ بكسر الخاء المعجمة ـ: جبان لا فؤاد له وهكذا نخيب ومنخوب. وفي بعض النسخ [مبهوت العقل] وفي بعضها [منخوب القلب].

(٤) التنين ـ كسكين ـ: الحية العظيمة. والتقمه أي ابتلعه.

(٥) الإسراء: ٤٥.

بـ من خلفهم فانصرفوا، ولم يجدوا إليه سبيلاً، فذلك قوله سبحانه: ﴿**وجعلنا من بـ يديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾.

ومنها أنّه كان في غزاة الطّائف ومسيره ليلاً على راحلته بوادي بقرب الطّائف ـ ـ ـ: نجيب ذو شجر كثير من سدر وطلح، فغشي وهو في وسن النّوم سدرة في ـ ـ ليل فانفرجت السدرة له بنصفين فمرَّ بين نصفيها وبقيت السدرة منفرجة على ـ بين إلى زماننا هذا وهي معروفة مشهور أمرها هناك وتسمّى شجر سدرة ـ ي ﷺ أورده الشيخ أبو سعيد الواعظ في كتاب شرف النبيّ، ولو عدَّدنا جميع معجزاته وأعلامه صلوات الله عليه وآله الّتي رواها المحدّثون في كتبهم لطال الكتاب ـ ـ بيّن ﷺ أكثر الأنبياء أعلاماً وقد ذكر بعض المصنّفين أنَّ أعلامه تبلغ ألفاً ـ ـ ـ ي الاقتصار على الاختصار وسنذكر بعض آياته وأعلامه ومعجزاته ﷺ فيما ـ ي من أخبار مبعثه إلى هجرته وغزواته وقدوم الوفود عليه إلى وقت وفاته على ـ ـ الإيجاز إن شاء الله تعالى.

وأما آياته صلوات الله عليه وآله في إخباره بالغائبات والكوائن بعده فأكثر من أن تحصى وتعدّ.

فمن ذلك ما روي عنه في معنى قوله تعالى: ﴿**ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون**﴾ وهو ما رواه أُبيُّ بن كعب أنَّ رسول الله ﷺ قال: بشّر هذه الأُمّة ـ ـ ـ بالرفعة والنصرة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم ـ ـ ـ في الآخرة نصيب.

وروى بريدة الأسلميّ أنّه ﷺ قال: ستبعث بعوث فكن في بعث يأتي ـ ـ ـ ثم اسكن مدينة مرو فإنّه بناها ذو القرنين ودعا لها بالبركة وقال: لا يصيب ـ ـ سوء.

وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتّى يقاتلوا ـ ـ وكرمان قوم من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين، كأنَّ وجوههم المجان المطرقة[1].

---

(١) الجزري: الفطس ـ محركة ـ: انخفاض قصبة الأنف وانفراشها والرجل أفطس. وقال: =

وروى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ذات ليلة فيما يرى النائم كان في دار عقبة بن رافع فأُتينا برطب من رطبان طاب فأوّلت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة وأنَّ ديننا قد طاب.

ومن ذلك إخباره بما يحدث أُمّته بعده نحو قوله ﷺ: لترجعوا بعدي كفّاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض ـ رواه البخاريّ في الصحيح مرفوعاً إلى ابن عمر ـ.

وقوله ـ رواه أبو حازم عن سهل بن حنيف عن النبيّ ﷺ ـ: أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً وليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمَّ يحال بيني وبينهم. قال أبو حازم: سمع نعمان بن أبي عيّاش وأنا أُحدّث الناس بهذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قلت: نعم قال: فأنا أشهد على أبي سعيد الخدريّ يزيد فيه: «وأقول: إنّهم أُمّتي فيُقال: إنّك لا تدري ما فعلوا بعدك فأقول سحقاً لمن بدّل بعدي» ـ ذكره البخاريُّ في الصحيح ـ.

قوله ﷺ فيما رواه شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس ابن أبي حازم أنَّ عائشة لما أتت على الحوأب[1] سمعت نباح الكلاب فقالت: ما أظنّني إلاّ راجعة سمعت النبيّ ﷺ قال لنا: أيّتكنّ تنبح عليها كلاب الحوأب؟ فقال الزبير: لعلّ الله أن يصلح بك بين النّاس[2].

وقوله ﷺ للزبير لمّا لقيه وعلياً عليه السلام في سقيفة بني ساعدة فقال: أتحبّه يا زبير؟ قال: وما يمنعني؟ قال: فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له.

= «المجان المطرقة» المجان: جمع مجن أي الترس التي ألبست العقب شيئاً فوق شيء. والعقب العصب الذي تعمل منه الأوتاد. وقال: خوز وكرمان وروى خوزاً وكرمان والخوز جبل معروف في العجم ويروى بالراء المهملة وهو من أرض فارس وصوبه الدارقطني. وقيل: إذا أضيف فبالراء وإذا عطف فبالزاي.

(١) في النهاية: الحوأب منزل بين البصرة ومكة الذي نزلته عائشة لما جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل.

(٢) راجع كتاب الاختصاص للشيخ المفيد ص١١٦ إن أردت أن تحيط بذلك خبراً.

وعن أبي جروة المازني قال: سمعت علياً عليه السلام يقول للزبير: نشدتك الله أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّك تقاتلني وأنت ظالم لي؟ قال: بلى ولكنّي نسيت.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمّار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية. ـ أخرجه مسلم في صحيح ـ.

وعن أبي البختريّ أنَّ عمّاراً أُتي بشربة من لبن فضحك فقيل له: ما يضحكك؟ قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني وقال: هو آخر شراب أشربه حين أموت.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الخوارج: ستكون في أُمّتي فرقة يحسنون القول ويسيئون الفعل يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرمية، لا يرجعون إليه حتى يرتدَّ على فوقه[1] هم شرُّ الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلوه طوبى لمن قتلهم، ومن قتلهم كان أولى بالله منهم قالوا: يا رسول الله فما سيماهم؟ قال: التحليق ـ رواه أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وآله وسلم[2] ـ.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام: الأُمّة ستغدر بك بعدي.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين.

ومن ذلك إخباره بقتل معاوية حجراً وأصحابه فيما رواه ابن وهب عن أبي لهيعة عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء حجراً وأصحابه فقال: يا أُمَّ المؤمنين إنّي رأيت قتلهم صلاحاً للأُمّة وبقاءهم فساداً للأُمّة، فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: سيقتل بعذراء أُناس[3]

---

(١) الفوق ـ بالضم ـ: موضع الوتر من السهم والمعنى أنهم لا يرجعون إلى الدين كما لا يرجع السهم بعد خروجه من الرمية على جهة فوقه وفي النهاية «يمرقون من الدين» أي يجوزونه ويخرقونه ويعتدونه كما يمرق السهم من الشيء المرمي به.

(٢) قال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ: كون التحليق علامة لهم لا يدل على ذم حلق الرأس كما ورد «أنه مثلة لأعدائكم وجمال لكم».

(٣) العذراء: مدينة النبي وبلا لام موضع على بريد من دمشق وقرية بالشام. (القاموس) وفي =

يغضب الله لهم وأهل السماء.

وروى ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد، عن عبد الله بن رزين الغافقي[١] قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: يا أهل العراق سيقتل سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأُخدود، فقتل حجر بن عدي وأصحابه.

ومن ذلك إخباره بقتل الحسين بن عليّ عليهما السلام روى أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن أُمّ سلمة أنَّ رسول الله اضطجع ذات يوم للنّوم فاستيقظ وهو خاثر[٢] ثم اضطجع فرقد ثمَّ استيقظ وهو خاثر دون ما رأيت منه في المرَّة الأُولى، ثمَّ اضطجع واستيقظ وفي يده تربة حمراء يقلّبها[٣] فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: أخبرني جبرئيل أنَّ هذا يقتل بأرض العراق ـ وأشار إلى الحسين عليه السلام ـ فقلت: يا جبرئيل أرني تربة الأرض التي يقتل بها، فهذه تربتها[٤].

وعن أنس بن مالك قال: استأذن ملك المطر أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذن له فقال لأمّ سلمة: احفظي علينا الباب لا يدخل أحدٌ فجاء الحسين بن عليّ عليهما السلام فوثب حتى دخل فجعل يقع على منكب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال الملك: أتحبّه؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: نعم، قال: أُمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الّذي يقتل فيه، فضرب يده فأراه تراباً أحمر فأخذته أمُّ سلمة فصيّرته في طرف ثوبها فكنّا نسمع أنه يقتل بكربلا.

ومن ذلك إخباره بمصارع أهل بيته عليهم السلام، روى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده، عن سيّد العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام، عن أبيه، عن جدّه قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعملنا له خزيرة[٥] وأهدت له أُمُّ أيمن قعباً من ثريد وصحفة من

= المراصد عذراء ـ بالفتح ثم السكون والمد قرية بغوطة دمشق معروفة.

(١) الغافقي ـ بفتح الغين المعجمة وكسر الفاء والقاف ـ هذه النسبة إلى غافق بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأزد بن الغوث قاله خليفة بن الخياط. (اللباب).

(٢) الخاثر أي ثقيل النفس غير طيب ولا نشيط. (النهاية)

(٣) في بعض النسخ [يقبلها].

(٤) كذا.

(٥) الخزيرة: لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق فإن لم يكن فيها =

تمر، فأكل رسول الله ﷺ وأكلنا معه، ثمَّ توضّأ رسول الله فمسح رأسه ووجهه بيده واستقبل القبلة فدعا الله ما شاء ثمّ أكبّ على الأرض بدموع غزيرة مثل المطر فهبنا رسول الله ﷺ أن نسأله فوثب الحسين فأكبَّ على رسول الله ﷺ فقال: يا أبت رأيتك تصنع ما لم تصنع مثله قطُّ؟ قال: يا بنيَّ سررت بكم سروراً لم أسرّ بكم مثله وإنَّ حبيبي جبرئيل أتاني فأخبرني أنكم قتلى ومصارعكم شتّى فأحزنني ذلك فدعوت الله لكم بالخير، فقال الحسين عليه السلام فمن يزورنا على تشتتنا وتبعّد قبورنا؟ فقال رسول الله ﷺ طائفة من أُمّتي يريدون به برّي وصلتي، إذا كان يوم القيامة زرتها بالموقف وأخذت بأعضادها فأنجيتها من أهواله وشدائده.

ومن ذلك إخباره عن قتل أهل الحرَّة فكان كما أخبر. روي عن أيوب بن بشير قال: خرج رسول الله ﷺ في سفر من أسفاره فلمّا مرَّ بحرَّة زهرة وقف فاسترجع فساء ذلك من معه فظنّوا أنَّ ذلك من أمر سفرهم، فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله ما الذي رأيت؟ فقال رسول الله ﷺ أما إنّ ذلك ليس من سفركم، قالوا: فما هو يا رسول الله قال، يقتل بهذه الحرَّة خيار أُمّتي بعد أصحابي.

قال أنس بن مالك: قتل يوم الحرَّة سبعمائة رجل من حملة القرآن فيهم ثلاثة من أصحاب النبيّ.

وكان الحسن يقول: لمّا كان يوم الحرَّة قتل أهل المدينة حتّى كاد لا ينفلت أحدٌ وكان فيمن قتل ابنا زينب ربيبة رسول الله وهما ابنان من زمعة بن عبد الأسود وكان وقعة الحرَّة يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وستّين.

ومن ذلك قوله ﷺ في ابن عباس: لن يموت حتّى يذهب بصره ويؤتى علماً. فكان كما قال.

وقوله ﷺ في زيد بن أرقم وقد عاده من مرض كان به: ليس عليك من مرضك بأس، ولكن كيف بك إذا عمّرت بعدي فعميت؟ قال: إذاً أحتسب وأصبر، قال: إذاً تدخل الجنّة بغير حساب.

= لحم فهي عضيدة وقيل: هي حساً من دقيق ودسم وقيل: إذا كان من دقيق فهي حريرة وإذا كان من نخالة فهو خزيرة. (النهاية)

ومن ذلك قوله ﷺ في الوليد بن يزيد. الأوزاعيّ، عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيّب قال: ولد لأخي أمّ سلمة من أُمّها غلام فسمّوه الوليد فقال النبيّ ﷺ: تسمّون بأسماء فراعنتكم غيّروا اسمه فسمّوه عبد الله، فإنّه سيكون في هذه الأُمّة رجل يقال له: الوليد وهو شرٌّ لأُمّتي من فرعون لقومه، قال: فكان الناس يرون أنّه الوليد بن عبد الملك ثمّ رأينا أنّه الوليد بن يزيد.

ومن ذلك قوله ﷺ في بني أبي العاص وبني أُميّة: وروى أبو سعيد الخدريّ عنه أنّه قال ﷺ: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً ومال الله دولاً[1] وفي رواية أبي هريرة أربعين رجلاً.

ابن مرهب قال: كنت عند معاوية بن أبي سفيان فدخل عليه مروان يكلّمه في حاجته فقال: اقض حاجتي فوالله إنَّ مؤونتي لعظيمة وإنّي أبو عشرة وعمُّ عشرة وأخو عشرة فلمّا أدبر مروان وابن عباس جالس معه على السرير فقال معاوية: أشهد بالله يا ابن عباس أما تعلم أنَّ رسول الله قال: إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله بينهم دولاً وعباده خولاً ودين الله دغلاً، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة؟ فقال ابن عباس: اللّهمّ نعم، وترك مروان حاجة له، فورد عبد الملك إلى معاوية فكلّمه فلمّا أدبر عبد الملك قال: أنشدك الله يا ابن عباس أما تعلم أنَّ رسول الله ﷺ ذكر هذا فقال: أبو الجبابرة الأربعة؟ قال ابن عبّاس: اللّهمّ نعم.

يوسف بن مازن الرَّاسبي قال: قام رجل إلى الحسن بن علي عليه السلام فقال: يا مسوّد وجه المؤمن. فقال الحسن لا تؤنّبني رحمك الله[2] فإنَّ رسول الله ﷺ رأى بني أُميّة يخطبون على منبره رجلاً فرجلاً فساءه ذلك، فنزلت ﴿**إنّا أعطيناك**

---

(١) قال الجزري: في حديث أبي هريرة «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين كان عباد الله خولاً» أي خدماً وعبيداً يعني أنهم يستخدمونهم ويستعبدونهم. قال: وفيه «اتخذوا دين الله دغلاً» أي يخدعون به الناس، وأصل الدغل الشجر الملتف الذي يكمن أهل الفساد فيه، وقيل: هو من قولهم: «أدغلت في هذا الأمر» إذا أدخلت فيه ما يخالفه ويفسده. وقال: الدول جمع دولة ـ بالضم ـ وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم.

(٢) أنبه: عنفه ولامه وقال الجزري: التأنيب المبالغة في التوبيخ والتعنيف.

الكوثر﴾ ـ الكوثر نهر في الجنّة ـ ونزلت ﴿**إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر**﴾ يعني ألف شهر ملك بنو أُميّة فحسبنا ذلك فإذا هو لا يزيد ولا ينقص.

والرّوايات في هذا الفنّ من الآيات كثيرة لا يتّسع لذكر جميعها هذا الكتاب وفيما أوردناه كفاية لذوي الألباب.

الباب الثالث

في ذكر مختصر من أحوال رسول الله ﷺ

من لدن مبعثه إلى وقت هجرته إلى المدينة ثمَّ إلى أن أُمر ﷺ بالقتال، وبعض ما ظهر من الآيات والمعجزات في أثناء هذه الأحوال وفيه ثمانية فصول:

الفصل الأول

في ذكر مبدأ المبعث

ذكر عليُّ بن إبراهيم ـ وهو من أجلّ رواتنا ورواة أصحابنا ـ في كتابه أنَّ النّبيّ ﷺ لمّا أتى له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأنَّ آتياً أتاه فيقول: يا رسول الله فينكر ذلك، فلمّا طال عليه الأمر وكان بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب فنظر إلى شخص يقول له: يا رسول الله، فقال له: من أنت؟ قال: جبرئيل، أرسلني الله إليك ليتّخذك رسولاً، فأخبر رسول الله ﷺ خديجة بذلك، وكانت خديجة قد انتهى إليها خبر اليهود وخبر بحيراء وما حدَّثت به آمنة أُمّه، فقالت: يا محمّد إنّي لأرجو أن يكون كذلك وكان رسول الله ﷺ يكتم ذلك فنزل جبرئيل عليه السلام وأنزل عليه ماء من السماء فقال: يا محمّد قم توضّأ للصلاة، فعلّمه جبرئيل الوضوء وغسل الوجه واليدين من المرفق ومسح الرّأس والرجلين إلى الكعبين وعلّمه السجود والركوع، فلمّا تمَّ له ﷺ أربعون سنة أمره بالصلاة وعلّمه حدودها، ولم ينزل عليه أوقاتها، فكان رسول الله ﷺ يصلّي ركعتين ركعتين في كلّ وقت، وكان

عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام يألفه ويكون معه في مجيئه وذهابه ولا يفارقه، فدخل عليٌّ عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلّي، فلمّا نظر إليه يصلّي قال: يا أبا القاسم ما هذه؟ قال: الصلاة التي أمرني الله بها، فدعاه إلى الإسلام فأسلم وصلّى معه، وأسلمت خديجة وكان لا يصلّي إلاّ رسول الله وعليٌّ وخديجة عليهما السلام، فلمّا أتى لذلك أيّام دخل أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه جعفر فنظر إلى رسول الله وعليٌّ بجنبه يصلّيان، فقال لجعفر: يا جعفر صل جناح ابن عمّك[1] فوقف جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الجانب الآخر فلمّا وقف جعفر على يساره برز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بينهما وتقدَّم، وأنشأ أبو طالب في ذلك يقول:

إنَّ عليّاً وجعفراً ثقتي عند ملمّ الزّمان والكرب
والله لا أخذل النّبيَّ ولا يخذله من بنيَّ ذو حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما أخي لأُمّي من بينهم وأبي

قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتّجر لخديجة قبل أن يتزوّج بها وكان أجيراً لها فبعثته في عير لقريش إلى الشّام مع غلام لها يقال لها: ميسرة، فنزلوا تحت صومعة راهب من الرّهبان، فنزل الرّاهب من الصومعة ونظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: من هذا؟ قالوا: هذا ابن عبد المطّلب قال: لا ينبغي أن يكون أبوه حيّاً ونظر إلى عينيه وبين كتفيه فقال: هذا نبيُّ الأُمّة، هذا نبيُّ السّيف، فرجع ميسرة إلى خديجة فأخبرها بذلك وكان هذا هو الّذي أرغب خديجة في تزويجها نفسها معه، وربحت في تلك السّفرة ألف دينار، ثمّ خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بعض أسواق العرب فرأى زيداً ووجده غلاماً كيّساً فاشتراه لخديجة فلمّا تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهبته منه فلمّا نبّىء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسلم عليٌّ أسلم زيد بعده فكان يصلّي خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعفر وزيد وخديجة.

وذكر الشّيخ أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي في كتاب دلائل النّبوّة أخبرنا أبو

(١) قال المجلسي ـ ره ـ: «صل» أمر من وصل يصل أي لما كان علي عليه السلام في أحد جنبيه بمنزلة جناح واحد، فقف بجنبه الآخر ليتم جناحاه ويحتمل التشديد من الصلاة والأول أبلغ وأظهر.

عبد الله الحافظ قال: حدَّثنا محمّد بن أحمد بن عبد الله المزني، قال: حدَّثنا يوسف بن موسي المروزيّ، قال: حدَّثنا عباد بن يعقوب، قال: حدَّثنا يوسف بن أبي نور، عن السّديّ عن عباد بن عبد الله، عن عليّ عليه السلام قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلاّ قال له: السّلام عليك يا رسول الله.

أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا محمّد بن جعفر بن محمّد بن نصير، حدَّثنا محمّد بن عبد الله بن سليم، حدَّثنا محمّد بن العلاء، حدَّثنا يونس بن عيينة، عن إسماعيل بن عبد الرَّحمن، عن السّديّ عن عباد قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: لقد رأيتني أدخل معه ـ يعني النبيَّ ـ الوادي فلا يمرُّ بحجر ولا شجر إلاّ قال: السّلام عليك يا رسول الله، وأنا أسمعه.

أخبرنا الحافظ قال: حدَّثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب، حدَّثنا أحمد بن عبد الجبَّار، حدَّثنا يونس بن بكر، عن أبي إسحاق، حدَّثنا يحيى بن أبي الأشعث الكنديّ حدَّثني إسماعيل بن أياس بن عفيف، عن أبيه، عن جدّه عفيف قال: كنت امرءاً تاجراً فقدمت منى أيّام الحجّ وكان عبّاس بن عبد المطّلب امرءاً تاجراً، فأتيته أبتاع منه وأبيعه، قال: فبينا نحن إذ خرج رجلٌ من خباء يصلّي فقام تجاه الكعبة ثمّ خرجت امرأة فقامت تصلّي، وخرج غلام يصلّي معه، فقلت: يا عبّاس ما هذا الدّين؟ إنَّ هذا الدّين ما ندري ما هو؟ فقال: هذا محمّد بن عبد الله يزعم أنَّ الله أرسله، وأنَّ كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمّه عليّ بن أبي طالب آمن به، قال عفيف: فليتني كنت آمنت به يومئذ فكنت أكون ثانياً تابعه.

إبراهيم بن سعد، عن محمّد بن إسحاق، قال في الحديث: إذا خرج من خباء فوثب نظر إلى السّماء فلمّا رآها قد مالت قام يصلّي ثمّ ذكر قيام خديجة خلفه.

وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل بإسناد ذكره، عن مجاهد بن جبر قال: كان ممّا أنعم الله على عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأراد به الخير أنَّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله للعبّاس عمّه وكان من أيسر بني هاشم: يا عبّاس إنَّ أخاك أبا طالب كثير العيال وأصاب النّاس ما ترى من هذه الأزمة

فانطلق حتّى نخفّف عنه من عياله، فانطلقا إليه وقال له، فقال: اتركوا لي عقيلاً وخذوا من شئتم فأخذ رسول الله ﷺ عليّاً فضمّه إليه، فلم يزل عليٌّ مع رسول الله ﷺ حتّى بعثه الله نبيّاً فاتّبعه عليّ وآمن به وصدّقه.

قال عليّ بن إبراهيم: فلمّا أتى لرسول الله ﷺ بعد ذلك ثلاث سنين أنزل الله عليه ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾ فخرج رسول الله ﷺ وقام على الحجر وقال: يا معشر قريش ويا معشر العرب أدعوكم إلى عبادة الله وخلع الأنداد والأصنام وأدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، فأجيبوني تملكوا بها العرب وتدين بها لكم العجم، وتكونون ملوكاً في الجنّة فاستهزؤوا منه وضحكوا وقالوا: جنَّ محمّد بن عبد الله وآذوه بألسنتهم، فقال له أبو طالب: يا ابن أخ ما هذا؟ قال: يا عمُّ هذا دين الله الذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه ودين إبراهيم والأنبياء من بعده، بعثني الله رسولاً إلى النّاس. فقال: يا ابن أخي إنَّ قومك لا يقبلون هذا منك، فاكفف عنهم! فقال: لا أفعل فإنّ الله قد أمرني بالدُّعاء فكفَّ عنه أبو طالب وأقبل رسول الله ﷺ في الدُّعاء في كلّ وقت يدعوهم ويحذّرهم، فكان من سمع من خبر ما سمع من أهل الكتب يسلمون فلمّا رأت قريش من يدخل في الإسلام جزعوا من ذلك ومشوا إلى أبي طالب وقالوا: اكفف عنّا ابن أخيك فإنّه قد سفّه أحلامنا وسبَّ آلهتنا وأفسد شبّاننا وفرَّق جماعتنا، فدعاه أبو طالب فقال: يا ابن أخي إنَّ القوم قد أتوني يسألونك أن تكفَّ عن آلهتهم، قال: يا عمّ لا أستطيع أن أعصي أمر ربّي فكان يدعوهم ويحذّرهم العذاب، فاجتمعت قريش إليهم فقالوا: إلى ما يدعونا محمّدٌ؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وخلع الأنداد كلّها، قالوا: ندع ثلاثمائة وستّين إلهاً ونعبد إلهاً، فحكى الله سبحانه قولهم ﴿**وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذّاب أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عجاب ـ إلى قوله ـ بل لمّا يذوقوا عذاب**﴾ ثمَّ اجتمعوا إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إن كان ابن أخيك يحمله على هذا الفعل العدم جمعنا له مالاً فيكون أكثر من قريش مالاً، فدعاه أبو طالب وعرض ذلك عليه فقال له رسول الله ﷺ: يا عمُّ ما لي حاجة في المال فأجيبوني تكونوا ملوكاً في الدُّنيا وملوكاً في الآخرة وتدين لكم العرب والعجم فتفرَّقوا، ثمَّ جاؤوا إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب أنت سيّد من سادتنا وابن أخيك قد سفّه أحلامنا وسبَّ آلهتنا وفرَّق جماعتنا فهلمَّ ندفع إليك أبهى

فتى في قريش وأجملهم وأحسنهم وجهاً وأشبّهم شباباً وأشرفهم شرفاً عمارة بن الوليد، يكون لك ابناً وتدفع إلينا محمّداً لنقتله، فقال: ما أنصفتموني تسألوني أن أدفع إليكم ابني لتقتلوه وتدفعون إليّ ابنكم لأُربّيه، فلمّا أيسوا منه كفّوا.

وفي كتاب دلائل النبوّة حدَّثنا الحافظ بإسناده ذكره، عن إبراهيم بن محمّد بن طلحة قال: قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بُصرى فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحدٌ من أهل الحرم؟ قال طلحة: قلت: نعم أنا، فقال: قد ظهر أحمد بعد؟ قال: قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطّلب، هذا شهره الّذي يخرج فيه وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحرَّة وسباخ[1] فإيّاك أن تسبق إليه، قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتّى قدمت مكّة فقلت: هل كان من حدث؟ قال: نعم محمّد بن عبد الله الأمين تنبّأ وقد تبعه ابن أبي قحافة، قال: فخرجت حتّى دخلت على أبي بكر فقلت: اتّبعت هذا الرّجل؟ قال: نعم فانطلق إليه وادخل عليه فاتّبعه فإنّه يدعو إلى الحقّ، فأخبره طلحة بما قال الرّاهب فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الرّاهب فسرَّ رسول الله ﷺ بذلك فلمّا أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدويّة فشدَّهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم وكان نوفل بن خويلد يدعى أشدَّ قريش.

الفصل الثاني

في ذكر اعتراف مشركي قريش بما في القرآن من الإعجاز

وأنّه لا يشبه شيئاً من لغاتهم مع كونهم من أرباب اللّغة والبيان وكان رسول الله ﷺ لا يكفُّ عن آلهة المشركين ويقرأ عليهم القرآن فيقولون هذا شعر محمد ويقول بعضهم: بل هو خطب وكان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً وكان من

(١) وهكذا في الإصابة والحرة هي الأرض ذات الحجارة السود وسميت بها الأرض الطيبة.

حكام العرب يتحاكمون إليه في الأمور وينشدونه الأشعار، فما اختاره من الشعر كان مختاراً وكان له بنون لا يبرحون من مكّة وكان له عبيد عشرة عند كلّ عبد ألف دينار يتّجر بها وملك القنطار في ذلك الزمان، والقنطار جلد ثور مملوءٌ ذهباً وكان من المستهزئين برسول الله ﷺ وكان عمّ أبي جهل بن هشام فقالوا له: يا أبا عبد الشمس ما هذا الّذي يقول محمّد أسحر أم كهانة أم خطب؟ فقال: دعوني أسمع كلامه، فدنا من رسول الله وهو جالسٌ في الحجر فقال: يا محمّد أنشدني من شعرك، فقال: ما هو شعر ولكنّه كلام الله الّذي بعث أنبياءه ورسله فقال: أُتل عليَّ منه، فقرأ رسول الله ﷺ ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ فلمّا سمع الرحمن استهزأ فقال: تدعو إلى رجل باليمامة يسمّى الرحمن؟ قال: لا ولكنّي أدعو إلى الله وهو الرَّحمن الرَّحيم ثمّ افتتح (حم سجدة) فلمّا بلغ إلى قوله: ﴿**فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**﴾ ولمّا سمعه اقشعرَّ جلده وقامت كلُّ شعرة في رأسه ولحيته ثمَّ قام ومضى إلى بيته ولم يرجع إلى قريش، فقالت قريش: يا أبا الحكم صبا عبد شمس[١] إلى دين محمّد أما تراه لم يرجع إلينا وقد قبل قوله ومضى إلى منزله، فاغتمّت قريش من ذلك غمّاً شديداً وغدا إليه أبو جهل فقال: يا عمُّ نكست برؤوسنا وفضحتنا قال: وما ذلك يا ابن أخي؟ قال: صبوت إلى دين محمّد، قال: ما صبوت وإنّي على دين قومي وآبائي ولكني سمعت كلاماً صعباً تقشعرُّ منه الجلود، قال أبو جهل: أشعر هو؟ قال: ما هو بشعر، قال: فخطب هي؟ قال: لا وإنّ الخطب كلام متّصل وهذا كلام منثور، لا يشبه بعضه بعضاً، له طلاوة[٢]، قال: فكأنّه هي؟ قال: لا، قال: فما هو؟ قال: دعني أُفكّر فيه، فلمّا كان من الغد، قالوا: يا عبد شمس ما تقول؟ قال: قولوا: هذا سحرٌ فإنّه أخذ بقلوب الناس، فأنزل الله فيه ﴿**ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً ـ إلى قوله ـ عليها تسعة عشر**﴾.

وفي حديث حمّاد بن زيد، عن أيّوب، عن عِكرمة قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ فقال له: اقرأ عليَّ فقرأ عليه ﴿**إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكّرون**﴾ فقال:

---

(١) صبا فلان إذا خرج من دين إلى دين غيره وقد يكون بالهمز.

(٢) قال الجزري: وفي قصة الوليد بن المغيرة إن له حلاوة وإن عليه لطلاوة أي رونقاً وحسناً.

أعدنا، فأعاد، فقال: والله إنَّ له لحلاوة وإنَّ عليه لطلاوة وإنَّ أعلاه لمثمر وإنَّ أسفله لمعذق(١) وما يقول هذا بشرٌ.

الفصل الثالث

في ذكر كفاية الله المستهزئين وما ظهر فيها من الآيات

قال: وكان المستهزئون برسول الله خمسة نفر: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهميّ، والأسود بن المطّلب وهو أبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث من بني زهرة، والحارث بن الطلاطلة الخزاعيُّ، قال: فمرَّ الوليد بن المغيرة برسول الله ﷺ ومعه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا محمّد هذا الوليد بن المغيرة وهو من المستهزئين فقال: نعم، وكان مرَّ برجل من خزاعة على باب المسجد وهو يريش نبالاً له(٢) فوطىء على بعضها فأصاب أسفل عقبه قطعة من ذلك فدميت وأشار جبرئيل إلى ذلك الموضع فسال الدَّم حتّى صار على فراش ابنته فصاحت ابنته وقالت: يا جارية انحلَّ وكاء القربة(٣) فقال لها الوليد: يا بنيّة ما هذا ماء القربة ولكنّه دم أبيك فاجمعي لي ولدي وولد أخي فإنّي ميّت، فلمّا حضروا أوصاهم بوصيّة وفاتت نفسه، ومرَّ الأسود بن المطّلب برسول الله ﷺ فأشار جبرئيل إلى بصره فعمي، ثمَّ مات بعد ذلك، ومرَّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار جبرئيل إلى بطنه فاستسقى فانتفخ حتّى انشقَّ بطنه، ومرَّ به العاص بن وائل فأشار جبرئيل إلى رجله فدخلت جذلة في أخمص قدميه(٤) وخرجت من ظاهر قدمه فورمت رجله فمات، ومرَّ به الطّلاطلة فتفل جبرئيل في وجهه فخرج إلى جبال تهامة فأصابه السّموم فاحترق واسودَّ فرجع إلى منزله فلم يدعوه أن يدخل وقالوا: لست

---

(١) قال الجزري: والعذق ـ بالفتح ـ: النخلة. و ـ بالكسر ـ العرجون بما فيه من الشماريخ ويجمع على عذاق وأعذق أذخرها أي صارت له عذوق وشعب وقيل: أعذق بمعنى أزهر.

(٢) أبري النبل وأريشها أي أنحتها وأعمل لها ريشاً. (النهاية)

(٣) الوكاء: رباط القربة ونحوها وكل ما شد رأسه من وعاء ونحوه.

(٤) أخمص القدم: باطن الكف من القدم الذي لا يصيب الأرض وربما يراد به القدم كلها.

بصاحبنا فخرج من منزله فأصابه العطش فما زال يستسقي حتّى انشقَّ بطنه وهو قول الله تعالى: ﴿**إنا كفيناك المستهزئين**﴾.

الفصل الرابع

في ذكر الهجرة إلى الحبشة وتصديق النجاشي له ومن تبعه عليه السلام

لمّا اشتدَّت قريش في أذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أمرهم رسول الله أن يخرجوا إلى الحبشة وأمر جعفر أن يخرج بهم فخرج جعفر وخرج معه سبعون رجلاً حتّى ركبوا البحر فلمّا بلغ قريشاً خروجهم بعثوا عمرو بن العاص السهميّ وعمارة بن الوليد إلى النجاشي أن يردُّوهم إليهم وأن يعلماه أنّهم يخالفون لهم، فخرج عمارة وكان شابّاً حسن الوجه مترفاً[1] وأخرج عمرو بن العاص أهله فلمّا ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص: قل لأهلك تقبّلني، فقال: سبحان الله أيجوز هذا فتركه حتّى انتشى[2] وكان على صدر السفينة فدفعه عمارة وألقاه في البحر فتشبّث عمرو بصدر السفينة وأدركوه فأخرجوه فلمّا أن رأى عمرو ما فعل به عمارة قال لأهله: قبّليه، فلمّا وردوا على النّجاشي فدخلوا عليه وقد كانوا حملوا عليه هدايا، فقال عمرو: أيّها الملك إنَّ قومنا خالفونا في ديننا وصاروا إليك فردّهم إلينا، فبعث النجاشي إلى جعفر فأحضروه فقال: يا جعفر إنَّ هؤلاء يسألوني أن أردَّكم إليهم، فقال: أيّها الملك سلهم أنحن عبيد لهم؟ قال عمرو: لا بل أحرارٌ كرامٌ، قال: فسلهم ألهم علينا ديونٌ يطالبوننا بها؟ قال: ما لنا عليهم ديونٌ، قال: أفلهم في أعناقنا دماء يطالبوننا بذحولها؟ قال عمرو: لا، ما لنا في أعناقهم دماء ولا نطالبهم بذحول، قال: فما تريدون منّا؟ قال عمرو: خالفونا في ديننا ودين آبائنا وسبّوا آلهتنا وأفسدوا شبّاننا وفرَّقوا جماعتنا فردّهم إلينا ليجتمع أمرنا، فقال جعفر: أيّها الملك خالفناهم لنبيّ بعثه الله فينا، أمرنا بخلع الأنداد وترك الاستقسام بالأزلام وأمرنا بالصلاة والزكاة وحرَّم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حلّها والزنا والربا والميتة والدَّم وأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي،

(١) المترف: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها. والذي أترفته النعمة.

(٢) الانتشاء: أول السكر.

قال النّجاشي: بهذا بعث الله عيسى ابن مريم، ثمَّ قال النجاشي يا جعفر أتحفظ ممّا أنزل الله على نبيّك شيئاً؟ قال نعم، قال: اقرأ فقرأ عليه سورة مريم عليها السلام فلمّا بلغ إلى قوله: ﴿وهزّي إليك بجذع النّخلة تساقط عليك رطباً جنيّاً فكلي واشربي وقرّي عيناً﴾ بكى النجاشي وقال: إنَّ هذا والله هو الحقُّ، فقال عمرو: أيّها الملك إنّ هذا ترك ديننا فردّه علينا حتّى نردَّه إلى بلادنا فرفع النّجاشي يده فضرب بها وجهه، ثمَّ قال: لئن ذكرته بسوء لأقتلنّك، فقال عمرو ـ والدماء تسيل على ثيابه ـ: أيّها الملك إن كان هذا كما تقول فإنّا لا نعرض له فخرج من عنده وكان على رأس النّجاشي وصيفة[1] تذبّ له فنظرت إلى عمارة بن الوليد وكان فتى جميلاً، فلمّا رجع عمرو بن العاص إلى منزله قال لعمارة: لو راسلت جارية الملك، فراسلها عمارة فأجابته فقال لعمرو بن العاص: قد أجابتني قال: قل لها: تحمل إليك من طيب الملك شيئاً فقال لها، فحملت إليه فأخذه عمرو بن العاص وكان الّذي فعل به عمارة حيث ألقاه في البحر في قلبه فأدخل الطيب على النّجاشي فقال له: أيّها الملك إنَّ من حرمة الملك وحقّه علينا وإكرامه إيّانا إذا دخلنا بلاده ونأمن فيه ألاّ نغشّه وإنَّ صاحبي هذا هو الّذي معي قد راسل حرمتك وخدعها وبعثت إليه من طيبك فعرض عليه طيبه فغضب النّجاشي لذلك غضباً شديداً وهمَّ أن يقتل عمارة ثمَّ قال: لا يجوز قتله لأنّهم دخلوا بلادي بأمان، فدعا السحرة وقال: اعملوا به شيئاً يكون أشدَّ من القتل، فأخذوه ونفخوا في إحليله شيئاً من الزيبق فصار مع الوحش فكان يغدو معهم ولا يأنس بالنّاس[2]، فبعث قريش بعد ذلك في طلبه فكمنوا له في موضع فورد الماء مع الوحش فقبضوا عليه فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتّى مات، فرجع عمرو إلى قريش فأخبرهم خبره وأنّه بقي جعفر بأرض الحبشة في أكرم كرامة فما زال بها حتّى بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد هادن قريشاً وقد وقع بينهم صلح فقدم بجمع من معه ووافى رسول الله وقد فتح خيبر وولد لجعفر من أسماء بنت عميس عبد الله بن جعفر وولد للنّجاشي ابن فسمّاه محمّد وسقته أسماء من لبنها وقال أبو طالب يحضُّ النّجاشي على نصرة النبيّ واتباعه:

(١) الوصيف: الخادم والوصيفة: الخادمة.

(٢) راجع تمام القصة في الأغاني ج٨ ص٥٠ نقلها من الواقدي.

تعلّم مليك الحبش أنّ محمّداً نبيٌّ كموسى والمسيح ابن مريم
أتى بالهدى مثل الّذي أتيا به وكلٌّ بأمر الله يهدي ويعصم
وإنّكم تتلونه في كتابكم بصدق حديث لا حديث مرجّم(١)
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا فإنّ طريق الحقّ ليس بمظلم

وفيما رواه أبو عبد الله الحافظ بإسناده، عن محمّد بن إسحاق قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن أُميّة الضميري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً:

بسم الله الرّحمن الرّحيم من محمّد رسول الله إلى النّجاشي الأصحمة(٢) ملك الحبشة سلامٌ عليك فإنّي أحمد إليك الله الملك القدُّوس المؤمن المهيمن وأشهد أنَّ عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيّبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بي وبالّذي جاءني، فإنّي رسول الله وقد بعثت إليكم ابن عمّي جعفراً ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم ودع التجبّر فإنّي أدعوك وجنودك إلى الله، وقد بلّغت ونصحت فاقبلوا والسلام على من اتّبع الهدى.

فكتب النّجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

بسم الله الرّحمن الرّحيم إلى محمّد رسول الله من النّجاشي الأصحمة بن أبحر سلام عليك يا نبيَّ الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلاّ هو الّذي هداني إلى الإسلام وقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما أكبرت من أمر عيسى فوربّ السماء والأرض إنَّ عيسى ما يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قرينا ابن عمّك وأصحابه فأشهد أنّك رسول الله صادقٌ مصدّق قد بايعتك وبايعت ابن عمّك وأسلمت على يديه لله ربّ

(١) قال الفيروزآبادي: حديث مرجم ـ كمعظم ـ ما لا يوقف على حقيقته.
(٢) في أكثر النسخ [الأصحم].

العالمين وقد بعثت إليك يا رسول الله أريجان بن الأصحمة[١] بن أبحر فإنّي لا أملك إلاّ نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله فإنّي أشهد أنّ ما تقول حقّ، ثمّ بعث إلى الرّسول بهدايا وبعث إليه بمارية القبطيّة أُمّ إبراهيم وبعث إليه بثياب وطيب كثيرة وفرس وبعث إليه بثلاثين رجلاً من القسّيسين لينظروا إلى كلامه ومقعده ومشربه، فوافوا المدينة ودعاهم رسول الله إلى الإسلام فآمنوا ورجعوا إلى النجاشي. وفي حديث جابر بن عبد الله أنَّ رسول الله ﷺ صلّى على أصحمة النجاشي.

الفصل الخامس

في ذكر ما لقي رسول الله من أذى المشركين وإسلام حمزة بن عبد المطلب

قال: جدَّت قريش في أذى رسول الله ﷺ وكان أشدَّ النّاس عليه عمّه أبو لهب وكان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً في الحجر فبعثوا إلى سلى الشّاة[٢] فألقوه على رسول الله ﷺ فاغتمَّ رسول الله من ذلك فجاء إلى أبي طالب، فقال: يا عمُّ كيف حسبي فيكم؟ قال: وما ذاك يا ابن أخي؟ قال: إنّ قريشاً ألقوا عليَّ السّلى، فقال أبو طالب لحمزة: خذ السّيف وكانت قريش جالسة في المسجد، فجاء ـ طالب عليه السلام ومعه السّيف وحمزة ومعه السيف فقال أمرّ السلى على سبالهم ـن أبى فاضرب عنقه فما تحرَّك أحدٌ حتى أمرَّ السلى على سبالهم ثمَّ التفت إلى رسول الله ﷺ وقال: يا ابن أخ هذا حسبك فينا.

وفي كتاب دلائل النبوّة، عن أبي داود، عن شعبة، عن أبي إسحاق سمعت عمرو بن ميمون يحدّث عن عبد الله قال: بينا رسول الله ﷺ ساجدٌ وحوله ناس

(١) في بعض النسخ [أريحا بن الأصحم].

(٢) قال الجزري: «إن المشركين جاءوا بسلى جزور فطرحوه على النبي ﷺ وهو يصلي» السلى: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه. وقيل: هو في الماشية السلى وفي الناس: المشيمة. والأول أشبه لأن المشيمة يخرج بعد الولد ولا يكون الولد فيها حين يخرج اهـ. والسبال جمع سبلة وهي ما على الشارب من الشعر أو مجتمع الشاربين أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها.

من قريش ـ وثَمَّ سلى بعير فقالوا من يأخذ سلى هذا الجزور أو البعير فيقذفه على ظهره؟ فجاء عقبة بن أبي معيط فقذفه على ظهر النبيّ ﷺ وجاءت فاطمة عليها السلام [1] فأخذته من ظهره؟ ودعت على من صنع ذلك، قال عبد الله: فما رأيت رسول الله دعا عليهم إلاّ يومئذ فقال: اللّهمّ عليك الملأ من قريش اللّهمّ عليك أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط وأُميّة بن خلف أو أُبيّ بن خلف ـ شك شعبة ـ عدَّ سبعة قال: عبد الله فرأيتهم لقد قتلوا يوم بدر وأُلقوا في القليب أو قال: في بئر غير أنَّ أُميّة بن خلف أو أُبي بن خلف كان رجلاً بادناً[2] فتقطّع قبل أن يبلغ به البئر ـ أخرجه البخاري في الصحيح ـ.

قال الحافظ: أخبرنا أبو بكر الفقيه، أخبرنا بشر بن موسى، حدَّثنا الحميدي، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا بيان بن بشر، وإسماعيل بن أبي خالد قالا: سمعنا قيساً يقول: سمعنا خبّاباً يقول: أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسّد بردة له في ظلّ الكعبة، ولقد لقينا من المشركين شدّة شديدة فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمرٌّ وجهه، فقال: إن كان مَن كان قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشقُّ باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمّنَّ الله هذا الأمر حتّى ليسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلاّ الله عزَّ وجلَّ أو الذّئب على غنمه ـ رواه البخاريّ في الصحيح عن الحميديّ وأخرجه من وجه آخر عن إسماعيل ـ.

قال: وحدَّثنا الحافظ بإسناده، عن هشام، عن أبي الزُّبير، عن جابر، أنَّ رسول الله مرَّ بعمّار وأهله يعذَّبون في الله فقال: أبشروا آل عمّار فإنّ موعدكم الجنّة.

وأخبرنا ابن بشران العدل بإسناده، عن مجاهد قال: أوّل شهيد كان استشهد في الإسلام أمُّ عمّار سميّة، طعنها أبو جهل طعنة في قلبها.

وروى عليّ بن إبراهيم بن هاشم بإسناده قال كان أبو جهل تعرَّض لرسول الله ﷺ وآذاه بالكلام واجتمعت بنو هاشم فأقبل حمزة وكان في الصّيد

(١) كذا. وفيه نظر لتأخر ولادتها.

(٢) البادن: السمين والضخم.

فنظرنا إلى اجتماع النّاس فقال: ما هذا؟ فقالت له امرأة من بعض السّطوح: يا أبا يعلى إنَّ عمرو بن هشام تعرَّض لمحمّد وآذاه، فغضب حمزة ومرَّ نحو أبي جهل وأخذ قوسه فضرب بها رأسه ثمَّ احتمله فجلد به الأرض واجتمع النّاس وكاد يقع فيهم شرٌّ، فقالوا: يا أبا يعلى صبوت إلى دين ابن أخيك؟ قال: نعم أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمّداً رسول الله، على جهة الغضب والحميّة. فلمّا رجع إلى منزله ندم فغدا على رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخ أحقٌّ ما تقول؟ فقرأ عليه رسول الله ﷺ سورة من القرآن، فاستبصر حمزة وثبت على دين الإسلام وفرح رسول الله ﷺ وسرَّ أبو طالب بإسلامه وقال في ذلك:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد ... وكن مظهراً للدّين وفّقت صابرا
وخط من أتى بالدّين من عند ربّه ... بصدق وحقّ لا تكن حمز كافرا[١]
فقد سرَّني إذ قلت أنّك مؤمن ... فكن لرسول الله في الله ناصرا
وناد قريشاً بالّذي قد أتيته ... جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا

الفصل السادس

في ذكر إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس ودخوله بعد ذلك في شعب أبي طالب

ثمَّ أُسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس وحمله جبرئيل على البراق فأتى به بيت المقدس وعرض عليه محاريب الأنبياء وصلّى بهم وردَّه فمرّ رسول الله ﷺ في رجوعه بعير لقريش وإذا لهم ماء في آنية فشرب منها وكفأ[٢] ما بقي وقد كانوا أضلّوا بعيراً لهم وكانوا يطلبونه، فلمّا أصبح قال لقريش: إنَّ الله قد أسرى بي إلى بيت المقدس فأراني آيات الأنبياء ومنازلهم وإنّي مررت بعير لقريش في موضع كذا وكذا وقد أضلّوا بعيراً لهم فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك، فقال أبو جهل: قد

(١) «خط من أتى الخ» أي مشى موضع قدمه وقد يقرأ في بعض النسخ «حط» بالحاء المهملة.
(٢) كفأت الإناء وأكفأته أي كببته وأملته.

أمكنتكم الفرصة منه فاسألوه كم فيها من الأساطين والقناديل، فقالوا: يا محمّد إنَّ ههنا من قد دخل بيت المقدس فصف لنا أساطينه وقناديله ومحاريبه، فجاء جبرئيل فعلّق صورة بيت المقدس تجاه وجهه فجعل يخبرهم بما سألوه عنه، فلمّا أخبرهم قالوا: حتّى يجيء العير نسألهم عمّا قلت، فقال لهم رسول الله ﷺ: تصديق ذلك أنَّ العير يطلع عليكم عند طلوع الشّمس يقدمها جملٌ أحمر عليه غرارتان فلمّا كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون: هذه الشمس تطلع السّاعة فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم العير حين طلوع القرص يقدمها جمل أحمر فسألوهم عمّا قال رسول الله ﷺ، قالوا: لقد كان هذا ضلَّ لنا بعير في موضع كذا وكذا ووضعنا ماء فأصبحنا وقد أريق الماء، فلم يزدهم ذلك إلاّ عتوّاً، فاجتمعوا في دار النّدوة وكتبوا بينهم صحيفة أن لا يواكلوا بني هاشم ولا يكلّموهم ولا يبايعوهم ولا يزوّجوهم ولا يتزوَّجوا إليهم ولا يحضروا معهم حتّى يدفعوه إليهم ليقتلوه، وأنّهم يد واحدة على محمّد ﷺ ليقتلوه غيلة أو صراحاً[١] فلمّا بلغ ذلك أبا طالب جمع بني هاشم ودخل الشّعب وكانوا أربعين رجلاً، فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والرُّكن والمقام لئن شاكت محمّداً شوكة لأثبنَّ عليكم يا بني هاشم وحصّن الشعب وكان يحرسه باللّيل والنّهار، فإذا جاء اللّيل يقوم بالسّيف عليه ورسول الله مضطجع ثمَّ يقيمه ويضجعه في موضع، فلا يزال اللّيل كلّه هكذا وكّله ولده وولد أخيه به يحرسونه بالنّهار وأصابهم الجهد، وكان من دخل من العرب مكّة لا يجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً أو باع منهم شيئاً انتهبوا ماله، وكان أبو جهل والعاص بن وائل السهميُّ، والنّضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطّرقات التي تدخل مكّة فمن رأوه معه ميرة[٢] نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً ويحذّرونه إن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ماله، وكانت خديجة لها مالٌ كثيرٌ فأنفقته على رسول الله ﷺ في الشعب ولم يدخل في الصحيفة مطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد المطّلب بن عبد مناف، وقال: هذا ظلمٌ وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ختمها كلّ رجل من رؤساء قريش بخاتمه وعلّقوها في الكعبة، وتابعهم أبو لهب على ذلك، وكان رسول الله ﷺ يخرج في كلّ موسم ويدور على قبائل العرب فيقول لهم:

(١) الغيلة: فعل من الاغتيال وهو أن يخدع ويقتل في موضع لا يراه أحد. وهي ضد صراح.

(٢) الميرة: الطعام الذي يدخره الإنسان. أو ما يجلب منه للبيع.

ـمنعون لي جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب الله ربّي وثوابكم على الله الجنّة. وأبو لهب ـي أثره فيقول: لا تقبلوا منه فإنّه ابن أخي وهو ساحرٌ كذّابٌ، فلم يزل [هذا] حاله ـبقوا في الشّعب أربع سنين لا يأمنون إلاّ من موسم ولا يشترون ولا يبايعون إلاّ في ـموسم، وكان يقوم بمكّة موسمان في كلّ سنة موسم العمرة في رجب وموسم الحجّ ـي ذي الحجّة، فكان إذا جاء الموسم يخرج بنو هاشم من الشعب فيشترون ويبيعون ـمّ لا يجسر أحدٌ منهم أن يخرج إلى الموسم الثّاني فأصابهم الجهد وجاعوا وبعثت قريش إلى أبي طالب ادفع إلينا محمّداً لنقتله ونملكك علينا، فقال أبو طالب قصيدته طويلة يقول فيها:

ـلمّا رأيت القوم لا ودَّ فيهم ... وقد قطعوا كلَّ العرى والوسائل
ـم تعلموا أنَّ ابننا لا مكذَّب ... لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
ـأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يطوف به الهلاّك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله ـ نبزي محمّداً ... ولمّا نطاعن دونه ونناضل(١)
ونسلمه حتّى نُصرَّع دونه ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل(٢)
لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد ... وأحببته حبَّ الحبيب المواصل
وجُدت بنفسي دونه وحَميته ... ودافعت عنه بالذُّرا والكلاكل(٣)
فلا زال في الدُّنيا جمالاً لأهلها ... وشيناً لمن عادى وزين المحافل

---

(١) «نبزي محمداً» أي نسلبه ونغلب عليه وفي النهاية «يبزى محمد» أي يقهر ويغلب أراد «لانبزي» فحذف «لا» من جواب القسم، وهي مرادة وكذا في لسان العرب. وقوله «نناضل» أي نرامي بالسهام. وفي بعض النسخ مكانه [نقاتل].

(٢) ذهل الشيء وعنه: نسيه. والحلائل: الزوجات، واحدتها حليلة.

(٣) «جدت بنفسي» أي بذلت نفسي دونه. وفي بعض النسخ [حدبت] أي عطفت ومنعت. والذرا جمع ذروة وهي أعلى ظهر البعير. وقوله: «دافعت» في بعض النسخ [داريت]. والكلاكل: جمع كلكل وهو عظم الصدر. وفي بعض النسخ [الكواهل].

حليماً رشيداً حازماً غير طائش يوالي إله الحقّ ليس بماحل[١]
فأيّده ربُّ العباد بنصره وأظهر ديناً حقّه غير باطل

فلمّا سمعوا هذه القصيدة أيسوا منه وكان أبو العاص بن الرَّبيع وهو ختن رسول الله ﷺ يجيء بالعير باللّيل عليها البرّ والتمر إلى باب الشعب، ثمَّ يصيح بها فتدخل الشعب فيأكلها بنو هاشم، وقال رسول الله ﷺ: لقد صاهرنا أبو العاص فأحمد صهرنا، لقد كان يعمد إلى العير ونحن في الحصار فيرسلها في الشعب ليلاً فلمّا أتى لرسول الله ﷺ في الشعب أربع سنين بعث الله على صحيفتهم القاطعة دابّة الأرض فلحست جميع[٢] ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله، ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فأخبر رسول الله ﷺ أبا طالب، فقام أبو طالب فلبس ثيابه ثمّ مشى حتّى دخل المسجد على قريش وهم يجتمعون فيه، فلمّا بصروا به قالوا: قد ضجر أبو طالب وجاء الآن ليسلّم ابن أخيه فدنا منهم وسلّم عليهم فقاموا إليه وعظّموه وقالوا: يا أبا طالب قد علمنا أنّك أردت مواصلتنا والرّجوع إلى جماعتنا وأن تسلّم إلينا ابن أخيك، قال: والله ما جئت لهذا ولكن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أنَّ الله أخبره أنّه قد بعث علي صحيفتكم القاطعة دابّة الأرض فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله، فابعثوا إلى صحيفتكم فإن كان حقّاً فاتّقوا الله وارجعوا عمّا أنتم عليه من الظّلم والجور وقطيعة الرّحم وإن كان باطلاً دفعته إليكم فإن شئتم قتلتموه وإن شئتم استحييتموه، فبعثوا إلى الصحيفة فأنزلوها من الكعبة وعليها أربعون خاتماً فلمّا أتوا بها نظر كلّ رجل منهم إلى خاتمه ثمَّ فكّوها فإذا ليس فيها حرفٌ إلاّ باسمك اللّهمَّ فقال لهم أبو طالب: يا قوم اتّقوا الله وكفّوا عمّا أنتم عليه، فتفرَّق القوم ولم يتكلّم أحدٌ منهم ورجع أبو طالب إلى الشّعب وقال في ذلك قصيدته البائيّة الّتي أوّلها:

ألا من لهمٍّ آخر اللّيل منصب وشعب القضا من قومك المتشعّب
وقد كان في أمر الصّحيفة عبرة متى ما يخبّر غائب القوم يعجب

---

(١) الطيش: الخفة. والماحل: الخصم المجادل.

(٢) لحس الدود الصوف: أكله، الجراد الخضر: رعاه.

محـا الله منهـا كفـرهـم وعقـوقهـم ... ومـا نقمـوا مـن نـاطـق الحـقّ معـرب
وأصبـح مـا قـالـوا مـن الأمـر بـاطـلا ... ومن يختلق ما ليس بالحقّ يكذب
وأمسـى ابـن عبـد الله فينـا مصـدّقـاً ... على سخط من قومنا غير معتب[١]
فـلا تحسبـونـا مسلميـن محمّـداً ... لـذي عـزّة منّـا ولا متعـزّب
ستمنعـه منّـا يـد هـاشميّـة ... مُـركّبهـا فـي النّـاس خيـر مـركّـب

وقال عند ذلك نفرٌ من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم منهم مطعم بن عدي بن عامر بن لؤي وكان شيخاً كبيراً كثير المال له أولاد وأبو البختري بن هشام وزهير بن أُميّة المخزومي في رجال من أشرافهم: نحن براء ممّا في هذه الصحيفة، وقال أبو جهل: هذا أمرٌ قضي بليل وخرج النّبيُّ من الشّعب ورهطه وخالطوا النّاس ومات أبو طالب بعد ذلك بشهرين وماتت خديجة بعد ذلك، وورد على رسول الله ﷺ أمران عظيمان وجزع جزعاً شديداً ودخل على أبي طالب وهو يجود بنفسه، فقال: يا عمُّ ربّيت صغيراً، ونصرت كبيراً، وكفلت يتيماً، فجزاك الله عنّي خير الجزاء، أعطني كلمة أشفع بها لك عند ربّي فقال: يا ابن أخ لولا أنّي أكره أن يعيروا بعدي لأقررت عينك ثم مات[٢].

وقد روى أنّه لم يخرج من الدّنيا حتّى أعطى رسول الله الرّضا.

---

(١) «غير معتب» أي لا يتيسر إرضاؤه.

(٢) هذا الكلام مع فرض صحته لا يدل على عدم إيمان أبي طالب بالنبي الأقدس عليه وآله السلام إنما يدل على كتمانه الإيمان قد جاء في أخبار كثيرة أنه أظهر الكفر وأسر الإيمان. روى الصدوق ـ رحمه الله ـ في كمال الدين ص١٠٣ مسنداً عن محمد بن مروان عن الصادق عليه السلام أن أبا طالب أظهر الكفر وأسر الإيمان فلما حضرته الوفاة أوحى الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ «اخرج منها فليس لك بها ناصر» فهاجر إلى المدينة.
وروى الكليني ـ رحمه الله ـ في الكافي ج١ ص٤٤٨ مسنداً عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين. والموضوع طويل الذيل فإن أردت أن تحيط بذلك خبراً فراجع الغدير ج٧ ص٣٣٠ إلى ٤١٠.

وفي كتاب دلائل النبوّة، عن ابن عبّاس، قال: فلمّا ثقل أبو طالب رُئي يحرك شفتيه فأصغى إليه العبّاس يسمع قوله فرفع العبّاس عنه، قال: يا رسول الله قد والله قال الكلمة التي سألته إيّاها.

وفيه مرفوعاً، عن ابن عبّاس أنَّ النبيّ ﷺ عارض جنازة أبي طالب وقال: «وصلتك رحم وجزيت خيراً يا عمّ».

وذكر محمّد بن إسحاق بن يسار أنَّ خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد وتتابعت على رسول الله المصائب بهلاك خديجة وأبي طالب وكانت له وزيرة صدق على الإسلام وكان يسكن إليها.

وذكر أبو عبد الله بن مندة في كتاب المعرفة أنَّ وفاة خديجة كانت بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام. وزعم الواقديُّ أنّهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وفي هذه السنة توفّيت خديجة وأبو طالب وبينهما خمس وثلاثون ليلة.

الفصل السابع

في ذكر عرض رسول الله ﷺ نفسه على قبائل العرب وما جاء من بيعة الأنصار إياه على الإسلام وحديث العقبة

في كتاب دلائل النبوّة عن الزهريّ قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب في كلّ موسم ويكلّم كلّ شريف قوم، لا يسألهم مع ذلك إلاّ أن يؤووه ويمنعوه ويقول: لا أُكره أحداً منكم على شيء، من رضي منكم بالّذي أدعوه إليه، فذاك، ومن كره لم أُكرهه، إنّما أُريد أن تحرزوني ممّا يراد بي من القتل حتّى أُبلّغ رسالات ربّي وحتّى يقضي الله عزَّ وجلَّ لي ولمن صحبني ما شاء الله، فلم يقبله أحد منهم ولم يأت أحداً من تلك القبائل إلاّ قال: قوم الرَّجل أعلم به، أترون أنَّ رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه[١]، فلمّا توفّي أبو طالب اشتدَّ البلاء على رسول الله ﷺ أشدَّ ما كان فعمد إلى ثقيف بالطائف رجاء أن يؤووه فوجد ثلاثة

(١) لفظه ـ محركة ـ أي تركه.

نفر منهم، هم سادة ثقيف يومئذ وهم إخوة: عبد ياليل بن عمرو[١]، وحبيب بن عمرو، ومسعود بن عمرو، فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم البلاء وما انتهك منه قومه، فقال أحدهم: أسرق أستار الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قطُّ، وقال الآخر: أعجزٌ على الله أن يرسل غيرك، وقال الآخر: والله لا أُكلّمك بعد مجلسك هذا أبداً، والله لئن كنت رسول الله لأنت أعظم شرفاً من أن أُكلّمك ولئن كنت تكذب على الله لأنت شرٌ من أن أُكلّمك، وتهزَّؤوا به وأفشوا في قومهم الذي راجعوه به، فقعدوا له صفّين على طريقه، فلمّا مرّ رسول الله بين صفّيهم كان لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلاّ رضخوهما بالحجارة[٢] وقد كانوا عادوها حتّى أدموا رجليه، فخلص منهم ورجلاه تسيلان دماً، فعمد إلى حائط من حيطانهم واستظلَّ في ظلّ شجرة[٣] منهم وهو مكروبٌ موجع، فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلمّا رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله، فلمّا رأياه أرسلا إليه غلاماً لهما يدعى عدَّاس وهو من أهل نينوا، معه عنب، فلمّا جاءه عدَّاس قال له رسول الله: من أيّ أرض أنت قال: أنا من أهل نينوا، فقال له ﷺ: من مدينة الرَّجل الصّالح يونس بن متّى؟ فقال له عدَّاس: ما يدريك من يونس بن متّى؟ فقال له رسول الله ﷺ ـ وكان لا يحقّر أحداً أن يبلّغه رسالة ربّه ـ: أنا رسول الله والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متّى، فلمّا أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس بن متّى خرَّ عدّاس ساجداً لله، وجعل يقبّل قدميه وهما تسيلان دماً، فلمّا بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلمّا أتاهما قالا له: ما شأنك سجدت لمحمّد وقبّلت قدميه ولم نرك فعلته لأحد منّا؟ قال: هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متّى، فضحكا وقالا: لا يفتننّك من نصرانيّتك فإنّه رجلٌ خدّاع فرجع رسول الله إلى مكّة.

قال عليُّ بن إبراهيم بن هاشم: ولمّا رجع رسول الله من الطائف وأشرف على مكّة وهو معتمر كره أن يدخل مكّة وليس له فيها مجيرٌ فنظر إلى رجل من قريش قد

---

(١) عبد يا ليل ـ بمثناة تحتية بعدها ألف، ثم لام مكسورة، ثم مثناة تحتية ساكنة ثم لام ـ (كذا مضبوط في تاريخ الخميس للديار بكري).

(٢) في النهاية الرضخ: الشدخ والكسر.

(٣) في بعض النسخ [في ظل حبلة] والحبلة ـ بالضم ـ: الكرم أو أصل من أصوله، ويحرك.

كان أسلم سرّاً، فقال له: ائت الأخنس بن شريف فقل له: إن محمّداً يسألك أن تجيره حتّى يطوف ويسعى فإنّه معتمر فأتاه وأدّى إليه ما قال رسول الله ﷺ، فقال الأخنس: إنّي لست من قريش وإنّما أنا حليف والحليف لا يجير على الصّميم وأخاف أن يخفروا جواري، فيكون ذلك مسبّة[1] فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره وكان رسول الله في شعب حرّاء مختفياً مع زيد فقال له: ائت سهيل بن عمرو فسله أن يجيرني حتّى أطوف بالبيت وأسعى، فأتاه وأدّى إليه، فقال له: لا أفعل، فقال له رسول الله ﷺ: إذهب إلى مطعم بن عديّ فسله أن يجيرني حتّى أطوف وأسعى فجاء إليه وأخبره فقال: أين محمّد؟ فكره أن يخبره بموضعه، فقال: هو قريب، فقال: ائته فقل له: إنّي قد أجرتك فتعال وطف واسع ما شئت، فأقبل رسول الله ﷺ وقال مطعم لولده وأُختاً له وأخيه طعيمة بن عديّ: خذوا سلاحكم فإنّي قد أجرت محمّداً وكونوا حول الكعبة حتّى يطوف ويسعى، وكانوا عشرة فأخذوا السّلاح وأقبل رسول الله ﷺ حتّى دخل المسجد ورآه أبو جهل فقال: يا معشر قريش هذا محمّدٌ وحده وقد مات ناصره فشأنكم به، فقال له طعيمة بن عديّ: يا عمُّ لا تتكلّم فإنَّ أبا وهب قد أجار محمّداً فوقف أبو جهل على مطعم بن عديّ فقال: يا أبا وهب أمجيرٌ أم صابىء[2]؟ قال: بل مجيرٌ قال: إذاً لا يخفر جوارك، فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من طوافه وسعيه جاء إلى مطعم، فقال: يا أبا وهب قد أجرت وأحسنت فردَّ عليَّ جواري قال: وما عليك أن تقيم في جواري؟ قال: أكره أن أُقيم في جوار مشرك أكثر من يوم، قال مطعم: يا معشر قريش، إنَّ محمّداً قد خرج من جواري.

قال عليُّ بن إبراهيم: قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج وكان بين الأوس والخزرج حربٌ قد بغوا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لا يضعون السّلاح لا باللّيل ولا بالنّهار، وكان آخر حرب بينهم يوم

---

(١) رجل صميم أي خالص. والخفر: نقض العهد. والمسبة: الذي يسب الناس وفي بعض النسخ [السبة] وهي ـ بالضم ـ: العار.

(٢) يقال: صبا فلان إذا خرج من دين إلى دين غيره وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابي لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام والمقصود أنك خرجت إلى دينه أو أجرته.

بعاث[1] وكانت الأوس على الخزرج فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكّة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال له: إنّه كان بيننا وبين قومنا حربٌ وقد جئناكم نطلب الحلف عليهم، فقال عتبة: بعدت دارنا عن داركم ولنا شغل لا نتفرَّغ لشيء، قال: وما شغلتكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟ قال له عتبة: خرج فينا رجل يدَّعي أنّه رسول الله سفّه أحلامنا وسبّ آلهتنا وأفسد شبّاننا وفرّق جماعتنا، فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطّلب، من أوسطنا شرفاً وأعظمنا بيتاً، وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الّذين كانوا بينهم النّظير وقريظة وقينقاع أنّ هذا أوان نبيّ يخرج بمكّة يكون مهاجره بالمدينة لنقتلنكم به يا معشر العرب، فلمّا سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمعه من اليهود، قال: فأين هو؟ قال: جالسٌ في الحجر وإنّهم لا يخرجون من شعبهم إلاّ في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلّمه فإنّه ساحرٌ يسحرك بكلامه، وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشّعب، فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لا بدَّ لي أن أطوف بالبيت؟ فقال: ضع في أُذنيك القطن، فدخل أسعد المسجد وقد حشا أُذنيه من القطن، فطاف بالبيت ورسول الله ﷺ جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم فنظر إليه نظرة فجازه، فلمّا كان في الشّوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل منّي أيكون مثل هذا الحديث بمكّة فلا أتعرّفه حتّى أرجع إلى قومي فأُخبرهم، ثمَّ أخذ القطن من أُذنيه ورمى به وقال لرسول الله: أنعم صباحاً[2] فرفع رسول الله رأسه إليه وقال: قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا تحيّة أهل الجنّة «السّلام عليكم» فقال له أسعد: إنَّ عهدك بهذا لقريب إلى ما تدعو يا محمّد؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله وأدعوكم إلى ﴿**أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيّاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النّفس الّتي حرّم الله إلاّ بالحقّ ذلكم وصّاكم به لعلّكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالّتي هي أحسن حتّى يبلغ أشدّه وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها وإذا**

---

(١) يوم بعاث هو ـ بضم الباء ـ: يوم مشهور كان فيه حرب بين الأوس والخزرج وبعاث اسم حصن للأوس وبعضهم يقول: بالغين المعجمة وهو تصحيف. (النهاية)

(٢) هذا تحية المشركين قبل الإسلام مكان سلام عليكم.

قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذكّرون﴾ فلمّا سمع أسعد هذا قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّك رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي أنا من أهل يثرب من الخزرج وبيننا وبين إخواننا من الأوس حبالٌ مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعزَّ منك، ومعي رجلٌ من قومي فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمّم الله لنا أمرنا فيك، والله يا رسول الله لقد كنّا نسمع من اليهود خبرك، وكانوا يبشّروننا بمخرجك ويخبروننا بصفتك وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الّذي ساقني إليك والله ما جئت إلاّ لنطلب الحلف على قومنا وقد أتانا الله بأفضل ممّا أتيت له ثمَّ أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الّذي كانت اليهود تبشّرنا به وتخبرنا بصفته، فهلمّ وأسلم، فأسلم ذكوان ثمَّ قالا: يا رسول الله ابعث معنا رجلاً يعلّمنا القرآن ويدعو النّاس إلى أمرك، فقال رسول الله لمصعب بن عمير وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضّلانه على أولادهم ولم يخرج من مكّة فلمّا أسلم جفاه أبواه وكان مع رسول الله في الشّعب حتّى تغيّر وأصابه الجهد فأمره رسول الله ﷺ بالخروج مع أسعد، وقد كان تعلّم من القرآن كثيراً فخرج هو مع أسعد إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير وقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله وخبره، فأجاب من كلّ بطن الرَّجل والرَّجلان، وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة وكان يخرج في كلّ يوم ويطوف على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الإسلام فيجيبه الأحداث وكان عبد الله بن أبيّ شريفاً في الخزرج وقد كان الأوس والخزرج اجتمعت على أن يملّكوه عليهم لشرفه وسخائه وقد كانوا اتّخذوا له إكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها وذلك أنّه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بعاث ولم يعن على الأوس وقال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أُعين على الظّلم، فرضيت به الأوس والخزرج، فلمّا قدم أسعد كره عبد الله ما جاء به أسعد وذكوان وفتر أمره، فقال أسعد لمصعب: إنّ خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس وهو رجلٌ عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف فإن دخل في هذا الأمر تمَّ لنا أمرنا فهلمَّ نأتي محلّتهم، فجاء مصعب مع أسعد إلى محلّة سعد بن معاذ فقعد على بئر من آبارهم واجتمع إليه قوم من أحداثهم وهو يقرأ عليهم القرآن فبلغ ذلك سعد بن معاذ فقال لأُسيد بن حضير وكان من أشرافهم: بلغني أنَّ أبا أمامة أسعد بن زرارة قد جاء إلى محلّتنا مع هذا القرشي

يفسد شبّاننا فأته وانهه عن ذلك، فجاء أُسيد بن حضير[١] فنظر إليه أسعد فقال لمصعب بن عمير: إنّ هذا رجلٌ شريفٌ فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمَّ أمرنا فأصدق الله فيه[٢] فلمّا قرب أُسيد منهم قال: يا أبا أمامة يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا ولا تفسد شبّاننا واحذر الأوس على نفسك، فقال مصعب أو تجلس فنعرض عليك أمراً فإن أحببته دخلت فيه وإن كرهته نحّينا عنك ما تكرهه، فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلّي ركعتين، فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر، ثمَّ خرج وعصر ثوبه، ثمَّ قال: إعرض عليَّ، فعرض عليه شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله، فقالها، ثمَّ صلّى ركعتين، ثمَّ قال لأسعد: يا أبا أمامة أنا أبعث إليك الآن خالك وأحتال عليه في أن يجيئك، فرجع أُسيد إلى سعد بن معاذ فلمّا نظر إليه سعد قال: أُقسم أنَّ أُسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الّذي ذهب من عندنا، فأتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب «حم تنزيلٌ من الرَّحمن الرَّحيم» فلمّا سمعها قال مصعب: والله لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلّم فبعث إلى منزله وأتى بثوبين طاهرين واغتسل وشهد الشهادتين وصلّى ركعتين ثمَّ قام وأخذ بيد مصعب وحوَّله إليه وقال: أظهر أمرك ولا تهابنَّ أحداً، ثمَّ جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح يا بني عمرو بن عوف لا يبقينَّ رجلٌ ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبيٌّ إلاّ أن يخرج فليس هذا يوم ستر ولا حجاب، فلمّا اجتمعوا قال: كيف حالي عندكم قالوا: أنت سيّدنا والمطاع فينا ولا نردُّ لك أمراً فمرنا بما شئت، فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم عليَّ حرام حتّى تشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله والحمد لله الّذي أكرمنا بذلك وهو الّذي كانت اليهود تخبرنا به، فما بقي دارٌ من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلاّ وفيها مسلمٌ أو مسلمة وحوَّل مصعب بن عمير إليه وقال له: أظهر أمرك وادع الناس علانية، وشاع الإسلام بالمدينة وكثر ودخل فيه من البطنين جميعاً أشرافهم وذلك لما كان عندهم من أخبار اليهود، وبلغ رسول الله ﷺ أنَّ الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام وكتب إليه مصعب بذلك وكان كلُّ من دخل في الإسلام من قريش ضربه قومه وعذّبوه، فكان رسول الله

(١) أسيد ـ كزبير ـ ابن حضير بتقديم المهملة على المعجمة.

(٢) فأصدق الله فيه أي أبذل جهدك في هدايته لتكون صادقاً عند الله فيما تدعي.

يأمرهم بالخروج إلى المدينة وكانوا يتسلّلون رجلاً فرجلاً[١] فيصيرون إلى المدينة فينزلهم الأوس والخزرج عليهم ويواسونهم، قال: فلمّا قدمت الأوس والخزرج مكّة جاءهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم تمنعون لي جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب ربّكم وثوابكم على الله الجنّة؟ قالوا: نعم يا رسول الله، فخذ لنفسك وربّك ما شئت، فقال: موعدكم العقبة في اللّيلة الوسطى من ليالي التشريق، فلمّا حجّوا رجعوا إلى منى وكان فيهم ممّن قد أسلم بشرٌ كثيرٌ، وكان أكثرهم مشركين على دينهم وعبد الله بن أُبيّ فيهم فقال لهم رسول الله في اليوم الثاني من أيّام التشريق: فاحضروا دار عبد المطّلب على العقبة ولا تنبّهوا نائماً وليتسلّل واحدٌ وكان رسول الله نازلاً في دار عبد المطّلب وحمزة وعليٌّ والعبّاس معه فجاءه سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدّار، فلمّا اجتمعوا قال لهم رسول الله: تمنعون لي جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب ربّكم وثوابكم على الله الجنّة؟ فقال أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حزام: نعم يا رسول الله، فاشترط لنفسك ولربّك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تمنعوني ممّا تمنعون أنفسكم وتمنعون أهلي ممّا تمنعون أهليكم وأولادكم، قالوا: فما لنا على ذلك؟ قال: الجنّة، تملكون بها العرب في الدُّنيا وتدين لكم العجم وتكونون ملوكاً، فقالوا: قد رضينا، فقام العباس بن نضلة وكان من الأوس فقال: يا معشر الأوس والخزرج تعلمون على ما تقدمون عليه، إنّما تقدمون على حرب الأحمر والأبيض وعلى حرب ملوك الدُّنيا، فإن علمتم أنّه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه فلا تغرُّوه، فإنَّ رسول الله وإن كان قومه خالفوه فهو في عزّ ومنعة، فقال له عبد الله بن حزام وأسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التّيهان: ما لك وللكلام يا رسول الله؟ بل دمنا بدمك وأنفسنا بنفسك فاشترط لربّك ولنفسك ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً، فقالوا: اختر من شئت فأشار جبرئيل عليه السلام إليهم فقال: هذا نقيبٌ وهذا نقيبٌ حتّى اختار تسعة من الخزرج وهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حزام وأبو جابر بن عبد الله ورافع بن مالك وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن

(١) انسل وتسلل: خرج في استخفاء.

رواحة وسعد بن الرَّبيع وعبادة بن الصامت وثلاثة من الأوس وهم أبو الهيثم بن التّيهان وكان رجلاً من اليمن حليفاً في بني عمرو بن عوف وأُسيد بن حضير وسعد بن خيثمة، فلمّا اجتمعوا وبايعوا رسول الله ﷺ صاح بهم إبليس يا معشر قريش والعرب هذا محمّدٌ والصباة من الأوس والخزرج على هذه العقبة يبايعونه على حربكم فأسمع أهل منى فهاجت قريش وأقبلوا بالسلاح وسمع رسول الله ﷺ النّداء فقال للأنصار: تفرَّقوا، فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: لم أُؤمر بذلك ولم يأذن الله لي في محاربتهم، فقالوا: يا رسول الله فتخرج معنا، قال: أنتظر أمر الله فجاءت قريش على بكرة أبيها[1] قد أخذوا السلاح وخرج حمزة ومعه السيف فوقف على العقبة هو وعليٌّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا نظروا إلى حمزة قالوا: ما هذا الّذي اجتمعتم عليه؟ قال: ما اجتمعنا وما ههنا أحد والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلاّ ضربته بسيفي فرجعوا وغدوا إلى عبد الله بن أُبيّ وقالوا: قد بلغنا أنَّ قومك بايعوا محمّداً على حربنا فحلف لهم عبد الله أنّهم لم يفعلوا ولا علم له بذلك وأنّهم لم يطلعوه على أمرهم فصدّقوه وتفرَّقت الأنصار ورجع رسول الله ﷺ إلى مكّة.

الفصل الثامن

في ذكر مكر المشركين برسول الله ﷺ

واجتماعهم في دار الندوة لذلك وذكر هجرته إلى المدينة وما كان من استقبال الأنصار إيّاه ونزول ما ظهر من آيات النبوَّة وآثارها ومختصر من أخباره إلى أن أُمر بالقتال.

ثمَّ اجتمعت قريش في دار النّدوة وكانوا أربعين رجلاً من أشرافهم وكان لا يدخلها إلاّ من أتى له أربعون سنة سوى عتبة بن ربيعة فقد كان سنّه دون الأربعين

(١) قال الجزري: وفي الحديث «جاءت هوازن على بكرة أبيها» هذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفر العدد وأنهم جاءوا جميعاً، لم يتخلف منهم أحد، وليس هناك بكرة في الحقيقة وهي التي يستقى عليها الماء فاستعيرت في هذا الموضع.

فجاءهم الملعون إبليس في صورة شيخ فقال له البوّاب من أنت؟ قال: أنا شيخ من نجد فاستأذن فاستأذنوا له، وقال: بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرَّجل فجئتكم لأشير عليكم فلا يعدمكم منّي رأي صائب فلمّا أخذوا مجلسهم قال أبو جهل: يا معشر قريش إنّه لم يكن أحدٌ من العرب أعز منّا ونحن في حرم الله وأمنه تفد إلينا العرب في السّنة مرَّتين ولم يطمع فينا طامع حتّى نشأ فينا محمّدٌ فكنّا نسمّيه الأمين لصلاحه وأمانته فزعم أنّه رسول ربّ العالمين وسبَّ آلهتنا وسفّه أحلامنا وأفسد شبّاننا وفرَّق جماعتنا، وقد رأيت فيه رأياً وهو أن ندسّ[١] إليه رجلاً يقتله فإن طلبت بنو هاشم دمه أعطيناهم عشر ديات.

فقال إبليس: هذا رأيٌ خبيث فإنَّ بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمّد على الأرض أبداً ويقع بينكم الحروب في حرمكم.

فقال آخر: الرأي أن نأخذه ونحبسه في بيت ونثبته فيه ونلقي إليه قوته حتّى يموت كما مات زهير والنابغة.

فقال إبليس: إنَّ بني هاشم لا ترضى بذلك فإذا جاء موسم العرب اجتمعوا عليكم وأخرجوه فيخدعهم بسحره.

وقال آخر: الرَّأي أن نخرجه من بلادنا ونطرده فنفرغ لآلهتنا.

فقال إبليس: هذا أخبث من الرَّأيين المتقدّمين لأنّكم تعمدون إلى أصبح الناس وجهاً وأفصحهم لساناً وأسحرهم فتخرجوه إلى بوادي العرب فيخدعهم بسحره ولسانه فلا يفجأكم إلاّ وقد ملأها عليكم خيلاً ورجلاً، فبقوا حيارى.

ثمَّ قالوا للملعون إبليس: فما الرّأي عندك فيه؟ قال: ما فيه إلاّ رأي واحد أن يجتمع من كلّ بطن من بطون قريش رجلٌ شريفٌ ويكون معكم من بني هاشم واحد، فيأخذون حديدة أو سيفاً ويدخلون عليه فيضربونه كلّهم ضربة واحدة، فيتفرَّق دمه في قريش كلّها فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه وقد شاركوا فيه فما بقي لهم إلاّ أن تعطوهم الدية فأعطوهم ثلاث ديات بل لو أرادوا عشر ديات، وقالوا بأجمعهم:

---

(١) الدس: الإخفاء والدسيس من تدسه ليأتيك بالأخبار.

الرَّأي رأي الشّيخ النّجدي فاختاروا خمسة عشر رجلاً فيهم أبو لهب على أن يدخلوا على رسول الله فيقتلونه فأنزل الله سبحانه على رسوله ﴿**وإذ يمكر بك الّذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك**﴾ ثمَّ تفرَّقوا على هذا وأجمعوا أن يدخلوا عليه ليلاً وكتموا أمرهم، فقال أبو لهب: بل نحرسه فإذا أصبحنا دخلنا عليه، فباتوا حول حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر رسول الله أن يفرش له وقال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام يا عليّ افدني بنفسك، قال: نعم يا رسول الله، قال له: نم على فراشي والتحف ببردي، فنام عليه السلام على فراش رسول الله والتحف ببرده وجاء جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: أُخرج والقوم أشرفوا على الحجرة فيرون فراشه وعليٌّ عليه السلام نائمٌ عليه فيتوهّمون أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم وهو يقرأ ﴿**يس**﴾ إلى قوله: ﴿**فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾ وأخذ تراباً بكفّه ونثره عليهم وهم نيام ومضى، فقال له جبرئيل عليه السلام: يا محمّد خذ ناحية ثور وهو جبل على طريق منى له سنام كسنام الثّور، فمرَّ رسول الله وتلقّاه أبو بكر في الطّريق فأخذ بيده ومرّ به، فلمّا انتهى إلى ثور دخل الغار فلمّا أصبحت قريش وأضاء الصّبح وثبوا في الحجرة وقصدوا الفراش فوثب عليٌّ عليه السلام إليهم وقام في وجوههم فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: أين ابن عمّك محمّد؟ قال عليٌّ عليه السلام: جعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم له: أُخرج عنّا فقد خرج عنكم فما تريدون فأقبلوا إليه يضربونه فمنعهم أبو لهب وقالوا: أنت كنت تخدعنا منذ اللّيلة. فلمّا أصبحوا تفرَّقوا في الجبال وكان فيهم رجلٌ من خزاعة يقال له: أبو كرز يقفو الآثار فقالوا له: يا أبا كرز اليوم اليوم فما زال يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى وقف بهم على باب الحجرة، فقال: هذه قدم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هي والله أُخت القدم الّتي في المقام وهذه قدم أبي قحافة أو ابنه، وقال: ههنا عبر ابن أبي قحافة، فلم يزل بهم حتّى وقفهم إلى باب الغار وقال لهم: ما جازوا هذا المكان إمّا أن يكونوا صعدوا السّماء أو دخلوا الأرض، وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار ـ وقد ذكرناه فيما قبل ـ قال: وجاء فارسٌ من الملائكة في صورة الإنس على باب الغار وهو يقول لهم: اطلبوه في هذه الشّعاب فليس ههنا فأقبلوا يدورون في الشّعاب وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغار ثلاثة أيّام ثمّ أذن الله له في الهجرة وقال: يا محمّد أخرج عن مكّة فليس لك بها ناصرٌ بعد أبي طالب فخرج رسول الله من الغار وأقبل راع

لبعض قريش يقال له: ابن أُريقط[١] فدعاه رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أُريقط أءتمنك على دمي؟ قال: إذاً أحرسك وأحفظك ولا أدلُّ عليك، فأين تريد يا محمّد؟ قال: يثرب، قال: والله لأسلكنَّ بك مسلكاً لا يهتدي إليه أحدٌ قال له رسول الله ﷺ: ائت علياً وبشّره بأنَّ الله قد أذن لي في الهجرة فيهيّىء لي زاداً وراحلة، وقال أبو بكر: ائت أسماء بنتي وقل لها: تهيّىء لي زاداً وراحلتين وأعلم عامر بن فهيرة أمرنا ـ وكان من موالي أبي بكر وقد كان أسلم ـ وقل له: ائتنا بالزّاد والرّاحلتين، فجاء ابن أُريقط إلى عليّ وأخبره بذلك فبعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ بزاد وراحلة وبعث ابن فُهيرة بزاد وراحلتين.

وخرج رسول الله ﷺ من الغار وأخذ به ابن أُريقط على طريق نخلة بين الجبال، فلم يرجعوا إلى الطّريق إلاّ بقُديد[٢] فنزلوا على أمّ معبد هناك وقد ذكرنا حديث شاة أمّ معبد والمعجزة التي ظهرت فيها فيما قبل وحديث سراقة بن مالك بن جعشم المدلجيّ ورسوخ قوائم فرسه في الأرض فلا وجه لإعادته، فرجع عنه سراقة فلمّا كان من الغد وافته قريش، فقالوا: يا سراقة هل لك علم بمحمّد؟ قال: قد بلغني أنّه خرج عنكم وقد نفضت هذه الناحية لكم ولم أر أحداً ولا أثراً، فارجعوا فقد كفيتكم ما ههنا، وقد كانت الأنصار بلغهم خروج رسول الله ﷺ إليهم فكانوا يتوقّعون قدومه، فكان يخرج الرّجال والنّساء إذا أصبحوا إلى طريقه فإذا اشتدّ الحرُّ رجعوا.

وروي عن ابن شهاب الزّهري قال: كان بين ليلة العقبة وبين مهاجرة رسول الله ثلاثة أشهر وكانت بيعة الأنصار لرسول الله ليلة العقبة في ذي الحجّة وقدوم رسول الله إلى المدينة في شهر ربيع الأوّل لاثنتي عشرة ليلة خلت منه يوم الاثنين، وكانت الأنصار خرجوا يتوكّفون أخباره[٣] فلمّا أيسوا رجعوا إلى منازلهم، فلمّا رجعوا أقبل رسول الله ﷺ فلمّا وافى ذا الحُليفة[٤] سأل عن طريق بني عمرو بن عوف، فدلّوه

---

(١) هو عبد الله بن اريقط الليثي.

(٢) قديد ـ كزبير ـ: اسم موضع قرب مكة.

(٣) التوكف: التوقع والانتظار.

(٤) بالتصغير ـ قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، منها ميقات أهل المدينة وهي من مياه=

فرفعه الآل(١) فنظر رجل من اليهود وهو على أطم له(٢) إلى ركبان ثلاثة يمرّون على طريق بني عمرو بن عوف، فصاح يا معشر المسلمة هذا صاحبكم قد وافى، فوقعت الصيحة بالمدينة فخرج الرّجال والنّساء والصّبيان مستبشرين لقدومه، يتعادون(٣) فوافى رسول الله ﷺ وقصد مسجد قبا ونزل واجتمع إليه بنو عمرو بن عوف وسرُّوا به واستبشروا واجتمعوا حوله، ونزل على كلثوم بن الهدم(٤) شيخ من بني عمرو صالح مكفوف البصر، واجتمعت بطون الأوس وكان بين الأوس والخزرج عداوة، فلم يجسروا أن يأتوا رسول الله ﷺ لما كان بينهم من الحروب، فأقبل رسول الله ﷺ يتصفّح الوجوه فلا يرى أحداً من الخزرج، وقد كان قدم على عمرو بن عوف قبل قدوم رسول الله ﷺ ناسٌ من المهاجرين، فنزلوا فيهم.

وروي أنَّ النبيّ ﷺ لمّا قدم المدينة جاء النّساء والصّبيان فقلن:

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع ... وجب الشّكر علينا ما دعا لله داع

= بني جشم. (المراصد)

(١) الآل: الذي تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وليس هو السراب.

(٢) الأطم مثل الأجم يخفف ويثقل والجمع آطام وهي حصون لأهل المدينة.

(٣) يتعادون: يتراكضون. (الصحاح)

(٤) كلثوم بن الهدم ـ بكسر الهاء وسكون الدال ـ ابن امرء القيس بن الحرث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ـ ذكر موسى بن عقبة وغيره من أهل المغازي أن النبي ﷺ نزل عليه بقبا أول ما قدم المدينة وقال بعضهم: نزل على سعد بن خيثمة. وقال الواقدي: كان نزوله على كلثوم وكان يتحدث في بيت سعد بن خيثمة لأن منزله كان منزل العرب. وذكر الطبري وابن قتيبة أنه أول من مات من أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة ثم مات بعده أسعد بن زرارة. (الإصابة) أقول: وما ذكر في تنقيح المقال من أنه كلثوم بن هرم خطاء. وقال اليعقوبي وغيره: نزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم وهو في تلك الأيام مريض فلم يلبث إلا أياماً فمات وانتقل رسول الله ﷺ فنزل على سعد بن خيثمة في بني عمرو بن عوف فمكث أياماً ثم كان سفهاء بني عمرو ومنافقوهم يرجمونه في الليل فلما رأى ذلك قال: ما هذا الجوار، فارتحل عنهم وركب راحلته وقال: خلوا زمامها فجعل لا يمر بحي من أحياء الأنصار إلا قالوا له: يا رسول الله انزل بنا.

وكان سلمان الفارسيُّ عبداً لبعض اليهود وقد كان خرج من بلاده من فارس يطلب الدين الحنيف الّذي كان أهل الكتب يخبرونه به فوقع إلى راهب من رهبان النّصارى بالشّام فسأله من ذلك وصحبه فقال: أطلبه بمكّة مخرجه، واطلبه بيثرب فثمَّ مهاجره، فقصد يثرب فأخذه بعض الأعراب فسبوه واشتراه رجلٌ من اليهود فكان يعمل في نخله وكان ذلك اليوم على النّخلة يصرمها(١) فدخل على صاحبه رجلٌ من اليهود، فقال: يا أبا فلان أشعرت أنَّ هؤلاء المسلمة قد قدم عليهم نبيّهم، فقال سلمان: جعلت فداك ما الّذي تقول؟ فقال له صاحبه: ما لك وللسؤال عن هذا أقبل على عملك، قال: فنزل وأخذ طبقاً وصيّر عليه من ذلك الرّطب وحمل إلى رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا قال: صدقة تمورنا بلغنا أنّكم قومٌ غرباء قدمتم هذه البلاد، فأحببت أن تأكلوا من صدقتنا، فقال رسول الله ﷺ: سمّوا وكلوا، فقال سلمان في نفسه وعقد بإصبعه: هذه واحدة ـ يقولها بالفارسيّة ـ ثمَّ أتاه بطبق آخر فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا؟ فقال له سلمان: رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هديّة أهديتها إليك، فقال: سمّوا وكلوا وأكل عليه وآله السّلام. فعقد سلمان بيده اثنين، وقال: هذه اثنان ـ يقولها بالفارسيّة ـ ثمَّ دار خلفه فألقى رسولُ الله ﷺ عن كتفه الإزار فنظر سلمان إلى خاتم النبوّة والشّامة فأقبل يقبّلها قال له رسول الله ﷺ: من أنت؟ قال: أنا رجلٌ من أهل فارس، قد خرجت من بلادي منذ كذا وكذا وحدَّثه بحديث وله طول، فأسلم وبشّره رسول الله ﷺ فقال له: أبشر واصبر فإنَّ الله سيعجّل لك فرجاً من هذا اليهوديّ فلمّا أمسى رسول الله فارقه أبو بكر ودخل المدينة ونزل على بعض الأنصار وبقي رسول الله ﷺ بقبا نازلاً على بيت كلثوم بن الهدم، فلمّا صلّى رسول الله ﷺ صلاة المغرب والعشاء الآخرة جاء أسعد بن زرارة مقنّعاً فسلّم على رسول الله وفرح بقدومه ثمَّ قال: يا رسول الله ما ظننت أن أسمع بك في مكان فأقعد عنك إلا أنَّ بيننا وبين إخواننا من الأوس ما تعلم فكرهت أن آتيهم، فلمّا أن كان هذا الوقت لم أحتمل أن أقعد عنك، فقال رسول الله ﷺ للأوس: من يجيره منكم؟ فقالوا: يا رسول الله جوارنا في جوارك فأجره، قال: لا بل يجيره بعضكم، فقال عويم بن ساعدة وسعد بن خيثمة:

(١) صرم النخل والشجر جزه كاصطرمه. (القاموس)

نحن نجيره يا رسول الله فأجاروه وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ فيتحدّث عنده ويصلّي خلفه، وبقي رسول الله خمسة عشر يوماً فجاء أبو بكر فقال: يا رسول الله تدخل المدينة فإنّ القوم متشوّفون إلى نزولك عليهم، فقال: لا أريم[1] من هذا المكان حتّى يوافي أخي عليٌّ عليه السلام وكان رسول الله ﷺ قد بعث إليه أن احمل العيال واقدم فقال أبو بكر: ما أحسب عليّاً يوافي قال: بلى ما أسرعه إن شاء الله، فبقي خمسة عشر يوماً فوافى عليٌّ عليه السلام بعياله، فلمّا وافى كان سعد بن الرّبيع وعبد الله بن رواحة يكسران أصنام الخزرج وكان كلّ رجل شريف في بيته صنم يمسحه ويطيبه ولكلّ بطن من الأوس والخزرج صنم في بيت لجماعة يكرمونه ويجعلون عليه منديلاً ويذبحون له، فلمّا قدم الاثنا عشر من الأنصار أخرجوها من بيوتهم وبيوت من أطاعهم، فلمّا قدم السبعون كثر الإسلام وفشا وجعلوا يكسرون الأصنام قال: وبقي رسول الله ﷺ بعد قدوم عليّ يوماً أو يومين ثمَّ ركب راحلته فاجتمعت إليه بنو عمرو بن عوف، فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا فإنّا أهل الجدّ والجهد والحلقة والمنعة[2] فقال: فإنّها مأمورة وبلغ الأوس والخزرج خروج رسول الله ﷺ فلبسوا السّلاح وأقبلوا يعدون حوله وحول ناقته لا يمرُّ بحيّ من أحياء للأنصار إلاّ وثبوا في وجهه وأخذوا بزمام ناقته وتطلّبوا إليه أن ينزل عليهم ورسول الله يقول: خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة حتّى مرَّ ببني سالم. وكان خروج رسول الله ﷺ من قبا يوم الجمعة فوافى بني سالم عند زوال الشّمس، فعرضت له بنو سالم وقالوا: هلمّ يا رسول الله إلى الجدّ والجلد والحلقة والمنعة فبركت ناقته عند مسجدهم وقد كانوا بنوا مسجداً قبل قدوم رسول الله ﷺ ونزل في مسجدهم وصلّى بهم الظّهر وخطبهم وكان أوّل مسجد خطب فيه رسول الله ﷺ ونزل في مسجدهم وصلّى بهم الظّهر وخطبهم وكان أوّل مسجد خطب فيه رسول الله ﷺ بالجمعة وصلّى إلى بيت المقدس وكان الّذين صلّوا معه في ذلك الوقت مائة رجل، ثمَّ ركب رسول الله ناقته فأرخى زمامها فانتهت هي إلى عبد الله بن أُبيّ، فوقف عليه وهو يقدر أنّه يعرض عليه النّزول عنده، فقال عبد الله بن أُبيّ بعد أن ثارت

---

(١) التشوف: التطلع. وقوله ﷺ: «لا أريم» أي لا أبرح ولا أزول.

(٢) الحلفة ـ بالكسر ـ: المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد، وفي بعض النسخ ـ بالقاف ـ وهي بالفتح وسكون اللام: السلاح وهو أظهر.

الغبرة[١] وأخذ كمّه ووضعه على أنفه: يا هذا اذهب إلى الذين غرُّوك وخدعوك وأتوا بك فانزل عليهم ولا تغشنا في ديارنا، فسلّط الله على دور بني الحبلى الذرّ[٢] فخرب دورهم فصاروا نزولاً على غيرهم وكان جدُّ عبد الله بن أُبيّ يقال له: ابن الحبلى، فقام سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله لا يعرض في قلبك من قول هذا شيء فإنّا كنّا اجتمعنا على أن نملّكه علينا وهو يرى الآن أنّك قد سلبته أمراً قد كان أشرف عليه، فانزل عليّ يا رسول الله فإنّه ليس في الخزرج ولا في الأوس أكثر فم بئر منّي ونحن أهل الجلد والعزّ، فلا تجزنا يا رسول الله، فأرخى زمام ناقته ومرّت تخبُّ[٣] به حتّى انتهت إلى باب المسجد الذي هو اليوم ولم يكن مسجداً وإنّما كان مربداً ليتيمين[٤] من الخزرج يقال لهما سهل وسهيل وكانا في حجر أسعد بن زرارة، فبركت النّاقة على باب أبي أيّوب خالد بن يزيد، فنزل عنها رسول الله ﷺ فلمّا نزل اجتمع عليه النّاس وسألوه أن ينزل عليهم فوثبت أُمُّ أبي أيّوب إلى الرَّحل فحلّته وأدخلته منزلها، فلمّا أكثروا عليه قال رسول الله ﷺ: أين الرَّحل؟ فقالوا: أمُّ أبي أيّوب قد أدخلته بيتها فقال: المرء مع رحله وأخذ أسعد بن زرارة بزمام الناقة فحوَّلها إلى منزله وكان أبو أيّوب له منزل أسفل وفوق المنزل غرفة فكره أن يعلو رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي العلوُّ أحبُّ إليك أم السّفل فإنّي أكره أن أعلو فوقك، فقال: السّفل أرفق بنا لمن يأتينا، قال أبو أيّوب: فكنّا في العلوّ أنا وأُمّي فكنت إذا استقيت الدّلو أخاف أن يقع منه قطرة على رسول الله وكنت أصعد وأُمّي إلى العلوّ خفيّاً من حيث لا يعلم ولا يحسّ بنا ولا نتكلّم إلاّ خفيّاً وكان إذا نام ﷺ لا نتحرّك وربّما طبخنا في غرفتنا فنجيف الباب على غرفتنا مخافة أن يصيب رسول الله ﷺ دخان، ولقد سقطت جرَّة لنا وأهريق الماء فقامت أُمُّ أبي أيّوب إلى قطيفة ولم يكن لنا

---

(١) ثار الغبار يثور ثوراناً أي سطع. (الصحاح)

(٢) الذر جمع ذرة وهي أصغر النمل. (الصحاح)

(٣) قوله «أكثر فم بئر» لعله جعل كثرة الناس في فم البئر كناية عن كثرة الأضياف. والخبب ـ محركة ـ: ضرب من العدو.

(٤) في النهاية: في الحديث «أن مسجده كان مربداً ليتيمين» المربد الموضع الذي تحبس فيه الإبل والغنم وبه سمي مربد المدينة والبصرة وهو بكسر الميم وفتح الباء من ربد بالمكان إذا أقام فيه وربده إذا حبسه والمربد أيضاً الموضع الذي يجعل فيه التمر لينشف.

والله غيرها فألقتها على ذلك الماء تستنشف به مخافة أن يسيل على رسول الله ﷺ من ذلك شيء، وكان يحضر رسول الله ﷺ المسلمون من الأوس والخزرج والمهاجرين.

وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يبعث إليه في كلّ يوم غداء وعشاء في قصعة ثريد عليها عراق[1] فكان يأكل من جاء حتّى يشبعوا، ثمَّ تردُّ القصعة كما هي، وكان سعد بن عبادة يبعث إليه في كل يوم عشاء ويتعشّى معه من حضره [وتردُّ القصعة كما هي] وكانوا يتناوبون في بعثة العشاء والغداء إليه أسعد بن زرارة وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو وسعد بن الرَّبيع وأُسيد بن حضير، قال: فطبخ له أُسيد يوماً قدراً فلم يجد من يحمله فحملها بنفسه، وكان رجلاً شريفاً من النقباء فوافى رسول الله ﷺ وقد رجع من الصلاة فقال: حملتها بنفسك؟ قال: نعم يا رسول الله لم أجد أحداً يحملها، فقال: بارك الله عليكم من أهل بيت.

وفي كتاب دلائل النبوّة عن أنس بن مالك قال: قدم رسول الله المدينة فلمّا دخلها جاءت الأنصار برجالها ونسائها فقالوا: إلينا يا رسول الله، فقال: دعوا الناقة فإنّها مأمورة فبركت على باب أبي أيّوب فخرجت جوار من بني النجّار يضربن بالدفوف ويقلن:

نحن جوار من بني النجّار يا حبّذا محمّد من جار

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: أتحبّونني؟ فقالوا: إي والله يا رسول الله، قال: أنا والله أُحبّكم ـ ثلاث مرّات ـ.

قال عليُّ بن إبراهيم بن هاشم: وجاءه اليهود قريظة والنضير والقينقاع فقالوا: يا محمّد إلى ما تدعو؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله الذي تجدونني مكتوباً في التوراة والذي أخبركم به علماؤكم أن مخرجي بمكّة ومهاجري بهذه الحرّة وأخبركم عالم منكم جاءكم من الشام، فقال: تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتمور لنبيّ يبعث في هذه الحرَّة مخرجه بمكّة ومهاجره ههنا وهو آخر الأنبياء وأفضلهم يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزىء بالكسرة، في عينيه

(١) العراق: قطعة من اللحم.

حمرة وبين كتفيه خاتم النبوّة ويضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى وهو الضحوك القتال يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر، فقالوا له: قد سمعنا ما تقول وقد جئناك لنطلب منك الهدنة على أن لا نكون لك ولا عليك ولا نعين عليك أحداً ولا تتعرَّض لنا ولا لأحد من أصحابنا حتى ننظر إلى ما يصير أمرك وأمر قومك فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك وكتب بينهم كتاباً أن لا يعينوا على رسول الله ولا على أحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا بسلاح ولا بكراع[١] في السرّ والعلانية لا بليل ولا بنهار والله بذلك عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول الله ﷺ في حلّ من سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونسائهم وأخذ أموالهم وكتب لكلّ قبيلة منهم كتاباً على حدة وكان الذي تولّى أمر بني النّضير حييّ بن أخطب، فلمّا رجع إلى منزله قال له إخوته جديّ بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب: ما عندك؟ قال: هو الّذي نجده في التوراة والذي بشّرنا به علماؤنا ولا أزال عدواً لأنّ النبوّة خرجت من ولد إسحاق وصارت في ولد إسماعيل ولا تكون تبعاً لولد إسماعيل أبداً وكان الذي ولي أمر قريظة كعب بن أسد والذي تولّى أمر بني قينقاع مخيريق وكان أكثرهم مالاً وحدائق فقال لقومه: إن كنتم تعلمون أنّه النبيُّ المبعوث فهلمُّوا نؤمن به ونكون قد أدركنا الكتابين فلم تجبه قينقاع إلى ذلك.

قال: وكان رسول الله ﷺ يصلّي في المربد لأصحابه، فقال لأسعد بن زرارة: اشتر هذا المربد من أصحابه فساوم اليتيمين عليه فقالا: هو لرسول الله ﷺ فقال رسول الله: لا إلاّ بثمن فاشتراه بعشرة دنانير وكان فيه ماء مستنقع فأمر به رسول الله فسيل[٢] وأمر باللّبن فضرب، فبناه رسول الله ﷺ فحفره في الأرض ثمَّ أمر بالحجارة فنقلت من الحرَّة فكان المسلمون ينقلونها فأقبل رسول الله ﷺ يحمل حجراً على بطنه فاستقبله أُسيد بن حضير فقال: يا رسول الله أعطني أحمله عنك قال: لا اذهب فاحمل غيره، فنقلوا الحجارة ورفعوها من الحفرة حتّى بلغ وجه الأرض بناه أوّلاً بالسّعيدة لبنةً لبنةً، ثمَّ بناه بالسميط وهو لبنة ونصف، ثمَّ بناه بالأُنثى والذكر لبنتين مخالفتين ورفع حائطه قامة وكان مؤخّره [ذراع] في مائة

(١) الكراع اسم لجماعة الخيل خاصة. (مجمع البحرين)

(٢) استنقع الماء في الغدير أي اجتمع وثبت. وسال الماء سيلاً وسيلاناً جرى ومجهوله سيل.

ثمَّ اشتدّ عليهم الحرُّ فقالوا: يا رسول الله لو أظللت عليه ظلاً، فرفع أساطينه في مقدم المسجد إلى ما يلي الصحن بالخشب، ثمَّ ظلّله وألقى عليه سعف النخل فعاشوا فيه فقالوا: يا رسول الله لو سقفت سقفاً قال: لا، عريش كعريش موسى، الأمر أعجل من ذلك، وابتنى رسول الله ﷺ منازله ومنازل أصحابه في حول المسجد، وخطَّ لأصحابه خططاً، فبنوا فيها منازلهم، وكلٌّ شرع منه باباً إلى المسجد، وخطَّ لحمزة وشرع بابه إلى المسجد، وخطَّ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام مثل ما خطَّ لهم وكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمّد إنَّ الله يأمرك أن تأمر كلَّ من كان بابه إلى المسجد يسده، ولا يكون لأحد باب إلى المسجد إلاّ لك ولعليّ ويحلُّ لعليّ فيه ما يحلُّ لك، فغضب أصحابه وغضب حمزة وقال: أنا عمّه يأمر بسدِّ بابي ويترك باب ابن أخي وهو أصغر منّي، فجاءه فقال: يا عمّ لا تغضبنَّ من سدّ بابك وترك باب عليّ فوالله ما أمرت أنا بذلك ولكنَّ الله أمر بسدّ أبوابكم وترك باب عليّ فقال: يا رسول الله رضيت وسلّمت لله ولرسوله.

قال: وكان رسول الله ﷺ حيث بنى منازله كانت فاطمة عليها السلام عنده فخطبها أبو بكر فقال له رسول الله ﷺ: أنتظر أمر الله عزَّ وجلَّ ثمَّ خطبها عمر، فقال مثل ذلك، فقيل لعليّ عليه السلام: لم لا تخطب فاطمة عليها السلام؟ قال: والله ما عندي شيء فقيل له: رسول الله ﷺ لا يسألك شيئاً، فجاء إلى رسول الله ﷺ فاستحيى أن يسأله فرجع، ثمَّ جاء في اليوم الثاني فاستحيى فرجع، ثمّ جاء في اليوم الثالث فقال له رسول الله ﷺ: يا عليّ ألك حاجة؟ قال: بلى يا رسول الله فقال: لعلّك جئت خاطباً؟ قال: نعم يا رسول الله(١) قال له رسول الله ﷺ: هل عندك شيء يا علي؟ قال: ما عندي يا رسول الله شيء إلاّ درعي، فزوّجه رسول الله ﷺ على اثنتي عشرة أوقيّة ونشّ(٢) وَدَفع إليه درعه فقال له رسول الله: هيّىء منزلاً حتّى

(١) في حديث ابن دأب الذي أورده المفيد في الاختصاص أنه قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ما منعك أن تخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته؟ فقال عليه السلام: أنا أجتري إلى رسول الله ﷺ ابنته؟ والله لو كانت أمة له ما اجترأت عليه فحكى سعد بن معاذ مقالته لرسول الله ﷺ فقال له رسول الله: قل له يفعل فإني سأفعل، قال: فبكى حيث قال له سعد، ثم قال: لقد سعدت إذاً أن جمع الله لي صهره وقرابته.

(٢) النش نصف الأوقية وهو عشرون درهماً. (النهاية)

تحوّل فاطمة إليه، فقال: يا رسول الله ما ههنا منزل إلاّ منزل حارثة بن النعمان وكان لفاطمة يوم بنى بها أمير المؤمنين عليه السلام تسع سنين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والله لقد استحيينا من حارثة، قد أخذنا عامّة منازله، فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أنا ومالي لله ولرسوله والله ما شيء أحبُّ إليَّ ممّا تأخذه والذي تأخذه أحبُّ إليَّ ممّا تترك، فجزاه رسول الله خيراً، فحوَّل فاطمة عليها السلام إلى عليّ في منزل حارثة وكان فراشهما إهاب كبش جعلا صوفه تحت جنوبهما.

قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي إلى بيت المقدس مدَّة مقامه بمكّة وفي هجرته حتّى أتى سبعة أشهر فلمّا أتى له سبعة أشهر عيّرته اليهود وقالوا له: أنت تابع لنا تصلّي إلى قبلتنا ونحن أقدم منك في الصّلاة، فاغتمَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك وأحبَّ أن يحوّل الله قبلته إلى الكعبة، فخرج رسول الله في جوف اللّيل ونظر إلى آفاق السّماء ينتظر أمر الله وخرج في ذلك اليوم إلى مسجد بني سالم الذي جمع فيه أوَّل جمعة كانت بالمدينة وصلّى بهم الظّهر هناك بركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة ونزل عليه **﴿قد نرى تقلّب وجهك في السّماء فلنولّينّك قبلة ترضاها ـ الآيات ـ﴾** ثمَّ نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية القتال وأُذن له في محاربة قريش وهي قوله: **﴿أُذن للّذين يقاتلون بأنّهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم لقديرٌ الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلاّ أن يقولوا ربّنا الله ـ الآية ـ﴾**.

الباب الرابع

في ذكر مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه وسراياه ونبذ من أخباره إلى أن فارق دنياه وما ظهر في أثناء ذلك من أعلام نبوَّته ودلائل صدقه ورسالته على سبيل الإجمال والاختصار

قال أهل السّير والمفسّرون: إنَّ جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ستّ وعشرون غزوة وإنَّ جميع سراياه الّتي بعثها لم يخرج معها ستّ وثلاثون سريّة وقاتل

من غزواته في تسع غزوات وهي: بدر، وأُحد، والخندق، وبني قريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطّائف.

فأوّل سريّة بعثها أنّه بعث حمزة بن عبد المطّلب في ثلاثين راكباً فساروا حتّى بلغوا سيف البحر من أرض جهينة(١) فلقوا أبا جهل بن هشام في ثلاثين ومائة راكب من المشركين فحجز بينهم مجديّ بن عمرو الجهني فرجع الفريقان ولم يكن بينهما قتال.

ثمّ غزا رسول الله ﷺ أوّل غزوة غزاها في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة حتّى بلغ الأبواء(٢)، يريد قريشاً وبني ضمرة ثمَّ رجع ولم يلق كيداً فأقام بالمدينة بقيّة صفر وصدراً من شهر ربيع الأوّل.

وبعث في مقامه ذلك عبيدة بن الحارث في ستّين راكباً من المهاجرين ليس فيهم أحدٌ من الأنصار وكان أوّل لواء عقده رسول الله ﷺ فالتقى هو والمشركون على ماء يقال له: أحيا وكانت بينهم الرّماية وعلى المشركين أبو سفيان بن حرب.

ثمّ غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر يريد قريشاً حتّى بلغ بواط(٣) ولم يلق كيداً.

ثمَّ غزا ﷺ غزوة العشيرة يريد قريشاً حتّى نزل العشيرة من بطن(٤) ينبع وقام بها بقيّة جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة.

فروي عن عمّار بن ياسر قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة، فقال لي عليّ عليه السلام: هل لك يا أبا اليقظان في هذه السّاعة من بني مدلج

---

(١) كذا. السيف ـ بكسر السين ـ: ساحل البحر من ناحية العيص. وفي القاموس الجهينة بلفظ التصغير قبيلة، ولكن في المراصد: قرية كبيرة من نواحي الموصل على دجلة وبقربها عين القيارة.

(٢) الأبواء ـ بالفتح فالسكون والمد ـ: جبل بين الحرمين وعنده بلد ينسب إليه.

(٣) «بواط» ـ كغراب ـ: جبال جهينة على أبراد من المدينة. والبريد فرسخان أو اثني عشر ميلاً.

(٤) ذو العشيرة ـ بضم العين وفتح الشين ـ موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع.

يعملون في عين لهم ننظر كيف يعملون فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة ثمَّ غشينا النّوم فعمدنا إلى صور من النّخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه فوالله ما أهبّنا إلاّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقدمه(١)، فجلسنا وقد تترّبنا من تلك الدّقعاء فيومئذ قال لعليّ: يا أبا تراب ـ ممّا عليه من التّراب ـ فقال: ألا أخبركم بأشقى النّاس؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر النّاقة والّذي يضربك يا عليّ على هذه ووضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على رأسه حتّى يبلَّ منها هذه ووضع يده على لحيته.

ثمّ رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العُشيرة إلى المدينة فلم يقم بها عشر ليال حتّى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طلبه حتّى بلغ وادياً يقال له: سفوان من ناحية بدر وهي غزوة بدر الأولى وحامل لوائه عليّ بن أبي طالب واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وفاته كرز فلم يدركه، فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقام جمادى ورجب وشعبان وكان بعث بين ذلك سعد بن أبي وقّاص في ثمانية رهط فرجع ولم يلق كيداً ثمَّ بعث رسول الله عبد الله بن جحش إلى نخلة وقال: كن بها حتّى تأتينا بخبر من أخبار قريش ولم يأمره بقتال وذلك في الشّهر الحرام وكتب له كتاباً وقال: أُخرج أنت وأصحابك حتّى إذا سرت يومين فافتح كتابك وانظر ما فيه وامض لما أمرتك، فلمّا سار يومين وفتح الكتاب فإذا فيه أن امض حتّى تنزل نخلة فتأتينا من أخبار قريش بما يصل إليك منهم فقال لأصحابه حين قرأ الكتاب: سمعاً وطاعة من كان له رغبة في الشّهادة فلينطلق معي، فمضى معه القوم حتّى نزلوا النّخلة فمرَّ بهم عمرو بن الحضرميّ والحكم بن كيسان وعثمان والمغيرة ابنا عبد الله، معهم تجارة قدموا بها من الطّائف أُدم وزبيب فلمّا رآهم القوم أشرف لهم واقد بن عبد الله وكان قد حلق رأسه فقالوا: عمّار ليس عليكم منهم بأس وائتمر أصحاب رسول الله وهي آخر يوم من رجب فقالوا: لئن قتلتموهم إنّكم لتقتلونهم في الشّهر الحرام ولئن تركتموهم ليدخلنَّ هذه اللّيلة مكّة فليمنعنَّ منكم، فأجمع القوم على قتلهم فرمى واقد بن عبد الله التّميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأمن عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب المغيرة فأعجزهم واستاقوا العير فقدموا

(١) الصور ـ بالفتح ـ: الجماعة من النخل ولا واحد له من لفظه. والدقعاء: التراب والأرض لا نبات بها. وقوله: «ما أهبنا» أي ما أيقظنا.

بها على رسول الله ﷺ فقال لهم: والله ما أمرتكم بالقتال في الشّهر الحرام وأوقف الأسيرين والعير ولم يأخذ منها شيئاً وأُسقط في أيدي القوم[١] وظنّوا أنّهم قد هلكوا وقالت قريش: استحلَّ محمّدٌ الشّهر الحرام فأنزل الله سبحانه ﴿**يسئلونك عن الشّهر الحرام قتال فيه ـ الآية ـ**﴾ فلمّا نزل ذلك أخذ رسول الله ﷺ المال وفداء الأسيرين وقال المسلمون: نطمع لنا أن يكون غزاة[٢] فأنزل الله فيهم ﴿**إنَّ الّذين آمنوا والّذين هاجروا ـ إلى قوله ـ أولئك يرجون رحمة الله ـ الآية ـ**﴾ وكانت هذه قبل بدر بشهرين.

غزوة بدر الكبرى

ثمّ كانت غزوة بدر الكبرى وذلك أنَّ رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب في أربعين راكباً من قريش تجّاراً قافلين من الشّام فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب ونيّف وأكثر أصحابه مشاة، معهم ثمانون بعيراً وفرس يقال إنّه للمقداد يعتقب النفر على البعير الواحد وكان بين رسول الله وبين مرثد بن أبي مرثد الغنوي بعير وذلك في شهر رمضان. فلمّا خرج من المدينة وبلغ أبا سفيان الخبر أخذ بالعير على السّاحل إلى مكّة يستصرخ بهم فخرج منهم نحو من ألف رجل من سائر بطون قريش ومعهم مائتا فرس يقودونها وخرجوا معهم بالقيان يضربن بالدُّفوف ويتغنّين بهجاء المسلمين ورجع الأخنس بن شريق الثّقفي ببني زهرة من الطّريق وكان حليفاً لهم فبقي منهم نحو من تسعمائة وتسعين رجلاً وفيهم العبّاس وعقيل ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، وخرجوا مكرهين وكانت أشرافهم المطعمون فيهم العبّاس بن عبد المطّلب وعتبة بن ربيعة وطعيمة بن عديّ وأبو البختري بن هشام وأُميّة بن خلف وحكيم بن حزام والنّضر بن الحارث بن كلدة وأبو جهل بن هشام وسهيل بن عمرو.

فلما بلغ النّبيُّ ﷺ إلى بدر وهي بئر منسوبة إلى رجل من غفار يقال له: بدر

(١) أسقط في يديه ـ على بناء المجهول ـ أي ندم.

(٢) قالوا ذلك على سبيل اليأس أي لا نطمع ثواب الغزوة فيما فعلنا بل نرضى ألا يكون لنا وزر فرجاهم سبحانه رحمته بقوله: ﴿**أولئك يرجون رحمة الله**﴾ كما قال البيضاوي: نزلت الآية في السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر (قاله المجلسي في البحار).

وقد علم رسول الله بفوات العير ومجيء قريش شاور أصحابه في لقائهم أو الرُّجوع، فقالوا: الأمر إليك والقَ بنا القوم فلقيهم على بدر لسبع عشرة من رمضان وكان لواء رسول الله يومئذ أبيض مع مصعب بن عمير ورايته مع عليّ عليه السلام وأمدّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة وكثّر الله المسلمين في أعين الكفّار وقلّل المشركين في أعين المؤمنين كيلا يفشلوا وأخذ رسول الله كفّاً من تراب ورماه إليهم وقال: شاهت الوجوه، فلم يبق منهم أحدٌ إلاّ اشتغل بفرك عينيه وقتل الله من المشركين نحو سبعين رجلاً وأُسر نحو سبعين رجلاً منهم العبّاس بن عبد المطّلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فأسلموا وعقبة بن أبي معيط والنّضر بن الحارث قتلهما رسول الله بالصفراء وقال للعبّاس: افد نفسك وابنيْ أخويك عقيلاً ونوفلاً وحليفك عتبة بن عمرو وأخا بني الحارث بن فهر فإنّك ذو مال، فقال: إنّي كنت مسلماً وإنَّ القوم استكرهوني فقال: الله أعلم بإسلامك إن يكن حقّاً فإنَّ الله يجزيك به فأمّا ظاهر أمرك فقد كان علينا، قال: فليس لي مالٌ قال: فأين المال الّذي وضعته عند أُمّ الفضل بمكّة وليس معكما أحدٌ فقلت لها: إن أُصبت في سفري هذا فهذا المال لبنيّ: الفضل وعبد الله وقُثم، فقال: والله يا رسول الله إنّي لأعلم أنّك رسول الله إنّ هذا لشيء ما علمه أحدٌ غيري وغير أُمّ الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم منّي من مال كان معي عشرون أوقيّة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا زال شيء أعطانا الله منك، ففدى بنفسه بمائة أوقيّة وفدى كلّ واحد بأربعين أوقيّة.

وقتل عليٌّ عليه السلام ببدر من المشركين الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان شجاعاً فاتكاً[(١)] والعاص بن سعيد بن العاص بن أُميّة والد سعيد بن العاص، وطعيمة بن عديّ بن نوفل شجره بالرّمح[(٢)] وقال: والله لا يخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً، ونوفل بن خويلد وهو الّذي قرن أبا بكر وطلحة قبل الهجرة بحبل وعذّبهما يوماً إلى اللّيل وهو عمُّ الزُّبير بن العوّام ولمّا أجلت الواقعة قام النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ قال: «الحمد لله الّذي أجاب دعوتي فيه».

وروى جابر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لقد تعجّبت يوم بدر من جرأة

---

(١) الفاتك: الجريء. (الصحاح)

(٢) شجره أي طعنه.

القوم وقد قتلت الوليد بن عتبة إذ أقبل إليَّ حنظلة بن أبي سفيان فلمّا دنى منّي ضربته بالسّيف فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلاً، وقتل من معه وهم زمعة بن الأسود والحارث بن زمعة وعمير بن عثمان بن كعب بن تيم عمُّ طلحة بن عبيد الله وعثمان ومالكاً أخوي طلحة وهم في ستّة وثلاثين رجلاً.

وقتل حمزة بن عبد المطّلب شيبة بن ربيعة بن عبد شمس والأسود بن عبد الأسود المخزوميّ.

وقتل عمرو بن الجموح أبا جهل بن هشام ضربه بالسيف على رجله فقطعها ووقف عليه عبد الله بن مسعود فذبحه بسيفه من قفاه وحمل رأسه إلى رسول الله ﷺ قال عبد الله: وجدته بآخر رمق فعرفته ووضعت رجلي على مذمّره ـ أي عنقه ـ وقلت: هل أخزاك الله يا عدوّ الله؟ قال: رويعي الغنم! لقد ارتقيت مرتقىً صعباً. قال: ثمّ اجتززت رأسه فجئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذا رأس عدوّ الله أبي جهل، فحمد الله.

فقتل عمّار بن ياسر أُميّة بن خلف.

وأمر رسول الله ﷺ أن تلقى القتلى في قليب بدر ثمَّ وقف عليهم وناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم واحداً واحداً، ثمَّ قال: قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً، ثمّ قال: إنّهم ليسمعون كما تسمعون ولكن منعوا من الجواب.

واستشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلاً منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب وذو الشّمالين عمرو بن نضلة حليف بني زهرة ومهجع مولى عمر(١) وعمير بن أبي وقّاص وصفوان بن أبي البيضاء هؤلاء من المهاجرين والباقون من الأنصار.

ولمّا رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من بدر لم يقم بالمدينة إلاّ سبع ليال حتّى غزا بنفسه يريد بني سليم حتّى بلغ ماء من مياههم يقال له: الكدر فأقام عليه

---

(١) مهجع ـ كمنبر ـ مولى عمر بن الخطاب وقد رمي بسهم في ذلك اليوم فقتل وهو أول قتيل من المسلمين.

ثلاث ليال، ثمّ رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقيّة شوّال وذا القعدة وفادى في إقامته جلَّ أُسارى بدر من قريش.

ثمَّ كانت غزوة السّويق وذلك أنَّ أبا سفيان نذر أن لا يمسّ رأسه من جنابة حتّى يغزو محمّداً فخرج في مائة راكب من قريش ليبرّ يمينه[(١)] حتّى إذا كان على بريد من المدينة أتى بني النّضير ليلاً فضرب على حييّ بن أخطب بابه فأبى أن يفتح له فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيّد بني النّضير فاستأذن عليه فأذن له وسارّه ثمَّ خرج في عقب ليلته حتّى أتى أصحابه وبعث رجلاً من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية يقال لها: العريض فوجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له فقتلوهما، ثمّ انصرفوا ونذر بهم النّاس فخرج رسول الله في طلبهم حتّى بلغ قرقرة الكدر[(٢)]، ورجع وقد فاته أبو سفيان ورأوا زاداً من أزواد القوم قد طرحوها يتخفّفون منها للنجاة فقال المسلمون حين رجع رسول الله ﷺ بهم: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة فقال عليه السلام: نعم.

ثم كانت غزوة ذي أمرّ بعد مقامه بالمدينة بقيّة ذي الحجّة والمحرَّم، مرجعه من غزوة السويق وذلك لمّا بلغه أنَّ جمعاً من غطفان قد تجمّعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة عليهم رجل يقال له: دعثور بن الحارث بن محارب فخرج في أربع مائة وخمسين رجلاً ومعهم أفراس وهرب منه الأعراب فوق ذُرى الجبال ونزل ﷺ ذا أمرّ[(٣)] وعسكر به وأصابهم مطر كثير، فذهب رسول الله ﷺ لحاجة فأصابه ذلك المطر فبلَّ ثوبه وقد جعل رسول الله ﷺ وادي أمرّ بينه وبين أصحابه ثمَّ نزع ثيابه فنشرها لتجفَّ وألقاها على شجرة ثمَّ اضطجع تحتها والأعراب

(١) بر فلان في يمينه أي صدق.

(٢) بفتح القافين: أرض ملساء وقال البكري: هي بضم القاف وإسكان الراء وبعدهما مثلهما والمعروف في ضبطها الفتح وهي ناحية بأرض سليم على ثمانية برد من المدينة كذا في حياة الحيوان وفي «المواهب اللدنية» الكدر: طير في ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع، وفي «خلاصة الوفاء» كدر ـ بالضم ـ جمع أكدر يضاف إليه قرقرة الكدر بناحية معدن سليم وراء سد معاوية. (تاريخ الخميس).

(٣) الذرى جمع ذروة ـ بكسر الذال ـ وهو أعلى كل شيء. و«أمر» بفتح الهمزة والميم وشد الراء.

ينظرون إلى كلّ ما يفعل رسول الله فقالت الأعراب لدعثور ـ وكان سيدهم وأشجعهم ـ: قد أمكنك محمّد وقد انفرد من بين أصحابه حيث إن غوّث بأصحابه لم يغث حتّى تقتله. فاختار سيفاً من سيوفهم صارماً ثمَّ أقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رأس رسول الله بالسيف مشهوراً فقال: يا محمّد من يمنعك منّي اليوم؟ قال: الله ودفع جبرئيل في صدره فوقع السيف من يده فأخذه رسول الله وقام على رأسه وقال: من يمنعك منّي قال: لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمّداً رسول الله، والله لا أُكثّر عليك جمعاً أبداً فأعطاه رسول الله سيفه ثمَّ أدبر، ثمَّ أقبل بوجهه ثمّ قال: والله لأنت خير منّي قال رسول الله: أنا أحقُّ بذلك، فأتى قومه فقيل له: أين ما كنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك؟ قال: وقد كان والله ذلك ولكنّي نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت أنّه ملك وشهدت أنّ محمّداً رسول الله والله لا أُكثّر عليه وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية **﴿يا أيّها الّذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم﴾**.

ثم كانت غزوة القردة ماء من مياه نجد[١] بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة بعد رجوعه من بدر إلى المدينة بستّة أشهر فأصابوا عيراً لقريش على القردة فيها أبو سفيان ومعه فضّة كثيرة، وذلك أنَّ قريشاً قد خافت طريقها الّتي كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر فسلكوا طريق العراق واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له: فرات بن حيّان، يدُلّهم على الطريق، فأصاب زيد بن حارثة تلك العير وأعجزته الرّجال هرباً.

وفي رواية الواقدي أنَّ ذلك العير مع صفوان بن أُميّة وأنّهم قدموا بالعير إلى رسول الله ﷺ وأسروا رجلاً أو رجلين وكان فرات بن حيّان أسيراً فأسلم فترك من القتل.

ثم كانت غزوة بني قينقاع[٢] يوم السبت لنصف من شوّال على رأس عشرين

---

(١) قردة ـ كشجرة ـ وقيل: بالفاء وكسر الراء. كذا في تاريخ الخميس.

(٢) قينقاع ـ بفتح القاف وتثليث النون ـ: شعب من اليهود كانوا بالمدينة. (القاموس)

شهراً من الهجرة وذلك أنَّ رسول الله جمعهم وأتى سوق بني قينقاع فقال لليهود: احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من قوارع الله فأسلموا فإنّكم قد عرفتم نعتي وصفتي في كتابكم، فقالوا: يا محمّد لا يغرّنّك أنّك لقيت قومك فأصبت فيهم فإنّا والله لو حاربناك لعلمت أنّا خلافهم فكادت تقع بينهم المشاجرة ونزلت فيهم **﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا ـ إلى قوله ـ أُولي الأبصار﴾**.

وروي أنّ رسول الله ﷺ حاصرهم ستّة أيّام حتّى نزلوا على حكمه، فقام عبد الله بن أُبيّ فقال: يا رسول الله مواليّ وحلفائي وقد منعوني من الأسود والأحمر ثلاثمائة دارع وأربعمائة حاسر تحصدهم في غداة واحدة، إنّي والله لا آمن وأخشى الدّوائر، وكانوا حلفاء الخزرج دون الأوس، فلم يزل يطلب فيهم حتّى وهبهم له، فلمّا رأوا ما نزل بهم من الذلّ خرجوا من المدينة ونزلوا أذرعات[1] ونزلت في عبد الله بن أُبيّ وناس من الخزرج **﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود والنّصارى أولياء ـ إلى قوله ـ في أنفسهم نادمين﴾**.

ثم كانت غزوة أُحد على رأس سنة من بدر ورئيس المشركين يومئذ أبو سفيان بن حرب وكان أصحاب رسول الله يومئذ سبعمائة والمشركون ألفين وخرج رسول الله ﷺ بعد أن استشار أصحابه وكان رأيه عليه السلام أن يقاتل الرّجال على أفواه السكك ويرمي الضعفاء من فوق البيوت فأبوا إلاّ الخروج إليهم، فلمّا صار على الطّريق قالوا: نرجع، قال: ما كان لنبيّ إذا قصد قوماً أن يرجع عنهم، وكانوا ألف رجل، فلمّا كانوا في بعض الطّريق انخذل عنهم عبد الله بن أُبيّ بثلث النّاس وقالوا: والله ما ندري على ما نقتل أنفسنا والقوم قومه، وهمّت بنو حارثة وبنو سلمة بالرُّجوع، ثمَّ عصمهم الله جلَّ وعزَّ وهو قوله: **﴿إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا ـ الآية ـ﴾** وأصبح رسول الله ﷺ متهيّئاً للقتال وجعل على راية المهاجرين عليّاً عليه السلام وعلى راية الأنصار سعد بن عبادة، وقعد رسول الله ﷺ في راية الأنصار، ثمّ مرّ ﷺ على الرّماة وكانوا خمسين رجلاً وعليهم عبد الله بن جبير فوعظهم وذكّرهم وقال: اتّقوا الله واصبروا وإن رأيتمونا يخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتّى أُرسل إليكم، وأقامهم عند رأس الشّعب وكانت الهزيمة على المشركين

(١) الأذرعات ـ بكسر الراء ـ موضع بالشام. (المجمع).

وحسّهم المسلمون بالسّيوف حسّاً[١] فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله: أنسيتم قول رسول الله ﷺ أمّا أنا فلا أبرح موقفي الّذي عهد إليّ فيه رسول الله ما عهد، فتركوا أمره وعصوه بعد ما رأوا ما يحبّون وأقبلوا على الغنائم، فخرج كمين المشركين عليهم خالد بن الوليد فانتهى إلى عبد الله بن جبير فقتله، ثمّ أتى النّاس من أدبارهم ووُضع في المسلمين السّلاح فانهزموا وصاح إبليس ـ لعنه الله ـ: قُتل محمّد، ورسول الله ﷺ يدعوهم في أُخراهم: أيّها النّاس أنا رسول الله وإنّ الله قد وعدني النّصر فإلى أين الفرار؟ فيسمعون الصّوت ولا يلوون على شيء وذهبت صيحة إبليس حتّى دخلت بيوت المدينة فصاحت فاطمة عليها السلام ولم تبق هاشميّة ولا قرشيّة إلاّ وضعت يدها على رأسها وخرجت فاطمة تصرخ.

قال الصّادق عليه السلام: انهزم النّاس عن رسول الله فغضب غضباً شديداً وكان إذا غضب انحدر من وجهه وجبهته مثل اللّؤلؤ من العرق فنظر فإذا عليٌّ عليه السلام إلى جنبه فقال: ما لك لم تلحق ببني أبيك؟ فقال عليٌّ يا رسول الله أكفر بعد الإسلام إنّ لي بك أُسوة، فقال: أمّا لا فاكفني هؤلاء، فحمل عليٌّ عليه السلام فضرب أوّل من لقي منهم، فقال جبرئيل: إنّ هذه لهي المؤاساة يا محمّد، قال: إنّه منّي وأنا منه، قال جبرئيل: وأنا منكما.

وثاب إلى رسول الله جماعة[٢] من أصحابه وأصيب من المسلمين سبعون رجلاً منهم أربعة من المهاجرين: حمزة بن عبد المطّلب وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان بن الشريد والباقون من الأنصار.

قال: وأقبل يومئذ أُبيّ بن خلف وهو على فرس له وهو يقول: هذا ابن أبي كبشة بؤ بذنبك[٣] لا نجوت إن نجوت ورسول الله ﷺ بين الحارث بن الصمّة وسهل بن حنيف يعتمد عليهما، فحمل عليه فوقاه مصعب بن عمير بنفسه فطعن مصعباً فقتله، فأخذ رسول الله ﷺ عنزة كانت في يد سهل بن حنيف ثمّ طعن أُبيّاً

---

(١) قال الفيومي: حسه حساً فهو حسيس مثل قتله قتلاً فهو قتيل وزناً ومعنى.

(٢) ثاب يثوب ثوباً وثوباناً: عاد، والناس: اجتمعوا.

(٣) «بؤ بذنبك» أي اعترف وارجع.

في جربّان الدّرع[١] فاعتنق فرسه فانتهى إلى عسكره وهو يخور خوار الثّور[٢] فقال أبو سفيان: ويلك ما أجزعك إنّما هو خدش ليس بشيء، فقال: ويلك يا ابن حرب أتدري من طعنني إنّما طعنني محمّد وهو قال لي بمكّة: إنّي سأقتلك، فعلمت أنّه قاتلي والله لو أنَّ ما بي كان بجميع أهل الحجاز لقضت عليهم[٣]، فلم يزل يخور الملعون حتّى صار إلى النّار.

وفي كتاب أبان بن عثمان أنّه لمّا انتهت فاطمة وصفيّة إلى رسول الله ﷺ ونظرتا إليه قال ﷺ لعليّ: أمّا عمّتي فاحبسها عنّي وأمّا فاطمة فدعها، فلمّا دنت فاطمة من رسول الله ﷺ ورأته قد شجّ في وجهه وأُدمي فوه إدماء صاحت وجعلت تمسح الدَّم وتقول: اشتدَّ غضب الله على من أدمى وجه رسول الله، وكان يتناول رسول الله ﷺ ما يسيل من الدّم ويرمي به في الهواء فلا يتراجع منه شيء.

قال الصّادق عليه السلام: والله لو نزل منه شيء على الأرض لنزل العذاب.

قال أبان بن عثمان حدَّثني بذلك عنه الصباح بن سيابة قال: قلت: كسرت رباعيّته كما يقوله هؤلاء؟ قال: لا والله ما قبضه الله إلاّ سليماً ولكنّه شجّ في وجهه، قلت: فالغار في أُحد الذي يزعمون أنَّ رسول الله صار إليه؟ قال: والله ما برح مكانه، وقيل له: ألا تدعو عليهم؟ قال: اللّهمَّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون ورمى رسول الله ﷺ ابن قُميئة بقذّافة فأصاب كفّه حتّى ندر السّيف من يده[٤] وقال: خذها منّي وأنا ابن قميئة، فقال رسول الله ﷺ: أذلّك الله وأقمأك[٥] وضربه عتبة بن أبي وقّاص بالسّيف حتّى أدمى فاه، ورماه عبد الله بن شهاب بقلاعة فأصاب مرفقه[٦].

---

(١) الجربان ـ بضم الجيم والراء أو كسرهما وشد الباء الموحدة من تحت ـ من السيف: غمده، ومن القميص: طوقه.

(٢) الخوار ـ بالضم ـ: صوت البقر ويطلق أيضاً على صوت الغنم والظباء والسهام.

(٣) قضى عليه أي قتله والتأنيث باعتبار الضربة أو الجراحة.

(٤) القذافة ـ بكسر القاف ـ: كل ما يرمى به، و ـ بالفتح والتشديد ـ: الذي يرمى به فيبعد وندر السيف من يده أي سقط.

(٥) أقمأ الرجل: أذله وصغره.

(٦) القلاعة ـ بالضم ـ: الحجر أو المدر يقتلع من الأرض فيرمى به.

وليس أحد من هؤلاء مات ميتة سويّة فأمّا ابن قميئة فأتاه تيس وهو نائم بنجد فوضع قرنه في مراقّه فدعسه[١] فجعل ينادي وا ذلاّه حتّى أخرج قرنيه من ترقوته وكان وحشيّ يقول: قال لي جبير بن مطعم وكنت عبداً له: إنَّ عليّاً قتل عمّي يوم بدر ـ يعني طعيمة ـ فإن قتلت محمّداً فأنت حرٌّ وإن قتلت عمَّ محمّد فأنت حرّ وإن قتلت ابن عمّ محمّد فأنت حرٌّ فخرجت بحربة لي مع قريش إلى أُحد أُريد العتق لا أُريد غيره ولا أطمع في محمّد وقلت: لعلّي أُصيب من عليّ أو حمزة غرّة فأزرقه وكنت لا أخطىء في رمي الحراب تعلّمته من الحبشة في أرضها وكان حمزة يحمل حملاته ثمَّ يرجع إلى موقفه.

قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وزرقه[٢] وحشيّ فوق الثّدي فسقط وشدُّوا عليه فقتلوه فأخذ وحشيّ الكبد فشدَّ بها إلى هند بنت عتبة فأخذتها وطرحتها في فيها فصارت مثل الداغصة فلفظتها[٣].

قال: وكان الحليس بن علقمة نظر إلى أبي سفيان وهو على فرس وبيده رمح يجاء به في شدق حمزة[٤] فقال: يا معشر بني كنانة انظروا إلى من يزعم أنّه سيّد قريش ما يصنع بابن عمّه الذي صار لحماً وأبو سفيان يقول: ذقُ عقق فقال أبو سفيان[٥]: صدقت إنّما كانت منّي زلّة اكتمها عليَّ، قال: وقام أبو سفيان فنادى بعض المسلمين أحيٌّ ابن أبي كبشة؟ فأمّا ابن أبي طالب فقد رأيناه مكانه، فقال عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إي والّذي بعثه بالحقّ إنّه ليسمع كلامك، قال: إنّه قد كانت في قتالكم مثلة والله ما أمرت ولا نهيت إنَّ ميعادنا بيننا وبينكم موسم بدر في قابل هذا

---

(١) المراق ـ بتشديد القاف ـ: ما رق من أسفل البطن ولان. والدعس: الطعن.

(٢) زرقه به أي رماه به.

(٣) الداغصة: العظم المدور المتحرك في رأس الركبة، واللحم المكتنز.

(٤) قال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ: قوله «يجاء به» هو من قولهم وجأه بالسكين ـ كوضعه ـ أي ضربه انتهى. وهو خلاف القياس.

(٥) قال الجزري: في الحديث: «أن أبا سفيان مر بحمزة قتيلاً فقال له: ذق عقق» أراد ذق القتل يا عاق قومه كما قتلت يوم بدر من قومك ـ يعني كفار قريش ـ وعقق منقول من عاق للمبالغة ـ كغدر من غادر ـ وفسق من فاسق.

الشّهر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل: نعم، فقال: نعم فقال أبو سفيان لعليّ عليه السلام: إنّ ابن قميئة أخبرني أنّه قتل محمّداً وأنت أصدق عندي وأبرُّ ثمَّ ولّى إلى أصحابه وقال: اتخذوا اللّيل جملاً[١] وانصرفوا.

ثمَّ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام فقال: اتّبعهم فانظر إلى أين يريدون فإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنّهم يريدون المدينة وإن كانوا ركبوا الإبل وساقوا الخيل فهم متوجّهون إلى مكّة.

وقيل: إنّه بعث لذلك سعد بن أبي وقّاص فرجع فقال: فرأيت خيولهم تضرب بأذنابها مجنونة مدبرة ورأيت القوم قد تجمّلوا سائرين[٢] فطابت أنفس المسلمين بذهاب العدوّ فانتشروا يتتبّعون قتلاهم، فلم يجدوا قتيلاً إلاّ وقد مثّلوا به إلاّ حنظلة بن أبي عامر كان أبوه مع المشركين فترك له، ووجدوا حمزة قد شقّ بطنه وجدع أنفه وقطعت أذناه وأُخذ كبده فلمّا انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خنقته العبرة وقال: لأُمثّلنَّ بسبعين من قريش، فأنزل الله سبحانه ﴿**فإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ـ الآية ـ**﴾ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بل أصبر وقال: من ذلك الرّجل الذي تغسّله الملائكة في سُفح الجبل؟ فسألوا امرأته فقالت: إنّه خرج وهو جنب وهو حنظلة بن أبي عامر الغسيل.

قال أبان: وحدَّثني أبو بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذكر لرسول الله رجلٌ من أصحابه يقال له: قزمان[٣] بحسن معونته لإخوانه وذكره فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّه من أهل النار فأُتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل: إنَّ قزمان استشهد فقال: يفعل الله ما يشاء ثمَّ أُتي فقيل: إنّه قتل نفسه فقال: أشهد أنّي رسول الله، قال: وكان قزمان قاتل قتالاً شديداً وقتل من المشركين ستّة أو سبعة فأثبتته الجراح فاحتمل إلى دور بني ظفر فقال

---

(١) إذا سرى الرجل ليلته جمعاء أو أحياها للصلاة أو غيرها من العبادات يقال له: اتخذ الليل جملاً كأنه ركبه ولم ينم فيه. (النهاية).

(٢) تجملوا أي ركبوا الجمل.

(٣) قزمان ـ بالضم ـ ابن الحارث العبسي، المنافق الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». (القاموس)

له المسلمون: أبشر يا قزمان فقد أبليت[١] اليوم، فقال: بم تبشّروني فوالله ما قاتلت إلاّ عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت فلمّا اشتدَّت عليه الجراحة جاء إلى كنانته فأخذ منها مشقصاً[٢] فقتل به نفسه.

قال: وكانت امرأة من بني النجّار قتل أبوها وزوجها وأخوها مع رسول الله ﷺ فدنت من رسول الله والمسلمون قيام على رأسه فقالت لرجل: أحيٌّ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالت: أستطيع أن أنظر إليه؟ قال: نعم، فأوسعوا لها فدنت منه وقالت: كلُّ مصيبة جلل[٣] بعدك ثمَّ انصرفت، قال: وانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة حين دفن القتلى فمرَّ بدور بني الأشهل وبني ظفر فسمع بكاء النّوائح على قتلاهنَّ فترقرقت عينا رسول الله ﷺ وبكى ثمَّ قال: لكنَّ حمزة لا بواكي له اليوم فلمّا سمعها سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير قالوا: لا تبكينَّ امرأة حميمها حتّى تأتي فاطمة فتسعدها فلمّا سمع رسول الله ﷺ الواعية على حمزة عند فاطمة على باب المسجد قال: ارجعن رحمكنَّ الله فقد آسيتنَّ بأنفسكنَّ.

ثم كانت غزوة حمراء الأسد[٤] قال أبان بن عثمان: لمّا كان من الغد من يوم أُحد نادى رسول الله ﷺ في المسلمين فأجابوه فخرجوا على علّتهم وعلى ما أصابهم من القرح وقدم عليّاً بين يديه براية المهاجرين حتّى انتهى إلى حمراء الأسد ثمَّ رجع إلى المدينة وهم الّذين استجابوا لله ورسوله من بعد ما أصابهم القرح. وخرج أبو سفيان حتّى انتهى إلى الروحاء فأقام بها وهو يهمُّ بالرجعة على رسول الله ﷺ ويقول: قد قتلنا صناديد القوم فلو رجعنا استأصلناهم، فلقي معبد الخزاعيّ فقال: ما وراءك يا معبد؟ قال: قد والله تركت محمّداً وأصحابه وهم يحرقون عليكم، وهذا عليُّ بن أبي طالب قد أقبل على مقدَّمته في النّاس وقد اجتمع عليه من كان تخلّف عنه، وقد دعاني ذلك إلى أن قلت شعراً، قال أبو سفيان: وماذا قلت؟ قال: قلت:

---

(١) الإبلاء: الإنعام والإحسان.

(٢) المشقص ـ بكسر الميم ـ: سهم فيه نصل عريض. (المصباح)

(٣) الجلل ـ بالتحريك ـ: الأمر العظيم والهين وهو من الأضداد والمراد هنا الثاني أي كل مصيبة هينة سهلة بعد سلامتك وبقائك.

(٤) قال في القاموس: حمراء الأسد موضع على ثمانية أميال من المدينة.

كـادت تهـدّ مـن الأصـوات راحلتـي إذ سـالـت الأرض بـالجـرد الأبـابيـل
تــردي بــأُســد كــرام لا تنـابلـة عنــد اللّقــاء ولا خــرق معــازيــل

ـ الأبيات ـ

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه، ثمَّ مرَّ به مركب من عبد القيس يريدون الميرة من المدينة، فقال لهم: أبلغوا محمّداً أنّي قد أردت الرَّجعة إلى أصحابه لأستأصلهم وأوقر لكم ركابكم زبيباً إذا وافيتم عكاظ، فأبلغوا ذلك إليه وهو بحمراء الأسد. فقال والمسلمون معه: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة يوم الجمعة، قال: ولمّا غزا رسول الله ﷺ حمراء الأسد وثبت فاسقة من بني خطمة يقال لها: العصماء أُمُّ المنذر بن المنذر تمشي في مجالس الأوس والخزرج وتقول شعراً تحرض على النّبيّ وليس في بني خطمة يومئذ مسلم إلاّ واحدٌ يقال له: عمير بن عديّ، فلمّا رجع رسول الله ﷺ غدا عليها عمير فقتلها، ثمَّ أتى رسول الله ﷺ فقال: إنّي قتلت أُمَّ المنذر لما قالته من هجو، فضرب رسول الله ﷺ كتفيه وقال: هذا رجل نصر الله ورسوله بالغيب أما إنّه لا ينتطح فيها[1] عنزان، قال عمير بن عديّ: فأصبحت فمررت ببيتها وهم يدفنونها فلم يعرض إليّ أحد منهم ولم يكلّمني.

ثمَّ كانت غزوة الرَّجيع بعث رسول الله مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة، وخالد بن بكير، وعاصم بن ثابت بن الأفلج، وخبيب بن عدي، وزيد بن دثنة[2]، وعبد الله بن طارق، وأمير القوم مرثد لمّا قدم عليه رهطٌ من عضل والدّيش وقالوا: ابعث معنا نفراً من قومك يعلّموننا القرآن ويفقّهوننا في الدّين فخرجوا مع القوم إلى بطن الرّجيع وهو ماء لهذيل فقتلهم حيٌّ من هذيل يقال لهم: بنو لحيان وأُصيبوا جميعاً.

(١) لا ينتطح فيها عنزان أي يذهب هدراً لا ينازع في دمها رجلان ضعيفان أيضاً لأن النطاح من شأن التيوس والكباش.

(٢) مرثد ـ كمسكن ـ. وخبيب ـ كزبير ـ. والدثنة ـ ككلمة ـ.

وذكر أبان أنَّ هذيلاً حين قتلت عاصم بن ثابت أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وقد كانت نذرت حين أُصيب ابناها بأُحد لئن قدرت على رأسه لتشربنَّ في قحفه الخمر فمنعتهم الدّبر[١]، فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتّى نمسي فتذهب عنه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به وقد كان عاصم أعطى الله عهداً أن لا يمسَّ مشركاً ولا يمسّه مشرك أبداً في حياته فمنعه الله بعد وفاته ممّا امتنع منه في حياته.

ثمَّ كانت غزوة معونة على رأس أربعة أشهر من أُحد وذلك أنَّ أبا براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنّة قدم على رسول الله بالمدينة فعرض عليه الإسلام فأسلم وقال: يا محمّد إن بعثت رجالاً إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال: أخشى عليهم أهل نجد، فقال أبو براء: أنا لهم جار فبعث رسول الله المنذر بن عمرو في بضعة وعشرين رجلاً وقيل: في أربعين رجلاً وقيل: في سبعين رجلاً من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمّة وحرام بن ملحان وعامر بن فهيرة[٢] فساروا حتّى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرَّة من بني سليم، فلمّا نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطّفيل، فلمّا أتاه لم ينظر [عامر] في كتابه حتّى عدا على الرَّجل فقتله فقال: الله أكبر فزت وربّ الكعبة، ثمَّ دعا بني عامر إلى قتالهم فأبوا أن يجيبوه وقالوا: لا نخفر أبا براء[٣] فاستصرخ قبائل من بني سليم عصيّة ورعلاً وذكوان[٤] وهم الّذين قنت عليهم النبيّ ولعنهم فأجابوه وأحاطوا بالقوم في رحالهم فلمّا رأوهم أخذوا أسيافهم وقاتلوا القوم حتّى قتلوا عن آخرهم وكان في سرح القوم[٥] عمرو بن أُميّة الضّمري ورجل من الأنصار فلم يكن بينهما بمصاب القوم إلاّ الطّير تحوم على العسكر، فقالا: والله إنّ لهذا الطّير

---

(١) القحف ـ بكسر القاف وسكون الحاء ـ: العظم الذي فوق الدماغ. أو ما انفلق من الجمجمة فانفصل. والدبر ـ بالفتح ـ: جماعة النحل.

(٢) في المجمع عامر بن فهيرة هو مولى أبي بكر.

(٣) الخفر ـ نقض العهد.

(٤) عصية ـ كسمية ـ ورعل ـ كطفل ـ وذكوان ـ كسبحان ـ بطون من بني سليم. وقوله: «قنت» كذا أي دعا ولعله تصحيف والصواب «قمت».

(٥) «في سرح القوم» أي عند دوابهم حيث ذهبت للرعي.

لشأناً فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم، فقال الأنصاري لعمرو: ما ترى قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكنّي لم أكن لأرغب بنفسي عن موطن فيه المنذر بن عمرو قتل فقاتل القوم حتّى قتل ورجع عمرو إلى المدينة فأخبر رسول الله ﷺ فقال: هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارهاً، فبلغ ذلك أبا براء فشقَّ عليه إخفار عامر إيّاه وما أصاب من أصحاب رسول الله ﷺ ونزل عليه الموت فحمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطّفيل وطعنه وهو في نادي قومه فأخطأه مقاتله فأصاب فخذه فقال عامر: هذا عمل عمّي أبي براء إن متُّ فدمي لعمّي لا تطلبوه به وإن أعش فسأرى رأيي فيه.

ثمّ كانت غزوة بني النّضير وذلك أنَّ رسول الله ﷺ مشى إلى كعب بن الأشرف يستقرضه فقال: مرحباً بك يا أبا القاسم وأهلاً فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه فقام كأنّه يصنع لهم طعاماً وحدَّث نفسه أن يقتل رسول الله ﷺ فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبره بما همَّ به القوم من الغدر، فقام كأنّه يقضي حاجة وعرف أنّهم لا يقتلون أصحابه وهو حيٌّ فأخذ الطّريق نحو المدينة فاستقبله بعض أصحاب كعب الذين كان أرسل إليهم يستعين بهم على رسول الله فأخبر كعباً بذلك فسار المسلمون راجعين، فقال عبد الله بن صوريا وكان أعلم اليهود: والله إنَّ ربّه أطلعه على ما أردتموه من الغدر ولا يأتيكم والله أوّل ما يأتيكم إلاّ رسول محمّد يأمركم عنه بالجلاء فأطيعوني في خصلتين لا خير في الثّالثة أن تسلموا فتأمنوا على دياركم وأموالكم وإلاّ فإنّه يأتيكم من يقول لكم اخرجوا من دياركم، فقالوا: هذه أحبُّ إلينا، قال: أمّا إنَّ الأُولى خيرٌ لكم منها ولولا أنّي أفضحكم لأسلمت ثمَّ بعث محمّد بن مسلمة إليهم يأمرهم بالرَّحيل والجلاء عن ديارهم وأموالهم وأمره أن يؤجّلهم في الجلاء ثلاث ليال[1].

---

(١) نقل العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ عن الكازروني أنه كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول وكانت منازلهم بناحية الفرع وما والاها بقرية يقال لها: زهرة وأنهم لما نقضوا العهد وعاقدوا المشركين على حرب النبي ﷺ خرج عليه السلام يوم السبت وصلى في مسجد قبا ومعه نفر من أصحابه، ثم أتى بني النضير فكلمهم أن يعينوه في دية رجلين كان قد آمنهما فقتلهما عمرو بن أمية وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل وهموا بالغدر به فقال عمرو بن جحاش أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم فجاء=

ثمّ كانت غزوة بني لحيان وهي الغزوة الّتي صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان حين أتاه الخبر من السّماء بما همَّ به المشركون. وقيل: إنَّ هذه الغزوة كانت بعد غزوة بني قريظة.

ثمَّ كانت غزوة ذات الرّقاع بعد غزوة بني النّضير بشهرين قال البخاريُّ: إنّها كانت بعد خيبر لقي بها جمعاً من غطفان ولم يكن بينهما حرب وقد خاف النّاس بعضهم بعضاً حتّى صلّى رسول الله صلاة الخوف ثمَّ انصرف بالنّاس، وقيل: إنّما سميت ذات الرّقاع لأنّه جبل فيه يقع حمرة وسود وبيضاء فسمّي ذات الرّقاع، وقيل: إنّما سمّيت بذلك لأنَّ أقدامهم نقبت فيها، فكانوا يلقون على أرجلهم الخرق، وكان على شفير واد نزل أصحابه على عذوة الأُخرى من الوادي فهم كذلك إذ أقبل سيل، فحال بينه وبين أصحابه، فرآه رجل من المشركين يقال له: غورث فقال لقومه: أنا أقتل لكم محمداً، فأخذ سيفه ونحا نحوه وقال: من ينجيك منّي يا محمّد؟ قال: ويلك ينجيني ربّي، فسقط على صدره، فأخذ رسول الله ﷺ سيفه وجلس على صدره ثمَّ قال: من ينجيك منّي يا غورث؟ قال: جودك وكرمك يا محمّد فتركه، فقام وهو يقول: والله أنت أكرم منّي وخير.

ثم كانت غزوة بدر الأخيرة في شعبان. خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لميعاد أبي سفيان فأقام عليها ثماني ليال وخرج أبو سفيان في أهل تهامة فلمّا نزل الظهيران بدا له في الرّجوع وأوقف رسول الله ﷺ وأصحابه السوق فاشتروا وباعوا وأصابوا بها ربحاً حسناً.

ثم كانت غزوة الخندق وهي الأحزاب في شوّال من سنة أربع من الهجرة أقبل حيي بن أخطب وكنانة بن الرّبيع وسلاّم بن أبي الحقيق وجماعة من اليهود بقريش وكنانة وغطفان، وذلك أنّهم قدموا مكّة فصاروا إلى أبي سفيان وغيره من قريش، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا لهم: أيدينا مع أيديكم ونحن معكم حتّى

= جبرئيل فأخبره ﷺ فخرج راجعاً إلى المدينة ثم دعا علياً وقال: لا تبرح من مكانك فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عني فقل: توجه إلى المدينة، ففعل ذلك ثم لحقوا به فبعث النبي ﷺ محمد بن مسلمة إليهم وأمرهم بالجلاء الخ.

نستأصلهم، فخرجوا إلى غطفان ودعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم باتّباع قريش، فاجتمعوا معهم وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن في بني فزارة والحارث بن عوف في بني مرَّة ومسعر بن زحيلة بن نويرة بن طريف في قومه من أشجع وهم الأحزاب وسمع بهم رسول الله ﷺ فخرج إليهم وذلك بعد أن شاور سلمان الفارسيّ أن يصنع خندقاً وظهر في ذلك من آية النبوَّة أشياء:

منها ما رواه جابر بن عبد الله قال: اشتدّ عليهم في حفر الخندق كدية فشكوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ثمَّ دعا بما شاء الله أن يدعو، ثمَّ نضح الماء على تلك الكدية[١] فقال من حضرها: فوالله الذي بعثه بالحقّ لانثالت حتّى عادت كالكندر[٢] ما تردُّ فأساً ولا مسحاة.

ومنها ما رواه جابر من إطعام الخلق الكثير من الطعام القليل وقد ذكرناه فيما قبل.

ومنها ما رواه سلمان الفارسيّ رضي الله عنه قال: ضربت في ناحية من الخندق فعطف عليَّ رسول الله وهو قريب منّي، فلمّا رآني أضرب ورأى شدَّة المكان عليَّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة فلمعت تحت المعول برقة، ثمَّ ضرب ضربة أُخرى فلمعت تحت المعول برقة أُخرى، ثمَّ ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي ما هذا الّذي رأيت؟ فقال: أمّا الأولى فإنَّ الله فتح عليّ بها اليمن وأمّا الثانية فإنَّ الله فتح بها عليَّ الشام والمغرب، وأمّا الثالثة فإنَّ الله فتح بها عليَّ المشرق.

وأقبلت الأحزاب إلى النبيّ ﷺ فهال المسلمون أمرهم فنزلوا ناحية من الخندق وأقاموا بمكانهم بضعاً وعشرين ليلة، لم يكن بينهم حرب إلاّ الرّمي بالنبل والحصى، ثمَّ انتدب فوارس من قريش البراز منهم عمرو بن عبدودّ وعكرمة بن أبي

(١) الكدية بالضم قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس، والفأس هو الذي يشق به الحطب وغيره.

(٢) كذا وفي الخصائص للسيوطي وغيره «كالكثيب».

جهل وهبيرة بن وهب بن وهب وضرار بن الخطّاب وتهيّئوا للقتال وأقبلوا على خيولهم حتّى وقفوا على الخندق فلمّا تأمّلوه قالوا: والله إنَّ هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثمَّ تيمّموا مكاناً من الخندق فيه ضيق فضربوا خيولهم فاقتحمته فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسليع[١] وخرج عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه حتّى أخذوا عليهم الثّغرة[٢] الّتي اقتحموها، فتقدّم عمرو بن عبدودّ وطلب البراز، فبرز إليه عليٌّ عليه السلام فقتله. ـ وسنذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله ـ فلمّا رأوا عكرمة وهبيرة عمراً صريعاً ولّوا منهزمين وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام الأبيات التي فيها:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت ربَّ محمّد بصوابي
فضربته وتركته متجدّلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي[٣]
وعففت عن أثوابه ولو أنّني ... كنت المقطّر بزّني أثوابي
لا تحسبنّ الله خاذل دينه ... ونبيّه يا معشر الأحزاب

ورمى ابن العرقة بسهم فأصاب الأكحل من سعد بن معاذ وقال: خذها منّي وأنا ابن العرقة، قال: عرّق الله وجهك في النّار، وقال: اللّهمَّ إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فأبقني بحربهم فإنّه لا قوم أحبُّ إليَّ أن أُقاتلهم من قوم كذّبوا رسولك وأخرجوه من حرمك، اللّهمَّ وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتّى تقرّ عيني من بني قريظة فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبات على الأرض.

قال أبان بن عثمان: حدَّثني من سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التلّ الذي عليه مسجد الفتح في ليلة ظلماء ذات قرّة قال: من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنّة؟ فلم يقم أحدٌ ثمَّ عاد ثانية وثالثة فلم يقم أحدٌ وقام

---

(١) السبخة من الأرض ما يعلوه الملوحة ولا ينبت إلا ببعض الأشياء. وسليع اسم جبل بالمدينة وفي تاريخ الطبري وسيرة ابن هشام «سلع».

(٢) الثغرة هي الموضع الذي يمر منه العدو، والناحية من الأرض.

(٣) «متجدلاً» أي لاصقاً بالأرض والدكادك جمع دكدك وهو الرمل اللين والروابي جمع رابية.

حذيفة وقال: انطلق حتّى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم، فذهب فقال: اللّهمّ احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتّى تردّه إليّ وقال: لا تحدث شيئاً حتّى تأتينا، ولمّا توجّه حذيفة قام رسول الله ﷺ يصلّي ثمّ نادى بأشجى صوت «يا صريخ المكروبين يا مجيب دعوة المضطرّين اكشف همّي وكربي فقد ترى حالي وحال من معي» فنزل جبرئيل فقال: يا رسول الله إنّ الله عزّ وجلّ سمع مقالتك واستجاب دعوتك وكفاك هول من تحزّب عليك وناواك، فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه وبسط يديه وأرسل بالدّمع عينيه، ثمّ نادى «شكراً شكراً كما آويتني وآويت من معي» ثمّ قال جبرئيل: يا رسول الله قد نصرك الله وبعث عليهم ريحاً من سماء الدُّنيا فيها الحصى وريحاً من السّماء الرّابعة فيها الجنادل، قال حذيفة: فخرجت فإذا أنا بنيران القوم قد طفئت وأخمدت وأقبل جند الله الأوّل ريح شديد فيها الحصى فما ترك لهم ناراً إلاّ أخمدها ولا خباء إلاّ طرحه ولا رمحاً إلاّ ألقاه حتّى جعلوا يتترّسون من الحصى وكنت أسمع وقع الحصا في التّرسة، وأقبل جند الله الأعظم، فقام أبو سفيان إلى راحلته ثمّ صاح في قريش النجاء النجاء، ثمّ فعل عيينة بن حصن مثلها وفعل الحارث بن عوف مثلها وذهب الأحزاب ورجع حذيفة إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فأنزل الله على رسوله ﴿**اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها**﴾ إلى ما شاء الله من السّورة، وأصبح رسول الله بالمسلمين حتّى دخل المدينة فضربت فاطمة ابنته غسولاً فهي تغسل رأسه، إذ أتاه جبرئيل على بغلة معتجراً بعمامة بيضاء، عليه قطيفة من استبرق معلّق عليها الدُّر والياقوت، عليه الغبار. فقام رسول الله ﷺ فمسح الغبار عن وجهه فقال جبرئيل: رحمك ربّك وضعت السّلاح، ولم يضعه أهل السماء ما زلت أتبعهم حتّى بلغت الرّوحاء، ثمّ قال جبرئيل: انهض إلى إخوانهم من أهل الكتاب فوالله لأدقّنّهم دقّ البيضة على الصّخرة، فدعا رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام فقال: قدّم راية المهاجرين إلى بني قريظة وقال: عزمت عليكم أن لا تصلّوا العصر إلاّ في بني قريظة، فقام عليٌّ عليه السلام ومعه المهاجرون وبنو عبد الأشهل وبنو النّجار كلّها لم يتخلّف عنه منهم أحد وجعل النبيُّ ﷺ يسرّب إليه الرّجال فما صلّى بعضهم العصر إلاّ بعد العشاء فأشرفوا عليه وسبّوه وقالوا: فعل الله بك وبابن عمّك، وهو واقف لا يجيبهم، فلمّا أقبل رسول الله ﷺ والمسلمون حوله تلقّاه أمير المؤمنين وقال: لا تأتهم يا

رسول الله جعلني الله فداك فإنَّ الله سيجزيهم فعرف رسول الله أنّهم قد شتموه، فقال: أما إنّهم لو رأوني ما قالوا شيئاً ممّا سمعت وأقبل ثمَّ قال: يا إخوة القردة إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، يا عباد الطّاغوت اخسؤوا أخساكم الله فصاحوا يميناً وشمالاً: يا أبا القاسم ما كنت فحّاشاً فما بدا لك؟.

قال الصادق عليه السلام: فسقطت العنزة من يده وسقط رداؤه من خلفه وجعل يمشي إلى ورائه حياء ممّا قال لهم، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمساً وعشرين ليلة حتّى نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بقتل الرّجال وسبي الذّراريّ والنّساء وقسمة الأموال وأن يجعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة(١) فلمّا جيء بالأُسارى حبسوا في دار وأمر بعشرة فأُخرجوا فضرب أمير المؤمنين أعناقهم، ثم أمر بعشرة فأُخرجوا فضرب الزُّبير أعناقهم وقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا قتل الرّجل والرّجلين، قال: ثمّ انفجرت رمية سعد والدّم ينفح حتّى قضى ونزع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رداءه فمشى في جنازته بغير رداء وبعث عبد الله بن عتيك إلى خيبر فقتل أبا رافع بن أبي الحقيق.

ثمّ كانت غزوة بني المصطلق من خزاعة ورأسهم الحارث بن أبي ضرار وقد تهيّئوا للمسير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي غزوة المريسيع(٢) وهو ماء وكانت في شعبان سنة خمس وقيل في شعبان سنة ستّ والله أعلم.

قالت جويرية بنت الحارث زوجة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم: أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن على المريسيع فأسمع أبي وهو يقول: أتانا ما لا قبل لنا به، قالت: وكنت أرى من النّاس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة، فلمّا أن أسلمت وتزوَّجني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجعنا جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى، فعرفت

---

(١) قال الجزري قوله: «سبعة أرقعة» يعني سبع سماوات وكل سماء يقال لها: رقيع. وقيل: الرقيع اسم سماء الدنيا وأعطى كل سماء اسمها.

(٢) مريسيع ـ بالضم ثم الفتح وياء ساكنة وسين مهملة مكسورة وياء أُخرى وآخره عين مهملة ورواه بعضهم بالغين المعجمة ـ: ماء من ناحية قديد إلى الساحل به غزوة النبي عليه السلام إلى بني المصطلق من خزاعة. (المراصد)

أنّه رعبٌ من الله عزَّ وجلَّ يلقيه في قلوب المشركين قالت: ورأيت قبل قدوم النبيّ بثلاث ليال كأنّ القمر يسير من يثرب حتّى وقع في حجري فكرهت أن أخبر بها أحداً من النّاس فلمّا سبينا رجوت الرُّؤيا، فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوَّجني.

فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد فما أفلت منهم إنسان وقتل عشرة منهم وأُسر سائرهم وكان شعار المسلمين يومئذ «يا منصور أمت». وسبى رسول الله ﷺ الرّجال والنساء والذّراري والنّعم والشياه، فلمّا بلغ النّاس أنَّ رسول الله تزوّج جويرية بنت الحارث قالوا: أصهار رسول الله فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها.

وفي هذه الغزوة قال عبد الله بن أُبيّ: ﴿**لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ـ الآية ـ**﴾[1] **وأُنزلت الآيات وفيها كانت قصّة إفك عائشة.**

وبعث رسول الله ﷺ في سنة ستّ في شهر ربيع الأوَّل عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى الغمرة وبكّر القوم فهربوا وأصاب مائتي بعير لهم فساقها في المدينة.

وفيها بعث أبا عبيدة بن الجرَّاح إلى القصّة[2] في أربعين رجلاً فأغار عليهم وأعجزهم هرباً في الجبال وأصابوا رجلاً واحداً فأسلم.

وفيها كانت سريّة زيد بن حارثة إلى الجموم[3] من أرض بني سليم فأصابوا نعماً وشاء وأسراء.

وفيها كانت سريّة زيد بن حارثة إلى العيص في جمادى الأول.

وفيها كانت سريّة زيد بن حارثة إلى الطرَف إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فهربوا وأصاب منهم عشرين بعيراً.

وفيها كانت غزوة عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى بني عبد الله بن سعد من أهل

---

(١) المنافقون: ٨.

(٢) كذا وهكذا أيضاً في المناقب وفي تاريخ الطبري ج٢ ص٢٨٦ «إلى ذي القصة».

(٣) الجموم ـ بفتح أوله وضم ثانيه ـ أرض لبني سليم (المراصد).

فدك وذلكُ أنّه بلغ رسول الله ﷺ أنَّ لهم جمعاً يريدون أن يمدُّوا يهود خيبر.

وفيها سريّة عبد الرّحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان وقال له رسول الله ﷺ: إن أطاعوا فتزوّج ابنة ملكهم فأسلم القوم وتزوّج عبد الرّحمن تماضر بنت الأصبغ وكان أبوها رأسهم وملكهم.

وفيها بعث رسول الله ﷺ ـ في قول الواقدي ـ إلى العرنيين الّذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الإبل عشرين فارساً فأُتي بهم فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم(١) وتركوا بالحرّة حتّى ماتوا.

عن جابر بن عبد الله أنَّ رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال: اللّهمَّ أعم عليهم الطّريق، قال: فعمي عليهم الطّريق.

وفيها أُخذت أموال أبي العاص بن الرَّبيع وقد خرج تاجراً إلى الشّام ومعه بضائع لقريش فلقيته سريّة لرسول الله ﷺ واستاقوا عيره وأفلت وقدموا بذلك على رسول الله ﷺ فقسّمه بينهم وأتى أبو العاص فاستجار بزينب بنت رسول الله ﷺ وسألها أن تطلب من رسول الله ﷺ ردَّ ماله عليه وما كان معه من أموال النّاس فدعا رسول الله ﷺ السريّة قال: إنَّ هذا الرّجل منّا بحيث قد علمتم فإن رأيتم أن تردّوا عليه فافعلوا، فردُّوا عليه ما أصابوا، ثمَّ خرج وقدم مكّة وردَّ على النّاس بضائعهم ثمَّ قال: أما والله ما منعني أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلاّ توقّياً أن تظنّوا أنّي أسلمت لأذهب بأموالكم وإنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً عبده ورسوله.

وفيها كانت غزوة الحديبية في ذي القعدة خرج ﷺ في ناس كثير من أصحابه يريد العمرة وساق معه سبعين بدنة وبلغ ذلك المشركين من قريش، فبعثوا خيلاً ليصدُّوه عن المسجد الحرام وكان يرى أنّهم لا يقاتلونه لأنّه خرج في الشهر الحرام وكان من أمر سهيل بن عمرو وأبي جندل ابنه وما فعله رسول الله ﷺ ما

(١) في النهاية: «في حديث العرنيين» سمل أعينهم أي فقأها بحديدة محماة أو غيرها. وقيل: هو فقؤها بالشوك. وإنما فعل ذلك لأنهم فعلوا بالرعاة مثله وقتلوهم فجازاهم على صنيعهم بمثله.

شكّ به من زعم أنّه ما شكّ إلاّ يومئذ في الدّين وأتى بريد بن ورقاء إلى قريش فقال لهم: يا معشر قريش خفّضوا عليكم(١) فإنّه لم يأت يريد قتالكم وإنّما يريد زيارة بيت الله الحرام، فقالوا: والله ما نسمع منك ولا تحدّث العرب أنّه دخلها عنوة(٢) ولا نقبل منه إلاّ أن يرجع عنّا ثمَّ بعثوا إليه بكر بن حفص وخالد بن الوليد وصدُّوا الهدي وبعث عثمان بن عفّان إلى أهل مكّة يستأذنهم أن يدخل مكّة معتمراً، فأبوا أن يتركوه واحتبس، فظنَّ رسول الله ﷺ أنّهم قتلوه فقال لأصحابه: أتبايعوني على الموت؟ فبايعوه تحت الشّجرة على أن لا يفرُّوا منه أبداً، ثمَّ إنّهم بعثوا سهيل بن عمرو فقال: يا أبا القاسم إنّ مكّة حرمنا وعزّنا وقد تسامعت العرب بك أنّك قد غزوتنا ومتى ما تدخل علينا مكّة عنوة تطمع فينا فنتخطّف(٣) وإنّا نذكّرك الرّحم، فإنَّ مكّة بيضتك الّتي تفلّقت من رأسك، قال: فما تريد؟ قال: أُريد أن أكتب بيني وبينك هدنة على أن أُخلّيها لك في قابل فتدخلها ولا تدخلها بخوف ولا فزع ولا سلاح إلاّ سلاح الراكب السيف في القراب والقوس، فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فأخذ أديماً أحمر فوضعه على فخذه ثمَّ كتب بسم الله الرحمن الرحيم [فقال سهيل بن عمرو: هذا كتاب بيننا وبينك يا محمّد فافتحه بما نعرفه واكتب باسمك اللّهمَّ، فقال ﷺ:] واكتب باسمك اللّهمَّ [وامح ما كتبت. فقال عليه السلام: لولا طاعتك يا رسول الله لما محوت، فقال النبيُّ ﷺ: اكتب هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو أجبتك في الكتاب إلى هذا لأقررت لك بالنبوّة فامح هذا الاسم واكتب محمّد بن عبد الله: فقال له علي عليه السلام: إنّه والله لرسول الله على رغم أنفك فقال النبيُّ ﷺ: امحها يا عليُّ، فقال له: يا رسول الله إنَّ يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوّة: قال: فضع يدي عليها، فمحاها رسول الله ﷺ بيده وقال لعليّ عليه السلام: ستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض، ثمَّ كتب باسمك اللّهمَّ] هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب ومن معه من المسلمين سهيل بن عمرو ومن معه من أهل مكّة على أنّ الحرب مكفوفة فلا إغلال

---

(١) قال في النهاية في حديث الإفك ورسول الله ﷺ يخفضهم أي يسكنهم ويهون عليهم الأمر من الخفض: الدعة والسكون.

(٢) عنوة أي قهراً أو غلبة.

(٣) تخطف الشيء أي استلبه انتزعه واجتذبه.

ولا إسلال ولا قتال، وعلى أن لا يستكره أحد على دينه وعلى أن يعبد الله بمكّة علانية، وعلى أنَّ محمّداً ينحر الهدي مكانه وعلى أن يخلّيها له في قابل ثلاثة أيّام فيدخلها بسلاح الراكب وتخرج قريش كلّها من مكّة إلاّ رجل واحد من قريش يخلفونه مع محمّد وأصحابه، ومن لحق محمّداً وأصحابه من قريش فإنَّ محمّداً يردّه إليهم ومن رجع من أصحاب محمّد إلى قريش بمكّة فإنَّ قريشاً لا تردّه إلى محمّد وقال رسول الله ﷺ: إذا سمع كلامي ثمَّ جاءكم فلا حاجة لي فيه، وأنَّ قريشاً لا تعين على محمّد وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح إلى آخره. فجاء أبو جندل إلى النبيّ ﷺ حتّى جلس إلى جنبه فقال أبوه سهيل: ردّه عليَّ فقال المسلمون: لا نردّه فقام ﷺ وأخذ بيده فقال: «اللّهمَّ إن كنت تعلم أنَّ أبا جندل لصادقٌ فاجعل له فرجاً ومخرجاً» ثمَّ أقبل على الناس وقال: إنّه ليس عليه بأس إنّما يرجع إلى أبيه وأُمّه وإنّي أُريد أن أُتمّ لقريش شرطها ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأنزل الله في الطريق سورة الفتح ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾.

قال الصادق عليه السلام: فما انقضت تلك المدّة حتّى كاد الإسلام يستولي على أهل مكّة ولمّا رجع رسول الله إلى المدينة انفلت أبو بصير بن أُسيد بن جارية الثقفيّ من المشركين وبعث الأخنس بن شريق في أثره رجلين فقتل أحدهما وأتى رسول الله ﷺ مسلماً مهاجراً فقال: مسعر حرب لو كان معه واحد، ثمَّ قال: شأنك بسلب صاحبك واذهب حيث شئت فخرج أبو بصير ومعه خمسة نفر كانوا قدموا معه مسلمين حتّى كانوا بين العيص وذي المروة من أرض جهينة على طريق عيرات قريش مما يلي سيف البحر وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو في سبعين رجلاً راكباً أسلموا فلحق بأبي بصير واجتمع إليهم ناس من غِفار وأسلم وجهينة حتّى بلغوا ثلاثمائة مقاتل وهم مسلمون لا تمرُّ بهم عير لقريش إلاّ أخذوها وقتلوا أصحابها فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله يسألونه ويتضرّعون إليه أن يبعث إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهم فيقدموا عليه وقالوا: من خرج منّا إليك فأمسكه غير حرج أنت فيه فعلم الّذين كانوا أشاروا على رسول الله أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القصّة أنَّ إطاعة رسول الله خير لهم فيما أحبّوا وفيما كرهوا وكان أبو بصير وأبو جندل وأصحابهما هم الّذين مرَّ بهم أبو العاص بن الربيع من الشام في نفر من قريش فأسروهم وأخذوا أموالهم ولم يقتلوا منهم أحداً لصهر أبي العاص رسول الله ﷺ

ولا إسلال ولا قتال، وعلى أن لا يستكره أحد على دينه وعلى أن يعبد الله بمكّة علانية، وعلى أنَّ محمّداً ينحر الهدي مكانه وعلى أن يخلّيها له في قابل ثلاثة أيّام فيدخلها بسلاح الراكب وتخرج قريش كلّها من مكّة إلاّ رجل واحد من قريش يخلفونه مع محمّد وأصحابه، ومن لحق محمّداً وأصحابه من قريش فإنَّ محمّداً يردّه إليهم ومن رجع من أصحاب محمّد إلى قريش بمكّة فإنَّ قريشاً لا تردّه إلى محمّد وقال رسول الله ﷺ: إذا سمع كلامي ثمَّ جاءكم فلا حاجة لي فيه، وأنَّ قريشاً لا تعين على محمّد وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح إلى آخره. فجاء أبو جندل إلى النبيّ ﷺ حتّى جلس إلى جنبه فقال أبوه سهيل: ردّه عليَّ فقال المسلمون: لا نردّه فقام ﷺ وأخذ بيده فقال: «اللّهمَّ إن كنت تعلم أنَّ أبا جندل لصادقٌ فاجعل له فرجاً ومخرجاً» ثمَّ أقبل على الناس وقال: إنّه ليس عليه بأس إنّما يرجع إلى أبيه وأُمّه وإنّي أُريد أن أُتمّ لقريش شرطها ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأنزل الله في الطريق سورة الفتح ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾.

قال الصادق عليه السلام: فما انقضت تلك المدَّة حتّى كاد الإسلام يستولي على أهل مكّة ولمّا رجع رسول الله إلى المدينة انفلت أبو بصير بن أُسيد بن جارية الثقفيّ من المشركين وبعث الأخنس بن شريق في أثره رجلين فقتل أحدهما وأتى رسول الله ﷺ مسلماً مهاجراً فقال: مسعر حرب لو كان معه واحد، ثمَّ قال: شأنك بسلب صاحبك واذهب حيث شئت فخرج أبو بصير ومعه خمسة نفر كانوا قدموا معه مسلمين حتّى كانوا بين العيص وذي المروة من أرض جهينة على طريق عيرات قريش مما يلي سيف البحر وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو في سبعين رجلاً راكباً أسلموا فلحق بأبي بصير واجتمع إليهم ناس من غِفار وأسلم وجهينة حتّى بلغوا ثلاثمائة مقاتل وهم مسلمون لا تمرُّ بهم عير لقريش إلاّ أخذوها وقتلوا أصحابها فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله يسألونه ويتضرَّعون إليه أن يبعث إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهم فيقدموا عليه وقالوا: من خرج منّا إليك فأمسكه غير حرج أنت فيه فعلم الّذين كانوا أشاروا على رسول الله أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القصّة أنَّ إطاعة رسول الله خير لهم فيما أحبّوا وفيما كرهوا وكان أبو بصير وأبو جندل وأصحابهما هم الّذين مرَّ بهم أبو العاص بن الربيع من الشام في نفر من قريش فأسروهم وأخذوا أموالهم ولم يقتلوا منهم أحداً لصهر أبي العاص رسول الله ﷺ

وخلّوا سبيل أبي العاص فقدم المدينة على امرأته وكان أذن لها حين خرج إلى الشام أن تقدم المدينة فتكون مع رسول الله ﷺ وأبو العاص هو ابن أخت خديجة بنت خويلد.

ثم كانت غزوة خيبر في ذي الحجّة من سنة ستّ وذكر الواقديُّ أنّها كانت أوّل سنة سبع من الهجرة وحاصرهم رسول الله ﷺ بضعاً وعشرين ليلة وبخيبر أربعة عشر ألف يهوديّ في حصونهم فجعل رسول الله ﷺ يفتتحها حصناً حصناً وكان من أشدّ حصونهم وأكثرها رجالاً القموص فأخذ أبو بكر راية المهاجرين فقاتل بها ثمَّ رجع منهزماً ثمَّ أخذها عمر بن الخطّاب من الغد فرجع منهزماً يجبن الناس ويجبنونه حتّى ساء رسول الله ﷺ ذلك فقال: لأُعطينَّ الراية غداً رجلاً كرَّاراً غير فرَّار يحبُّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، ولا يرجع حتّى يفتح الله على يده، فغدت قريش يقول بعضهم لبعض: أمّا عليٌّ فقد كفيتموه فإنّه أرمد لا يبصر موضع قدمه وقال عليٌّ عليه السلام لمّا سمع مقالة رسول الله ﷺ: «اللّهمَّ لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت» فأصبح رسول الله ﷺ واجتمع إليه الناس قال سعد: جلست نصب عينيه ثمَّ جثوت على ركبتي ثمَّ قمت على رجلي قائماً رجاء أن يدعوني، فقال ادعوا لي عليّاً فصاح الناس من كلّ جانب إنّه أرمد رمداً لا يبصر موضع قدمه فقال: أرسلوا إليه وادعوه فأُتي به يقاد، فوضع رأسه على فخذه ثمَّ تفل في عينيه فقام فكأن عينيه جزعتان[1] ثمَّ أعطاه الراية ودعا له فخرج يهرول هرولة فوالله ما بلغت أُخراهم حتّى دخل الحصن، قال جابر: فأعجلنا أن نلبس أسلحتنا وصاح سعد: يا أبا الحسن أربع[2] يلحق بك الناس فأقبل حتّى ركزها قريباً من الحصن فخرج إليه مرحب في عادته باليهود فبارزه فضرب رجله فقطعها وسقط وحمل عليٌّ والمسلمون عليهم فانهزموا.

قال أبان: وحدَّثني زرارة قال: قال الباقر عليه السلام: انتهى إلى باب الحصن وقد أُغلق في وجهه فاجتذبه اجتذاباً وتترَّس به، ثمَّ حمله على ظهره واقتحم الحصن اقتحاماً واقتحم المسلمون والباب على ظهره قال: فوالله ما لقي عليٌّ عليه السلام من

(١) الجزع ـ بالفتح ـ: الخرز اليماني.

(٢) أي قف وانتظر من ربع يربع أي وقف وانتظر.

الناس تحت الباب أشدُّ ممّا لقي من الباب ثمَّ رمى بالباب رمياً وخرج البشير إلى رسول الله ﷺ أنَّ عليّاً دخل الحصن فأقبل رسول الله ﷺ فخرج عليٌّ يتلقّاه فقال قد بلغني نبؤك المشكور وصنيعك المذكور قد رضي الله عنك ورضيت أنا عنك، فبكى عليٌّ عليه السلام فقال له: ما يبكيك يا عليّ قال: فرحاً بأنَّ الله ورسوله عنّي راضيان، قال: وأخذ عليٌّ فيمن أخذ صفيّة بنت حييّ فدعا بلالاً فدفعها إليه وقال له: لا تضعها إلاّ في يدي رسول الله حتّى يرى فيها رأيه، فأخرجها بلال ومرَّ بها إلى رسول الله على القتلى وقد كادت تذهب روحها جزعاً فقال: أنزعت منك الرحمة يا بلال، ثمَّ اصطفاها ﷺ لنفسه ثمَّ أعتقها وتزوَّجها.

قال: فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من خيبر عقد لواء ثمَّ قال: من يقوم فيأخذه بحقّه وهو يريد أن يبعث به إلى حوائط فدك فقام الزّبير إليه فقال: أنا، فقال له: أمط عنه[١] ثمّ قام سعد، فقال: أمط عنه، ثمَّ قال: يا عليُّ قم إليه فخذه فأخذه فبعث به إلى فدك فصالحهم على أن يحقن دماءهم فكانت حوائط فدك لرسول الله ﷺ خاصّاً خالصاً، فنزل جبرئيل فقال: إنّ الله عزَّ وجلَّ يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقّه، فقال: يا جبرئيل ومن قراباتي وما حقّها؟ قال: فاطمة فأعطها حوائط فدك وما لله ولرسوله فيها، فدعا رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام وكتب لها كتاباً جاءت به بعد موت أبيها إلى أبي بكر وقالت: هذا كتاب رسول الله ﷺ لي ولابنيّ.

قال: ولمّا فتح رسول الله ﷺ خيبر أتاه البشير بقدوم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة إلى المدينة، فقال: ما أدري بأيّهما أسرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر.

وعن سفيان الثّوريّ، عن أبي الزّبير عن جابر قال: لمّا قدم جعفر بن أبي طالب عليه السلام من أرض الحبشة تلقّاه رسول الله ﷺ فلمّا نظر جعفر بن أبي طالب إلى رسول الله حجل ـ يعني مشى على رجل واحدة ـ إعظاماً لرسول الله، فقبّل رسول الله ما بين عينيه.

وروى زرارة عن أبي جعفر أنَّ رسول الله ﷺ لمّا استقبل جعفراً التزمه ثمَّ

---

(١) أي تنح واذهب.

قبّل عينيه. قال: وكان رسول الله ﷺ قبل أن يسير إلى خيبر أرسل عمرو بن أُميّة الضميري إلى النجاشي عظيم الحبشة ودعاه إلى الإسلام فأسلم وكان أمر عمراً أن يتقدَّم بجعفر وأصحابه فجهّز النجاشي جعفراً وأصحابه بجهاز حسن وأمر لهم بكسوة وحملهم في سفينتين.

ثم بعث رسول الله ﷺ ـ فيما رواه الزّهري ـ عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً فيهم عبد الله بن أنيس إلى يسير بن رزام اليهوديّ لمّا بلغه أنّه يجمع غطفان ليغزو بهم فأتوه فقالوا: إنّا أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر فلم يزالوا به حتّى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كلّ رجل منهم رديف من المسلمين، فلمّا ساروا ستّة أميال ندم اليسير فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس ففطن له عبد الله فزجر بعيره ثمّ اقتحم يسوق بالقوم حتّى إذا استمكن من اليسير ضرب رجله فقطعها فاقتحم اليسير وفي يده مخرش من شوحط[١] فضرب به وجه عبد الله فشجّه مأمومة[٢] وانكفأ كلٌ من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدّاً ولم يصب من المسلمين أحد وقدموا على رسول الله ﷺ فبصق في شجّة عبد الله بن أنيس فلم تؤذه حتّى مات.

وبعث غالب بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرّة فقتل وأسر.

وبعث عيينة بن حصن البدري إلى أرض بني العنبر فقتل وأسر.

ثم كانت غزوة عمرة القضاء سنة سبع اعتمر رسول الله ﷺ والّذين شهدوا معه الحديبية ولمّا بلغ قريشاً ذلك خرجوا متبدّدين فدخل مكّة وطاف بالبيت على بعيره بيده محجن يستلم به الحجر وعبد الله بن رواحة آخذ بخطامه وهو يقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيله   خلّوا فكلّ الخير في رسوله
قد أنزل الرَّحمن في تنزيله   نضربكم ضرباً على تأويله

(١) المخرش: عصا معوجة الرأس كالصولجان. والشوحط: ضرب من شجر الجبال يتخذ منه القسي.
(٢) المأمومة: الشجة التي بلغت أم الرأس.

كما ضربناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله

يا ربّ إنّي مؤمن بقيله

وأقام بمكّة ثلاثة أيّام وتزوّج بها ميمونة بنت الحارث الهلاليّة ثمَّ خرج فابتنى بها بسرف ورجع إلى المدينة فأقام بها حتّى دخلت سنة ثمان.

ثم كانت غزوة مؤتة[١] في جمادى من سنة ثمان بعث جيشاً عظيماً وأمّر على الجيش زيد بن حارثة ثمَّ قال: فإن أُصيب زيد فجعفر فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فإن أُصيب فليرتض المسلمون واحداً فليجعلوه عليهم.

وفي رواية أبان بن عثمان عن الصّادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه استعمل عليهم جعفراً فإن قتل فزيد فإن قتل فابن رواحة، ثمَّ خرجوا حتّى نزلوا معان[٢] فبلغهم أنَّ هرقل ملك الرّوم قد نزل بمأرب في مائة ألف من الرُّوم ومائة ألف من المستعربة.

وفي كتاب أبان بن عثمان بلغهم كثرة عدد الكفّار من العرب والعجم من لخم وجذام وبليّ وقضاعة وانحاز المشركون إلى أرض يقال لها: المشارف، وإنّما سمّيت السّيوف المشرفيّة لأنّها طبعت لسليمان بن داود بها فأقاموا بمعان يومين فقالوا: نبعث إلى رسول الله فنخبره بكثرة عدوّنا حتى يرى في ذلك رأيه، فقال عبد الله بن رواحة: يا هؤلاء إنّا والله لا نقاتل النّاس بكثرة وإنّما نقاتلهم بهذا الدّين الذي أكرمنا الله به فقالوا: صدقت فتهيّأوا وهم ثلاثة آلاف حتّى بلغوا جموع الرّوم بقرية من قرى البلقاء يقال لها: شرف، ثمَّ انحاز المسلمون إلى مؤتة قرية فوق الأحساء.

وعن أنس بن مالك قال: نعى النبيُّ جعفراً وزيد بن حارثة وابن رواحة نعاهم قبل أن يجيء خبرهم وعيناه تذرفان ـ رواه البخاري في الصحيح ـ.

قال أبان: وحدَّثني الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: أُصيب يومئذ جعفر وبه خمسون جراحة خمس وعشرون منها في وجهه. قال عبد الله بن جعفر: أنا أحفظ حين دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على أُمّي فنعى لها أبي فأنظر إليه وهو

---

(١) مؤتة موضع بمشارف الشام قتل فيه جعفر بن أبي طالب وفيه كانت تعمل السيوف.

(٢) المعان: موضع بطريق حاج الشام.

يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرقان الدُّموع حتّى تقطّرت لحيته ثمَّ قال: اللّهمَّ إنَّ جعفراً قد قدم إليك إلى أحسن الثّواب فاخلفه في ذرّيّته بأحسن ما خلّفت أحداً من عبادك في ذرّيّته. ثمَّ قال: يا أسماء ألا أُبشّرك؟ قالت: بلى بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، قال: إنَّ الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنّة، قالت: فأعلم النّاس ذلك فقام رسول الله ﷺ وأخذ بيدي يمسح بيده رأسي حتّى رقي إلى المنبر وأجلسني أمامه على الدَّرجة السّفلى والحزن يعرف عليه فقال: إن المرء كثير حزنه بأخيه وابن عمّه، ألا إنَّ جعفراً قد استشهد وجُعل له جناحان يطير بهما في الجنّة، ثمَّ نزل ودخل بيته وأدخلني معه وأمر بطعام يصنع لأجلي وأرسل إلى أخي فتغذينا جميعاً عنده غذاء طيّباً مباركاً وأقمنا ثلاثة أيّام في بيته ندور معه كلّما صار في بيت إحدى نسائه، ثمّ رجعنا إلى بيتنا فأتانا رسول الله ﷺ وأنا أُساوم شاة أخ لي فقال: اللّهمَّ بارك له في صفقته قال عبد الله: فما بعت شيئاً ولا اشتريت شيئاً إلاّ بورك لي فيه.

قال الصّادق: قال رسول الله ﷺ لفاطمة اذهبي فابكي على ابن عمّك، فإن لم تدعي بمثكل[1] مما قلت فقد صدقت.

وذكر محمّد بن إسحاق عن عروة قال: لمّا أقبل أصحاب مؤتة تلقّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه فجعلوا يحثون عليهم التّراب ويقولون: يا فرّار، فررتم في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: ليسوا بفرّار ولكنّهم الكرّار إن شاء الله.

ثمَّ كانت غزوة الفتح في شهر رمضان من سنة ثمان وذلك أنَّ رسول الله لمّا صالح قريشاً عام الحديبية، دخلت خزاعة في حلف النّبيّ ﷺ وعهده ودخلت كنانة في حلف قريش فلمّا مضت سنتان من القضيّة قعد رجل من كنانة يروي هجاء رسول الله ﷺ فقال له رجل من خزاعة: لا تذكر هذا قال: وما أنت وذاك؟ فقال: لئن أعدت لأكسرنَّ قال: فأعادها فرفع الخزاعي يده فضربه بها فاستنصر الكناني قومه والخزاعيُّ قومه، وكانت كنانة أكثر فضربوهم حتّى أدخلوهم الحرم وقتلوا منهم وأعانهم قريش بالكراع والسّلاح فركب عمرو بن سالم إلى رسول الله ﷺ فخبّره الخبر وقال أبيات شعر منها:

---

(١) أي لا تقولي وا ثكلاه ثم كل ما قلت فيه من الفضائل فقد صدقت لكثرة فضائله.

لا هـــمَّ أنّـــي نـــاشـــدٌ محمّـــدا حلـــف أبينـــا وأبيـــه الأتلـــدا[١]
إنَّ قـــريشـــاً أخلفـــوك المـــوعـــدا ونقضـــوا ميثـــاقـــك المـــؤكّـــدا

وقتّلونا ركّعاً وسجّدا

فقال رسول الله ﷺ حسبك يا عمرو ثمَّ قام ودخل دار ميمونة وقال: اسكبوا إليَّ ماء فجعل يغتسل ويقول: لا لا نصرت إن لم أنصر بني كعب، ثمَّ أجمع رسول الله على المسير إلى مكّة وقال: اللّهمَّ خذ العيون من قريش حتّى نأتيها في بلدها. فكتب حاطب بن أبي بلتعة مع سارة مولاة أبي لهب إلى قريش أنَّ رسول الله خارج إليكم يوم كذا وكذا فخرجت وتركت الطّريق ثمَّ أخذت ذات اليسار في الحرَّة فنزل جبرئيل فأخبره فدعا عليّاً والزّبير فقال لهما: أدركاها وخذا منها الكتاب، فخرج عليٌّ عليه السلام والزُّبير لا يلتقيان أحداً حتّى وردا ذا الحليفة[٢] وكان النّبيّ وضع حرساً على المدينة وكان على الحرس حارثة بن النّعمان فأتيا الحرس فسألاهم فقالوا: ما مرَّ بنا أحدٌ ثمَّ استقبلا حاطباً فسألاه، فقال: رأيت امرأة سوداء انحدرت من الحرَّة فأدركاها فأخذ عليٌّ عليه السلام منها الكتاب وردَّها إلى رسول الله ﷺ قال: فدعا حاطباً فقال له: انظر ما صنعت قال: أما والله إنّي لمؤمن بالله ورسوله ما شككت ولكنّي رجلٌ لي بمكّة عشيرة ولي بها أهل فأردت أن أتّخذ عندهم يداً ليحفظوني فيهم، فقال عمر بن الخطّاب: دعني يا رسول الله أضرب عنقه فوالله لقد نافق، فقال: إنّه من أهل بدر ولعلّ الله اطّلع عليهم فغفر لهم أخرجوه من المسجد، فجعل النّاس يدفعون في ظهره وهو يلتفت إلى رسول الله ﷺ ليرأف عليه فأمر بردّه وقال: قد عفوت عن جرمك فاستغفر ربّك ولا تعد لمثل ما جنيت فأنزل الله سبحانه **﴿يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوَّكم أولياء ـ إلى صدر السورة ـ﴾**[٣].

فصل قال أبان: وحدَّثني عيسى بن عبد الله القمّي، عن أبي عب الله عليه السلام قال: لمّا انتهى الخبر إلى أبي سفيان وهو بالشام بما صنعت قريش بخزاعة أقبل حتّى

(١) الحلف ـ بالكسر ـ: العهد بين القوم. والأتلد: الأقدم.
(٢) في بعض الكتب «الخليقة».
(٣) أي إلى آخر الآيات من صدر السورة (الممتحنة).

دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمّد احقن دم قومك وأجر بين قريش وزدنا في المدّة قال: أغدرتم يا أبا سفيان؟ قال: لا. قال: فنحن على ما كنّا عليه، فخرج فلقي أبا بكر فقال: يا أبا بكر أجر بين قريش قال: ويحك وأحد يجير على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! ثمَّ لقي عمر فقال له مثل ذلك، ثمَّ خرج فدخل على أُمّ حبيبة فذهب ليجلس على الفراش فأهوت إلى الفراش فطوته فقال: يا بنيّة أرغبةً بهذا الفراش عنّي؟ قالت: نعم هذا فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كنت لتجلس عليه وأنت رجس مشرك ثمَّ خرج ودخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله وسيّد العرب تجيرين بين قريش وتزيدين في المدَّة فتكونين أكرم سيّدة في الناس، قالت: جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فتأمري ابنيك أن يجيرا بين الناس قالت: والله ما يدري ابناي ما يجيران من قريش، فخرج فلقي عليّاً فقال: أنت أمسّ القوم بي رحماً وقد اعتسرت عليَّ الأمور فاجعل لي منها وجهاً قال: أنت شيخ قريش تقوم على باب المسجد فتجير بين قريش ثمَّ تقعد على راحلتك، وتلحق بقومك قال: وهل ترى ذلك نافعي؟ قال: لا أدري فقال: يا أيّها الناس إنّي قد أجرت بين قريش ثمَّ ركب بعيره وانطلق فقدم على قريش، فقالوا: ما وراءك قال: جئت محمّداً فكلّمته فوالله ما ردَّ عليَّ شيئاً، ثمّ جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيراً، ثمَّ جئت إلى ابن الخطّاب فكان كذلك، ثمَّ دخلت على فاطمة فلم تجبني ثمَّ لقيت عليّاً فأمرني أن أجير بين الناس ففعلت قالوا: هل أجاز ذلك محمّد؟ قال: لا. قالوا: ويحك لعب بك الرّجل أوانت تجير بين قريش؟

فصل وخرج رسول الله يوم الجمعة حين صلّى العصر لليلتين مضتا من شهر رمضان فاستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ودعا رئيس كلّ قوم فأمره أن يأتي قومه فيستنفرهم، قال الباقر عليه السلام: خرج رسول الله في غزوة الفتح فصام وصام النّاس حتّى نزل كراع الغميم فأمر بالإفطار فأفطر وأفطر الناس وصام قوم فسمّوا العصاة لأنّهم صاموا ثمَّ سار حتى نزل مرَّ الظّهران ومعه نحو من عشرة آلاف رجل ونحو من أربعمائة فارس وقد عميت الأخبار من قريش، فخرج في تلك اللّيلة أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء هل يسمعون خبراً، وقد كان العبّاس بن عبد المطّلب خرج يتلقّى رسول الله ومعه أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أُميّة وقد تلقّاه بنيق العقاب ورسول الله في قبّة وعلى حرسه يومئذ زياد بن أُسيد فاستقبلهم

زياد فقال: أمّا أنت يا أبا الفضل فامض إلى القبّة وأمّا أنتما فارجعا فمضى العبّاس حتى دخل على رسول الله ﷺ فسلّم عليه وقال: بأبي أنت وأُمّي هذا ابن عمّك قد جاء تائباً وابن عمّتك، قال: لا حاجة لي فيهما إنَّ ابن عمّي انتهك عرضي وأمّا ابن عمّتي فهو الّذي يقول بمكّة: لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، فلمّا خرج العبّاس كلّمته أُمّ سلمة وقالت: بأبي أنت وأُمّي ابن عمّك قد جاء تائباً لا يكون أشقى النّاس بك وأخي ابن عمّتك وصهرك فلا يكوننّ شقيّاً بك، ونادى أبو سفيان بن الحارث النبيَّ وقال: يا رسول الله كن لنا كما قال العبد الصالح: لا تثريب عليكم، فدعاه وقبل منه ودعا عبد الله بن أبي أُميّة فقبل منه وقال العبّاس: هو والله هلاك قريش إلى آخر الدَّهر إن دخلها رسول الله ﷺ عنوة قال: فركبت بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وخرجت أطلب الحطّابة أو صاحب لبن لعلّي آمره أن يأتي قريشاً فيركبون إلى رسول الله ﷺ يستأمنون إليه إذ لقيت أبا سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام وأبو سفيان يقول لبديل: ما هذه النيران قال: هذه خزاعة، قال: خزاعة أقلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانهم، ولكن هذه تيم أو ربيعة قال العبّاس: فعرفت صوت أبي سفيان فقلت: أبا حنظلة! قال: لبّيك فمن أنت؟ قلت: أنا العبّاس قال: فما هذه النيران فداك أبي وأُمّي؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في عشرة آلاف من المسلمين قال: فما الحيلة، قلت: تركب في عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله ﷺ قال: فأردفته خلفي ثمّ جئت به فكلّما انتهيت إلى ناد قاموا إليَّ فإذا رأوني قالوا: هذا عمُّ رسول الله خلّوا سبيله حتّى انتهيت إلى باب عمر فعرف أبا سفيان فقال: عدوُّ الله الحمد لله الّذي أمكن منك، فركضت البغلة حتّى اجتمعنا على باب القبّة ودخل على رسول الله ﷺ فقال: هذا أبو سفيان قد أمكنك الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه، قال العبّاس: فجلست عند رأس رسول الله ﷺ فقلت: بأبي أنت وأُمّي أبو سفيان وقد أجرته قال: أدخله فدخل فقام بين يديه فقال: يا أبا سفيان أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأُمّي ما أكرمك وأوصلك وأحلمك، أمّا الله لو كان معه إله لأغنى يوم أُحد ويوم بدر وأمّا أنّك رسول الله فوالله إنَّ في نفسي منها لشيئاً، قال العبّاس: يضرب والله عنقك في هذه السّاعة أو تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّه رسول الله ﷺ، قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك لرسول الله ـ تلجلج بها فوه ـ فقال أبو سفيان

للعبّاس: فما نصنع باللاّت والعزّى فقال عمر: اسلح عليهما، فقال أبو سفيان: أُفّ لك ما أفحشك ما يدخلك يا عمر في كلامي وكلام ابن عمّي؟ فقال له رسول الله ﷺ: عند من تكون اللّيلة؟ قال: عند أبي الفضل قال: فاذهب به يا أبا الفضل فأبته عندك اللّيلة واغد به عليَّ، فلمّا أصبح سمع بلالاً يؤذّن، قال: ما هذا المنادي يا أبا الفضل؟ قال: هذا مؤذّن رسول الله ﷺ قم فتوضّأ وصلّ قال: كيف أتوضّأ، فعلّمه قال: ونظر أبو سفيان إلى النبيّ وهو يتوضّأ وأيدي المسلمين تحت شعره فليس قطرة تصيب رجلاً منهم إلاّ مسح بها وجهه فقال: يا أبا الفضل بالله إن رأيت كاليوم قطُّ كسرى ولا قيصر، فلمّا صلّى غدا به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي أُحبُّ أن تأذن لي إلى قومك فأُنذرهم وأدعوهم إلى الله ورسوله، فأذن له فقال للعبّاس: كيف أقول لهم؟ بيّن لي من ذلك أمراً يطمئنّون إليه، فقال ﷺ: تقول لهم: من قال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنَّ محمّداً رسول الله وكفَّ يده فهو آمن ومن جلس عند الكعبة ووضع سلاحه فهو آمن فقال العبّاس: يا رسول الله إنَّ أبا سفيان رجل يحبُّ الفخر فلو خصّصته بمعروف، فقال ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قال أبو سفيان: داري؟ قال: دارك، ثمَّ قال: من أغلق بابه فهو آمن، ولمّا مضى أبو سفيان قال العبّاس: يا رسول الله إنَّ أبا سفيان رجلٌ من شأنه الغدر وقد رأى من المسلمين تفرّقاً، قال: فأدركه واحبسه في مضايق الوادي حتّى يمرّ به جنود الله، قال: فلحقه العبّاس فقال: يا أبا حنظلة! قال: أغدراً يا بني هاشم؟ قال: ستعلم أنَّ الغدر ليس من شأننا ولكن أصبح[١] حتّى تنظر إلى جنود الله قال العبّاس: فمرَّ خالد بن الوليد فقال أبو سفيان: هذا رسول الله قال: لا ولكن هذا خالد بن الوليد في المقدّمة ثمَّ مرّ الزبير في جهينة وأشجع فقال أبو سفيان: يا عبّاس هذا محمّد؟ قال: لا. هذا الزُّبير فجعلت الجنود تمرُّ به حتّى مرَّ رسول الله ﷺ في الأنصار ثمَّ انتهى إليه سعد بن عبادة وبيده راية رسول الله ﷺ فقال: يا أبا حنظلة. اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى الحرمة، يا معشر الأوس والخزرج ثاركم يوم الجبل[٢].

---

(١) ولكن أصبح أي اصبر حتى يتنور الصبح والإصباح: الدخول في الصباح ويطلق على الأسفار وقال الراغب: الصباح أول النهار وهو وقت ما احمر الأفق بحاجب الشمس.

(٢) أي اطلبوا دماءكم التي أريقت يوم أحد.

فلمّا سمعها من سعد خلّى العبّاس وسعى إلى رسول الله وزاحم الناس حتّى مرَّ تحت الرّماح فأخذ غرزه فقبّلها[١]، ثمَّ قال: بأبي أنت وأُمّي أما تسمع ما يقول سعد وذكر القول فقال: ليس ممّا قال سعد شيء ثمَّ قال لعليّ عليه السلام: أدرك سعداً فخذ الرّاية منه وأدخلها إدخالاً رفيقاً، فأخذها عليٌّ منه وأدخلها كما أمر، قال: وأسلم يومئذ حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وجبير بن مطعم وأقبل أبو سفيان يركض حتّى دخل مكّة وقد سطع الغبار من فوق الجبال وقريش لا تعلم وأقبل أبو سفيان من أسفل الوادي يركض فاستقبله قريش وقالوا: ما وراءك وما هذا الغبار؟ قال: محمّد في خلق ثمَّ صاح يا آل غالب البيوت البيوت من دخل داري فهو آمن فعرفت هند فأخذت تطردهم ثمَّ قالت اقتلوا الشيخ الخبيث لعنه الله من وافد قوم وطليعة قوم قال: ويلك إنّي رأيت ذات القرون ورأيت فارس أبناء الكرام ورأيت ملوك كندة وفتيان حمير يسلمن آخر النّهار ويلك اسكتي فقد جاء الحقُّ ودنت البليّة.

فصل وكان قد عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسلمين أن لا يقتلوا بمكّة إلاّ من قاتلهم سوى نفر كانوا يؤذون النبيّ مقيس بن صبابة[٢] وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وعبد الله بن خطل وقينتين كانتا تغنّيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلّقين بأستار الكعبة فأدرك ابن خطل وهو متعلّق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمّار بن ياسر فسبق سعيد عمّاراً فقتله وقتل مقيس بن صبابة في السّوق وقتل عليٌّ عليه السلام إحدى القينتين وأفلتت الأُخرى وقتل عليٌّ عليه السلام أيضاً الحويرث بن نقيذ بن كعب وبلغه أنَّ أُمَّ هاني بنت أبي طالب عليها السلام قد آوت ناساً من بني مخزوم منهم الحارث بن هشام وقيس بن السائب، فقصد نحو دارها مقنعاً بالحديد، فنادى: أخرجوا من آويتم فجعلوا يذرقون كما يذرق الحبارى[٣] خوفاً منه فخرجت إليه أُمُّ هاني وهي لا تعرفه فقالت: يا عبد الله أنا أُمُّ هاني بنت عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأُخت عليّ بن أبي طالب انصرف عن داري فقال عليٌّ عليه السلام أخرجوهم، فقالت: والله لأشكونّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزع المغفر عن رأسه

---

(١) الغرز ـ بالفتح ـ: ركاب.

(٢) في القاموس «حبابة».

(٣) الذرق بالذال والزاي بمعنى والحبارى معروف بالحمق والجبن.

فعرفته فجاءت تشدّ حتّى التزمته، فقالت: فديتك حلفت لأشكونّك إلى رسول الله ﷺ فقال لها: فاذهبي فبرّي قسمك فإنّه بأعلى الوادي، قالت أُمّ هاني: فجئت إلى رسول الله ﷺ وهو في قبّة يغتسل وفاطمة تستره فلمّا سمع كلامي رسول الله ﷺ قال: مرحباً بك يا أُمّ هاني قلت: بأبي أنت وأُمّي ما لقيت من عليّ اليوم! فقال: قد أجرت من أجرت فقالت فاطمة عليها السلام: إنّما جئت يا أُمّ هاني تشكين من عليّ في أنّه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله فقلت: احتملني فديتك فقال رسول الله ﷺ: قد شكر الله تعالى سعيه وأجرت من أجارت أُمُّ هاني لمكانها من عليّ بن أبي طالب.

قال أبان: وحدَّثني بشير النبّال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا كان فتح مكّة قال رسول الله ﷺ: عند من المفتاح؟ قالوا: عند أمّ شيبة، فدعا شيبة فقال: اذهب إلى أُمّك فقل لها ترسل بالمفتاح، فقالت: قل له: قتلت مقاتلنا وتريد أن تأخذ منّا مكرمتنا، فقال: لترسلنّ به أو لأقتلنّك فوضعته في يد الغلام فأخذه ودعا عمر فقال له: هذا رؤياي من قبل، ثمَّ قام ففتحه وستره فمن يومئذ يستر، ثمّ دعا الغلام فبسط رداءه فجعل فيه المفتاح وقال: ردّه إلى أُمّك قال: ودخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنّون أنَّ السيف لا يرفع عنهم فأتى رسول الله ﷺ البيت وأخذ بعضادتي الباب ثمّ قال: «لا إله إلاّ الله أنجز وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده» ثمَّ قال: ما تظنّون وما أنتم قائلون؟ فقال سهيل بن عمرو: نقول خيراً ونظنُّ خيراً أخ كريم وابن عمّ قال: فإنّي أقول لكم كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرّاحمين ألا إنَّ كلَّ مال ودم ومأثرة كان في الجاهليّة فإنّه موضوع تحت قدمي إلاّ سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنّهما مردودتان إلى أهليهما ألا إنَّ مكّة محرَّمة بتحريم الله لم تحلَّ لأحد كان قبلي ولم تحلَّ لي إلاّ ساعة من نهار فهي محرّمة إلى أن تقوم السّاعة لا يختلى خلاها ولا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحلّ لقطتها إلاّ لمنشد، ثمَّ قال: ألا لبئس جيران النبيّ كنتم لقد كذبتم وطردتم وأخرجتم وفللتم[1] ثمَّ ما رضيتم حتّى جئتموني في بلادي تقاتلوني فاذهبوا فأنتم الطلقاء، فخرج القوم كأنّما أُنشروا من القبور ودخلوا في الإسلام، قال: ودخل

(١) الفل: الكسر والضرب.

رسول الله ﷺ مكّة بغير إحرام وعليهم السّلاح ودخل البيت لم يدخله في حجّ ولا عمرة ودخل وقت العصر فأمر بلال فصعد على الكعبة وأذّن فقال عكرمة: والله إن كنت لأكره صوت ابن رباح ينهق على الكعبة وقال: خالد بن أسيد الحمد لله الذي أكرم أبا عتّاب عن هذا اليوم من أن يرى ابن رباح قائماً على الكعبة، قال سهيل: هي كعبة الله وهو يرى ولو شاء [الله] لغيّر قال: وكان أقصدهم وقال أبو سفيان: أمّا أنا فلا أقول شيئاً والله لو نطقت لظننت أنَّ هذه الجدر تخبر به محمّداً وبعث إليهم فأخبرهم بما قالوا فقال عتّاب: قد والله قلنا يا رسول الله ذلك فنستغفر الله ونتوب إليه فأسلم وحسن إسلامه وولاّه رسول الله مكّة.

قال: وكان فتح مكّة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر دخلوا في أسفل مكّة وأخطأوا الطّريق فقتلوا.

فصل وبعث رسول الله ﷺ السّرايا فيما حول مكّة يدعون إلى الله عز وجلّ ولم يأمرهم بقتال فبعث غالب بن عبد الله إلى بني مدلج فقالوا: لسنا عليك ولسنا معك، فقال النّاس: أُغزهم يا رسول الله، فقال: إنَّ لهم سيّداً أديباً أريباً وربّ غاز من بني مدلج شهيد في سبيل الله، وبعث عمرو بن أُميّة الضمري إلى بني الهذيل فدعاهم إلى الله ورسوله فأبوا أشدّ الإباء، فقال النّاس: أُغزهم يا رسول الله، فقال: أتاكم الآن سيّدهم قد أسلم فيقول لهم: أسلموا، فيقولون: نعم، فبعث عبد الله بن سهيل بن عمرو إلى بني محارب بن فهر فأسلموا فجاء معه نفر منهم إلى رسول الله ﷺ وبعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر وقد كانوا أصابوا في الجاهليّة من بني المغيرة نسوة فقتلوا عمَّ خالد، فاستقبلوه وعليهم السّلاح وقالوا: يا خالد إنّا لم نأخذ السّلاح على الله وعلى رسوله ونحن مسلمون، فإن كان بعثك رسول الله ساعياً فهذه إبلنا وغنمنا فاغد عليها فقال: ضعوا السلاح، قالوا: إنّا نخاف منك أن تأخذنا بإحنة الجاهليّة وقد أماتها الله ورسوله، فانصرف عنهم بمن معه فنزلوا قريباً ثمَّ شنَّ عليهم الخيل فقتل وأسر منهم رجالاً، ثمّ قال: ليقتل كلّ رجل منكم أسيره فقتلوا الأسرى وجاء رسولهم إلى رسول الله فأخبره بما فعله خالد، فرفع يده إلى السماء وقال: اللّهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا فعله خالد، وبكى ثمَّ دعا عليّاً فقال: أُخرج إليهم وانظر في أمرهم وأعطاه سفطاً من ذهب ففعل ما أمره وأرضاهم.

ثمّ كانت غزوة حنين وذلك أنّ هوازن جمعت له جمعاً كثيراً فذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ صفوان بن أُميّة عنده مائة درع فسأله ذلك، فقال: أغصباً يا محمّد؟ قال: لا ولكن عارية مضمونة، قال: لا بأس بهذا فأعطاه فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ألفين من مكّة وعشرة آلاف كانوا معه، فقال أحد أصحابه: لن تغلب اليوم من قلّة فشقّ ذلك على رسول الله فأنزل الله سبحانه ﴿**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ـ الآية ـ**[١]﴾ وأقبل مالك بن عوف النصريّ فيمن معه من قبائل قيس وثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أبي حدرد[٢] عيناً فسمع ابن عوف يقول: يا معشر هوازن إنكم أحدُّ العرب وأعدُّه وإنَّ هذا رجل لم يلق قوماً يصدقونه القتال[٣] فإذا لقيتموه فاكسروا جفون سيوفكم واحملوا عليه حملة رجل واحد، فأتى ابن أبي حدرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقال عمر: لا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حدرد، فقال: قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر وابن أبي حدرد صادق.

قال الصادق عليه السلام: وكان مع هوازن دريد بن الصمّة خرجوا به شيخاً كبيراً يتيمّنون برأيه فلمّا نزلوا بأوطاس[٤] قال: نعم مجال الخيل لا حزنٌ ضرس، ولا سهل دَهس، ما لي أسمع رُغاء البعير، ونهاق الحمير[٥] وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع النّاس أموالهم ونساءهم وذراريهم قال: فأين مالك فدُعي مالك له، فأتاه فقال: يا مالك أصبحت رئيس قومك وإنَّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيّام، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء

---

(١) التوبة: ٢٥ وتمام الآية ﴿**فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين**﴾.

(٢) قال في القاموس أبو حدرد الأسلمي صحابي. ولم يجىء فعلع بتكرير العين. والحدرد: القصير كذا في شرح التسهيل انتهى.

(٣) قال الجوهري: يقال: صدقوهم القتال ويقال للرجل الشجاع والفرس الجواد إنه لذو مصدق ـ بالفتح ـ أي صادق الحملة وصادق الجري كأنه ذو صدق فيما يعدك من ذلك.

(٤) أوطاس موضع على ثلاث مراحل من مكة.

(٥) الحزن: ما غلظ من الأرض أو ما ارتفع منها. والضرس ـ بالكسر ـ: الأكمة الخشنة. والدهس ـ بالفتح ـ: المكان السهل اللين. ورغاء ـ بالضم ـ: صوت البعير. والنهيق ـ بالفتح ـ والنهاق ـ بالضم ـ صوت الحمار.

الشّاة[١] قال: أردت أن أجعل خلف كلّ رجل أهله وماله ليقاتل عنهم قال: ويحك لم تصنع شيئاً إن قدّمت بيضة هوازن[٢] إلى نحور الخيل وهل يرد وجه المنهزم شيء إنّها إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجلٌ بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، قال: إنّك قد كبرت وكبر عقلك، فقال دريد: إن كنت قد كبرت فتورث غداً قومك ذلاً بتقصير رأيك وعقلك هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه ثمّ قال: حرب عوان[٣].

يـــا ليتنـــي فيهـــا جـــذع أخـــبُّ فيهـــا وأضـــع[٤]

قال جابر: فسرنا حتّى إذا استقبلنا وادي حنين كان القوم قد كمنوا في شعاب الوادي ومضائقه فما راعنا إلاّ كتائب الرّجال بأيديها السّيوف والعمد والقنى فشدُّوا علينا شدَّة رجل واحد، فانهزم النّاس راجعين لا يلوي أحد على أحد وأخذ رسول الله ﷺ ذات اليمين وأحدق ببغلته تسعة من بني عبد المطّلب.

وأقبل مالك بن عوف يقول: أروني محمّداً فأروه فحمل على رسول الله ﷺ وكان رجلاً أهوج[٥] فلقيه رجلٌ من المسلمين فالتقيا فقتله مالك، وقيل: إنّه أيمن بن أُمّ أيمن، ثمَّ أقدم فرسه فأبى أن يقدم نحو رسول الله ﷺ وصاح كلدة بن الحنبل وهو أخ صفوان بن أميّة لأُمّه وصفوان يومئذ مشرك: ألا بطل السحر اليوم، فقال صفوان: اسكت فضّ الله فاك فوالله لأن يرُبّني[٦] رجل من قريش

---

(١) الثغاء ـ بالفتح ـ: صوت الشاة والمعز وما شاكلها.

(٢) بيضة القوم: مجتمعهم وموضع سلطانهم.

(٣) «لم أغب عنه» أي أنا حاضر بنفسي لكن لا يسعني القتال فيه ولا يعملون برأيي فكأني غائب أو أني وإن لم أر مثل هذا اليوم ولكني أعلم عاقبة الأمر فيه. والعوان من الحرب: التي قوتل فيها مرة بعد مرة.

(٤) وقوله: «يا ليتني فيها جذع» أي ليتني كنت شاباً عند ظهور النبوة حتى أبالغ في نصرتها. كذا في النهاية وقال الجوهري: الخبب: ضرب من العدو وخب البعير إذا راوح بين يديه ورجليه وقال: وضع البعير أي أسرع في سيره.

(٥) قال في الصحاح: رجل أهوج أي طويل وبه تسرع وحمق.

(٦) قال الجوهري: رببت القوم: سستهم أي كنت فوقهم ومنه قول صفوان لأن يربني رجل من قريش الخ.

أحبُّ إليّ من أن يربّني رجل من هوازن.

قال محمّد بن إسحاق: وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدّار: أُدرك ثاري ـ وكان أبوه قتل يوم أُحد ـ اليوم أقتل محمّداً، قال: فأردت برسول الله ﷺ لأقتله فأقبل شيء حتّى تغشّى فؤادي فلم أُطق ذلك فعرفت أنّه ممنوع.

وروى عكرمة عن شيبة قال: لمّا رأيت رسول الله يوم حنين قد عري[١] ذكرت أبي وعمّي وقتل عليّ وحمزة إياهما فقلت: أُدرك ثاري اليوم من محمّد فذهبت لأجيئه عن يمينه فإذا أنا بعبّاس بن عبد المطّلب قائماً عليه درع بيضاء كأنّها فضّة يكشف عنها العجاج فقلت: عمّه ولن يخذله، ثمَّ جئته من خلفه فلم يبق إلاّ أن أسوره سورة بالسيف[٢] إذ رفع لي شواظ من نار[٣] بيني وبينه كأنّه برق، فخفت أن يمحشني[٤] فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى، والتفت رسول الله إليَّ وقال: يا شبيب أُدن منّي، اللّهمَّ أذهب عنه الشّيطان، قال فرفعت إليه بصري ولهو أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري، وقال: يا شبيب قاتل الكفّار.

وعن موسى بن عقبة قال: قام رسول الله ﷺ في الرّكابين وهو على البغلة فرفع يده إلى الله يدعو ويقول: «اللهمّ إنّي أنشدك ما وعدتني، اللّهمَّ لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا» ونادى أصحابه وذمرهم[٥] يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكرَّة على نبيّكم وقيل: إنّه قال: يا أنصار رسول الله يا بني الخزرج، وأمر العبّاس بن عبد المطّلب فنادى في القوم فأقبل إليه أصحابه سراعاً يبتدرون.

وروي أنّه ﷺ قال: الآن حمي الوطيس[٦].

---

(١) أي بقي بلا معين ولا أنصار.

(٢) قال في البحار هكذا فيما عندنا من النسخ بالسين يقال: سار الرجل إليه سوراً أي وثب وتسورت الحائط أي تسلقته ولعل الأصوب بالصاد من صار الشيء أي قطعه وفصله.

(٣) الشواظ ـ بالضم والكسر ـ: لهب لا دخان فيه أو دخان النار وحرها. (القاموس).

(٤) الماحش: المحرق كالممتحش وامتحش: احترق.

(٥) الذمر ـ كفلس ـ: الملامة كما في القاموس. وفي الصحاح الذمر ـ ككتف ـ: الشجاع.

(٦) قال الجزري في حديث حنين: «الآن حمي الوطيس» الوطيس: التنور، وهو كناية عن شدة =

أنـــــا النّبـــــيّ لا كـــــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطّلـــب

قال سلمة بن الأكوع: ونزل رسول الله ﷺ عن البغلة ثمَّ قبض قبضة من تراب ثمَّ استقبل به وجوههم وقال: شاهت الوجوه(١) فما خلق الله منهم إنساناً إلاّ ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة فولّوا مدبرين، فأتبعهم المسلمون فقتلوهم وغنّمهم الله نساءهم وذراريهم وشاءهم وأموالهم وفرَّ مالك بن عوف حتّى دخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومهم وأسلم عند ذلك كثير من أهل مكّة حتى رأوا نصر الله وإعزاز دينه.

قال أبان: وحدَّثني محمّد بن الحسن بن زياد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سبى رسول الله ﷺ يوم حنين أربعة آلاف رأس واثني عشر ألف ناقة سوى ما لا يُعلم من الغنائم وخلّف رسول الله ﷺ الأنفال والأموال والسبايا بالجعرانة وافترق المشركون فرقتين فأخذت الأعراب ومن تبعهم أوطاس، وأخذت ثقيف ومن تبعهم الطائف، وبعث رسول الله أبا عامر الأشعري إلى أوطاس فقاتل حتّى قتل، ثمَّ أخذ الرَّاية أبو موسى الأشعري وهو ابن عمّه فقاتل بها حتّى فتح عليه.

ثمَّ كانت غزوة الطائف سار رسول الله ﷺ إلى الطائف في شوّال سنة ثمان فحاصرهم بضعة عشر يوماً وخرج نافع بن غيلان بن معتّب في خيل من ثقيف فلقيه عليٌّ عليه السلام في خيله فالتقوا ببطن وجّ(٢) فقتله عليٌّ وانهزم المشركون ونزل من حصن الطائف إلى رسول الله ﷺ وجماعة من أقاربهم منهم أبو بكرة وكان عبداً لحارث بن كلدة المنبعث وكان اسمه المضطجع فسمّاه رسول الله ﷺ المنبعث، ووردان وكان عبداً لعبد الله بن ربيعة فأسلموا فلمّا قدم وفد الطائف على رسول الله ﷺ فأسلموا قالوا: يا رسول الله ردَّ علينا رقيقنا الذين أتوك، فقال: لا أُولئك عتقاء الله.

= الأمر واضطرام الحرب.

(١) شاهت الوجوه أي قبحت.

(٢) وج هو موضع بناحية الطائف وقيل: هو اسم جامع وقيل اسم واحد منها.

وذكر الواقديُّ عن شيوخه قال: شاور رسول الله ﷺ أصحابه في حصن الطائف فقال له سلمان الفارسي ـ رحمه الله ـ: يا رسول الله أرى أن تنصب المنجنيق على حصنهم، فأمر رسول الله ﷺ فعمل منجنيق ويقال: قدم بالمنجنيق يزيد بن زمعة ودبّابتين(١) ويقال: خالد بن سعيد فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فاحترقت الدبّابة، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها، فنادى سفيان بن عبد الله الثّقفي: لم تقطع أموالنا إمّا أن تأخذها إن ظهرت علينا وإمّا أن تدعها لله والرَّحم، فقال رسول الله ﷺ: فإنّي أدعها لله والرَّحم، فتركها، وأنفذ رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام في خيل عند محاصرة أهل الطائف وأمره أن يكسر كلّ صنم وجده، فخرج فلقيه جمع كثيرٌ من خثعم، فبرز له رجلٌ من القوم وقال: هل من مبارز، فلم يقم إليه أحدٌ فقام إليه عليٌّ عليه السلام فوثب أبو العاص بن الرَّبيع زوج بنت النبيّ فقال: تكفاه أيّها الأمير، فقال: لا ولكن إن قتلت فأنت على الناس فبرز إليه عليٌّ عليه السلام وهو يقول:

إنّ على كلِّ رئيس حقّا أن يروي الصعدة أو تدقّا(٢)

ثمَّ ضربه فقتله ومضى حتّى كسر الأصنام وانصرف إلى رسول الله ﷺ وهو بعد محاصر لأهل الطائف ينتظره فلمّا رآه كبّر وأخذ به وخلا به.

فروى جابر بن عبد الله قال: لمّا خلا رسول الله ﷺ بعليّ بن أبي طالب يوم الطائف أتاه عمر بن الخطاب فقال أتناجيه دوننا وتخلو به دوننا؟ فقال: يا عمر ما أنا انتجيته بل الله انتجاه قال: فأعرض وهو يقول: هذا كما قلت لنا يوم الحديبية لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين فلم ندخله وصددنا عنه، فناداه ﷺ لم أقل لكم إنّكم تدخلونه ذلك العام، فلمّا قدم عليٌّ فكأنّما كان رسول الله ﷺ على وجل فارتجل(٣) فنادى سعيد بن عبيد، ألا إن الحيّ

(١) الدبابة ـ مشددة ـ: آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبون وهم في جوفها. (القاموس)

(٢) الصعدة: القناة التي تنبت مستقيمة.

(٣) «على وجل» أي على خوف وذلك من سرعة ارتحاله ومجيئه وقوله: «ألا إن الحي مقيم» أي =

مقيم فقال: لا أقمت ولا ظعنت فسقط فانكسر فخذه.

وعن محمّد بن إسحاق قال: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك، ثمَّ انصرف عنهم ولم يؤذن فيهم فجاءه وفده في شهر رمضان فأسلموا.

فصل ثمَّ رجع رسول الله ﷺ إلى الجعرانة بمن معه من النّاس وقسّم بها ما أصاب من الغنائم يوم حنين في المؤلّفة قلوبهم من قريش ومن سائر العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير، قيل: إنّه جعل للأنصار شيئاً يسيراً وأعطى الجمهور للمنافقين.

قال محمّد بن إسحاق: فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، ومعاوية ابنه مائة بعير، وحكيم بن حزام من بني أسد بن عبد العزّى بن قصي مائة بعير، وأعطى النّضير بن الحارث بن كلدة مائة بعير، وأعطى الحارث بن هشام من بني مخزوم مائة بعير، وجبير بن مطعم من بني نوفل بن عبد مناف مائة بعير، ومالك بن عوف النصري مائة بعير، فهؤلاء أصحاب المائة وقيل: إنّه أعطى علقمة بن علاثة مائة والأقرع بن حابس مائة وعيينة بن حصن مائة وأعطى العبّاس بن مرداس أربعاً فتسخطها[1] وأنشأ يقول:

أتجعل نهبي ونهب العبيـ ... ـد بين عيينة والأقرع
فما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرء منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع
وقد كنت في الحرب ذا تدرإ ... فلم أعط شيئاً ولم أمنع

فقال له رسول الله ﷺ: أنت القائل:

أتجعل نهبي ونهب العبيـ ... ـد بين الأقرع وعيينة

= من كان حياً ينبغي أن يزول حتى يفتح أو المراد بالحي القبيلة. وقوله: «لا أقمت ولا ظعنت» دعاء عليه بعدم قدرته على الإقامة كما يريد.

(١) أي استقل عطاءه ولم يقع منه موقعاً.

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمّي لست بشاعر[١] قال ﷺ: كيف قال؟ فأنشده أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: يا علي قم فاقطع لسانه[٢] قال العبّاس: فوالله لهذه الكلمة أشدُّ عليّ من يوم خثعم فأخذ عليٌّ عليه السلام بيدي فانطلق بي وقلت: يا علي إنّك لقاطع لساني؟ قال: إنّي ممض فيك ما أُمرت حتّى أدخلني الحظائر فقال: اعقل ما بين أربعة إلى مائة قال: قلت: بأبي أنت وأُمّي ما أكرمكم وأحلمكم وأجملكم وأعلمكم فقال لي: إنَّ رسول الله ﷺ أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين فإن شئت فخذها وإن شئت فخذ المائة وكن مع أهل المائة قال: فقلت لعليّ عليه السلام: أشر أنت عليَّ، قال: فإنّي آمرك أن تأخذ ما أعطاك وترضى، قال: فإنّي أفعل، قال: فغضب قوم من الأنصار لذلك وظهر منهم كلام قبيح حتّى قال قائلهم: لقي الرَّجل أهله وبني عمّه ونحن أصحاب كلّ كريهة، فلمّا رأى رسول الله ﷺ ما دخل على الأنصار أمرهم أن يقعدوا ولا يقعد معهم غيرهم. ثمَّ أتاهم شبه المغضب يتبعه عليٌّ عليه السلام حتّى جلس وسطهم، فقال: ألم آتكم وأنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم الله منها بي؟ قالوا: بلى ولله ورسوله المنُّ والطّول والفضل علينا، قال: ألم آتكم وأنتم أعداء فألّف بين قلوبكم؟ قالوا: أجل، ثمَّ قال: ألم آتكم وأنتم قليل فكثّركم الله بي، وقال ما شاء الله أن يقول ثمَّ سكت، ثمَّ قال: ألا تجيبوني؟ قالوا: نعم نجيبك يا رسول الله، فداك أبونا وأُمّنا، لك المنُّ والطّول والفضل، قال: بل لو شئتم قلتم: جئتنا طريداً مكذَّباً فآويناك وصدَّقناك وجئتنا خائفاً فآمنّاك، فارتفعت إليه أصواتهم وقام إليه شيوخهم فقبّلوا يديه ورجليه وركبتيه وقالوا: رضينا عن الله وعن رسوله وهذه أموالنا أيضاً بين يديك فاقسمها بين قومك إن شئت، فقال: يا معشر الأنصار أوجدتم في أنفسكم إذ قسّمت مالاً أتألّف به قوماً ووكلتكم إلى إيمانكم أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاء والنّعم ورجعتم أنتم ورسول الله في سهمكم، ثمَّ قال: الأنصار كرشي وعيبتي[٣] لو سلك النّاس وادياً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللّهمَّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار.

---

(١) لعله ﷺ تعمد ذلك لئلا يجري على لسانه الشعر فلم يفهم أبو بكر ذلك.

(٢) يعني لسان العباس بن مرداس.

(٣) قال الجزري في حديث حنين «الأنصار كرشي ـ بالكسر ـ وعيبتي» أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته والذين يعتمد عليهم في أموره.

فصل قال: وقد كان فيما سبي أخته بنت حليمة فلمّا قامت على رأسه قالت: يا محمّد أُختك سبي ـ بنت حليمة ـ قال: فنزع رسول الله ﷺ برده فبسطه لها فأجلسها عليه ثم أكبّ عليها يسائلها وهي الّتي كانت تحضنه إذ كانت أمّها ترضعه.

وأدرك وفد هوازن رسول الله ﷺ بالجعرانة[١] وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله لنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منَّ الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله إنّا لو ملحنا[٢] للحارث بن أبي شمر والنعمان بن المنذر، ثمَّ نزل منّا مثل الّذي نزلت لعاد علينا بفضله وعطفه وأنت خير المكفولين، وإنّما في الخطائر خالاتك وحواضنك وبنات حواضنك اللاّتي أرضعنك ولسنا نسألك مالاً إنّما نسألكهنَّ وقد كان رسول الله ﷺ قسّم منهنَّ ما شاء الله فلمّا كلّمته أخته قال: أمّا نصيبي ونصيب بني عبد المطّلب فهو لك وأمّا ما كان للمسلمين فاستشفعي بي عليهم فلمّا صلّوا الظّهر، قامت فتكلّمت وتكلّموا فوهب لها النّاس أجمعهم إلاّ الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فإنّهما أبيا أن يهبا وقالوا: يا رسول الله إنَّ هؤلاء قد أصابوا من نسائنا فنحن نصيب من نسائهم مثل ما أصابوا فأقرع رسول الله ﷺ بينهم ثمَّ قال: اللّهمَّ توّه سهمهما[٣] فأصاب أحدهما خادماً لبني عقيل وأصاب الآخر خادماً لبني نمير، فلمّا رأيا ذلك وهبا ما منعا، قال: ولولا أنَّ النساء وقعن في القسمة لوهبهنَّ لها كما وهب ما لم يقع في القسمة ولكنّهن وقعن في أنصباء النّاس فلم يأخذ منهم إلاّ بطيبة النفس.

وروى أنَّ رسول الله ﷺ قال: من أمسك منكم بحقّه فله بكلّ إنسان ستُّ فرائض من أوّل فيء نصيبه، فردُّوا إلى النّاس نساءهم وأبناءهم، قال: وكلّمته أخته في مالك بن عوف فقال: إن جاءني فهو آمن فأتاه فردَّ عليه ماله وأعطاه مائة من الإبل.

فصل روى الزُّهريّ، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدريّ قال: بينا نحن عند

---

(١) الجعرانة موضع قريب من مكة وهو في الحل وميقات الإحرام وهي بتسكين العين والتخفيف وقد تكسر وتشدد الراء. (النهاية).

(٢) الملح: الرضاع والملح ـ بالفتح ـ: مصدر قولك ملحنا لفلان ملحاً: أرضعناه.

(٣) أي أهلك وضيع من التوى وهو الهلاك والهاء للسكت ومن التوه وهو الهلاك والذهاب.

رسول الله ﷺ وهو يقسّم إذ أتاه ذو الخويصرة رجلٌ من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال رسول الله ﷺ: ويلك من يعدل إن أنا لم أعدل وقد خبت أو خسرت إن أنا لم أعدل، فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: دعه فإنَّ له أصحاباً يحقّر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السّهم من الرّمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثمّ ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثمَّ ينظر إلى نضيّه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثمَّ ينظر في قذذه[1] فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدّم آتيهم رجلٌ أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر[2] يخرجون على خير فرقة من النّاس.

قال أبو سعيد: فأشهد أنّي سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أنَّ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام قاتلهم وأنا معه وأمر بذلك الرَّجل فالتمس فوجد فأُتي به حتّى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الّذي نعت (رواه البخاريُّ في الصحيح).

فصل قالوا: ثمَّ ركب رسول الله واتبعه النّاس يقولون يا رسول الله اقسم علينا فيئنا حتّى ألجأوه إلى شجرة فانتزع عنه رداؤه فقال: أيّها النّاس رُدُّوا عليَّ ردائي فوالّذي نفسي بيده لو كان عندي عدد شجرتها نعماً لقسّمته عليكم، ثمَّ ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً، ثمَّ قام إلى جنب بعير وأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين إصبعيه فقال: أيّها النّاس والله ما لي من فيئكم هذه الوبرة إلاّ الخمس والخمس مردود عليكم فأدّوا الخياط والمخيط، فإنَّ الغلول عارٌ ونارٌ وشنارٌ على أهله يوم القيامة، فجاءه رجلٌ من الأنصار بكبّة من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله أخذت هذه لأخيط بها

---

(١) قال الجزري في حديث الخوارج «يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية» أي يجوزونه ويخرقونه ويبعدونه كما يمرق السهم من الشيء المرمي به ويخرج منه وقال: الرصاف هو عقب يلوى على مدخل النصل فيه، وقال: في حديث الخوارج «فينظر في نضيه» النضي: نصل السهم وقيل: هو السهم قبل أن ينحت إذا كان قدحاً وهو أولى لأنه قد جاء في الحديث ذكر النصل بعد النضي وقيل: هو من السهم ما بين الريش والنصل، والقذذ: ريش السهم واحدتها قذة. انتهى.

(٢) تدردر أي ترجرج تجيء وتذهب والأصل تتدردر فحذف إحدى التائين تخفيفاً.

برذعة بعير لي، فقال رسول الله ﷺ: أمّا حقّي منها فلك، فقال الرّجل: أمّا إذا بلغ الأمر هذا فلا حاجة لي بها ورمى بها من يده.

ثمّ خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة في ذي القعدة إلى مكّة فقضى بها عمرته ثمّ صار إلى المدينة وخليفته على أهل مكّة معاذ بن جبل.

فقال محمّد بن إسحاق: استخلف عتّاب بن أُسيد وخلّف معه معاذاً يفقّه النّاس في الدّين ويعلّمهم القرآن وحجّ بالنّاس في تلك السّنة وهي سنة ثمان عتّاب بن أُسيد، وأقام ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجّة إلى رجب.

ثم كانت غزوة تبوك تهيّأ رسول الله ﷺ في رجب لغزو الرُّوم وكتب إلى قبائل العرب ممّن قد دخل في الإسلام وبعث إليهم الرّسل يرغّبهم في الجهاد والغزو، وكتب إلى تميم وغطفان وطيّ وبعث إلى عتّاب بن أُسيد عامله إلى مكّة المشرّفة يستنفرهم لغزو الرُّوم فلمّا تهيّأ للخروج قام خطيباً فحمد الله تعالى وأثنى عليه ورغّب في المؤاساة وتقوية الضعيف والإنفاق فكان أوّل من أنفق فيها عثمان بن عفّان جاء بأواني من فضّة فصبّها في حجر النبيّ ﷺ فجهّز ناساً من أهل الضعف وهو الّذي يقال إنّه جهّز جيش العسرة، وقدم العبّاس على رسول الله ﷺ فأنفق نفقة حسنة وجهّز وسارع فيها الأنصار وأنفق عبد الرّحمن والزّبير وطلحة وأنفق أُناس من المنافقين رياء وسمعة، فنزل القرآن بذلك وضرب رسول الله ﷺ عسكره فوق ثنيّة الوداع بمن تبعه من المهاجرين وقبائل العرب وبني كنانة وأهل تهامة ومزينة وجهينة وطيّ وتميم، واستعمل على المدينة عليّاً وقال: إنّه لا بدّ للمدينة منّي أو منك واستعمل الزّبير على راية المهاجرين وطلحة بن عبيد الله على الميمنة وعبد الرّحمن بن عوف على الميسرة وسار رسول الله ﷺ حتّى نزل الجرف فرجع عبد الله بن أُبيّ بغير إذن فقال رسول الله ﷺ: حسبي الله هو الذي أيّده بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم ـ الآية ـ فلمّا انتهى إلى الجرف لحقه عليٌّ وأخذ بغرز رحله[١] وقال: يا رسول الله زعمت قريش أنّك خلّفتني استثقالاً منّي، فقال: طال ما آذت الأُمم أنبياءها، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ فقال: قد رضيت فرجع إلى المدينة وقدم رسول الله ﷺ تبوك في شعبان يوم الثّلثاء وأقام

(١) الغرز ـ كفلس ـ: الركاب.

بقيّة شعبان وأيّاماً من شهر رمضان وأتاه وهو بتبوك يحنّة بن رؤبة صاحب ايلة[١] فأعطاه الجزية وكتب رسول الله ﷺ له كتاباً والكتاب عندهم وكتب أيضاً لأهل جرباء وأذرح[٢] كتاباً وبعث رسول الله ﷺ وهو بتبوك بأبي عبيدة بن الجرَّاح إلى جمع من جذام مع زنباع بن روح الجذامي فأصاب منهم طرفاً[٣] وأصاب منهم سبايا، وبعث سعد بن عبادة إلى ناس من بني سليم وجموع من بليّ فلمّا قاربوا القوم هربوا وبعث خالداً إلى الأُكيدر صاحب دومة الجندل وقال له: لعلّ الله يكفيكه بصيد البقر فتأخذه، فبينا خالد وأصحابه في ليلة إضحيان[٤] إذ أقبلت البقرة، تنتطح باب حصن أُكيدر وهو مع امرأتين له يشرب الخمر فقام فركب هو وحسّان أخوه وناس من أهله فطلبوها وقد كمن له خالد وأصحابه فتلقّاه أُكيدر وهو يتصيّد البقر فأخذوه وقتلوا حسّاناً أخاه وعليه قباء مخوّص بالذّهب[٥] وأفلت أصحابه وقد دخلوا الحصن وأغلقوا الباب دونهم فأقبل خالد بأُكيدر وسار معه إلى أصحابه وسألهم أن يفتحوا له الباب فأبوا فقال: أرسلني فإنّي أفتح الباب فأخذ عليه موثقاً وأرسله فدخل وفتح الباب حتّى دخل خالد وأصحابه وأعطاه ثماني مائة رأس وألفي بعير وأربعمائة درع وأربعمائة رمح وخمسمائة سيف فقبل ذلك منه وأقبل به إلى رسول الله ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية.

وفي كتاب دلائل النبوّة للشيخ أبي بكر أحمد البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وذكر الإسناد مرفوعاً إلى أبي الأسود، عن عروة قال: لمّا رجع رسول الله ﷺ قافلاً من تبوك[٦] إلى المدينة حتّى إذا كان ببعض الطريق مكر به ناس من أصحابه فأتمروا أن يطرحوه من عقبة في الطريق وأرادوا أن يسلكوها معه، فأُخبر رسول الله خبرهم، فقال: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنّه أوسع لكم، فأخذ

---

(١) ايلة مدينة على ساحل بحر القلزم. وجبل بين مكة والمدينة قرب ينبع. (المراصد).

(٢) جرباء وأذرح هما قريتان بالشام بينهما ثلاث ليال وكتب لهما النبي ﷺ أماناً فيه. (النهاية)

(٣) وزنباع ـ كقنطار ـ والطرف جمع الطرفة: نفائس الأموال وغرائبها.

(٤) ليلة اضحيانة أي مضيئة لا غيم فيها.

(٥) أي منسوج بالذهب.

(٦) قفل ـ كنصر وضرب ـ قفولاً: رجع فهو قافل. (القاموس)

النبيُّ ﷺ العقبة وأخذ النّاس بطن الوادي إلاّ النفر الّذين أرادوا المكر به استعدّوا وتلثّموا[١] وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر فمشيا معه مشياً وأمر عمّاراً أن يأخذ بزمام النّاقة وأمر حذيفة أن يسوقها، فبينا هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه[٢] فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردَّهم فرجع ومعه محجن[٣] فاستقبل وجوه راحلتهم وضربهم ضرباً بالمحجن وأبصر القوم وهم متلثّمون فرعّبهم الله حين أبصروا حذيفة وظنّوا أنَّ مكرهم قد ظهر عليه، فأسرعوا حتّى خالطوا النّاس وأقبل حذيفة حتّى أدرك رسول الله ﷺ فلمّا أدركه قال: اضرب الراحلة يا حذيفة وامش أنت يا عمّار، فأسرعوا فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس، فقال النبيّ: يا حذيفة هل عرفت من هؤلاء الرَّهط أو الرّكب أحداً؟ فقال: عرفت راحلة فلان وفلان وكانت ظلمة اللّيل غشيتهم وهم متلثّمون، فقال: هل علمتم[٤] ما شأن الرّكب وما أرادوا؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنّهم مكروا ليسيروا معي حتّى إذا أظلمت بي العقبة طرحوني منها، قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاءك الناس فتضرب أعناقهم؟ قال: أكره أن يتحدّث الناس ويقولوا: إنَّ محمّداً قد وضع يده في أصحابه، فسمّاهم لهما وقال: أُكتماهم.

وفي كتاب أبان بن عثمان قال الأعمش: وكانوا اثني عشر سبعة من قريش قال: وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكان إذا قدم من سفر استقبل بالحسن والحسين عليهما السلام فأخذهما إليه وحفّ المسلمون به حتّى يدخل على فاطمة عليها السلام ويقعدون بالباب وإذا خرج مشوا معه وإذا دخل منزله تفرّقوا عنه.

وعن أبي حميد الساعدي[٥] قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك حتّى إذا أشرفنا على المدينة قال: هذه طابة وهذا جبل أُحد يحبّنا ونحبّه.

---

(١) تلثم أي شد الثوب أو النقاب على أنفه أو فمه.

(٢) الوكزة: العدو وفي بعض النسخ [ركزة] وهو بمعناه. وقوله: «غشوه» أي ازدحموا عليه وكثروا (كذا في النهاية).

(٣) المحجن ـ كمنبر ـ: العصاء المعوجة.

(٤) (كذا).

(٥) صحابي مشهور (التقريب).

وعن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ لمّا دنا من المدينة قال: إنَّ بالمدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلاّ كانوا معكم فيه، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: نعم، وهم بالمدينة، حبسهم العذر.

وكانت تبوك آخر غزوات رسول الله ﷺ ومات عبد الله بن أُبيّ بعد رجوع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك.

فصل فنزلت سورة ﴿**براءة من الله ورسوله**﴾ في سنة تسع فدفعها إلى أبي بكر فسار بها فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: إنّه لا يؤدّي عنك إلاّ أنت أو عليٌّ فبعث عليّاً على ناقته العضباء فلحقه فأخذ منه الكتاب فقال له أبو بكر: أنزل فيَّ شيء؟ قال: لا ولكن لا يؤدّي عن رسول الله ﷺ إلاّ هو أو أنا، فسار بها عليٌّ حتّى أذّن بمكّة يوم النّحر وأيّام التشريق، وكان في عهده أن ينبذ إلى المشركين عهدهم وأن لا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل المسجد مشرك ومن كان له عهد فإلى مدّته ومن لم يكن له عهد فإلى أربعة أشهر فإن أخذناه بعد أربعة أشهر قتلناه وذلك قوله تعالى: ﴿**فإذا انسلخ الأشهر الحرم ـ إلى قوله ـ كلّ مرصد**﴾[1] قال: ولمّا دخل مكّة اخترط[2] سيفه وقال: والله لا يطوف بالبيت عريان إلاّ ضربته بالسّيف حتّى أُلبسهم الثّياب، فطافوا وعليهم الثياب.

فصل قال: ثمَّ قدم على رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفيُّ مسلماً واستأذن رسول الله ﷺ في الرّجوع إلى قومه فقال: إنّي أخاف أن يقتلوك قال: إن وجدوني نائماً ما أيقظوني فأذن له رسول الله ﷺ فرجع إلى الطائف ودعاهم إلى الإسلام ونصح لهم فعصوه وأسمعوه الأذى حتّى إذا طلع الفجر قام في غرفة من داره فأذّن وتشهّد، فرماه رجلٌ بسهم فقتله وأقبل بعد قتله من وفد ثقيف بضعة عشر رجلاً هم أشراف ثقيف فأسلموا فأكرمهم رسول الله ﷺ وحباهم وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص بن بشر، وقد كان تعلّم سوراً من القرآن، وقد ورد في الخبر عنه أنّه قال: قلت: يا رسول الله إنَّ الشيطان قد حال بين صلاتي وقراءتي، قال: ذاك الشيطان يقال

(١) التوبة: ٥.

(٢) اخترط سيفه أي انتزعه من غلافه وحركه يميناً وشمالاً.

له: خنزب[١] فإذا خشيت فتعوَّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً قال: ففعلت فأذهب الله عنّي (رواه مسلم في الصحيح).

فصل فلمّا أسلمت ثقيف ضربت إلى رسول الله ﷺ وفود العرب فدخلوا في دين الله أفواجاً كما قال الله سبحانه، فقدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة في أشراف من بني تميم منهم الأقرع بن حابس والزّبرقان بن بدر وقيس بن عاصم وعيينة بن حصن الفزاريّ وعمرو بن الأهتم وكان الأقرع وعيينة شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكّة وحنيناً والطائف فلمّا قدم وفد تميم دخلا معهم فأجارهم رسول الله ﷺ وأحسن جوارهم، وممّن قدم عليه وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة لأُمّه وكان عامر قد قال لأربد: إنّي شاغلٌ عنك وجهه فإذا فعلته فاعله بالسيف، فلمّا قدموا عليه، قال عامر: يا محمد خالني[٢]، فقال: لا، حتّى تؤمن بالله وحده ـ يقولها مرّتين ـ فلمّا أبى عليه رسول الله ﷺ قال: والله لأملأنّها عليك خيلاً حمراً ورجالاً فلمّا ولى قال رسول الله ﷺ: اللّهمَّ اكفني عامر بن الطفيل، فلمّا خرجوا قال عامر لأربد: أين ما كنتُ أمرتك به، قال: والله ما هممت بالّذي أمرتني به إلاّ دخلتَ بيني وبين الرَّجل، أفأضربك بالسيف، وبعث الله على عامر بن الطفيل في طريقه ذلك الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من سلول وخرج أصحابه حين واروه إلى بلادهم وأرسل الله تعالى على أربد وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

وفي كتاب أبان بن عثمان أنّهما قدما على رسول الله ﷺ بعد غزوة بني النضير قال: وجعل يقول عامر عند موته: أغدّة كغدّة البكر[٣] وموت في بيت سلوليّة.

قال: وكان رسول الله ﷺ قال في عامر وأربد: اللّهمَّ أبدلني بهما فارسي العرب فقدم عليه زيد بن مهلهل الطائي وهو زيد الخيل وعمرو بن معدي كرب.

---

(١) قال الجزري: في حديث الصلاة «ذلك شيطان يقال له: خنزب» قال أبو عمرو» وهو لقب له. والخنزب: قطعة لحم منتنة ويروى بالكسر والضم.

(٢) قوله: «خالني» أمر من المخالة وهي المحبة الخالصة. (النهاية)

(٣) الغدة: داء يصيب البعير فيموت. والبكر: الفتيّ من الإبل.

فصل وممّن قدم على رسول الله ﷺ وفد طيّ فيهم زيد الخيل وعديّ بن حاتم فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم وسمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير وقطع له فيداً وأرضين معه وكتب له كتاباً، فلمّا خرج زيد من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه قال رسول الله ﷺ: إن ينج زيد من حمّى المدينة أو من أُمّ ملدم[١] فلمّا انتهى من بلد نجد إلى ماء يقال له فرَدَة أصابته الحمّى فمات بها وعمدت امرأته إلى ما كان معه من الكتب فأحرقتها.

وذكر محمّد بن إسحاق أنَّ عديّ بن حاتم فرّ وأنَّ خيل رسول الله ﷺ قد أخذوا أُختهُ فقدموا بها على رسول الله ﷺ وأنّه منَّ عليها وكساها وأعطاها نفقة فخرجت مع ركب حتّى قدمت الشام وأشارت على أخيها بالقدوم فقدم وأسلم وأكرمه رسول الله ﷺ وأجلسه على وسادة رمى إليه بيده.

فصل وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معدي كرب وأسلم ثمَّ نظر إلى أبي عثعث الخثعمي فأخذ برقبته وأدناه إلى رسول الله ﷺ فقال: أعدني على هذا الفاجر الّذي قتل والدي فقال: أهدر الإسلام ما كان في الجاهليّة فانصرف عمرو مرتدّاً وأغار على قوم من بني الحارث بن كعب فأنفذ رسول الله عليّاً إلى بني زبيد وأمّره على المهاجرين وأرسل خالد بن الوليد في طائفة من الأعراب وأمره أن يقصد لجعفيّ فإذا التقيا فأمير النّاس علي بن أبي طالب وسار عليٌّ عليه السلام واستعمل على مقدّمته خالد بن سعيد بن العاص فلمّا رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: كيف أنت يا أبا ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشيّ فأخذ منك الأتاوة[٢]؟ فقال: سيعلم إن لقيني وخرج عمرو وخرج أمير المؤمنين عليه السلام فصاح به صيحة فانهزم وقتل أخوه وابن أخيه وأُخذت امرأته ركانة وسبي منهم نسوان وخلّف على بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض زكواتهم ويؤمن من عاد إليه من هرابهم مسلماً، فرجع عمرو واستأذن على خالد بن سعيد فأذن له فعاد إلى الإسلام وكلّمه في امرأته وولده فوهبهم له وكان أمير المؤمنين قد اصطفى من السبي جارية فبعث خالد بريدة الأسلمي إلى النبيّ ﷺ وقال له:

---

(١) أم ملدم نوع من الحمى أو الترديد من الراوي.

(٢) الأتاوة ـ بالفتح ـ: الخراج.

تقدّم الجيش إليه فأعلمه ما فعل عليٌّ عليه السلام من اصطفاء الجارية من الخمس لنفسه وقع فيه فسار بريدة حتّى دخل على النبيّ ومعه كتاب خالد فجعل يقرؤه على رسول الله ووجهه يتغيّر، فقال بريدة: إن رخّصت يا رسول الله للناس مثل هذا ذهب فيئهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بريدة أحدثت نفاقاً إنَّ عليَّ بن أبي طالب يحل له من الفيء ما يحلُّ لي، إنَّ عليَّ بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك وخير من أُخلف بعدي لكافّة أُمّتي، يا بريدة احذر أن تبغض عليّاً فيبغضك الله، قال بريدة: فتمنّيت أنَّ الأرض انشقّت لي فسخت فيها وقلت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، يا رسول الله استغفر لي فلن أبغض عليّاً أبداً ولا أقول فيه إلاّ خيراً فاستغفر له النبيّ، قال بريدة: فصار عليٌّ أحبَّ خلق الله بعد رسوله إليّ.

فصل وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفد نجران فيهم بضعة عشر رجلاً من أشرافهم وثلاثة نفر يتولّون أمورهم العاقب وهو أميرهم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلاّ عن رأيه وأمره واسمه عبد المسيح والسيّد وهو ثمالهم[1] وصاحب رحلهم واسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة الأُسقف وهو حبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وله فيهم شرف ومنزلة وكانت ملوك الروم قد بنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم من علمه واجتهاده في دينهم، فلمّا وجّهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جلس أبو حارثة على بغلة وإلى جنبه أخ له يقال له: كرز وبشر بن علقمة يسايره إذ عثرت بغلة أبي حارثة فقال كرز: تعس الأبعد[2] ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست قال له: ولم يا أخ؟ فقال: والله إنّه النبيُّ الّذي كنّا ننتظره، قال كرز: فما يمنعك أن تتبعه؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم شرّفونا وموّلونا وأكرمونا وقد أبوا إلاّ خلافه ولو فعلت نزعوا منّا كلَّ ما ترى فأضمر عليها منه أخوه كرز حتّى أسلم ثمَّ مرَّ يضرب راحلته ويقول:

---

(١) فلان ثمال القوم ـ بالكسر ـ أي غياث لهم، يقوم بأمرهم.

(٢) التعس: الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط والفعل ـ كمنع وسمع ـ فإذا خاطبت قلت: تعست ـ كمنع ـ وإذا حكيت قلت: تعس ـ كسمع ـ. والأبعد: الخائن والمتباعد من الخير.

إليـــك تغـــدو قلقـــاً وضينهـــا معتـــرضـــاً فـــي بطنهـــا جنينهـــا
مخالفاً دين النصارى دينها(١)

فلمّا قدم على النبيّ أسلم قال: فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقت العصر وفي لباسهم الدّيباج وثياب الحبرة على هيئة لم يقدم بها أحد من العرب، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله لو لبست حلّتك التي أهداها لك قيصر فرأوك فيها، قال: ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلّموا عليه فلم يردّ عليهم السلام ولم يكلّمهم فانطلقوا يتتبّعون عثمان بن عفّان وعبد الرّحمن بن عوف وكانا معرفة لهم فوجدوهما في مجلس من المهاجرين فقالوا: إنَّ نبيّكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له فأتيناه وسلّمنا عليه فلم يردّ سلامنا ولم يكلّمنا فما الرأي؟ فقالا لعليّ بن أبي طالب: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ثمّ يعودون إليه، ففعلوا ذلك فسلّموا فردَّ عليهم سلامهم ثمَّ قال: والّذي بعثني بالحقّ لقد أتوني المرَّة الأُولى وإنَّ إبليس لمعهم. ثمَّ ساءلوه ودارسوه يومهم وقال الأُسقف: ما تقول في السيّد المسيح يا محمّد؟ قال: هو عبد الله ورسوله، قال: بل كذا وكذا فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بل هو كذا وكذا فترادّا فنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صدر سورة آل عمران نحو من سبعين آية يتبع بعضها بعضاً وفيما أنزل الله ﴿**إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ـ إلى قوله ـ على الكاذبين**﴾ فقالوا للنّبيّ: نباهلك غداً وقال أبو حارثة لأصحابه: انظروا فإن كان محمّد غداً يباهلكم بولده وأهل بيته فاحذروا مباهلته وإن غدا بأصحابه وأتباعه فباهلوه.

قال أبان: حدَّثني الحسين بن دينار، عن الحسن البصري قال: غدا رسول الله آخذاً بيد الحسن والحسين تتبعه فاطمة عليها السلام وبين يديه عليٌّ عليه السلام وغدا العاقب والسيّد بابنين على أحدهما درّتان كأنّهما بيضتا حمام فحفّوا بأبي حارثة فقال أبو حارثة: من هؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمّه زوج ابنته وهذان ابنا ابنته وهذه بنته أعزُّ

---

(١) قال في النهاية. في حديث علي عليه السلام «إنك لقلق الوضين» القلق: الانزعاج والوضين بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج، أراد أنه سريع الحركة يصفه بالخفة وقلة الثبات كالحزام إذا كان رخواً.

النّاس عليه وأقربهم إلى قلبه وتقدّم رسول الله ﷺ فجثا على ركبتيه، فقال أبو حارثة: جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة فكعّ[١] ولم يقدم على المباهلة فقال له السيّد: ادن يا أبا حارثة للمباهلة، فقال: لا، إنّي لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقاً فلا يحول والله علينا الحول وفي الدُّنيا نصرانيٌّ يطعم الماء، قال: وكان نزل العذاب من السماء لو باهلوه، فقالوا: يا أبا القاسم إنّا لا نباهلك ولكن نصالحك، فصالحهم رسول الله ﷺ على ألفي حلّة من حلل الأواقي قيمة كلّ حلّة أربعون درهماً جياداً وكتب لهم بذلك كتاباً وقال لأبي حارثة الأسقف: لكأنّني بك قد ذهبت إلى رحلك وأنت وسنان فجعلت مقدّمه مؤخّره فلمّا رجع قام يرحل راحلته فجعل رحله مقلوباً فقال: أشهد أنَّ محمّداً رسول الله.

فصل ثم بعث رسول الله ﷺ عليّاً إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام ـ وقيل: ليخمّس زكواتهم ويعلّمهم الأحكام ويبيّن لهم الحلال والحرام ـ وإلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم.

وروى أبو عبد الله الحافظ بإسناده رفعه إلى عمرو بن شاس الأسلمي قال: كنت مع عليّ بن أبي طالب في جملة وجفاني عليٌّ بعض الجفا فوجدت عليه في نفسي، فلمّا قدمت المدينة اشتكيته عند من لقيته فأقبلت يوماً ورسول الله ﷺ جالس في المسجد فنظر إليَّ حتى جلست إليه فقال: يا عمرو بن شاس لقد آذيتني، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أعوذ بالله والإسلام أن أؤذي رسول الله فقال: من آذى عليّاً فقد آذاني وقد كان بعث قبله رسول الله عليه الصلاة والسّلام خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه قال البراء: فكنت مع عليّ فلمّا دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلّى بنا عليٌّ ثمَّ صفّنا صفّاً واحداً ثمَّ تقدَّم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان كلّها فكتب عليٌّ إلى رسول الله ﷺ فلمّا قرأ الكتاب خرَّ ساجداً ثمَّ رفع رأسه فقال: على همدان السّلام ـ أخرجه البخاري في الصحيح ـ.

وروى الأعمش عن عمرو بن مرّة، عن أبي البختري، عن عليّ عليه السلام قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قلت: يا رسول الله تبعثني وأنا شابٌّ أقضي بينهم

(١) كع الرجل عن الأمر: جبن عنه وأحجم.

ولا أدري ما القضاء قال: فضرب بيده في صدري وقال: اللّهمَّ اهد قلبه وثبّت لسانه فوالّذي نفسي بيده ما شككت في قضاء بين اثنين.

فصل وخرج رسول الله ﷺ من المدينة متوجّهاً إلى الحجّ في السنة العاشرة لخمس بقين من ذي القعدة وأذّن في النّاس الحجّ فتجهّز النّاس للخروج معه وحصر المدينة من ضواحيها[1] ومن جوانبها خلق كثير فلمّا انتهى إلى ذي الحليفة ولدت هناك أسماء بنت عميس محمّد بن أبي بكر فأقام تلك اللّيلة من أجلها وأحرم من ذي الحُليفة وأحرم النّاس معه وكان قارناً للحجّ بسياق الهدي ساق معه ستّاً وستّين بدنة وحجّ علي من اليمن وساق معه أربعاً وثلاثين بدنة وخرج بمن معه من العسكر الذي صحبه من اليمن ومعه الحلل الّتي أخذها من نجران، فلمّا قارب رسول الله ﷺ مكّة من طريق المدينة قاربها أمير المؤمنين عليه السلام من طريق اليمن فتقدَّم الجيش إلى رسول الله ﷺ فسرَّ بذلك وقال له: بما أهللت يا عليّ؟ فقال: يا رسول الله إنّك لم تكتب إليَّ بإهلالك فعقدت نيّتي بنيّتك وقلت: اللّهمّ إهلالاً كإهلال نبيّك فقال: فأنت شريكي في حجّي ومناسكي وهديي فأقم على إحرامك وعد على جيشك وعجّل بهم إليَّ حتّى نجمع بمكّة.

وقد روي أيضاً عن الصادق عليه السلام أنَّ رسول الله ﷺ ساق في حجّته مائة بدنة فنحر نيّفاً وستّين ثمَّ أعطى عليّاً نيّفاً وثلاثين فلمّا رجع عليٌّ إلى جيشه وجد النّاس قد لبسوا تلك الحلل فقال للّذي استخلفه عليهم: ويحك إلى ما فعلت من غير إذن رسول الله ﷺ قال: إنّهم سألوني أن أدفعها إليهم فيتجمّلوا بها ويحرموا فيها، فقال: بئس ما فعلوا وبئس ما فعلت فانتزعها من القوم وشدَّها في الأعدال فكثرت شكاية القوم عليّاً فنادى منادي رسول الله ﷺ ارفعوا ألسنتكم من شكاية عليّ فإنّه خشن في ذات الله ولمّا قدم النبيّ مكّة وطاف وسعى نزل عليه جبرئيل عليه السلام ـ وهو على المروة ـ بهذه الآية ﴿**وأتمّوا الحجَّ والعمرة لله**﴾ فخطب الناس وحمد الله وأثنى عليه وقال: دخلت العمرة في الحجّ هكذا إلى يوم القيامة وشبّك بين أصابعه ثمَّ قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرته ما سقت الهدي، ثمَّ أمر مناديه فنادى: من لم يسق منكم هدياً فليحلّ وليجعلها عمرة ومن ساق منكم هدياً فليقم على إحرامه وقام إليه

(١) ضاحية كل شيء ناحيته البارزة.

رجلٌ من بني عديّ وقال: يا رسول الله أنخرج إلى منى ورؤوسنا تقطر من النساء؟ فقال: إنّك لن تؤمن بها حتّى تموت فقام إليه سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد؟ قال: لا، بل لأبد الأبد، فأحلَّ النّاس أجمعون إلاّ من كان معه هدي وخطب رسول الله ﷺ النّاس يوم النّفر من منى فودّعهم ولمّا قضى رسول الله ﷺ نسكه ونقل إلى المدينة وانتهى إلى الموضع المعروف بغدير خمّ وليس بموضع للنزول لعدم الماء والمرعى فنزل عليه جبرئيل وأمره أن يقيم عليّاً وينصبه إماماً للنّاس، فقال: إنَّ أُمّتي حديثو عهد بالجاهليّة فنزل عليه إنّها عزيمة لا رخصة فيها ونزلت الآية ﴿**وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس**﴾ فنزل رسول الله بالمكان الّذي ذكرنا ونزل المسلمون حوله وكان يوماً شديد الحرّ فأمر رسول الله ﷺ بدوحات هناك فقمَّ ما تحتها وأمر بجمع الرّحال في ذلك المكان ووضع بعضها على بعض، ثمَّ أمر مناديه فنادى بالنّاس الصّلاة جامعة، فاجتمعوا إليه وإنَّ أكثرهم ليلفّ ردائه على قدميه من شدَّة الرَّمضاء فصعد ﷺ على تلك الرّحال حتّى صار في ذروتها ودعا عليّاً عليه السلام فرقي معه حتّى قام عن يمينه، ثمَّ خطب النّاس فحمد الله وأثنى عليه ووعظ ونعى إلى الأمّة نفسه فقال: إنّي دعيت ويوشك أن أُجيب وقد حان مني خفوقٌ[١] من بين أظهركم وإنّي مخلّفٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ثمَّ نادى بأعلى صوته: ألست أولى بكم منكم بأنفسكم؟ فقالوا: اللّهمّ بلى، فقال لهم على النسق وقد أخذ بضبعي[٢] عليّ فرفعهما حتى رُئي بياض إبطيهما وقال: فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللّهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، ثمَّ نزل وكان وقت الظهيرة ثمَّ صلّى ركعتين ثمَّ زالت الشمس فأذّن مؤذّنه لصلاة الظّهر فصلّى بالناس وجلس في خيمته وأمر عليّاً أن يجلس بخيمة له بإزائه، ثمَّ أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً يهنّوه بالإمامة ويسلّمون عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك اليوم كلّهم ثمَّ أمر أزواجه وجميع نساء المؤمنين معه أن يدخلن ويسلّمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن ذلك، وكان ممّن أطنب في تهنئته بذلك المقام عمر بن الخطّاب وقال فيما قال: بخ بخ لك يا عليُّ أصبحت مولاي ومولى كلّ

---

(١) خفق النجم خفوقاً: غاب. يريد ﷺ الإنذار بموته.

(٢) الضبع: العضد.

مؤمن ومؤمنة وأنشأ حسّان يقول:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخمّ وأسمع بالرَّسول مناديا
وقال فمن مولاكم ووليّكم فقالوا ولم يبدوا هناك التّعاديا
إلهك مولانا وأنت وليّنا ولن تجدن منّا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا عليُّ فإنّني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللّهمَّ وال وليّه وكن للّذي عادا عليّاً معاديا

فقال له رسول الله ﷺ: لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ولم يبرح رسول الله ﷺ من ذلك المكان حتّى نزل ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ فقال: الحمد لله على كمال الدّين وتمام النعمة ورضى الرَّب برسالتي والولاية لعليّ عليه السلام من بعدي.

ولمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة من حجّة الوداع عقد لأُسامة بن زيد الإمرة وأمره أن يقصد حيث قتل أبوه وقال له: أوطىء الخيل أواخر الشام من أوائل الرُّوم وجعل في جيشه أعيان المهاجرين ووجوه الأنصار وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وعسكر أُسامة بالجرف، فاشتكى رسول الله ﷺ شكواه الّتي توفّي فيها وكان يقول في مرضه: نفّذوا جيش أُسامة ويكرّر ذلك وإنّما فعل ذلك لئلاّ يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الإمامة ويطمع في الإمارة ويستوسق الأمر لأهله.

فصل قال: ولمّا أحسَّ النبيُّ بالمرض الذي اعتراه وذلك يوم السبت أو يوم الأحد لليال بقين من صفر أخذ بيد عليّ وتبعه جماعة من أصحابه وتوجّه إلى البقيع ثمَّ قال: السّلام عليكم أهل القبور ليهنئكم ما أصبحتم فيه ممّا فيه النّاس أقبلت الفتن كقطع اللّيل المظلم يتبع آخرها أوّلها ثمَّ قال: إنَّ جبرئيل كان يعرض عليَّ القرآن كلَّ سنة مرَّة وقد عرضه عليَّ العام مرّتين ولا أراه إلاّ لحضور أجلي، ثمَّ قال: يا عليُّ إنّي خيّرت بين خزائن الدُّنيا والخلود فيها أو الجنّة فاخترت لقاء ربّي والجنّة، فإذا أنا متُّ فغسّلني واستر عورتي فإنّه لا يراها أحدٌ إلاّ كمه، ثمّ عاد إلى منزله فمكث ثلاثة أيّام

موعوكاً، ثمَّ خرج إلى المسجد يوم الأربعاء معصوب الرّأس متّكئاً على عليّ بيمنى يديه وعلى الفضل بُن عبّاس باليد الأُخرى، فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: أمّا بعد أيّها النّاس إنّه قد حان منّي خفوق من بين أظهركم فمن كانت له عندي عدة فليأتني أُعطه إيّاها ومن كان له عندي دين فليخبرني به فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله لي عندك عدة إنّي تزوّجت فوعدتني بثلاثة أواق، فقال: انحلها إيّاه يا فضل.

فلبث الأربعاء والخميس ولمّا كان يوم الجمعة جلس على المنبر فخطب ثمَّ قال: أيّها الناس إنّه ليس بين الله وبين أحد شيءٌ يعطيه به خيراً أو يصرف به عنه شرّاً إلاّ العمل الصالح أيّها الناس لا يدَّع مدَّع ولا يتمنّ متمنّ والذي بعثني بالحقّ لا ينجي إلاّ العمل مع رحمة الله ولو عصيت لهويت، اللّهمَّ بلّغت ـ ثلاثاً ـ ثمَّ نزل فصلّى بالنّاس ثمَّ دخل بيته وكان إذ ذاك في بيت أُمّ سلمة فأقام بها يوماً أو يومين فجاءت عائشة فسألته أن ينقل إلى بيتها لتتولّى تعليله فأذن لها فانتقل إلى البيت الّذي أسكنته عائشة واستمرَّ المرض به فيه أيّاماً وثقل فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله مغمور بالمرض فنادى الصلاة رحمكم الله، فقال: يصلّي بالناس بعضهم فقالت عائشة: مروا أبا بكر ليصلّي بالنّاس وقالت حفصة: مروا عمر، فقال ﷺ: أُكففن فإنكنَّ صويحبات يوسف ثمَّ قام وهو لا يستقلّ على الأرض من الضعف وقد كان عنده أنّهما خرجا إلى أُسامة فأخذ بيد عليّ بن أبي طالب والفضل بن عبّاس فاعتمدهما ورجلاه تخطّان الأرض من الضّعف فلمّا خرج إلى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب فأومأ إليه بيده فتأخّر أبو بكر وقام رسول الله ﷺ وكبّر وابتدأ بالصلاة فلمّا سلّم وانصرف إلى منزله استدعى أبا بكر وعمر وجماعة من حضر المسجد ثمَّ قال: ألم آمركم أن تنفذوا جيش أُسامة فقال أبو بكر: إنّي كنت خرجت ثمَّ عدت لأحدث بك عهداً وقال عمر: إنّي لم أخرج لأنّني لم أُحبّ أن أسأل عنك الرَّكب، فقال: نفّذوا جيش أُسامة ـ يكرّرها ثلاث مرّات ـ ثمّ أُغمي عليه من التّعب الذي لحقه فمكث هنيئة وبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وولده ومن حضره فأفاق، قال: ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً، ثمَّ أُغمي عليه فقام بعض من حضر من أصحابه ليلتمس دواة وكتفاً فقال له عمر: ارجع فإنّه يهجر فلمّا أفاق قال بعضهم: ألا نأتيك يا رسول الله بكتف ودواة فقال: أبعد

الّذي قلتم، لا. ولكن احفظوني في أهل بيتي واستوصوا بأهل الذمّة خيراً وأطعموا المساكين والصلاة وما ملكت أيمانكم فلم يزل يردّد ذلك حتّى أعرض عن القوم بوجهه فنهضوا وبقي عنده العبّاس والفضل وعليٌّ عليه السلام وأهل بيته خاصّة، فقال العبّاس: يا رسول الله إن يكن هذا الأمر فينا مستقرّاً من بعدك فبشّرنا وإن كنت تعلم أنّا نغلب عليه فأوص بنا، فقال: أنتم المستضعفون من بعدي وصمت، ونهض القوم وهم يبكون فلمّا خرجوا من عنده قال: ردّوا عليَّ أخي عليّ بن أبي طالب وعمّي، فحضرا فلمّا استقرّ بهما المجلس قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عبّاس يا عمَّ رسول الله تقبل وصيّتي وتنجز عدتي وتقضي ديني؟ فقال العبّاس يا رسول الله عمّك شيخ كبير ذو عيال كثير وأنت تباري الرّيح[1] سخاء وكرماً وعليك وعدٌ لا ينهض به عمّك، فأقبل على عليّ فقال: يا أخي تقبل وصيّتي وتنجز عدتي وتقضي ديني؟ فقال: نعم يا رسول الله صلّى الله عليك وآلك، فقال: أُدن منّي فدنا منه فضمّه ونزع خاتمه من يده فقال له: خذه فضعه في يدك، ودعا بسيفه ودرعه، ويروى أنَّ جبرئيل نزل بها من السّماء فجيء بها إليه فدفعها إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: اقبض هذا في حياتي ودفع إليه بغلته وسرجها وقال: امض على اسم الله إلى منزلك فلمّا كان من الغد حجب النّاس عنه وثقل في مرضه صلى الله عليه وآله وكان عليٌّ لا يفارقه إلاّ لضرورة، فقام في بعض شؤونه فأفاق إفاقة فافتقد عليّاً فقال: ادعوا لي أخي وصاحبي وعاوده الضعف، فقالت عائشة: أُدعوا أبا بكر فدعي فدخل فلمّا نظر إليه أعرض عنه بوجهه، فقام أبو بكر فقال: أُدعوا لي أخي وصاحبي فقالت حفصة: أُدعوا له عمر فدعي فلمّا حضر رآه النبيُّ فأعرض عنه بوجهه فانصرف ثمَّ قال: أُدعوا لي أخي وصاحبي فقالت أمُّ سلمة: ادعوا له عليّاً فإنّه لا يريد غيره فدعي أمير المؤمنين فلمّا دنا منه أوى إليه فأكبَّ عليه فناجاه رسول الله صلى الله عليه وآله طويلاً ثمَّ قام فجلس ناحية حتّى أغفى[2] رسول الله صلى الله عليه وآله ثم خرج فقال له النّاس: يا أبا الحسن ما الّذي أوعز إليك؟[3] فقال: علّمني رسول الله ألف باب من العلم فتح لي كلُّ باب ألف باب وأوصاني بما أنا قائمٌ به إن شاء الله، ثمَّ ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وحضره الموت فلمّا قرب خروج

---

(١) باراه: عارضه.

(٢) أي نام نومة خفيفة.

(٣) أوعزت إليه في كذا أي تقدمت. (الصحاح)

نفسه قال له: ضع رأسي يا عليُّ في حجرك فقد جاء أمر الله عزَّ وجلَّ، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ثمَّ وجّهني إلى القبلة وتولّ أمري وصلّ عليَّ أوَّل النّاس ولا تفارقني حتّى تواريني في رمسي واستعن بالله عزَّ وجلَّ وأخذ عليٌّ رأسه فوضعه في حجره فأُغمي عليه وأكبّت فاطمة تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ففتح رسول الله ﷺ عينيه وقال بصوت ضئيل[١]: يا بنيّة هذا قول عمّك أبي طالب لا تقوليه ولكن قولي: ﴿**وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرُّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾ فبكت طويلاً فأومأ إليها بالدنوّ منه فدنت إليه فأسرَّ إليها شيئاً تهلّل له وجهها، ثمَّ قضى ويد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ثمّ وجّهه وغمّضه ومدَّ عليه إزاره واشتغل بالنّظر إلى أمره فسئلت ما الذي قال إليك رسول الله ﷺ فسرى عنك[٢]؟ قالت: أخبرني أنّي أوّل أهل بيته لحوقاً به وأنّه لن تطول المدّة بي بعده حتّى أُدركه فسرى ذلك عنّي.

وروي عن أُمّ سلمة قالت: وضعت يدي على صدر رسول الله ﷺ يوم مات فمرَّ بي جمع آكل وأتوضّأ ما تذهب رائحة المسك عن يدي.

وروى ثابت عن أنس قال: قالت فاطمة عليها السلام: لمّا ثقل النبيُّ وجعل يتغشّاه الكرب نادت يا أبتاه إلى جبرئيل ينعاه، يا أبتاه من ربه ما أدناه، يا أبتاه جنان الفردوس مأواه، يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه.

قال الباقر عليه السلام: لمّا حضرت رسول الله ﷺ الوفاة نزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله أتريد الرُّجوع إلى الدُّنيا؟ قال: لا، الرَّفيق الأعلى.

قال الصّادق عليه السلام: قال جبرئيل عليه السلام: يا محمّد هذا آخر نزولي إلى

---

(١) الضئيل: الصغير والنحيف والدقيق.

(٢) انسرى عنه الهم: انكشف وسرى عنه مثله. (الصحاح)

الدنيا إنّما كنت أنت حاجتي منها قال: وصاحت فاطمة وصاح المسلمون وصاروا يضعون التراب على رؤوسهم ومات لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من هجرته وروي أيضاً لاثنتي عشرة من شهر ربيع الأوّل يوم الاثنين.

ولمّا أراد عليٌّ غسله استدعى الفضل بن عبّاس فأمره أن يناوله الماء بعد أن عصب عينيه فشقّ قميصه من قبل جيبه حتّى بلغ به إلى سرّته وتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه والفضل يناوله الماء فلمّا فرغ من غسله وتجهيزه تقدَّم فصلّى عليه.

قال أبان: وحدّثني أبو مريم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال النّاس كيف الصّلاة عليه؟ فقال عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إمامنا حيّاً وميّتاً فدخل عليه عشرة عشرة فصلّوا عليه يوم الاثنين وليلة الثلثاء حتّى الصباح ويوم الثلثاء حتّى صلّى عليه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وضواحي المدينة بغير إمام.

وخاض المسلمون في موضع دفنه فقال عليٌّ عليه السلام: إنَّ الله لم يقبض نبيّاً في مكان إلاّ وارتضاه لرمسه فيه وإنّي دافنه في حجرته الّتي قبض فيها فرضي المسلمون بذلك، فلمّا صلّى المسلمون عليه أنفذ العبّاس رجلاً إلى أبي عبيدة الجرّاح وكان يحفر لأهل مكّة ويضرّح[1] وأنفذ إلى زيد بن سهل أبي طلحة وكان يحفر لأهل المدينة ويلحد فاستدعاهما فقال: اللّهمّ خر لنبيّك فوجد أبو طلحة فقيل: احفر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحفر له لحداً ودخل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والعبّاس والفضل وأُسامة بن زيد ليتولّوا دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنادت الأنصار من وراء البيت يا عليّ إنّا نذكّر الله وحقّنا اليوم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يذهب أدخل منّا رجلاً يكون لنا حظٌّ من مواراة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ليدخل أوس بن خولي رجل من بني عوف بن الخزرج وكان بدريّاً فدخل البيت وقال له عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه: انزل القبر فنزل ووضع عليٌّ عليه السلام رسول الله على يديه ثمّ دلاه في حفرته ثمّ قال له: اخرج فخرج ونزل عليٌّ عليه السلام فكشف عن وجهه ووضع خدّه على الأرض موجّهاً إلى القبلة على يمينه ثمّ وضع عليه اللّبن وأهال عليه التّراب وانتهزت الجماعة

---

(١) الضريح: الشق في وسط القبر واللحد في الجانب. (الصحاح)

الفرصة لاشتغال بني هاشم برسول الله ﷺ وجلوس عليّ صلوات الله وسلامه عليه للمصيبة فتنازعوا إلى تقرير ولاية الأمر واتّفق لأبي بكر ما اتّفق لاختلاف الأنصار فيما بينهم وكراهة القوم تأخير الأمر إلى أن يفرغ بنو هاشم من مصاب رسول الله ﷺ فيستقرّ الأمر مقرّه فبايعوا أبا بكر لحضوره، وليس هذا الكتاب بموضع لشرح ذلك وتجده في مواضعه إن شئت.

وروي أنَّ أبا سفيان جاء إلى باب رسول الله فقال:

بني هاشم لا يطمع النّاس فيكم ... ولا سيّما تيم بن مرّة أو عديّ
فما الأمر إلاّ فيكم وإليكم ... وليس لها إلاّ أبا حسن عليّ
أبا حسن فاشدد بها كفّ حازم ... فإنّك بالأمر الذي يرتجى ملي

ثمّ نادى بأعلى صوته يا بني هاشم يا بني عبد مناف أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل الرَّذل بن الرّذل، أما والله لإن شئتم لأملأنّها عليكم خيلاً ورجلاً، فناداه أمير المؤمنين عليه السلام ارجع يا أبا سفيان فوالله ما تريد الله بما تقول وما زلت تكيد الإسلام وأهله ونحن مشاغيل برسول الله ﷺ وعلى كلّ امرء ما اكتسب وهو وليّ ما احتقب، قال: وبعثوا إلى عكرمة بن أبي جهل وعمومته الحارث بن هشام وغيرهم فأحضروهم وعقدوا لهم الرّايات على نواحي اليمن والشام ووجّهوهم من ليلتهم وبعثوا إلى أبي سفيان فأرضوه بتولية يزيد بن أبي سفيان، قال: ولمّا بايع النّاس أبا بكر قيل له: لو جئت جيش أُسامة واستعنت بهم على من يأتيك من العرب؟ وكان في الجيش عامّة المهاجرين، فقال أُسامة لأبي بكر: ما تقول في نفسك أنت؟ قال: قد ترى ما صنع النّاس فأنا أحبُّ أن تأذن لي ولعمر قال: فقد أذنتكما قال: وخرج أُسامة بذلك الجيش حتّى إذا انتهى إلى الشام عزله واستعمل مكانه يزيد بن أبي سفيان فما كان بين خروج أُسامة ورجوعه إلى المدينة إلاّ نحو من أربعين يوماً فلمّا قدم المدينة قام على باب المسجد ثمّ صاح يا معشر المسلمين عجباً لرجل استعملني عليه رسول الله ﷺ فتأمّر عليّ وعزلني.

* * *

الباب الخامس

في ذكر أزواج رسول الله ﷺ وأولاده وأعمامه وعمّاته وقراباته ومواليه ومولياته وجواريه وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

في ذكر أزواج رسول الله وأولاده صلوات الله عليه وآله

أوّل امرأة تزوَّجها رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي، تزوّجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانت قبله عند عتيق بن عائذ المخزوميّ فولدت له جارية ثمّ تزوَّجها أبو هالة الأسدي فولدت له هند بن أبي هالة، ثمَّ تزوَّجها رسول الله ﷺ وربّى ابنها هنداً ولمّا استوى رسول الله ﷺ وبلغ أشدَّه وليس له مال كثير استأجرته خديجة إلى سوق خباشة فلمّا رجع تزوَّج خديجة زوّجها إيّاه أبوها خويلد بن أسد وقيل: زوّجها عمّها عمرو بن أسد وخطب أبو طالب عليه السلام في نكاحها ومن شاهد من قريش حضور فقال: الحمد لله الّذي جعلنا من زرع إبراهيم وذريّة إسماعيل وجعل لنا بيتاً محجوجاً وأنزلنا حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كلّ شيء وجعلنا الحكّام على النّاس وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثمَّ إنَّ ابن أخي محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب لا يوزن برجل من قريش إلاّ رجح به ولا يقاس بأحد منهم إلاّ عظم عنه ولا عِدل له في الخلق وإن كان ماله قليلاً فإنَّ المال رزق حائل وظلٌّ زائل وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة والصداق ما سألتم عاجله وآجله من مالي. وكان أبو طالب له خطر عظيم وشأن رفيع ولسان شافع جسيم فزوَّجه ودخلها من الغد ولم يتزوَّج عليها رسول الله ﷺ حتّى ماتت وأقامت معه أربعاً وعشرين سنة وشهراً ومهرها اثنتا عشرة أوقيّة ونشّ وكذلك مهر سائر نسائه، فأوّل ما حملت ولدت عبد الله بن محمّد وهو الطيّب الطّاهر وولدت له القاسم وقيل:

إنّ القاسم أكبر وهو بكره وبه كان يكنّى والنّاس يغلطون فيقولون: ولد له منها أربع بنين القاسم وعبد الله والطيّب والطّاهر وإنّما ولد له منها ابنان وأربع بنات زينب ورقيّة وأُمّ كلثوم وفاطمة.

فأمّا زينب بنت رسول الله ﷺ فتزوّجها أبو العاص بن ربيع[1] بن

---

(١) هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ابن أخت خديجة زوجة رسول الله ﷺ. أمه هالة بنت خويلد، كان اسم أبي العاص لقيط أو مهشم وهو من رجال مكة المعدودين مالاً وتجارة وأمانة، زوجه رسول الله ﷺ زينب أكبر بناته، فلما أكرم الله رسوله بنبوته آمنت خديجة وبناته فصدقن وشهدن الإسلام وثبت أبو العاص على شركه وتحرضه قريش أن يفارق صاحبته على أن تزوجه أية امرأة شاء فلم يرض. وكان رسول الله ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوباً على أمره وكان الإسلام قد فرق بينهما إلا أنه ﷺ كان لا يقدر أن يفرق بينهما فأقامت على إسلامها وهو على شركه حتى هاجر رسول الله ﷺ والخبر في حسن مصاهرته في أيام الشعب مشهور. فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص فأصيب في الأسارى فكان في المدينة عند رسول الله فلما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال لأصحابه: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا؟ قالوا: نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها مالها وكان رسول الله ﷺ قد أخذ أو شرط عليه أن يخلي سبيل زينب إليه فوعده أبو العاص بذلك فلما ذهب أبو العاص إلى مكة خلى سبيلها وبعثها مع أخيه كنانة بن الربيع حتى لحقت برسول رسول الله ﷺ في الطريق بعد أن أصابت من المشركين في الطريق أذى كثيراً ونالت منهم ما نالت وجاءت زينب إلى المدينة وأقامت عند رسول الله ﷺ فأقام أبو العاص بمكة حتى إذا كان قبيل الفتح في سنة ثماني من الهجرة خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام وكان رجلاً مأموناً بمال له وأموال لرجال من قريش يضعونها معه، فلما فرغ من تجارته وأقبل غافلاً لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه وأعجزهم هارباً فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله جاء أبو العاص في طلب ماله تحت الليل حتى أتى المدينة ودخل على زينب بنت رسول الله فاستجار بها فأجارته فلما أصبح أتت زينب إلى المسجد فاستجارت له من المسلمين فأجاروه فدخل رسول الله على بنته فقال: أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له وبعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فردوه عليه بأسره ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله فأسلم ورجع إلى المدينة ورد رسول الله زينب على النكاح الأول لم يحدث شيئاً بعد سنين =

عبد العزّى بن عبد شمس بن عبد مناف في الجاهليّة فولدت لأبي العاص جارية اسمها أمامة تزوّجها عليُّ بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة فاطمة عليها السلام وقتل عليّ وعنده أمامة فخلف عليها بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب وتوفّيت عنده، وأُمُّ أبي العاص هالة بنت خويلد فخديجة خالته، وماتت زينب بالمدينة لسبع سنين من الهجرة وأمّا رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتزوّجها عتبة بن أبي لهب فطلّقها قبل أن يدخل بها ولحقها منه أذى فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: اللّهمّ سلّط على عتبة كلباً من كلابك فتناوله الأسد من بين أصحابه، وتزوّجها بعده بالمدينة عثمان بن عفّان فولدت له عبد الله ومات صغيراً نقره ديك على عينيه فمرض ومات بالمدينة زمن بدر وتخلّف عثمان على دفنها ومنعه ذلك أن يشهد بدراً وقد كان عثمان هاجر إلى الحبشة ومعه رقيّة وأمّا أمّ كلثوم فتزوّجها أيضاً عثمان بعد أُختها رقيّة توفّيت عنده وأمّا فاطمة عليها السلام فنفرد لها باباً إن شاء الله ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولد من غير خديجة إلاّ إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مارية القبطيّة ولد بالمدينة سنة ثمان من الهجرة ومات بها وله سنة وستّة أشهر وبعض أيّام وقبره بالبقيع.

والثانية: سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران بن عمرو فمات عنها بالحبشة مسلماً.

والثالثة: عائشة بنت أبي بكر تزوّجها بمكّة وهي بنت سبع ولم يتزوّج بكراً غيرها ودخل بها وهي بنت تسع لسبعة أشهر من مقدمه المدينة وبقيت إلى خلافة معاوية.

والرّابعة: أُمُّ شريك الّتي وهبت نفسها للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واسمها غزية بنت دودان بن عوف بن عامر وكانت قبله عند أبي العكر بن سميّ الأزدي فولدت له شريكاً.

والخامسة: حفصة بنت عمر بن الخطّاب تزوّجها بعدما مات زوجها خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمي وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وجّهه إلى كسرى فمات ولا

= توفي أبو العاص سنة اثني عشر وتزوج علي عليه السلام ابنته أمامة بنت زينب بعد وفاة فاطمة عليها السلام بوصية منها.

عقب له وماتت بالمدينة في خلافة عثمان.

والسادسة: أمّ حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رملة وكانت تحت عبيد الله بن جحش الأسدي فهاجر بها إلى الحبشة وتنصّر بها ومات هناك فتزوّجها رسول الله ﷺ بعده وكان وكيله عمرو بن أُميّة الضمريّ.

والسابعة: أمُّ سلمة وهي بنت عمّته عاتكة بنت عبد المطّلب وقيل: هي عاتكة بنت عامر بن ربيعة من بني فراس بن غنم واسمها هند بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهي ابنة عمّ أبي جهل، وروي أنَّ رسول الله ﷺ أرسل إلى أُمّ سلمة أن مري ابنك أن يزوّجك فزوّجها ابنها سلمة بن أبي سلمة من رسول الله ﷺ وهو غلام لم يبلغ وأدّى عنه النجاشي صداقها بأربعمائة دينار عند العقد وكانت أُمُّ سلمة من آخر أزواج النبيّ ﷺ وماتت بعده وكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد وأُمّه برّة بنت عبد المطّلب فهو ابن عمّة رسول الله ﷺ وكان لأُمّ سلمة منه زينب وعمرو، وكان عمرو مع عليّ عليه السلام يوم الجمل وولاّه البحرين وله عقب بالمدينة ومن مواليها شيبة بن مصاح إمام أهل المدينة في القراءة، وخيرة أُمُّ الحسن البصري.

والثامنة: زينب بنت الجحش الأسديّة وهي ابنة عمّته ميمونة بنت عبد المطّلب وهي أوّل من مات من أزواجه بعده توفّيت في خلافة عمر وكانت قبله عند زيد بن حارثة فطلّقها زيد، وذكر الله تعالى شأنه وشأن زوجه زينب في القرآن وهي أوّل امرأة جعل لها النعش جعلته لها أسماء بنت عميس يوم توفّيت، وكانت بأرض الحبشة رأتهم يصنعون ذلك.

والتاسعة: زينب بنت خزيمة الهلاليّة من ولد عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث وماتت قبله ﷺ، وكان يقال لها أُمُّ المساكين.

والعاشرة: ميمونة بنت الحارث من ولد عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة تزوّجها وهو بالمدينة وكان وكيله أبا رافع وبنى لها بسرف[1] حين رجع من عمرته

(١) سرف ـ ككتف ـ موضع على ستة أميال من مكة من طريق مرو. وقيل: سبعة وتسعة =

على عشرة أميال من مكّة وتوفّيت أيضاً بسرف ودفنت هناك أيضاً وكانت قبله عند أبي سبرة بن أبي رهم[١] العامريّ.

والحادية عشرة: جويرية بنت الحارث من بني المصطلق سباها فأعتقها وتزوَّجها وتوفّيت سنة ستّ وخمسين.

والثانية عشرة: صفيّة بنت حييّ بن أخطب النضريّ من خيبر اصطفاها لنفسه من الغنيمة ثمّ أعتقها وتزوّجها وجعل عتقها صداقها وتوفّيت سنة ستّ وثلاثين فهذه اثنتا عشرة امرأة دخل بهنّ رسول الله وقد تزوّج إحدى عشرة منهنّ وواحدة وهبت نفسها منه.

وقد تزوّج عالية بنت ظبيان وطلّقها حين أُدخلت عليه.

وتزوَّج قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس فمات قبل أن يدخل بها فتزوَّجها عكرمة بعده وقيل: إنّه طلّقها قبل أن يدخل بها ثمَّ مات.

وتزوّج فاطمة بنت الضحّاك بعد وفاة ابنته زينب وخيّرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدُّنيا وفارقها فكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول: أنا الشقيّة اخترت الدُّنيا.

وتزوّج سنى[٢] بنت الصلت فماتت قبل أن تدخل عليه.

وتزوَّج أسماء بنت النعمان بن شراحيل فلمّا أُدخلت عليه قالت: أعوذ بالله منك فقال: قد أعذتك الحقي بأهلك، وكان بعض أزواجه علّمتها ذلك فطلّقها ولم يدخل بها.

وتزوَّج مليكة اللّيثيّة فلمّا دخل عليها قال لها: هبي لي نفسك، فقالت: هل تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى بيده ليضعها عليها فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: لقد عذت بمعاذ فسرَّحها ومتّعها.

وتزوَّج عمرة بنت يزيد فرأى بها بياضاً فقال: دلّستم عليَّ وردَّها.

= واثنا عشر. (المراصد)

(١) في الإصابة «سخبرة بن أبي رهم».

(٢) بالفتح والقصر. (القاموس)

وتزوَّج ليلى بنت الخطيم الأنصاريّة فقالت: أقلني فأقالها.

وخطب امرأة من بني مرَّة فقال أبوها: إنَّ بها برصاً ولم يكن فرجع فإذا هي برصاء.

وخطب امرأة فوصفها أبوها، ثمَّ قال: وأزيدك أنّها لم تمرض قطُّ فقال ﷺ: ما لهذه عند الله من خير وقيل: إنّه تزوَّجها فلمّا قال ذلك أبوها طلّقها فهذه إحدى وعشرون امرأة ومات رسول الله ﷺ عن عشر واحدة منهنَّ لم يدخل بها وقيل عن تسع: عائشة، وحفصة، وأُمّ سلمة، وأُمّ حبيبة، وزينب بنت جحش، وميمونة، وصفيّة، وجويرية، وسودة وكانت سودة قد وهبت ليلتها لعائشة حين أراد طلاقها وقالت: لا رغبة لي في الرّجال وإنّما أُريد أن أُحشر في أزواجك.

الفصل الثاني

في ذكر أعمامه وعماته صلوات الله عليه

وكان لرسول الله ﷺ تسعة أعمام هم بنو عبد المطّلب: الحارث، والزّبير، وأبو طالب، وحمزة، والغيداق، وضرار، والمقوَّم، وأبو لهب واسمه عبد العزَّى والعبّاس[1] ولم يعقب منهم إلاّ أربعة الحارث وأبو طالب والعبّاس وأبو لهب.

فأمّا الحارث فهو أكبر ولد عبد المطّلب وبه كان يكنّى وشهد معه حفر زمزم وولده أبو سفيان والمغيرة ونوفل وربيعة وعبد شمس.

أمّا أبو سفيان فأسلم عام الفتح ولم يعقب وأمّا نوفل فكان أسنَّ من حمزة والعبّاس وأسلم أيّام الخندق وله عقب وأمّا عبد شمس فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله وعقبه بالشّام وأمّا أبو طالب عمُّ النبيّ فكان مع أخيه عبد الله ابني أُمّ وأُمّهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم واسمه عبد مناف وله أربعة أولاد ذكور: طالب، وعقيل، وجعفر، وعليٌّ، ومن الإناث أُمُّ هاني واسمها فاختة وجمانة أُمّهم جميعاً فاطمة بنت أسد وكان عقيل أسنَّ من جعفر بعشر سنين وأعقبوا إلاّ طالباً

(١) ذكروا له ﷺ أحد عشر عمّاً: التسعة وحجل بن عبد المطلب وقد يسمى مغيرة وقثم بن عبد المطلب وتوفي صغيراً (راجع نسب قريش).

وتوفّي قبل أن يهاجر النبيُّ بثلاث سنين ولم يزل رسول الله ممنوعاً من الأذى بمكّة موقّى حتّى توفّي أبو طالب عليه السلام فنبت به مكّة ولم يستقرّ له بها دعوة حتّى جاءه جبرئيل فقال: إنّ الله يقرئك السلام ويقول لك: أُخرج من مكّة فقد مات ناصرك، ولمّا قبض أبو طالب أتى عليٌّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعلمه بموته، فقال له امض يا علي فتولّ غسله وتكفينه وتحنيطه فإذا رفعته على سريره فأعلمني ففعل ذلك فلمّا رفعه على السرير اعترضه النبيّ وقال: وصلتك رحم وجزيت خيراً يا عمّ، فلقد ربّيت وكفلت صغيراً ووازرت ونصرت كبيراً، ثمَّ أقبل على الناس وقال: أما والله لأشفعنَّ لعمّي شفاعة يعجب لها أهل الثقلين.

وأمّا العبّاس فكان يكنّى أبا الفضل وكانت له السقاية وزمزم وأسلم يوم بدر واستقبل النبي عام الفتح بالأبواء وكان معه حين فتح وبه ختمت الهجرة ومات بالمدينة في أيّام عثمان وقد كفّ بصره وكان له من الولد تسعة ذكور وثلاث إناث: عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم ومعبد وعبد الرّحمن وأُمُّ حبيب أُمّهم لبابة بنت الفضل بن الحارث الهلاليّة أُخت ميمونة بنت الحارث زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وتمام، وكثير، والحارث، وآمنة، وصفيّة لأُمّهات أولاد شتّى.

وأمّا أبو لهب فولده عتيبة وعتبة وعقبة ومعتّب وأُمّهم أمُّ جميل بنت حرب أخت أبي سفيان حمّالة الحطب.

وكانت عمّاته ستّاً من أُمّهات شتّى وهنَّ أُميمة، وأمّ حكيم، وبرَّة، وعاتكة، وصفيّة، وأروى.

وكانت أميمة عند جحش بن رئاب الأسديّ، وكانت أُمّ حكيم وهي البيضاء عند كرير بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وكانت برَّة عند عبد الأسد بن هلال المخزوميّ فولدت له أبا سلمة الذي كان تزوَّج أُمّ سلمة وكانت عاتكة عند أبي أُميّة بن المغيرة المخزوميّ وكانت صفيّة عند الحارث بن حرب بن أُميّة[1]. ثمَّ خلف عليها العوَّام بن خويلد فولدت له الزُّبير وكانت أروى عند عمير بن عبد العزّى بن قصيّ لم يسلم منهنَّ غير صفيّة وقيل: أسلم منهنّ ثلاث صفيّة وأروى وعاتكة.

---

(١) في نسب قريش «عند العوّام بن خويلد».

الفصل الثالث

في ذكر قراباته من جهة أمه من الرضاعة صلوات الله عليه وآله

ولم يكن لرسول الله ﷺ قرابة من جهة أُمّه إلاّ من الرّضاعة فإنَّ أمّه آمنة بنت وهب لم يكن لها أخ ولا أُخت فيكون خالاً له أو خالة إلاّ أنَّ بني زهرة يقولون: نحن أخواله لأنَّ آمنة منهم ولم يكن لأبويه عبد الله وآمنة ولد غيره فيكون له أخ أو أُخت من النّسب وكان له خالة من الرّضاعة يقال لها: سلمى وهي أُخت حليمة بنت أبي ذؤيب، له أخوان من الرّضاعة: عبد الله بن الحارث وأنيسة بن الحارث، أبوهما الحارث بن عبد العزّى بن سعد بن بكر بن هوازن فهما أخواه من الرَّضاعة.

الفصل الرابع

في ذكر مواليه ومولياته وجواريه

أمّا مواليه فزيد بن حارثة وكان لخديجة اشتراه لها حكيم بن حزام بسوق عكاظ بأربعمائة درهم فوهبته لرسول الله ﷺ بعد أن تزوَّجها فأعتقه فزوَّجه أُمُّ أيمن فولدت له أُسامة وتبنّاه[1] رسول الله ﷺ فكان يدعى زيد بن رسول الله حتّى أنزل الله تعالى ﴿ادعوهم لآبائهم﴾.

وأبو رافع واسمه أسلم وكان للعبّاس فوهبه له فلمّا أسلم العبّاس بشّر أبو رافع النبيّ ﷺ بإسلامه فأعتقه، وزوَّجه سلمى مولاته فولدت له عبيد الله بن أبي رافع، فلم يزل كاتباً لعليّ عليه السلام أيّام خلافته.

وسفينة واسمه رباح اشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه.

ونوبان يكنّى أبا عبد الله من حمير أصابه سبي فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه.

ويسار وكان عبداً نوبيّاً أعتقه رسول الله ﷺ فقتله العرنيون الذين أغاروا

---

(١) تبناه أي اتخذه ابناً له.

على لقاح رسول الله ﷺ .

وشقران واسمه صالح .

وأبو كبشة واسمه سليمان .

وأبو ضميرة أعتقه ﷺ وكتب له كتاباً فهو في يد ولده .

ومدعم أصابه سهم في وادي القرى فمات .

وأبو مويهبة ، وأنسة ، وفضالة ، وطهمان ، وأبو أيمن ، وأبو هند ، وأنجشة وهو الذي قال فيه : رويدك يا أنجشة رفقاً بالقوارير[1] وصالح ، وأبو سلمى ، وأبو عسيب وعبيد وأفلح ورويفع وأبو لقيط وأبو رافع الأصغر ويسار الأكبر وكركرة أهداه هودة بن عليّ الحنفيّ إلى النبيّ فأعتقه ، ورباح وأبو لبابة وأبو اليسر وله عقب .

وأما مولياته فإنَّ المقوقس صاحب الإسكندريّة ، أهدى إليه جاريتين إحداهما مارية القبطيّة ولدت له إبراهيم وماتت بعده بخمس سنين سنة ستّ عشرة ووهب الأُخرى لحسّان بن ثابت .

وأُمُّ أيمن خاصّة النبيّ وكانت سوداء ورثها عن أُمّه ، وكان اسمها بركة فأعتقها وزوّجها عبيد الخزرجيّ بمكّة فولدت له أيمن فمات زوجها ، فزوّجها النبيّ من زيد فولدت له أُسامة ، أسود يشبهها فأُسامة وأيمن أخوان لأمّ .

وريحانة بنت شمعون غنمها من بني قريظة .

وأمّا خدمه من الأحرار فأنس بن مالك وهند وأسماء ابنتا خارجة الأسلميّتان .

---

(١) قال الجزري : «في حديث أنجشة» رويدك رفقاً بالقوارير . أي أمهل وتأن وهو تصغير رود يقال : أرود به إرواداً أي رفق ويقال : رويد زيد ورويدك زيداً فيه ، مصدر مضاف وقد تكون صفة نحو ساروا سيراً رويداً وحالاً نحو ساروا رويداً وهي من أسماء الأفعال المتعدية . وقال المجلسي ـ رحمه الله ـ : أراد بالقوارير النساء ، شبههن بالقوارير من الزجاج لأنه يسرع إليها الكسر وكان أنجشة يحدو وينشد القريض والرجز فلم يؤمن أن يصيبهن أو يقع في قلبهن حداؤه فأمره ﷺ بالكف عن ذلك وفي المثل الغناء رقية الزنا . وقيل : أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واشتدت فأزعجت الراكب وأتعبته : نهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة . انتهى .

الباب السادس

في ذكر السيّدة الزهراء فاطمة بنت رسول الله ﷺ وتاريخ مولدها ومبلغ عمرها ووقت وفاتها ونبذ من مناقبها وخصالها وهو ثلاثة فصول:

الفصل الأول

في ذكر مولدها وأسمائها وألقابها عليها السلام

الأظهر في روايات أصحابنا أنّها ولدت سنة خمس من المبعث بمكّة في العشرين من جمادى الآخرة وأنَّ النبيّ ﷺ قبض ولها ثماني عشرة سنة وسبعة أشهر.

وروي عن جابر بن يزيد قال: سئل الباقر عليه السلام كم عاشت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أربعة أشهر وتوفّيت ولها ثلاث وعشرون سنة وهذا قريب ممّا روته العامّة أنّها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد رسول الله ﷺ فتكون بعد المبعث بسنة. وذكر الأستاذ أبو سعيد الحافظ في كتاب شرف النبيّ أنَّ جميع أولاد رسول الله ﷺ ولدوا قبل الإسلام إلاّ فاطمة وإبراهيم فإنّهما ولدا في الإسلام.

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزَّ وجلَّ فاطمة والصدّيقة والمباركة والطّاهرة والزّكيّة والرّاضية والمرضيّة والمحدّثة والزّاهرة.

وفي مسند الرّضا أنَّ النبيّ قال: إنّما سمّيت ابنتي فاطمة لأنَّ الله سبحانه فطمها وفطم من أحبّها من النّار، وسمّاها النبيّ البتول أيضاً وقال لعائشة: يا حميراء إنّ

فاطمة عليها السلام ليست كنساء الآدميّين ولا تعتلّ كما تعتلّون. ومعناه ما جاء في الحديث الآخر أنّ فاطمة عليها السلام لم تر دماً في حيض وقد روت العامّة أيضاً، عن أنس بن مالك عن أُمّ سليم زوجة أبي طلحة الأنصاريّ أنّها قالت: لم تر فاطمة عليها السلام دماً قطّ في حيض ولا نفاس وكانت من ماء الجنّة وذلك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أُسري به دخل الجنّة وأكل من فاكهة الجنّة وشرب من ماء الجنّة (رواه أيضاً عن النبيّ).

الفصل الثاني

في ذكر ما يوجب الدلالة على عصمتها وبعض الآيات المثبتة على مكانها من الله ومنزلتها ونبذ من الأخبار الدالة على فضلها وعلو رتبتها

من أوكد الدلائل على عصمتها قوله سبحانه: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ ووجه الدّلالة أنَّ الأُمّة اتّفقت أنَّ المراد بأهل البيت في الآية هم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووردت الرّواية من طريق الخاصّ والعامّ أنّها مختصّة بعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جلّلهم بعباء خيبريّة ثمَّ قال: اللّهمَّ إنَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً فقالت أمُّ سلمة: وأنا يا رسول الله من أهل بيتك فقال لها صلى الله عليه وآله وسلم: إنّك على خير، ولا تخلو الإرادة في الآية إمّا أن تكون إرادة محضة لم يتبعها الفعل أو إرادة وقع الفعل عندها والأوّل باطلٌ لأنَّ ذلك لا تخصيص فيه لأهل البيت بل هو عامّ لجميع المكلّفين ولا مدح في الإرادة بمجرَّدها واجتمعت الأُمّة على أنَّ الآية فيها تفضيل لأهل البيت وآية لهم عمّن سواهم فثبت الوجه الثاني وفي ثبوته ما يقتضي عصمة من عني بالآية وأنَّ شيئاً من القبائح لا يجوز أن يقع منهم على أنَّ غير من سمّيناه لا شكَّ أنّه غير مقطوع على عصمته والآية موجبة للعصمة فثبت أنّها فيمن ذكرناهم لبطلان تعلّقها بغيرهم.

وممّا يدلُّ أيضاً على عصمتها قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيها: «إنّها بضعة منّي يؤذيني ما آذاها» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من آذى فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عزَّ وجلَّ»

وقوله: «إنَّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها» ولو كانت ممّن لا يفارق الذّنوب لم يكن من مؤذيها مؤذياً له على كلّ حال، بل يكون متى فعل المستحقّ من ذمّها ومن أذاها وإقامته الحدّ إن كان الفعل يقتضيه سارّاً له عليه السلام.

وممّا روي من الآيات الدالّة على محلّها من الله عزَّ وجلَّ ما رواه الخاصّ والعامّ عن ميمونة أنّها قالت: وجدت فاطمة عليها السلام نائمة والرحى مدوَّرة فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال إنَّ الله علم ضعف أمته فأوحى إلى الرَّحى أن تدور فدارت.

ومن الأخبار المنبئة عن فضلها وتمييزها عمّن سواها ما روته العامّة عن عائشة قالت: ما رأيت رجلاً أحب إلى رسول الله من عليّ ولا امرأة أحب إلى رسول الله من فاطمة عليها السلام ورووا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: أنا أحبُّ إليك أو فاطمة عليها السلام فقال فاطمة عليها السلام أحبُّ إليَّ منك وأنت أعزُّ عليَّ منها.

ورووا عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فاطمة عليها السلام خير من نساء العالمين.

وفي رواية أُخرى خير نساء العالمين مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن ابن عبّاس قال: أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم.

ورووا عن عبد الرّحمن بن عوف قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أنا الشجرة وفاطمة فرعها وعليٌّ لقاحها[١] والحسن والحسين ثمرها وشيعتنا ورقها الشجرة أصلها في جنّة عدن والفرع والثمر والورق في الجنّة.

ورووا عن عائشة أنَّ فاطمة عليها السلام كانت إذا دخلت على رسول الله قام لها من

---

(١) اللقاح ما يلقح به النخلة ومنه تلقيح النخل وهو وضع طلع الذكر في طلع الأنثى أول ما ينشق. (المجمع)

مجلسه وقبّل رأسها وأجلسها مجلسه.

ورووا عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم في تفسير القرآن عن الصادق جعفر بن محمّد عليه‌السلام أنّه قال: بلغنا عن آبائنا أنّهم قالوا: كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يكثر تقبيل فم فاطمة سيّدة نساء العالمين عليها‌السلام إلى أن قالت عائشة: يا رسول الله أراك كثيراً ما تقبّل فم فاطمة عليها‌السلام وتدخل لسانك في فيها، قال: نعم يا عائشة إنّه لمّا أُسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنّة فأدناني من شجرة طوبى وناولني من ثمارها تفّاحة فأكلتها فصارت نطفة في ظهري فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها‌السلام فكلّما اشتقت إلى الجنّة قبّلتها وأدخلت لساني في فيها فأجد منها ريح الجنّة وأجد منها رائحة شجرة طوبى، فهي إنسيّة سماويّة.

وما رواه أصحابنا ـ رضي الله عنهم ـ من الأخبار الدَّالّة على خصوصيّتها من بين أولاد الرّسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بشرف المنزلة وبينونتها عن جميع نساء العالمين بعلوّ الدَّرجة أكثر من أن يحصر، فلنقتصر على ما ذكرناه.

وكان ممّا تمّم الله شرف أمير المؤمنين عليه‌السلام في الدُّنيا وكرامته في الآخرة أن خصّه بتزويجها إيّاه كريمة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وأحبّ الخلق إليه وقرّة عينه وسيدة نساء العالمين.

فممّا روي في ذلك ما صحّ عن أنس بن مالك قال: بينما رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم جالس إذ جاء عليٌّ عليه‌السلام فقال: يا عليُّ ما جاء بك؟ قال: جئت أسلّم عليك، قال: هذا جبرئيل يخبرني أنَّ الله تعالى زوَّجك فاطمة عليها‌السلام وأشهد على تزويجها ألف ألف ملك وأوحى الله تعالى إلى شجرة طوبى أن انثري عليهم الدرَّ والياقوت، فابتدرت إليهنَّ الحور العين وهنَّ يتهادينه بينهنَّ إلى يوم القيامة.

وعن ابن عبّاس قال: لمّا كانت الليلة التي زفّت بها فاطمة عليها‌السلام إلى عليّ كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أمامها وجبرئيل عن يمينها وميكائيل عن شمالها وسبعون ألف ملك من خلفها، يسبّحون الله ويقدّسونه، وافتخر أمير المؤمنين عليه‌السلام بتزويجها في مقام بعد مقام.

وروى أبو إسحاق الثقفيّ بإسناده، عن حكيم بن جبير، عن الهجريّ، عن عمّه

قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: لأقولنّ قولاً لم يقله أحدٌ إلاّ كذّاب، أنا عبد الله وأخو رسوله وصنو نبيّ الرّحمة وتزوّجت سيّدة نساء الأمّة، وأنا خير الوصيّين.

والأخبار في هذا النحو كثيرة وروى الثقفيّ بإسناده عن بريدة قال: لمّا كان ليلة البناء بفاطمة عليها السلام قال لعليّ عليه السلام: لا تحدث شيئاً حتّى تلقاني فأتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بماء ـ أو قال: دعا بماء ـ فتوضّأ ثمّ أفرغه على عليّ عليه السلام ثمّ قال: اللهمّ بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في شبليهما.

وروى بإسناده عن شرجيل بن أبي سعيد قال: لمّا كان صبيحة عرس فاطمة جاء النبيّ بعسّ فيه لبن فقال لفاطمة: اشربي فداك أبوك، وقال لعليّ عليه السلام: اشرب فداك ابن عمّك.

الفصل الثالث

في ذكر وقت وفاتها وموضع قبرها سلام الله عليها

روي أنّها توفّيت لثالث من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة من الهجرة وبقيت بعد النبيّ خمسة وتسعين يوماً، وروي أربعة أشهر وتولّى أمير المؤمنين غسلها، وروي أنّه أعانه على غسلها أسماء بنت عميس وأنّها قالت: أوصت فاطمة أن لا يغسّلها إذا ماتت إلاّ أنا وعليٌّ صلوات الله وسلامه عليه فغسّلتها أنا وعليٌّ وصلّى عليها أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام وعمّار ومقداد وعقيل والزّبير وأبو ذرّ وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم في جوف اللّيل ودفنها عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام سراً بوصيّة منها في ذلك.

وأمّا موضع قبرها فاختلف فيه فقال بعض أصحابنا: إنّها دفنت بالبقيع، وقال بعضهم: إنّها دفنت في بيتها فلمّا زادت بنو أُميّة في المسجد صارت في المسجد، وقال بعضهم: إنّها دفنت فيما بين القبر والمنبر وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة والقول الأوّل بعيد والقولان الآخران أشبه وأقرب إلى الصواب، فمن استعمل الاحتياط في زيارتها زارها في المواضع الثلاثة.

هذا آخر ما أردنا إثباته من الرّكن الأوّل وبالله التوفيق.

الركن
الثاني من الكتاب

في ذكر الإمام الأوّل والوصيّ الأفضل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وتاريخ مولده ومدّة عمره ودلائل إمامته وطرف من مناقبه ويشتمل على خمسة أبواب:

الباب الأول
وفيه فصول
الفصل الأول

في ذكر ميلاده عليه السلام

ولد بمكّة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر الله الأصم رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة ولم يولد قطُ في بيت الله تعالى مولود سواه لا قبله ولا بعده، وهذه فضيلة خصّه الله تعالى بها إجلالاً لمحلّه ومنزلته وإعلاءً لقدره، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وكانت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الأُمّ وربّي في حجرها وكانت من سابقات المؤمنات إلى الإيمان وهاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وكفّنها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عند موتها بقميصه ليدرأ به عنها هوامّ الأرض. وتوسّد في قبرها لتأمن بذلك من ضغطة القبر، ولقّنها الإقرار بولاية ابنها كما اشتهر في الرواية فكان أمير المؤمنين عليه السلام هاشمياً من هاشميّين وأوّل من ولده هاشميّ مرّتين.

الفصل الثاني

في ذكر أسمائه وألقابه عليه السلام

أسماؤه في كتب الله تعالى المنزلة كثيرة أوردها أصحابنا في كتبهم وكنيته المشهورة أبو الحسن وقد كنّي أيضاً بأبي الحسين وأبو السبطين وأبو الريحانتين وكنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي تراب لمّا رآه ساجداً معفّراً في التّراب ولقّبه أمير المؤمنين، خصّه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم به لمّا قال: سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين ولم يجوّز أصحابنا أن يطلق هذا اللّفظ لغيره من الأئمّة فقالوا: إنّه انفرد بهذا التلقيب فلا يجوز أن يشاركه في ذلك غيره، وقد لقّبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيّد المسلمين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين وسيّد الأوصياء وسيّد العرب وأمثال هذه كثيرة وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووزيره ووصيّه وخليفته في أُمّته وصهره على ابنته الزَّهراء البتول فاطمة سيّدة نساء العالمين وهو المرتضى ويعسوب المؤمنين.

الفصل الثالث

في ذكر وقت وفاته ومدة خلافته وتاريخ عمره عليه السلام

قبض ليلة الجمعة لتسع بقين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة قتيلاً شهيداً قتله عبد الرَّحمن بن ملجم المرادي وقد خرج لصلاة الفجر ليلة تسعة عشر من شهر رمضان وهو ينادي الصلاة الصلاة في المسجد الأعظم بالكوفة فضربه بالسيف على أُمّ رأسه وقد كان ارتصده من أوَّل اللّيل لذلك وكان سيفه مسموماً، فمكث يوم التاسع عشر وليلة العشرين ويومها وليلة الحادي والعشرين إلى نحو الثلث من اللّيل ثمَّ قضى نحبه وقد كان يعلم بذلك ويخبر به النّاس قبل أوانه.

فقد اشتهر في الرّواية أنه كان لمّا دخل شهر رمضان يتعشّى ليلة عند الحسن عليه السلام وليلة عند الحسين عليه السلام وليلة عند عبد الله بن العبّاس والأصح عبد الله بن جعفر وكان لا يزيد على ثلاث لقم فقيل له في ذلك فقال: أريد أن يأتيني أمر ربّي وأنا خميص إنّما هي ليلة أو ليلتان، فأُصيب عليه السلام في آخر تلك اللّيلة

وروى الأصبغ بن نباتة قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام في الشّهر الذي قتل فيه فقال: أتاكم شهر رمضان وهو سيّد الشّهور وأوّل السنة وفيه تدور رحى السلطان، ألا وإنّكم حاجّو العام صفّاً واحداً وآية ذلك أنّي لست فيكم، قال: فهو ينعى نفسه ونحن لا ندري.

وروى عنه جماعة أنّه كان يقول على المنبر: ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم ـ ويضع يده على رأسه ولحيته ـ.

وروي عن أبي صالح الحنفيّ قال: سمعت عليّاً يقول: رأيت النّبي في منامي فشكوت إليه ما لقيته من أُمّته من الأود واللّدد فبكيت، فقال: لا تبك يا عليُّ والتفتَ فإذا رجلان مصفّدان وإذا جلاميد ترضخ بها رؤوسهما[1] قال أبو صالح: فغدوت إليه من الغد فلقيت النّاس يقولون: قتل أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى الحسن البصري قال: سهر أمير المؤمنين عليه السلام في اللّيلة التي قتل في صبيحتها ولم يخرج إلى المسجد لصلاة اللّيل على عادته، فقالت له أُمّ كلثوم ابنته: ما هذا الذي قد أسهرك؟ فقال: إنّي مقتول لو قد أصبحت وأتاه ابن النبّاح فآذنه بالصلاة فمشى غير بعيد ثمَّ رجع فقالت له أم كلثوم: مر جعدة فليصلّ بالناس قال: نعم مروا جعدة ليصلّي، ثمَّ قال: لا مفرَّ من الأجل، فخرج إلى المسجد فإذا هو بالرَّجل قد سهر ليلته كلّها يرصده، فلمّا برد السحر نام فحرّكه أمير المؤمنين عليه السلام برجله وقال له: الصلاة، فقام إليه فضربه.

وروي في حديث آخر أنّه عليه السلام سهر في تلك اللّيلة وكان يكثر الخروج والنظر إلى السماء وهو يقول: والله ما كَذبت ولا كُذبت وإنّها اللّيلة التي وعدت بها. ثمَّ يعاود مضجعه فلمّا طلع الفجر شدَّ إزاره وخرج وهو يقول:

أُشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت آتيكا ... ولا تجزع من الموت إذا حلَّ بواديكا[2]

---

(١) الأود: الاعوجاج. واللدد: الخصام. وجلاميد جمع جلمد ـ كجعفر ـ: الصخرة. ورضخه: كسره.

(٢) الحيازيم. جمع حيزوم. وهو الصدر، وقيل: وسطه وهذا الكلام كناية عن التشمير للأمر والاستعداد له. (النهاية) =

فلمّـا خـرج إلـى صحـن الـدّار استقبلتـه الإوزُ فصحـن فـي وجهـه فجعلـوا يطردونهنّ، فقال: دعوهنَّ فإنّها صوائح تتبعها النوائح، ثمّ خرج فأُصيب عليه السلام.

وكان سنّه يوم استشهد ثلاثاً وستّين سنة وكان مقامه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً وثلاثين سنة عشرتها قبل البعثة آمن وهو ابن عشر سنين فقد صحّت الرواية عن حبّة العرني عنه قال: بعث النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلثاء. وبعد البعثة بمكّة ثلاث عشرة سنين وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وعاش بعدما قبض النبيُّ ثلاثين سنة إلاّ خمسة أشهر وأيّاماً وتولّى غسله وتكفينه ابناه الحسن والحسين بأمره وحملاه إلى الغريّين من نجف الكوفة ودفنوه هناك ليلاً وعميا موضع قبره بوصيّته لهما في ذلك المكان، كان يعلم أن دولة بني أميّة من بعده وأنّهم لا ينتهون عمّا يقدرون عليه من قبيح الأفعال ولئيم الخلال(١) فلم يزل مخفيّاً حتّى دلّ عليه الصادق عليه السلام في الدّولة العبّاسيّة وزاره عند وروده إلى أبي جعفر وهو بالحيرة(٢).

* * *

الباب الثاني

في ذكر النصوص الدالة على أنه هو الإمام بعد النبي بلا فصل

الّذي يجب تقديمه في هذا الباب أنّه قد ثبت بالدّلالة القاطعة وجوب الإمامة في كلّ زمان لكونها لطفاً في فعل الواجبات والامتناع من المقبّحات فإنّا نعلم ضرورة عند وجود الرئيس المهيب يكثر الصلاح من النّاس ويقلُّ الفساد وعند عدمه يكثر الفساد ويقلُّ الصلاح منهم بل يجب ذلك عند ضعف أمره مع وجود غيبته وثبت أيضاً وجوب كونه معصوماً مقطوعاً على عصمته لأنّ جهة الحاجة إلى هذا الرئيس هي ارتفاع العصمة عن النّاس وجواز فعل القبيح منهم فإن كان هو غير معصوم وجب أن

(١) الخلال بمعنى الخصال.

(٢) يعني بأبي جعفر الدوانيقي.

يكون محتاجاً إلى رئيس آخر غيره لأنّ علّة الحاجة إليه قائمة فيه والكلام في رئيسه كالكلام فيه فيؤدّي إلى وجوب ما لا نهاية له من الأئمّة أو الانتهاء إلى إمام معصوم وهو المطلوب فإذا ثبت وجوب عصمة الإمام والعصمة لا يمكن معرفتها إلاّ بإعلام الله سبحانه العالم بالسرائر والضمائر ولا طريق إلى ذلك سواه فيجب النصّ من الله سبحانه عليه على لسان نبيّ مؤيّد بالمعجزات، أو إظهار معجز دالّ على إمامته. وإذا ثبتت هذه الجملة القريبة التي لا يُحتاج فيها إلى تدقيق كثير سبرنا أحوال الأُمّة بعد وفاة النبيّ فوجدناهم اختلفوا في الإمام بعده على أقوال ثلاثة:

فقالت الشيعة: الإمام بعده صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام بالنصّ على إمامته.

وقالت العبّاسيّة: الإمام بعده العبّاس بالنصّ أو الميراث.

وقال الباقون من الأُمّة: الإمام بعده أبو بكر، وكلّ من قال بإمامة أبي بكر والعبّاس أجمعوا على أنّهما لم يكونا مقطوعاً على عصمتهما فخرجا بذلك من الإمامة لما قدَّمناه ووجب أن يكون الإمام بعده أمير المؤمنين عليه السلام بالنصّ الحاصل من جهة الله سبحانه عليه والإشارة إليه وإلاّ كان الحقُّ خارجاً عن أقوال جميع الأُمّة وذلك غير جائز بالاتّفاق بيننا وبين مخالفينا، فهذا هو الدليل العقلي على كونه منصوصاً عليه.

وأما الأدلّة السمعيّة على ذلك فقد استوفاها أصحابنا ـ رضي الله عنهم ـ قديماً وحديثاً في كتبهم لا سيّما ما ذكره السيّد الأجلُّ المرتضى علم الهدى ذو المجدين قدّس الله روحه في كتاب الشافي في الإمامة فقد استولى على الأمد وغار في ذلك وأنجد وصوَّب وأرشد وبلغ غاية الاستيفاء والاستقصاء وأجاب على شبه المخالفين التي عوَّلوا على اعتمادها واجتهدوا في إيرادها أحسن الله عن الدّين وكافّة المؤمنين جزاءه ونحن نذكر الكلام في ذلك على سبيل الاختصار والإجمال دون البسط والإكمال.

فنقول: إنَّ الذي دلَّ على أنَّ النبيّ نصَّ على أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة بعده بلا فصل ودلَّ على فرض طاعته على كلّ مكلّف قسمان أحدهما يرجع إلى الفعل وإن كان يدخل فيه أيضاً القول والآخر القول. فأمّا النصُّ الدالّ على إمامته بالفعل

والقول فهو أفعال النبيّ ﷺ المبيّنة لأمير المؤمنين عليه السلام من جميع الأُمّة الدّالة على استحقاقه التعظيم والإجلال والتّقديم التي لم تحصل ولا بعضها لأحد سواه وذلك مثل إنكاحه ابنته الزّهراء سيّدة نساء العالمين ومؤاخاته إيّاه بنفسه، وأنّه لم يندبه لأمر مهمّ ولا بعثه في جيش قطُّ إلى آخر عمره إلاّ كان هو الوالي عليه المقدَّم فيه ولم يولّ عليه أحداً من أصحابه وأقربيه وأنّه لم ينقم عليه شيئاً من أمره مع طول صحبته إيّاه ولا أنكر منه فعلاً ولا استبطأه ولا استزاده في صغير من الأمور ولا كبير، هذا مع كثرة ما عاتب سواه من أصحابه إمّا تصريحاً وإمّا تلويحاً، وأمّا ما يجري في هذه الأفعال من الأقوال الصادرة عنه ﷺ الدالّة على تمييزه ممّن سواه المنبئة عن كمال عصمته وعلوّ رتبته فكثيرة.

منها قوله ﷺ يوم أُحد وقد انهزم الناس وبقي عليٌّ عليه السلام يقاتل القوم حتّى فضَّ جمعهم وانهزموا فقال جبرئيل: إنَّ هذه هي المؤاساة فقال ﷺ لجبرئيل: عليٌّ منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما فأجراه مجري نفسه كما جعله الله سبحانه نفس النبيّ في آية المباهلة بقوله: ﴿**وأنفسنا**﴾.

ومنها قوله لبريدة: لا تبغض عليّاً فإنّه منّي وأنا منه، إنَّ الناس خلقوا من أشجار شتّى وخلقت أنا وعليٌّ من شجرة واحدة.

ومنها قوله: عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار.

ومنها ما اشتهرت به الرّواية من حديث الطائر وقوله: اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر فجاء عليٌّ عليه السلام.

ومنها قوله ﷺ لابنته الزهراء لمّا عيّرتها نساء قريش بفقر عليّ: أما ترضين يا فاطمة أنّي زوَّجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً إنَّ الله عزَّ وجلَّ اطّلع على أهل الأرض اطّلاعة فاختار منهم أباك فجعله نبيّاً واطّلع عليهم ثانية واختار منهم بعلك فجعله وصيّاً وأوحى إليَّ أن أُنكحك أما علمت يا فاطمة أنّك بكرامة الله إيّاك زوَّجك أعظمهم حلماً وأكثرهم علماً وأقدمهم سلماً، فضحكت فاطمة واستبشرت، فقال رسول الله ﷺ: يا فاطمة إنَّ لعليّ ثمانية أضراس قواطع لم تجعل لأحد من الأوّلين والآخرين هو أخي في الدُّنيا والآخرة ليس ذلك لغيره من النّاس وأنت يا

فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة زوجته وسبطا الرّحمة سبطاي ولده وأخوه المزيّن بالجناحين في الجنّة يطير مع الملائكة حيث يشاء وعنده علم الأوّلين والآخرين وهو أوّل من آمن بي وآخر النّاس عهداً بي وهو وصيّي ووارث الوصيّين.

ومنها قوله: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد العلم فليأت من الباب وما رواه عبد الله بن مسعود أنَّ رسول الله استدعى عليّاً فخلا به فلمّا خرج إلينا سألناه ما الذي عهد إليك؟ قال: علّمني ألف باب من العلم فتح لي بكلّ باب ألف باب.

ومنها أنّه جعل محبّته علماً على الإيمان وبغضه علماً على النفاق قوله فيه: «لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

ومنها أنّه جعل ولايته علماً على طيب المولد وعداوته علماً على خبث المولد بقوله «بوروا[1] أولادكم بحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فمن أحبّه فاعلموا أنّه لرشدة ومن أبغضه فاعلموا أنّه لغيّة» رواه جابر بن عبد الله الأنصاري عنه وروى عنه أبو جعفر الباقر عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعليّ عليه السلام: ألا أسرُّك ألا أمنحك ألا أُبشّرك؟ فقال: بلى يا رسول الله قال: خلقت أنا وأنت من طينة واحدة ففضلت منها فضلة فخلق الله منها شيعتنا فإذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسماء أمّهاتهم سوى شيعتنا فإنّهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم.

وروي عن جابر أنّه كان يدور في سكك الأنصار ويقول: علي خير البشر فمن أبى فقد كفر، معاشر الأنصار بوروا أولادكم على حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فمن أبى فانظروا في شأن أُمّه.

ومنها عن ابن عبّاس أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا كان يوم القيامة دعي الناس كلّهم بأسمائهم ما خلا شيعتنا فإنّهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مواليدهم.

ومنها أنّه جعله وشيعته الفائزون.

ومنها رواه أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وآله وسلم يدخل الجنّة من أمّتي سبعون ألفاً بلا

---

(١) أي اختبروا وجرّبوا.

حساب عليهم ولا عذاب ثمَّ التفت إلى عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: هم شيعتك وأنت إمامهم.

ومنها أنّه سدّ الأبواب في المسجد إلاّ باب عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ روى أبو رافع قال: خطب النبيُّ فقال: أيّها النّاس إنَّ الله تعالى أمر موسى بن عمران أن يبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاّ هو وهارون وابنا هارون شبير وشبر وإنَّ الله أمرني أن أبني مسجداً لا يسكنه إلاّ أنا وعليٌّ والحسن والحسين وأسدُّ الأبواب إلاّ باب عليّ فخرج حمزة يبكي فقال: يا رسول الله أخرجت عمّك وأسكنت ابن عمّك فقال: ما أنا أخرجتك وأسكنته ولكنَّ الله أسكنه، فقال بعض أصحابه وقيل هو أبو بكر: دع لي كوَّة أنظر فيها، قال: لا ولا رأس إبرة.

وروى زيد بن أرقم عن سعد بن أبي وقّاص قال: سدّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الأبواب إلاّ باب عليّ، وإلى هذا أشار السيّد الحميري في قصيدته المذهّبة بقوله:

صهـر النبـيّ وجـاره فـي مسجـد طهـر يطيبـه الـرّسـول مطيّـب
سيّـان فيـه عليـه غيـر مـذمّـم ممشـاه إن جنبـا وإن لـم يجنـب

وأمثال ما ذكرناه من الأفعال والأقوال الظاهرة التي جاءت بها الأخبار المتظافرة ولا يخالف فيها وليٌّ ولا عدوٌّ كثيرٌ، يطول هذا الكتاب بذكرها وإنّما شهدت هذه الأفعال والأقوال باستحقاقه الإمامة ودلّت على أنّه أحقُّ بمقام الرَّسول والأولى بالإمامة والخلافة من جهة أنّها إذا دلّت على الفضل الأكيد والاختصاص الشّديد وعلوّ الدَّرجة وكمال المرتبة علم ضرورة أنّها أقوى الأسباب والوصلات إلى أشرف الولايات لأنَّ الظاهر في العقل أنَّ من كان أبهر فضلاً وأجلّ شأناً وأعلى في الدِّين مكاناً فهو أولى بالتّقديم وأحقُّ بالتّعظيم والإمامة وخلافة الرَّسول [و] هي أعلا منازل الدين بعد النبوّة فمن كان أجل قدراً في الدين وأفضل وأشرف على اليقين وأثبت قدماً وأوفر حظاً فيه فهو أولى بها ومن دلَّ على ذلك من حاله دلَّ على إمامته، ولأنَّ العادة قد جرت فيمن يرشّح لجليل الولايات ويؤهّل لعظيم الدرجات أن يصنع به بعض ما تقدَّم ذكره يبيّن ذلك أنّ بعض الملوك لو تابع بين أفعال وأقوال في بعض أصحابه طول عمره وولايته يدلُّ على فضل شديد وقرب منه في المودَّة والمخالطة

والاتّحاد لكان عند أرباب العادة بهذه الأفعال مرشّحاً له لأفضل المنازل وأعلى المراتب بعده ودالاً على استحقاقه لذلك وقد قال قوم من أصحابنا: إنّ دلالة العقل ربّما كانت آكد من دلالة القول لأنّه أبعد من الشبهة وأوضح في الحجّة من حيث أنّ ما يختصُّ بالفعل لا يدخله المجاز ولا التأويل وأمّا القول فيحتمل ضروباً من التأويل ويدخله المجاز وبالله التوفيق.

وأما النصُّ المختصّ بالقول فينقسم قسمين النصّ الجليّ والنصّ الخفيّ فالنصُّ الجليّ هو ما علم سامعوه من الرّسول مراده منه ضرورة وإن كنّا نعلم الآن ثبوته والمراد به استدلالاً وهو النصُّ الّذي فيه التصريح بالإمامة والخلافة مثل قوله: «سلّموا على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين» وقوله مشيراً إليه وآخذاً بيده: «هذا خليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوه» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لأمّ سلمة: «اسمعي واشهدي هذا أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين» وقوله حين جمع بني عبد المطّلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلاً يومئذ يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً فيما ذكره الرُّواة وقد صنع لهم فخذ شاة مع مدّ من البرّ وأعدّ لهم صاعاً من اللّبن وقد كان الرَّجل منهم يأكل الجذعة في مقام واحد ويشرب القربة من الشراب ثمَّ أمر بتقديمه لهم فأكلت الجماعة من ذلك اليسير حتّى تملّوا منه ولم يبيّن ما أكلوه وما شربوه فيه ثمَّ قال لهم بعد أن شبعوا ورووا: يا بني عبد المطّلب إنَّ الله قد بعثني إلى الخلق كافّة وبعثني إليكم خاصّة فقال: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللّسان، ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأُمم، وتدخلون بهما الجنّة وتنجون بهما من النّار: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله فمن يجيبني إلى هذا الأمر، ويوازرني على القيام به يكون أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي، فلم يجب أحد منهم فقام عليٌّ عليه السلام فقال: اجلس فأنت أخي ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي. فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب تهتك اليوم إن دخلت في دين ابن أخيك قد جعل ابنك أميراً عليك وقد أورد هذا الخبر الأستاد أبو سعيد الخركوشي وإمام أصحاب الحديث النيشابوري في تفسيره وهذا الضرب من النصّ قد تفرّد بنقله الشيعة الإماميّة خاصّة وإن كان بعض من لم يفطن لما عليه من أصحاب الحديث أن يروي شيئاً منه فأمّا الدلالة على تصحيح هذا النصّ فقد سطرها أصحابنا في كتبهم ورووا من الكلام في إثباته وإبطال ما خرج

المخالفون فيه ما ربّما بلغ حجم كتابنا هذا وأكثر فمن أراد تحقيق أبوابه والتغلغل في شعابه فعليه بالكتاب الشافي فإنّه يشرف منه على ما لا يمكن المزيد عليه.

فصل وأمّا النصُّ الذي يسمّيه أصحابنا النص الخفيّ فهو ما لا يقطع على أنَّ سامعيه علموا النصّ عليه بالإمامة منه ضرورة وإن كان لا يمتنع أن يكونوا يعلمونه كذلك أو علموه استدلالاً من حيث اعتبار دلالة اللّفظ وأمّا نحن فلا نعلم ثبوته والمراد به إلاّ استدلالاً وهذا الضرب من النصّ على ضربين قرآنيٌّ وأخباريٌّ.

فأمّا النصُّ من القرآن قوله سبحانه: ﴿**إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾.

ووجه الاستدلال من هذه الآية أنّه قد ثبت أنَّ المراد بلفظة وليّكم المذكور في الآية من كان المتحقّق بتدبيركم والقيام بأموركم وتجب طاعته عليكم بدلالة أنّهم يقولون في السلطان أنّه وليّ أمر الرعيّة وفيمن يرشّح للخلافة أنّه وليُّ عهد المسلمين وفيمن يملك تدبير نكاح المرأة أنّه وليّها وفي عصبة المقتول أنّهم أولياء الدَّم من حيث كانت إليهم المطالبة بالدَّم والعفو وقال المبرّد في كتابه: الوليّ هو الأولى والأحقّ ومثله المولى فإذا كان حقيقته في اللّغة ذلك فالّذي يدلُّ على أنّه المراد في الآية قد ثبت أنَّ المراد بالّذين آمنوا ليس هو جميعهم بل بعضهم وهو من كان له الصفة المخصوصة الّتي هي إيتاء الزكاة في حال الركوع وقد علمنا أنَّ هذه الصفة لم تثبت لغير أمير المؤمنين عليه السلام فإذا ثبت توجّه الآية إلى بعض المؤمنين دون جميعهم ونفى سبحانه ما أثبته عمّن عدا المذكور بلفظة «إنّما» لأنّها مخصّصة لما ذكر نافية لما لم يذكر يبيّنه قولهم: إنّما الفصاحة في الشعر للجاهليّة يريدون نفي الفصاحة عن غيرهم وإنّما النحاة المحقّقون البصريّون يريدون نفي التدقيق من غيرهم وإنّما أكلت رغيفاً يريدون نفي أكل أكثر من رغيف فيجب أن يكون المراد بلفظة وليّ في الآية ما يرجع إلى معنى الإمامة والاختصاص بالتدبير لأنَّ ما تحتمله هذه اللّفظة من الموالاة في الدين والمحبّة لا تخصيص في ذلك والمؤمنون كلّهم مشتركون في معناه فقد قال الله سبحانه: ﴿**والمؤمنون بعضهم أولى ببعض**﴾ فإذا ثبت ذلك فالّذي يدلُّ على توجيه لفظ الذين آمنوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام أشياء:

منها ورود الخبر في ذلك بنقل طائفتين مختلفتين ومن طريق العامّة والخاصّة

أنّ الآية في أمير المؤمنين عند تصدُّقه بخاتمه في حال ركوعه والقصّة في ذلك مشهورة.

ومنها أنّ الأُمّة قد اجتمعت على توجّهها إليه عليه السلام لأنّها بين قائلين قائل يقول: إنّ المراد بها جميع المؤمنين الذي هو أحدهم وقائل يقول: إنّه المختصُّ بها.

ومنها أنَّ كلّ من ذهب إلى أنَّ المراد بالآية ما ذكرناه من معنى الإمامة يذهب إلى أنّه عليه السلام هو المراد بها والمقصود ويدلُّ على أنَّ المختصّ بالآية هو دون غيره أن الإمامة إذا بطل ثبوتها لأكثر من واحد في الزّمان واقتضت اللّفظة الإمامة وتوجّهت إليه بما قدّمناه وثبت أنّه المنفرد بها ولأنَّ كلّ من ذهب إلى أنّ اللّفظة مقتضية للإمامة فردّه بموجبها وما يورد في هذا الدّليل من الأسئلة والجوابات فموضعها الكتب الكبار.

فصل وأمّا النصُّ من طريق الأخبار فمثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خمّ: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه وقوله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى فهذان الخبران ممّا رواهما الشيعيّ والناصبيّ تلقّته الأُمّة بالقبول على اختلافها في النحل وتباينها في المذاهب وإن كانوا قد اختلفوا في تأويله واعتقاد المراد به فأمّا وجه الاستدلال بخبر الغدير ففيه طريقان أحدهما أن نقول: إنَّ النبيَّ قرّر أُمّته في ذلك المقام على فرض طاعته فقال: ألست أولى بكم من أنفسكم فلمّا أجابوه بالاعتراف وقالوا: بلى رفع بيد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقال عاطفاً على ما تقدَّم: ومن كنت مولاه فهذا مولاه ـ وفي روايات أُخر فعليٌّ مولاه ـ اللّهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله فأتى عليه الصلاة والسلام بجملة يحتمل لفظها معنى الجملة الأولى الّتي قدّمها وهو أنَّ لفظة «مولى» تحتمل معنى أولى وإن كان تحتمل غيره فيجب أن يكون أراد بها المعنى المتقدم على مقتضى استعمال أهل اللّغة وإذا كانت هذه اللّفظة تفيد معنى الإمامة بدلالة أنّهم يقولون: السلطان أولى بإقامة الحدود من الرّعيّة والمولى أولى بعبده وولد الميّت أولى بميراثه من غيره وقوله سبحانه: ﴿**النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ لا خلاف بين المفسّرين أنَّ المراد أنّه أولى بتدبير المؤمنين والأمر والنهي فيهم من كلّ أحد منهم وإذا كان النبيّ أولى بالخلق من أنفسهم من حيث كان مفترض الطاعة عليهم وأحق بتدبيرهم وأمرهم ونهيهم

وتصرُّفهم بلا خلاف وجب أن يكون ما أوجبه لأمير المؤمنين عليه السلام فيكون أولى بالمؤمنين من حيث أنَّ طاعته مفترضة عليهم وأمره ونهيه ممّا يجب نفوذه فيهم وفرض الطاعة يتحقّق بالتدبير من هذا الوجه لا يكون إلاّ النبيّ أو الإمام فإذا لم يكن عليه السلام نبيّاً وجب أن يكون إماماً.

وأمّا الطريقة الأُخرى في الاستدلال بهذا الخبر فهي أن لا نبني الكلام على المقدّمة ونستدل بقوله من كنت مولاه من غير اعتبار ما قبله فنقول معلوم أنَّ النبيّ أوجب لأمير المؤمنين أمراً كان واجباً له لا محالة فيجب أن يعتبر ما تحتمله لفظة «مولى» من الأقسام وما يصحُّ كون النبيّ مختصّاً به منها وما لا يصحُّ وما يجوز أن يوجبه لغيره في تلك الحالة وما لا يجوز وجميع ما تحتمله لفظة «مولى» ينقسم إلى أقسام منها ما لم يكن عليه الصلاة والسلام وهو المعتق والحليف لأنّه لم يكن حليفاً لأحد والحليف الذي يحالف قبيلة وينسب إليهم ليتعزَّز بهم ومنها ما كان عليه السلام ومعلوم لكلّ أحد أنّه لم يرده وهو المعتق والجار والصهر والحليف والإمام إذا عدَّ من أقسام المولى وابن العمّ ومنها ما كان ومعلوم بالدَّليل أنّه لم يرده وهو ولاية الدين والنصرة فيه والمحبّة أو ولاء العتق وممّا يدلّ على أنّه لم يرده ذلك أنّ كلّ عاقل يعلم من دينه صلى الله عليه وآله وسلم وجوب موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً ونطق القرآن بذلك وكيف يجوز أن يجمع ذلك الجمع العظيم في مثل تلك الحال ويخطب على المنبر المعمول من الرِّحال ليعلم الناس من دينه ما يعلمونه ضرورة وكذلك ولاء العتق فإنّهم يعلمون أنَّ ولاء العتق لبني العمّ قبل الشريعة وبعدها. ويبطل ذلك أيضاً ما جاء في الرواية من مقالة عمر بن الخطّاب له عليه السلام بخ بخ يا عليّ أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة ومنها ما كان حاملاً له ويجب أن يريده وهو الأولى بتدبير الأُمّة وأمرهم ونهيهم لأنّا إذا أبطلنا جميع الأقسام وعلمنا أنّه يستحيل أن يخلو كلامه من معنى [أو] فائدة ولم يبق إلاّ هذا القسم فيجب أن يريده وقد بيّنّا أنَّ كلَّ من كان بهذه الصفة فهو الإمام المفترض الطاعة وأمّا استيفاء الكلام فيه ففي الكتب الكبار.

فصل وأمّا الاستدلال بالجزء الآخر وهو قوله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي فإنّه يدلُّ على النصّ من وجهين أحدهما أن هذا القول يقتضي حصول جميع منازل هارون من موسى لأمير المؤمنين من النبيّ إلاّ ما خصّه

الاستثناء المنطوق به في الخبر من النبوّة وما جرى مجرى الاستثناء وهو العرف من أُخوّة النسب وقد علمنا أنَّ من منازل هارون من موسى هي الشركة في النبوّة وأُخوّة النسب والتقدُّم عنده في الفضل والمحبّة والاختصاص على جميع قومه والخلافة في حال غيبته على أُمّته وأنّه لو بقي بعده لخلّفه فيهم وإذا خرج الاستثناء بمنزلة النبوّة وخصّ العرف منزلة الأُخوّة لأنَّ كلّ من عرفهما علم أنّهما لم يكونا ابني أب واحد وجب القطع على ثبوت ما عداها بين المنزلتين من المنازل الأُخرى وإذا كان في جملة تلك المنازل أنّه لو بقي لخلّفه ودبّر أمر أُمّته وقام فيهم مقامه وعلمنا بقاء أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة الرسول وجبت له الإقامة بعده بلا شبهة وإنّما قلنا إنّ هارون لو بقي بعد موسى عليه السلام لخلّفه في أمّته لأنّه قد ثبتت خلافته له في حال حياته وقد نطق به القرآن في قوله تعالى: ﴿**وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي**﴾ وإذا ثبت له الخلافة في حال الحياة وجب حصولها له بعد الوفاة لو بقي إليها لأنَّ خروجها عنه في حال من الأحوال مع بقائه حطٌّ له عن مرتبة سنيّة كانت له وصرف عن ولاية فوّضت إليه وذلك يقتضي التنفير وقد يجنّب الله أنبياءه من موجبات التنفير ما هو أقلّ ممّا ذكرناه بلا خلاف فيه بيننا وبين المعتزلة وهي الزّمامة المفرطة والخلق المشينة والصغائر المستخفّة وأن لا يجيبهم فيما يسألونه لأُمّتهم من حيث يظهر لهم.

وأمّا الوجه الآخر من الاستدلال بالخبر على النصّ فهو أن نقول قد ثبت كون هارون خليفة لموسى عليه السلام على أمّته في حياته ومفترض الطاعة عليهم وأنَّ هذه المنزلة من جملة منازله منه ووجدنا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم استثنى ما لم يرده من المنازل بقوله: «إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» فدلَّ الاستثناء على أنَّ ما لم يستثنه حاصل لأمير المؤمنين بعده وإذا كان من جملة المنازل الخلافة في الحياة وثبتت بعده فقد تبيّن النصّ عليه بالإمامة وإنّما قلنا: إنَّ الاستثناء في الخبر يدلُّ على بقاء ما لم يستثن من المنازل بعده لأنَّ الاستثناء كما أنَّ من شأنه إذا كان مطلقاً أن يوجب ثبوت ما لم يستثن مطلقاً فكذلك إذا قيّد بحال أو وقت أن يوجب ثبوت ما لم يستثن في ذلك الوقت وفي تلك الحال ألا ترى أنَّ قول القائل ضربت أصحابي إلاّ أنَّ زيداً في الدّار يدلُّ على أنَّ ضربه أصحابه كان في الدّار لتعلّق الاستثناء بذلك.

وأمّا ما تَختصّ الشيعة بنقله من ألفاظ النصوص الصريحة على أمير المؤمنين وعلى الأئمّة من أبنائه عليهم السلام بما لم يشاركها فيه مخالفوها فممّا لا يحصى أو يحصى الحصى ولا يمكن من الحصر ولا حدّ أو يحصر رمل عالج ويعدُّ ونحن نذكر جملة كافية من الأخبار في هذا الباب شافية في معناها لأُولي الألباب إذا انتهينا إلى الرُّكن الرّابع من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

الباب الثالث

في ذكر طرف من آيات الله سبحانه الظاهرة على أمير المؤمنين عليه السلام

والمعجزات الخارقة للعادة المؤيّدة لإمامته الدّالّة على مكانه من الله عزَّ وجلَّ ومنزلته وهذا الباب يشتمل على فنّين من الآية والدّلالات أحدهما ما يختصّ بالإخبار من الغائبات والفنُّ الآخر غيرها من المعجزات الخارقة للعادات.

فأما الفن الأول وهو إخباره بالغائبات والكائنات قبل كونها فيوافق الخبر المخبر عنه فإنّه أحد معجزات المسيح الدالّة على ثبوته كما نطق به التنزيل من قوله: ﴿**وأُنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم**﴾ وكان ذلك من آيات نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً مثل ما جاء في القرآن من قوله تعالى: ﴿**لتدخلنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصّرين لا تخافون**﴾ وقوله تعالى في يوم بدر قبل الوقعة: ﴿**سيهزم الجمع ويولّون الدُّبر**﴾ وقوله تعالى في غلبة فارس الرُّوم: ﴿**الم غلبت الرُّوم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون**﴾ وأمثال ذلك قد مرّ ذكر بعضها في بيان معجزات النبيّ فكان جميع ذلك على ما قال وما كان في هذا الفنّ منقولاً عن أمير المؤمنين عليه السلام فهو أكثر من أن يحصى ولا يمكن إنكاره إذ ظهر للخلق اشتهاره فلا يخفى على العامّ والخاصّ ما حفظ عنه من الملاحم والحوادث في خطبه وكلامه وحديثه بالكائنات قبل كونها.

فمنه قوله قبل قتال الفرق الثلاث بعد بيعته: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فما مضت الأيّام حتّى قاتلهم.

ومنه قوله لطلحة والزُّبير لمّا استأذناه في الخروج إلى العمرة: والله ما تريدان العمرة وإنّما تريدان البصرة فكان كما قال.

ومنه قوله بذي قار وهو جالس لأخذ البيعة: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون يبايعوني على الموت قال ابن عبّاس: فجعلت أُحصيهم فاستوفيت عددهم تسعمائة رجل وتسعة وتسعين رجلاً ثمَّ انقطع مجيء القوم فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ماذا حمله على ما قال فبينما أنا متفكّر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل حتّى دنا فإذا هو رجل عليه قباء صوف، معه سيفه وترسه وإداوته فقرب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال: امدد يدك أبايعك فقال عليه السلام: وعلى ما تبايعني؟ قال: على السمع والطاعة والقتال بين يديك حتّى أموت أو يفتح الله عليك، فقال: ما اسمك قال: أُويس قال: أنت أُويس القرني؟ قال: نعم. قال: قال: الله أكبر أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّي أدرك رجلاً من أُمّته يقال له: أُويس القرني يكون من حزب الله ورسوله يموت على الشهادة يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر. قال ابن عبّاس فسري عنّي.

ومنه إخباره بالمخدج وقوله: إنّ فيهم لرجلاً موذون اليد، له ثدي كثدي المرأة وهو شرُّ الخلق والخليقة قاتلهم أقرب الخلق إلى الله سبحانه ورسوله ولم يكن المخدج معروفاً في القوم فلمّا قتل الخوارج جعل يطلبه في القتلى ويقول: والله ما كَذبت ولا كُذبت ويحثُّ أصحابه على طلبه لمّا أجلت الواقعة وكان يرفع رأسه إلى السماء تارة ويحطّه أُخرى حتّى وجد في القوم فشقَّ من قميصه فكان على كتفه سلعة وكان كثدي المرأة عليها شعرات إذا جذبت انجذب كتفه معها وإذا تركت رجع كتفه إلى موضعها فلمّا وجده كبّر ثمّ قال: إنَّ في هذه لعبرة لمن استبصر.

ومنه قوله في الخوارج مخاطباً لأصحابه: والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة فكان كما قال.

ومنه ما رواه الجندب بن عبد الله الأزدي قال: شهدت مع عليّ عليه السلام الجمل بيقين لا أشكُّ في قتال من قاتله حتّى نزلت النهروان فدخلني شكٌ فقلت: قرّاؤنا وخيارنا إنَّ هذا الأمر عظيم فخرجت غدوة أمشي ومعي إداوة وماء حتّى برزت من

الصفوف فركزت رمحي ووضعت ترسي عليه واستترت من الشمس فإنّي لجالس إذ ورد عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أخا الأزد أمعك طهور؟ قلت: نعم. فناولته الإداوة فمضى حتّى لم أره ثمَّ أقبل فتطهّر فجلس في ظلّ الترس فإذا فارس يسأل عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين هذا فارس يريدك، قال: فأشرت إليه فجاءنا فقال: يا أمير المؤمنين قد عبر القوم وقطع النهر، فقال: كلاّ ما عبروا فقال: بلى والله لقد فعلوا قال: كلاّ ما فعلوا قال: فإنّه لكذلك إذ جاء رجلٌ آخر فقال: يا أمير المؤمنين قد عبر القوم قال: كلاّ ما عبر القوم قال: والله ما جئتك حتّى رأيت الرايات في ذلك الجانب والأثقال قال: والله ما فعلوا وإنّه لمصرعهم ومهراق دمائهم، ثمَّ نهض ونهضت معه فقلت في نفسي الحمد لله الذي بصّرني بهذا الرَّجل وعرَّفني أمره هذا أحد رجلين إمّا رجل كذّاب جريء أو على بيّنة من ربّه وعهد من نبيّه اللّهمّ إنّي أعطيتك عهداً تسألني عنه يوم القيامة إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أوّل من يقاتله وأوّل من يطعن بالرّمح في عينه وإن كانوا لم يعبروا أن أُقيم على المناجزة والقتال فدفعنا إلى الصفوف فوجدنا الرايات والأثقال كما هي قال: فأخذ بقفاي فدفعني وقال: يا أخا الأزد أتبيّن لك الأمر؟ فقلت: أجل يا أمير المؤمنين قال: فشأنك بعدوّك فقتلت رجلاً ثمَّ قتلت آخر ثمّ اختلفت أنا ورجل آخر أضربه ويضربني فوقعنا جميعاً فاحتملني أصحابي فأفقت حين أفقت وقد فرغ القوم.

وأما إخباره عليه السلام بما يكون بعد وفاته من الحوادث والملاحم والوقائع وما ينزل بشيعته من الفجائع وما يحدث من الفتن في دولة بني أُميّة والدّولة العبّاسية وغيرها فأكثر من أن يُحصى.

فمن ذلك قوله عليه السلام لأهل الكوفة: أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجلٌ رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنّه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي فأمّا السبّ فسبّوني فإنّه لي زكاة ولكم نجاة وأمّا البراءة فلا تتبرّؤوا منّي فإنّي ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإسلام والهجرة، فكان كما قال عليه السلام.

ومن ذلك أنّه لمّا أُخذ مروان الحكم أسيراً يوم الجمل فتكلّم فيه الحسن والحسين عليهما السلام فخلّى سبيله فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين فقال: ألم يبايعني

بعد قتل عثمان لا حاجة لي في بيعته أما إنَّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقي الأمّة منه ومن ولده موت أحمر فكان كما قال عليه‌السلام.

ومن ذلك قوله: أما إنّه سيليكم من بعدي ولاة لا يرضون منكم بهذا فيعذّبونكم بالسياط والحديد إنّه من عذّب الناس في الدّنيا عذّبه الله في الآخرة وآية ذلك أنّه يأتيكم صاحب اليمن حتّى يحلَّ بين أظهركم فيأخذ العمّال، وعمّال العمّال رجلٌ يقال له: يوسف بن عمر فكان كما قال عليه‌السلام.

ومن ذلك قوله لجويرية بن مسهر: ليقتلنّك العتلّ الزّنيم وليقطعنَّ يدك ورجلك وليصلبنّك على جذع كافر. فلمّا ولي زياد في أيّام معاوية قطع يده ورجله وصلبه على جذع ابن مكعبر.

ومن ذلك حديث ميثم التمّار فقد روت نقلة الآثار أنّه كان عبد امرأة من بني أسد فاشتراه أمير المؤمنين عليه‌السلام منها فأعتقه فقال له: ما اسمك؟ فقال: سالم قال: فأخبرني رسول الله أنَّ اسمك الّذي سمّاك به أبواك في العجم ميثم، قال: صدق الله ورسوله وصدقت يا أمير المؤمنين قال: فارجع إلى اسمك الذي سمّاك به رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ودع سالماً فرجع إلى ميثم واكتنى بأبي سالم فقال له أمير المؤمنين ذات يوم: إنّك تؤخذ بعدي وتصلب وتطعن بحربة فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً فتخضب لحيتك فانتظر ذلك الخضاب وتصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة وأراه النخلة التي يصلب على جذعها وكان ميثم يأتيها فيصلّي عندها ويقول: بوركت من نخلة لك خلقت ولي غذّيت ولم يزل يتعاهدها حتى قطعت وكان يلقى عمرو بن حريث فيقول له: إنّي مجاورك فأحسن جواري وهو لا يعلم ما يريد وحجّ في السنة التي قتل فيها فدخل على أُمّ سلمة فقالت: من أنت؟ فقال: أنا ميثم، فقالت: والله لربّما سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يوصي بك عليّاً في جوف اللّيل فسألها عن الحسين فقالت: هو في حائط له قال: فأخبريه أنّني قد أحببت السلام عليه ونحن ملتقون عند ربّ العالمين إن شاء الله تعالى فدعت بطيب وطيّبت لحيته وقالت: أما إنّها تخضب بدم فقدم الكوفة فأخذه عبيد الله بن زياد وقال: ما أخبرك صاحبك أنّي فاعل بك؟ قال: أخبرني أنّك تصلبني عاشر عشرة أنا أقصرهم خشبة وأقربهم إلى المطهرة قال: لنخالفنّه قال:

كيف تخالفه فوالله ما أخبرني إلاّ عن النبيّ ﷺ عن جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الله عزَّ وجلَّ وكيف تخُالف هؤلاء ولقد عرفت الموضع الذي أُصلب عليه أين هو من الكوفة وأنا أوَّل خلق الله أُلجم في الإسلام، فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد فقال ميثم للمختار: إنّك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يقتلنا فلمّا دعا عبيد الله المختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد يأمره بتخلية سبيله فخلاّه وأمر بميثم أن يصلب فأُخرج فقال له رجل لقيه: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم فتبسّم وقال وهو يومي إلى النخلة لها خلقت ولي غذيت فلمّا رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث قال عمرو: قد كان والله يقول لي: إنّي مجاورك فلمّا صلب أمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشّه وتجميره فجعل ميثم يحدّث بفضائل بني هاشم فقيل لابن زياد: فضحكم هذا العبد قال: ألجموه فكان أوّل خلق الله أُلجم في الإسلام.

وكان مقتل ميثم قبل قدوم الحسين بن عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ على العراق بعشرة أيّام فلمّا كان اليوم الثالث من صلبه طعن ميثم بالحربة فكبّر ثمَّ انبعث في آخر النهار أنفه وفمه دماً.

ومن ذلك ما رواه مجاهد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي قال: كنت عند زياد إذ أُتي برشيد الهجري فقال له: ما قال صاحبك ـ يعني عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ إنّا فاعلون بك؟ قال تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني فقال زياد: أما والله لأُكذّبنَّ حديثه خلّوا سبيله فلمّا أراد أن يخرج قال زياد: والله ما نجد له شرّاً ممّا قال صاحبه اقطعوا يديه ورجليه واصلبوه فقال الرَّشيد: هيهات قد بقي لكم عندي شيء أخبرني أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال زياد: اقطعوا لسانه فقال الرشيد: الآن والله جاء تصديق خبر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومن ذلك ما اشتهرت به الرواية أنّه عَلَيْهِ السَّلَامُ خطب فقال في خطبته: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله ما تسألوني عن فئة تضلُّ مائة وتهدي مائة إلاّ أنبأتكم بلاحقها وسابقها إلى يوم القيامة، فقام إليه رجل فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟ فقال: لقد حدَّثني خليلي رسول الله ﷺ بما سألت عنه وأنَّ على كلّ طاقة شعر في رأسك ملكاً يلعنك وعلى كلّ طاقة شعر في لحيتك شيطاناً يستفزُّك وأنَّ في

بيتك لسخلاً[١] يقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وآية ذلك مصداق ما أخبرتك به ولولا أنَّ الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرت به ولكن آية ذلك ما نبّأته عن سخلك الملعون وكان ابنه في ذلك الوقت صغيراً يحبو، فلمّا كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان تولّى قتله وكان كما قال.

ومن ذلك ما روي عن سويد بن غفلة أنَّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره أنَّ خالد بن عرفطة قد مات فاستغفر له فقال: إنّه لم يمت ولا يموت حتّى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن جمّاز فقام رجل من تحت المنبر فقال: يا أمير المؤمنين والله إنّي لك شيعة وإنّي لك محبّ وأنا حبيب بن جمّاز فقال: إيّاك أن تحملها ولتحملنّها فتدخل من هذا الباب، وأومأ بيده إلى باب الفيل فلمّا كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان بعث ابن زياد بعمر بن سعد إلى الحسين وجعل خالد بن عرفطة على مقدّمته وحبيب بن جمّاز صاحب رايته فسار بها حتّى دخل المسجد من باب الفيل وهذا الخبر مستفيض في أهل العلم بالآثار من أهل الكوفة.

ومن ذلك ما رواه إسماعيل بن زياد قال: إنَّ عليّاً عليه السلام قال للبراء بن عازب: يا براء يقتل ابني الحسين عليه السلام وأنت حي لا تنصره. فلمّا قتل الحسين عليه السلام كان البراء يقول: صدق والله عليُّ بن أبي طالب عليه السلام قتل الحسين بن عليّ وأنا لم أنصره ويظهر الندم على ذلك والحسرة. وهذا الذي ذكرناه من جملة إخباره بالغائبات وإعلامه بالكائنات قبل كونها غيض من فيض يسير من كثير ولو لم يكن إلاّ خطبته القاصعة وخطبته البصرة المستفيضة الشائعة وما فيها من الملاحم والحوادث في العباد والبلاد وأسامي ملوك بني أميّة وبني العباس وما حلَّ من عظائم بليّاتهم بالناس لكفى بها أُعجوبة لا يعاد إلاّ ما ساواها في معناها وفيما ذكرناه كفاية ومقنع لذوي الألباب.

وأما الفنُّ الآخر من المعجزات والآيات الخارقة للعادات التي هي غير الإخبار

---

(١) السخل: أولاد الغنم ساعة تضعه من الضأن والمعز جميعاً ذكراً كان أو أنثى والجمع سخال. وأراد به عليه السلام سنان بن أنس كما صرح به ابن أبي الحديد في شرح النهج بعد نقل الحديث عن كتاب الغارات.

بالغائبات ممّا لا يدخل تحت الضبط والانحصار ونحن نذكر طرفاً منها على شريطة الأخذ.

فمن ذلك قصة عين راحوما والرَّاهب بأرض كربلا والصخرة والخبر بذلك مشهور بين الخاصّ والعامّ وحديثها أنّه لمّا توجّه إلى صفّين لحق أصحابه عطش فأخذوا يميناً وشمالاً يطلبون الماء فلم يجدوه فعدل بهم أمير المؤمنين عن الجادّة وسار قليلاً فلاح لهم دير فسار بهم نحوه وأمر من نادى ساكنه بالاطّلاع إليهم فنادوه فاطّلع فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هل قرب قائمك ماء؟ فقال: هيهات بينكم وبين الماء فرسخان وما بالقرب منّي شيء من الماء فلوى عنق بغلته نحو القبلة وأشار بهم إلى مكان يقرب من الدَّير فقال: اكشفوا الأرض في هذا المكان فكشفوا بالمساحي فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع فقالوا: يا أمير المؤمنين ههنا صخرة لا تعمل فيها المساحي فقال عليه السلام: إنَّ هذه الصخرة على الماء فاجتهدوا في قلعها فاجتمع القوم وراموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً واستصعب عليهم فلوى رجله من سرجه حتى صارت على الأرض وحسر ذراعيه ووضع أصابعه تحت الصخرة فحرَّكها ثمَّ قلعها بيده ودحا بها أذرعاً كثيرة، فلمّا زالت عن مكانها ظهر لهم بياض الماء فتبادروا إليه فشربوا منه فكان أعذب ماءٍ وأبرده وأصفاه، فقال لهم: تزوَّدوا وارتووا ففعلوا ذلك، ثمَّ جاء إلى الصخرة فتناولها بيده ووضعها حيث كانت وأمر أن يعفى أثرها بالتراب والرَّاهب ينظر من فوق ديره، فلمّا علم ما جرى نادى يا معشر الناس أنزلوني أنزلوني فأنزلوه فوقف بين يدي أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: أنت نبيٌّ مرسل؟ قال: لا، قال: فملك مقرَّب؟ قال: لا، قال: فمن أنت؟ قال: أنا وصيُّ رسول الله محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيّين، قال: ابسط يدك أُسلم لله على يدك فبسط يده وقال له: اشهد الشهادتين فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمّداً رسول الله وأشهد أنّك وصيُّ رسول الله وأحقُّ الناس بالأمر من بعده وقال: يا أمير المؤمنين إنَّ هذا الدَّير بني على طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها وقد مضى عالم كثير قبلي ولم يدركوا ذلك وقد رزقنيه الله عزَّ وجلَّ إنّا نجد في كتاب من كتبنا وأثر من علمائنا أنَّ في هذا الصقع عيناً عليها صخرة لا يعرف مكانها إلاّ نبي أو وصيّ نبيّ وأنّه لا بدّ من وليّ لله يدعو إلى الحقّ آيته معرفة مكان هذه الصخرة وقدرته على قلعها وإنّي لمّا رأيتك قد فعلت ذلك تحقّقت ما كنّا ننتظره وبلغت الأُمنيّة

منه فأنا اليوم مسلم على يدك ومؤمن بحقّك ومولاك، فلمّا سمع أمير المؤمنين بكى حتّى اخضلّت لحيته من الدّموع وقال: الحمد لله الذي كنت في كتبه مذكوراً، الحمد لله الذي لم أكُ عنده منسيّاً [ثمّ دعا الناس وقال اسمعوا ما يقوله أخوكم المسلم]، فسمع الناس مقالته وشكروا الله على ذلك وساروا والرّاهب بين يديه حتّى لقي أهل الشام فكان الرَّاهب من جملة من استشهد معه فتولّى الصلاة عليه ودفنه وأكثر من الاستغفار له وكان إذا ذكره يقول: ذاك مولاي.

وفي هذا الخبر ضروب من الآيات أحدها علم الغيب والآخر القوّة الخارقة للعادة والثالثة ثبوت البشارة به في كتب الله الأُولى كما جاء في التنزيل ﴿**ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل**﴾ وفي ذلك يقول السيّد إسماعيل الحميري:

ولقد سرى فيما يسير بليلة ... بعد العشاء بكربلا في موكب[١]
حتّى أتى متبتّلاً في قائم ... ألقى قواعده بقاع مجدب[٢]
يأتيه ليس بحيث يلقى عامر ... غير الوحوش وغير أصلع أشيب[٣]
فدنا فصاح به فأشرف مائلاً ... كالنسر فوق شظيّة من مرقب[٤]
هل قرب قائمك الذي أنتم به ... ماء يصاب فقال ما من مشرب[٥]
إلاّ بغاية فرسخين ومن لنا ... بالماء بين نقا وقيّ سبسب[٦]

---

(١) السرى: سير الليل كله.

(٢) المتبتل: الراهب. والقائم: صومعته. والقاع: الأرض السهلة، الطين التي لا حزونة فيها ولا انهباط. والقاعدة: أساس الجدار وكل ما يبنى. والجدب ضد الخصب.

(٣) «يأتيه» أي يأتي هذا الموضع الذي كان الراهب فيه. ومعنى «عامر» أنه لا مقيم فيه سوى الوحوش ويمكن أن يكون مأخوذاً من العمرة التي هي الزيادة. والأصلع الأشيب، هو الراهب.

(٤) المائل: المنتصب. وشبه الراهب بالنسر لطول عمره. والشظية: قطعة من الجبل مفردة. المرقب المكان العالي.

(٥) في إرشاد المفيد ـ رحمه الله ـ «هل قرب قائمك الذي بوأته» وهو الصحيح.

(٦) «النقا»: قطعة من الرمل تنقاد محدودبة. والقي: الصحراء الواسعة. والسبسب: القفر.

فثنـى الأعنّـة نحـو وعـث فـاجتلـى ملسـاء تبـرق كـاللّجيـن المـذهـب[١]
قـال اقلبـوهـا إنّكـم إن تقلبـوا تـرووا ولا تـروون إن لـم تقلـب
فـاعصـوصبـوا فـي قلعهـا فتمنّعـت منهـم تمنّـع صعبـة لـم تـركـب[٢]
حتّـى إذا أعيتهـم أهـوى لهـا كفّـاً متـى تـرد المغـالـب تغلـب[٣]
فكـأنّهـا كـرّت بكـفّ حـزوّر عبـل الـذّراع دحـا بهـا فـي ملعـب[٤]
قـال اشـربـوا مـن تحتهـا متسلسـلاً عـذبـاً يـزيـد علـى الألـذّ الأعـذب[٥]
حتّـى إذا شـربـوا جميعـاً ردّهـا ومضـا فخلـت مكـانهـا لـم يقـرب
أعني ابن فاطمة الوصيّ ومن يقل فـي فضلـه وفعـالـه لـم يكـذب[٦]

ومن ذلك ما استفاضت به الأخبار ونظمت فيه الأشعار: رجوع الشمس له عَلَيْهِ السَّلَامُ مرّتين مرّة في حياة النبيّ وبعد وفاته أُخرى فالأُولى قد روتها أسماء بنت عميس وأُمّ سلمة زوج النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدريّ في جماعة من الصحابة أنّ النبيّ كان ذات يوم في منزله وعليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بين يديه إذ جاء جبرئيل يناجيه عن الله عزَّ وجلَّ فلمّا تغشّاه الوحي توسّد فخذ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يرفع رأسه حتّى غابت الشمس وصلّى صلاة العصر جالساً بالإيماء، فلمّا أفاق النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال له: ادع الله ليردّ عليك الشمس فإنَّ الله يجيبك لطاعتك الله ورسوله فسأل الله عزَّ وجلَّ أمير المؤمنين في ردّ الشمس فردّت عليه حتّى صارت في موضعها من السماء وقت العصر فصلّى أمير المؤمنين الصلاة في وقتها ثمّ غربت وقالت أسماء بنت

---

(١) الأعنة: جمع عنان وهو زمام الفرس. والوعث: الرمل الذي لا يسلك فيه. و«فاجتلى ملساء» أي نظر إلى صخرة ملساء فتجلت لعينه. وتبرق أي تلمع. واللجين ـ بضم اللام وفتح الجيم ـ: الفضة. ووصفه بالمذهب لأنه أشد لبريقه ولمعانه.

(٢) فاعصوصبوا أي اجتمعوا على قلعها وصاروا عصبة واحدة.

(٣) و«أهوى لها» أي مد إليها. والمغالب: الرجل الغالب.

(٤) الحزور: الغلام المترعرع. والعبل: الغليظ الممتلىء.

(٥) المتسلسل: الماء السلس في الحلق.

(٦) يعني بابن فاطمة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لأن أمه فاطمة بنت أسد.

عميس: أما والله لقد سمعنا لها عند غروبها صريراً كصرير المنشار في الخشب.

وأما الثانية أنّه لمّا أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابّهم ورحالهم وصلّى بنفسه في طائفة معه العصر فلم يفرغ الناس عن عبورهم حتّى غربت الشمس وفات كثيراً منهم الصلاة وفات جمهورهم فضل الجماعة فتكلّموا في ذلك فلمّا سمع كلامهم فيه سأل الله عزَّ وجلَّ ردَّ الشمس عليه فأجابه بردّها عليه فكانت في الأفق على الحال الّتي تكون وقت العصر فلمّا سلّم بالقول غابت فسمع لها وجيب شديد وفي ذلك يقول السيّد الحميري:

ردّت عليه الشمس لمّا فاته … وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
حتّى تبلّج نورها في وقتها … للعصر ثمَّ هوت هويّ الكوكب[1]
وعليه قد حبست ببابل مرّة … أُخرى وما حبست بخلق معرب[2]
إلاّ ليوشع أوله من بعده … ولردّها تأويل أمر معجب

ومن ذلك ما رواه نقلة الأخبار من حديث الثعبان والرواية فيه أنّه كان عليه السلام يخطب ذات يوم على منبر الكوفة إذ ظهر ثعبان من جانب المنبر فجعل يرقى ثمَّ دنا من المنبر فارتاع لذلك الناس وهمّوا بقصده ودفعه عنه فأومأ إليهم بالكفّ عنه، فلمّا صار إلى المرقاة التي كان أمير المؤمنين عليه السلام قائماً عليها انحنى إلى الثعبان وتطاول الثعبان إليه حتّى التقم أُذنه وسكت الناس وتحيّروا لذلك فنقّ نقيقاً سمعه كثيرٌ منهم، ثمَّ إنّه زال عن مكانه وأمير المؤمنين عليه السلام يحرّك شفتيه والثعبان كالمصغي إليه ثمَّ انساب[3] فكأنَّ الأرض ابتلعته وعاد أمير المؤمنين عليه السلام إلى خطبته فلمّا فرغ منها ونزل اجتمع الناس يسألونه عن حال الثعبان، فقال: إنّما هو حاكم من حكّام الجنّ التبست عليه قضيّة فصار إليّ يستفتيني عنها فأفهمته إيّاها فدعا إليَّ بخير وانصرف.

ومن ذلك حديث الحيتان وكلامها له في فرات الكوفة وذلك أنَّ الماء طغى في

(١) تبلج أي أضاء. وهوت أي سقطت.
(٢) بابل: موضع بالعراق: والمعرب: الناطق المفصح.
(٣) انسابت الحية: جرت، وفلان مشى مسرعاً.

الفرات حتّى أشفق أهل الكوفة من الغرق ففزعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخرج الناس معه حتّى أتى شاطىء الفرات فنزل عليه السلام عليه وأسبغ الوضوء وصلّى والناس يرونه ودعا الله عزَّ وجلَّ بدعوات سمعها أكثرهم، ثمَّ تقدَّم إلى الفرات متوكّئاً على قضيب بيده حتّى ضرب به صفحة الماء وقال: انقص بإذن الله ومشيئته فغاض الماء حتّى بدت الحيتان من قعره فنطق كثير منها بالسلام عليه بإمرة المؤمنين ولم ينطق منها صنفان من السمك وهي الجرّيُّ والمارماهي فتعجّب الناس لذلك وسألوه عن علّة نطق ما نطق وصمت ما صمت فقال: أنطق الله لي ما طهر من السمك وأصمت عنّي ما نجس وحرم. وهذا الخبر مستفيض أيضاً كاستفاضة كلام الذّئب للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتسبيح الحصى في كفّه وأمثال ذلك.

ومن ذلك ما جاء في الآثار عن ابن عبّاس قال: لمّا خرج النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني المصطلق ونزل بقرب واد وعر فلمّا كان آخر اللّيل هبط عليه جبرئيل عليه السلام يخبره عن طائفة من كفّار الجنّ قد استبطنوا الوادي يريدون كيده وإيقاع الشرّ بأصحابه فدعا أمير المؤمنين وقال: اذهب إلى هذا الوادي فسيعرض لك من أعداء [الله] الجنّ من يريدك فادفعه بالقوّة التي أعطاك الله عزَّ وجلَّ إيّاها وتحصّن منهم بأسماء الله الّتي خصّك بها وبعلمها وأنفذ معه مائة رجل من أخلاط الناس وقال لهم: كونوا معه امتثلوا أمره فتوجّه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الوادي، فلما قرب شفيره أمر المائة الذين صحبوه أن يقفوا بقرب الشفير ولا يحدثوا شيئاً حتى يأذن لهم ثمَّ تقدَّم فوقف على شفير الوادي وتعوّذ بالله من أعداء الله وسمّاه بأحسن أسمائه وأومأ إلى القوم الذين اتّبعوه أن يقربوا منه، فقربوا وكان بينه وبينهم فرجة مسافتها غلوة، ثمَّ رام الهبوط إلى الوادي فاعترضت ريح عاصف كاد القوم يقعون على وجوههم لشدَّتها ولم تثبت أقدامهم على الأرض من هول ما لحقهم، فصاح أمير المؤمنين عليه السلام أنا عليُّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب وصيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمّه اثبتوا إن شئتم فظهر للقوم أشخاص كالزُّط تخيّل في أيديهم شعل النار قد اطمأنّوا وأطافوا بجنبات الوادي فتوغّل أمير المؤمنين عليه السلام بطن الوادي وهو يتلو القرآن ويومي بسيفه يميناً وشمالاً، فما لبثت الأشخاص حتّى صارت كالدُّخان الأسود، فكبّر أمير المؤمنين عليه السلام ثمَّ صعد من حيث هبط، فقام مع القوم الذين اتّبعوه حتى أسفر الموضع عمّا اعتراه، فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما لقيت يا أبا الحسن فقد

كدنا نهلك خوفاً وإشفاقاً عليك، فقال عليه السلام: لمّا ترائى لي العدوُّ وجهرت فيهم بأسماء الله فتضاءلوا[١] وعلمت ما حلَّ بهم من الجزع، فتوغّلت الوادي غير خائف منهم ولو بقوا على هيئاتهم لأتيت على آخرهم وكفى الله كيدهم وكفى المسلمين شرَّهم وستسبقني بقيّتهم إلى النبيّ فيؤمنوا به وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام بمن معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر فرضي عنه ودعا له بخير وقال له: قد سبقك يا عليُّ إليَّ من أخافه الله بك فأسلم وقبلت إسلامه.

ومن ذلك ما أبانه الله تعالى به من القوّة الخارقة للعادة في قلع باب خيبر ودحوه به وكان من الثقل بحيث لا يحمله أقلُّ من أربعين رجلاً ثمَّ حمله إيّاه على ظهره فكان جسراً للناس يعبرون عليه إلى ذلك الجانب فكان ذلك علماً معجزاً.

ومن ذلك انقضاض الغراب على خفّه وقد نزعه ليتوضّأ وضوء الصلاة فانساب فيه أسود فحمله الغراب حتّى صار به إلى الجوّ ثمَّ ألقاه فوقع منه الأسود ووقاه الله عزَّ وجلَّ من ذلك وفي ذلك يقول الرّضي الموسوي:

أما في باب خيبر معجزات تصدّق أو مناجاة الحباب
أرادوا كيده والله يأبى فجاء النصر من قبل الغراب

ومن ذلك ما رواه عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام من قوله لجويرية بن مسهر وقد عزم على الخروج: أما إنّه سيعرض لك في طريقك الأسد، قال: فما الحيلة له؟ قال: تقرئه منّي السلام وتخبره أنّي أعطيتك منه الأمان فخرج جويرية فبينا هو كذلك يسير على دابّته إذ أقبل نحوه أسد لا يريد غيره فقال له جويرية: يا أبا الحارث إنَّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقرئك السلام وإنّه قد آمنني منك، قال: فولّى اللّيث عنه مطرقاً برأسه يهمهم حتّى غاب في الأجمة فهمهم خمساً، ثمَّ غاب ومضى جويرية في حاجته، فلمّا انصرف إلى أمير المؤمنين عليه السلام وسلّم عليه وقال: كان من الأمر كذا وكذا فقال: ما قلت للّيث وما قال لك؟ فقال جويرية: قلت له ما أمرتني به وبذلك انصرف عنّي وأمّا ما قال اللّيث فالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّ رسوله أعلم قال: إنّه ولّى عنك يهمهم فأحصيت له

---

(١) التضاؤل: التصاغر.

خمس همهمات ثمَّ انصرف عنك قال جويرية: صدقت يا أمير المؤمنين هكذا هو فقال عليه السلام: فإنّه قال لك: فاقرىء وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله منّي السلام وعقد بيده خمساً.

ولو ذهبنا نجتهد في إيراد أمثال هذه من الآيات والمعجزات لطال به الكتاب وفيما أثبتنا من ذلك غنى عمّا سواه، وبالله نستعين وإيّاه نستهدي إلى الهدى والحقّ والصواب.

الباب الرابع

في ذكر بعض مناقبه وفضائله وخصائصه عليه السلام

التي أبانه الله سبحانه بها عن غيره سوى ما تقدَّم ذكره في جملة من النصوص على إمامته والإرهاص لإيجاب طاعته وذكر مختصر من أخباره وحسن آثاره.

إعلم أنَّ فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه وخصائصه كثيرة لا يتّسع لها كتاب ولا يحويها خطاب وليست الشيعة مختصّة برواياتها وإن اختصّت بكثير منها فقد روت العامّة والمخالفون من ذلك ما لا يحصى عدده ولا ينقطع عدُّه، ولقد قال الأجلّ المرتضى علم الهدى قدّس الله روحه العزيز: سمعت شيخاً مقدّماً في الرواية من أصحاب الحديث يقال له: أبو حفص عمر بن شاهين[1] يقول: إنّي جمعت من

---

(١) أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد الواعظ سمع جماعة كثيرة من المحدثين أصله من مرو روذ ومولده سنة ٢٩٧، وكان ابتداء كتبه للحديث سنة٣٠٨ وله إحدى عشرة سنة، ذكر ذلك الخطيب في تاريخ بغداد ثم قال: وكذلك أنا أول ما سمعت الحديث وقد بلغت إحدى عشرة سنة لأني ولدت في يوم الخميس لست بقين من ج٢ سنة٣٩٢ وأول ما سمعت في المحرم سنة ٤٠٣ أخبرنا القاضي أبو الحسين محمد بن علي بن محمد الهاشمي قال: قال لنا أبو حفص بن شاهين: ولدت في صفر سنة ٢٩٧ وأول ما كتبت الحديث سنة ٣٠٨ وصنفت ثلاثمائة مصنف وثلاثين مصنفاً أحدها التفسير الكبير ألف جزء والمسند ألف جزء وخمسمائة جزء والتاريخ مائة وخمسين جزءاً والزهد مائة جزء وأول ما حدثت بالبصرة سنة ٣٣٢ سمعت ابن الساجي القاص يقول سمعت من ابن شاهين شيئاً كثيراً وكان يقول: كتبت بأربعمائة رطل حبر وسمعت محمد بن عمر الداودي يقول: كان ابن شاهين شيخاً ثقة يشبه =

فضائل عليّ عليه السلام خاصّة ألف جزء أمّا ما رواه أصحابنا من ذلك فلا تجتمع أطرافه ولا تعدُّ آلافه وأنا أُورد من جملتها أُناسي العيون ونقوش الفصوص ومتحيّز المتحيّز سالكاً طريقة منصور الفقيه في قوله:

قالوا خذ العين من كلّ فقلت لهم ... في العين فضل ولكن ناظر العين
حرفين من ألف طومار مسوّدة ... وربّما لم تجد في الألف ألفين

وأثبتها بحذف الأسانيد تعويلاً في ذلك على اشتهارها بين نقلة الآثار واعتماداً على أنّ نقلها من كتب محكومة بالصحّة عند نقّاذ الأخبار وجعلتها أربعة فصول.

الفصل الأول

في ذكر نبذ من خصائصه التي لا يشركه فيها غيره

وهي فنون كثيرة وفوائدها جمّة غزيرة وبينونته بها عن جميع البشر واضحة منيرة.

فمنها سبقه كافّة الخلق إلى الأعمال فقد صحّ عنه عليه السلام أنّه قال: أنا عبد الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلاّ كذّاب مفتر، ولقد صلّيت قبل النّاس سبع سنين.

وعن أبي ذرّ أنّه سمع النبيّ يقول في عليّ: أنت أوّل من آمن بي وأنت أوّل من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق تفرق بين الحقّ والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكافرين.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين وذلك أنّه لم يرفع إلى السماء شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله إلاّ منّي ومن عليّ.

= الشيوخ إلا أنه كان لحاناً وكان أيضاً لا يعرف من الفقه لا قليلاً ولا كثيراً وكان إذا ذكر له مذاهب الفقهاء كالشافعي وغيره يقول: أنا محمدي المذهب. توفي سنة ٣٨٥ (شفه) ودفن بباب حرب عند قبر أحمد بن حنبل. (الكنى للمحدث القمي)

وعن أبي أيّوب الأنصاريّ قال: قال رسول الله ﷺ: لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين وذلك أنّه لم يصلّ معي رجلٌ غيره.

وعن أبي رافع قال: صلّى النبيُّ غداة الاثنين، وصلّت خديجة يوم الاثنين آخر النهار، وصلّى عليٌّ يوم الثلثاء صلاة الغداة وقال عليّ عليه السلام: فكنت أُصلّي سبع سنين وفي ذلك يقول خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين:

إذ نحن بايعنا عليّاً فحسبنا ... أبو حسن ممّا نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس أنّه ... أطبُّ قريش بالكتاب وبالسنن
ففيه الّذي فيهم من الخير كلّه ... وما فيهم مثل الّذي فيه من حسن
وصيُّ رسول الله من دون أهله ... وفارسه قد كان في سالف الزّمن
وأوّل من صلّى من الناس كلّهم ... سوى خيرة النسوان والله ذو منن

وفيه يقول ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب:

ما كنت أحسب أنَّ الأمر منصرف ... من هاشم ثمَّ منه عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى بقبلتهم ... وأعرف الناس بالآثار والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبيّ ومن ... جبريل عون له في الغسل والكفن

ومنها أنّ النبيّ حمله حتّى طرح الأصنام عن الكعبة فروى عبد الله بن داود، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي مريم عن عليّ قال: قال رسول الله: احملني لنطرح الأصنام من الكعبة، فلم أطق حمله فحملني فلو شئت أتناول السماء فعلت.

وفي حديث آخر طويل قال عليٌّ: فحملني النبيُّ فعالجت ذلك حتّى قذفت به فنزلت ـ أو قال: نزوت ـ الشكّ من الرّاوي.

ومنها حديث المؤاخاة فقد اشتهر في الرّواية أنَّ النبيّ آخى بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وبين أبي مسعود وأبي ذرّ، وبين سلمان وحذيفة، وبين المقداد وعمّار بن ياسر، وبين حمزة بن عبد المطّلب وزيد بن حارثة، وضرب بيده إلى عليّ فقال: أنا أخوك وأنت أخي

فكان عليٌّ إذا أعجبه الشيء قال: أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها بعدي إلاّ كذّاب.

وعن أبي هريرة في حديث طويل أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين أصحابه وبين الأنصار والمهاجرين فبدأ بعليّ بن أبي طالب عليه السلام فأخذ بيده وقال: هذا أخي وفي خبر آخر أنت أخي في الدُّنيا والآخرة فكان رسول الله وعليٌّ أخوين.

ومنها أنَّ النبيَّ تفل في عينه يوم خيبر ودعا له بأن لا يصيبه حرٌّ ولا قرٌّ(١) فكان بعد ذلك لا يجد حرًّا ولا قرًّا ولا ترمد عينه ولا يصدع فكفى بهذه الخصلة شرفاً.

وروى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنَّ الناس قالوا له: قد أنكرنا من أمير المؤمنين عليه السلام أنّه يخرج بالبرد في ثوبين خفيفين وفي الصيف في الثوب الثقيل والمحشوّ فهل سمعت أباك يذكر أنّه سمع من أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك شيئاً؟ قال: لا، قال: وكان أبي يسمر مع أمير المؤمنين باللّيل فسألته قال: فسأله عن ذلك فقال: يا أمير المؤمنين عليك السلام إنّ الناس قد أنكروا وأخبره بالذي قالوا قال: أوما كنت معنا بخيبر؟ قال: بلى. قال: فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبا بكر وعقد له لواءه فرجع وقد انهزم هو وأصحابه، ثمَّ عقد لعمر فرجع منهزماً مع الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والّذي نفسي بيده لأُعطينَّ الرّاية رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، ليس بفرّار يفتح الله على يده وأرسل إليّ وأنا أرمد وتفل في عيني وقال: اللّهمَّ اكفه أذى الحرّ والبرد، فما وجدت بعده حرّاً ولا برداً.

وفي رواية أُخرى فنفث في عيني فما أشتكيها بعد وهزَّ الراية فدفعها إليَّ فانطلقت ففتح لي ودعا لي أن لا يضرَّني حرٌّ ولا قرٌّ.

وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت:

وكان عليٌّ أرمد العين يبتغي ... دواء فلمّا لم يحسّ مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة ... فبورك مرقيّاً وبورك راقيا
وقال سأُعطي الرّاية اليوم صارماً ... كميّاً محبّاً للرسول مواليا
يحبُّ إلهي والإله يحبّه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا

---

(١) القر: البرد.

فـأصفـى بهـا دون البـريّـة كلّهـا عليّـاً وسمّـاه الـوزيـر المـؤاخيـا

وروى حبيب بن أبي ثابت عن الجعد مولى سويد بن غفلة، عن سويد بن غفلة قال: لقينا عليّاً في ثوبين في شدَّة الشتاء فقلنا له: لا تغرَّ بأرضنا هذه فإنّها أرض مقرّة ليست مثل أرضك قال: أما إنّي قد كنت مقروراً فلمّا بعثني رسول الله ﷺ إلى خيبر قلت له: إنّي أرمد فتفل في عيني ودعا لي فما وجدت برداً ولا حرّاً بعد ولا رمدت عيناي.

ومنها ما قاله فيه يوم خيبر ممّا لم يقله في أحد غيره ولا يوازيه إنسان ولا يقاربه فيه فقد ذكر أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الثقفيّ في كتاب المعرفة حدَّثني الحسن بن الحسين المغربي وكان صالحاً قال: حدَّثنا كادح بن جعفر البجلي وكان من الأبدال، عن أبي لهيعة، عن عبد الرّحمن بن زياد، عن مسلم بن يسار، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لمّا قدم عليٌّ عليه السلام على رسول الله ﷺ بفتح خيبر قال له رسول الله ﷺ: لولا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت فيك اليوم قولاً لا تمرُّ بملأ إلاّ أخذوا من تراب رجليك ومن فضل طهورك فيستشفون به ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك، ترثني وأرثك وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي، وأنّك تؤدّي عنّي، وتقاتل على سنّتي، وأنّك في الآخرة غداً أقرب الناس منّي، وأنّك غداً على الحوض خليفتي، وأنّك أوّل من يرد عليَّ الحوض غداً وأنّك أوّل من يكسى معي، وأنّك أوّل من يدخل الجنّة من أُمّتي وأنَّ شيعتك على منابر من نور مبيضّة وجوههم حولي أشفع لهم ويكونون في الجنّة جيراني وأنَّ حربك حربي وأنَّ سلمك سلمي وأنَّ سرّك سرّي وأنَّ علانيتك علانيتي وأنَّ سريرة صدرك كسريرة صدري وأنَّ ولدك ولدي وأنّك منجز عدتي وأنَّ الحقَّ معك وأنَّ الحقَّ على لسانك وفي قلبك وبين عينيك وأنَّ الإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي وأنّه لا يرد على الحوض مبغض لك ولا يغيب عنه محبّ لك غداً حتّى يرد الحوض معك، فخرَّ عليٌّ عليه السلام لله ساجداً، ثمَّ قال: الحمد لله الّذي منَّ عليَّ بالإسلام وعلّمني القرآن وحبّبني إلى خير البريّة خاتم النبيّين وسيّد المرسلين إحساناً منه إليَّ وفضلاً منه عليَّ فقال له النبيُّ عند ذلك: لولا أنت يا عليُّ لم يعرف المؤمنون بعدي. وهذا الخبر بما تضمنه من مناقب أمير المؤمنين لو

قسّم على الخلائق كلّهم من أوّل الدّهر إلى آخره لاكتفوا به شرفاً ومكرمة وفخراً.

ومنها أن شرّفه الله تعالى بطاعة النار له، روى الأعمش عن خيثمة، عن عبد الله بن عمر قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أنا قسيم النار، أقول: هذا لي وهذا لك.

قال: وحدّثني موسى بن طريف، عن عباية بن ربعي قال: سمعت عليّاً يقول: والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّي لقسيم النار، أقول: هذا لي وهذا لك. قال: فذكرته لمحمّد بن أبي ليلى فقال: يعني أنَّ وليّي في الجنّة وعدوّي في النار، قلت: سمعته؟ قال: نعم.

وروى جابر الجعفي قال: أخبرني وصيُّ الأوصياء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة: لا تؤذيني في عليّ إنّه أمير المؤمنين وسيّد المسلمين يقعده الله غداً يوم القيامة على الصراط فيدخل أولياءه الجنّة وأعداءه النار.

ومنها ما رواه عباد بن يعقوب، ويحيى بن عبد الحميد الحماني قالا: حدَّثنا عليّ بن هاشم، عن محمّد بن عبيد الله، عن أبيه عبيد الله بن رافع، عن جدّه أبي رافع قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا جلس ثمَّ أراد أن يقوم لا يأخذ بيده غير عليّ عليه السلام وإنَّ أصحاب النبيّ كانوا يعرفون ذلك له فلا يأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد غيره. وقال الحماني في حديثه: كان إذا جلس اتّكأ على عليّ وإذا قام وضع يده على عليّ عليه السلام.

ومنها أنّه صاحب حوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة.

روى محمّد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كأنّي أنظر إلى ترافع أُمّتي على الحوض فيقول الوارد للصادر: هل شربت؟ فيقول: نعم والله لقد شربت، ويقول بعضهم: لا والله ما شربت فيا طول عطشاه، وقال لعليّ عليه السلام: والّذي نبّأ محمّداً وأكرمه إنّك لذائد عن حوضي تذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادي عن الماء، بيدك عصا من عوسج كأنّي أنظر إلى مقامك من حوضي.

وعن طارق، عن عليّ عليه السلام قال: وربّ العباد والبلاد والسبع الشداد لأذودنّ

يوم القيامة عن الحوض بيديّ هاتين القصيرتين، قال: وبسط يديه.

وفي رواية أُخرى والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لأقمعنَّ بيديّ هاتين عن الحوض أعداءنا ولأوردنَّ أحبّاءنا.

ومنها اختصاصه عليه السلام بالمناجاة يوم الطائف وناجاه طويلاً قال أحد الرَّجلين لصاحبه: لقد طالت مناجاته لابن عمّه فبلغ ذلك النبيّ فقال: ما أنا ناجيته بل الله انتجاه.

ومنها تفرّده عليه السلام بآية النجوى والعمل بها فروي عن مجاهد قال: قال عليٌّ عليه السلام: آية من القرآن لم يعمل بها أحدٌ بعدي آية النجوى كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلّما أردت أن أُناجي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تصدّقت بدرهم ثمَّ نسخت بقوله: ﴿**وإن لم تجدوا فإنَّ الله غفورٌ رحيم**﴾ وفي رواية أُخرى بي خفّف الله عن هذه الأُمّة فلم تنزل في أحد بعدي. وروى السندي، عن ابن عبّاس قال: كان الناس يناجون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخلاء إذا كان لأحدهم حاجة فشقّ ذلك على النبيّ ففرض الله على من ناجاه سرّاً أن يتصدّق بصدقة فكفّوا عنه وشقّ ذلك عليهم.

ومنها أنَّ حبّه إيمان وبغضه نفاق فقد اشتهر عنه عليه السلام أنّه قال: لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ولو صببت الدُّنيا بجملتها على المنافق أن يحبّني ما أحبّني وذلك أنّه قضى فاقتضى على لسان النبيّ الأُمّي أنّه لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق.

ومنها ما قاله يوم الحديبية لمّا كتب عليه السلام كتاب الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل مكّة فكتب بسم الله الرحمن الرَّحيم فقال سهيل بن عمرو: هذا كتاب بيننا وبينك يا محمّد فافتتحه بما نعرفه واكتب باسمك اللّهمَّ فقال: أُكتب باسمك اللّهمَّ وامح ما كتبت فقال عليه السلام: لولا طاعتك يا رسول الله لما محوت، فقال النبيّ: اكتب هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل لو أجبتك في الكتاب إلى هذا لأقررت لك بالنبوّة فامح هذا الاسم واكتب محمّد بن عبد الله فقال له عليٌّ عليه السلام: إنّه والله لرسول الله على رغم أنفك فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم امحها يا عليّ، فقال له: يا رسول الله إنَّ يدي لا تنطلق لمحو اسمك من النبوّة قال: فضع يدي عليها

فمحاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده وقال لعليّ ستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض[١].

ومنها ما رواه خراش عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أقبل سهيل بن عمرو ورجلان أو ثلاثة معه إلى رسول الله في الحديبية فقالوا: إنّه يأتيك قوم من سفلنا وأبدائنا فارددهم علينا فغضب حتّى احمارّ وجهه وكان إذا غضب عليه السلام يحمارُّ وجهه ثمّ قال: لتنتهينّ يا معشر قريش أو ليبعثنّ الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان فيضرب رقابكم وأنتم خارجون عن الدّين فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. ولكنّه ذلكم خاصف النعل في الحجرة وأنا أخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ قام وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من كذَّب عليَّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار.

الفصل الثاني

في ذكر مقاماته في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومواقفه ومشاهده على سبيل الجملة

الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عبّاس قال: كانت راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع عليّ عليه السلام في المواقف كلّها يوم بدر، ويوم أُحد ويوم حنين ويوم الأحزاب ويوم فتح مكّة وكانت راية الأنصار مع سعد بن عبادة في المواطن كلّها ويوم فتح مكّة وراية المهاجرين مع عليّ عليه السلام.

ومن مقاماته الجليلة مؤاساته رسول الله ليلة الفراش وبذل مهجته دونه، قال ابن عبّاس: لمّا انطلق النبيّ إلى الغار أقام عليّاً عليه السلام في مكانه وألبسه برده، فجاءت قريش تريد أن تقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعلوا يرمون عليّاً وهم يرون أنّه النبيّ فجعل يتضوّر[٢] فلمّا نظروا إذا هو عليٌّ عليه السلام.

---

(١) المضض: وجع المصيبة والشدة. وأراد صلى الله عليه وآله وسلم فتنة معاوية وقصة الحكمين وكتاب الصلح.

(٢) أي تلوى أو صاح.

وروى عليّ بن هاشم، عن محمّد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه أبي رافع قال: كان عليٌّ يجهّز النبيّ حين كان في الغار يأتيه بالطعام والشراب واستأجر له ثلاث رواحل للنبيّ ولأبي بكر ولدليلهم، وقيل: وخلّفه النبيُّ يخرج إليه أهله فأخرجهم وأمره أن يؤدّي عنه أمانته ووصاياه وما كان بمؤتمن عليه من ماله فأدّى عليّ عليه السلام أمانته كلّها وقال له النبيُّ: إنَّ قريشاً لن يفتقدوني ما رأوك، فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانت قريش ترى رجلاً على فراش النبيّ فيقولون: هو محمّد فحبسهم الله عن طلبه وخرج عليٌّ إلى المدينة ماشياً على رجليه فتورّمت قدماه فلمّا قدم المدينة ورآه النبيُّ فاعتنقه وبكى رحمة له ممّا رأى بقدميه من الورم وأنّهما يقطران دماً فدعا له بالعافية ومسح رجليه فلم يشتكهما بعد ذلك.

ومن مقاماته في غزوة بدر أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعثه ليلة البدر أن يأتيه بالماء حين قال لأصحابه: من يلتمس لنا الماء فسكتوا عنه فقال عليّ: أنا يا رسول الله فأخذ القربة وأتى القليب فملأ القربة وأخرجها جاءت ريح فأهرقته ثمّ عاد إلى القليب فجاءت ريح فأهرقته فلمّا كانت الرّابعة ملأها فأتى بها إلى النبيّ فأخبره بخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أمّا الريح الأولى فجبرئيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك وأمّا الريح الثانية فميكائيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك وأمّا الريح الثالثة فإسرافيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك. رواه محمّد بن عبيد الله بن أبي رافع عن جدّه أبي رافع.

ومنها أنّه عليه السلام بارزه الوليد بن عتبة فقتله وبارز عتبة حمزة بن عبد المطّلب فقتله حمزة وبارز شيبة عبيدة بن الحارث فاختلف بينهما ضربتان قطعت إحداهما فخذ عبيدة فاستنقذه عليٌّ بضربة بدر بها شيبة فقتله وشركه في ذلك حمزة وكان قتل هؤلاء أوّل خوف لحق المشركين وذلّة دخلت عليهم ونصرة وعزّاً للمؤمنين وقتل أيضاً بعده العاص بن سعيد بن العاص وقتل حنظلة بن أبي سفيان وطعيمة بن عدي ونوفل بن خويلد وكان من شياطين قريش ولمّا عرف النبيُّ حضوره يوم بدر قال: اللّهمَّ اكفني نوفل بن خويلد. ولم يزل عليه السلام يقتل منهم واحداً بعد واحد حتّى أتى على شطر المقتولين منهم وكانوا سبعين قتيلاً وختم الأمر بمناولة النبيّ كفّاً من الحصى فرمى بها في وجوههم وقال لهم: شاهت الوجوه فولّوا على أدبارهم

منهزمين وكفى الله المؤمنين شرّهم.

ومن مقاماته في غزوة أُحد أنَّ الفتح كان له في هذه الغزاة كما كان بيده يوم بدر واختصّ بحسن البلاء فيها والصبر، قال أبو البختريّ القرشيّ: كانت راية قريش ولواؤها جميعاً بيد قصيّ بن كلاب ثمَّ لم تزل الرَّاية في يد ولد عبد المطّلب يحملها منهم من حضر الحرب حتى بعث الله رسوله ﷺ فصارت راية قريش وغير ذلك إلى النبيّ فأقرَّها في بني هاشم وأعطاها علي بن أبي طالب في غزوة ودَّان[1] وهي أوّل غزوة حمل فيها راية في الإسلام مع النبيّ ثمَّ لم تزل معه في المشاهد ببدر وهي البطشة الكبرى وفي يوم أُحد وكان يومئذ في بني عبد الدَّار فأعطاها رسول الله ﷺ مصعب بن عمير فاستشهد ووقع اللواء من يده فتشوّفته[2] القبائل فأخذه رسول الله ﷺ ودفعه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فجمع له الرَّاية واللّواء، فهما إلى اليوم في بني هاشم، وكان لواء المشركين مع طلحة بن أبي طلحة وكان يدعى كبش الكتيبة فتقدَّم وتقدَّم عليٌّ عليه السلام وتقاربا فضربه عليٌّ ضربة على مقدَّم رأسه فبدرت عيناه وصاح صيحة لم يصح مثلها وسقط اللّواء من يده فأخذه أخ له يقال له: مصعب فرماه عاصم بن ثابت فقتله، ثمّ أخذ اللّواء أخٌ له يقال له: عثمان فرماه عاصم بسهم أيضاً فقتله، فأخذه عبدٌ لهم يقال له: صواب وكان من أشدّ الناس فضربه عليٌّ فقطع يمينه فأخذ اللّواء بيده اليسرى فضرب عليٌّ على يده فقطعها فأخذ اللّواء على صدره وجمع يديه المقطوعتين عليه فضربه عليٌّ على أُمّ رأسه فسقط صريعاً وانهزم القوم، وأكبّ المسلمون على الغنائم، وقد كان رسول الله ﷺ أقام على الشعب خمسين رجلاً من الأنصار وأمّر عليهم رجلاً منهم، وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم وإن قتلنا عن آخرنا، فلمّا رأى أصحاب الشعب يغتنمون قالوا لأميرهم: نريد أن نغتنم كما غنم الناس فقال: إنَّ رسول الله قد أمرني أن لا أبرح من موضعي هذا، فقالوا له: إنّه أمرك بهذا وهو لا يدري أنَّ الأمر يبلغ إلى ما نرى ومالوا إلى الغنائم وتركوه فحمل عليه خالد بن الوليد فقتله وجاء من ظهر رسول الله يريده، وقتل من

---

(١) قال الفيومي في المصباح: «ودان» ـ. فعلان ـ بفتح الفاء: قرية من الفرع بقرب الأبواء من جهة مكة وقال الصغاني: ودان: قرية بين الأبواء وهرشى.

(٢) تشوفت الشيء إذا طمحت إليه ببصرك طالباً له.

أصحاب رسول الله ﷺ سبعون رجلاً وانهزموا هزيمة عظيمة وأقبلوا يصعدون الجبال وفي كلّ وجه، ولم يبق معه إلاّ أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف وأميرُ المؤمنين عليه السلام فلمّا حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم أمير المؤمنين عليه السلام فدفعهم عنه حتّى انقطع سيفه فلمّا رأى رسول الله ﷺ الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال: إنّي أنا رسول الله إلى أين تفرّون عن الله وعن رسوله؟!! وثاب إليه[١] من أصحابه المنهزمين أربعة عشر رجلاً منهم طلحة بن عبيد الله وعاصم بن ثابت وصعد الباقون الجبل وصاح صائح بالمدينة قتل رسول الله، فانخلعت القلوب لذلك وتحيّر المنهزمون فأخذوا يميناً وشمالاً.

وروى عكرمة قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: لمّا انهزم الناس يوم أُحد عن رسول الله ﷺ لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه فرجعت أطلبه فلم أره فقلت: ما كان رسول الله ليفرَّ وما رأيته في القتلى، فأظنّه رفع من بيننا فكسرت جفن سيفي وقلت في نفسي: لأُقاتلنّ به عنه حتّى أُقتل، وحملت على القوم فأفرجوا فإذا أنا برسول الله ﷺ وقد وقع على الأرض مغشيّاً عليه، فقمت على رأسه فنظر إليّ فقال: ما صنع الناس يا علي؟ فقلت: كفروا يا رسول الله وولّوا وأسلموك فنظر إلى كتيبة قد أقبلت فقال ﷺ: ردَّ يا عليُّ عنّي هذه الكتيبة، فحملت عليها بسيفي أضربها يميناً وشمالاً حتّى ولوا الأدبار فقال لي النبيُّ: أما تسمع مديحك في السماء إنَّ ملكاً يقال له رضوان ينادي: «لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ» فبكيت سروراً وحمدت الله على نعمه وتراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبيّ وانصرف المشركون إلى مكّة وانصرف النبي إلى المدينة فاستقبلت فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء فغسلت به وجهه ولحقه أمير المؤمنين ومعه ذو الفقار وقد خضب الدّم يده إلى كتفه فقال لفاطمة عليها السلام: خذي هذا السيف قد صدقني اليوم، وقال:

أفاطم هاك السيف غير ذميم   فلست برعديد ولا بمليم[٢]

---

(١) ثاب الرجل يثوب ثوباً وثؤوباً: رجع بعد ذهابه وثاب الناس أي اجتمعوا.

(٢) «ها» اسم فعل بمعنى خذ ويلحقها كاف الخطاب. والذميم بمعنى المذموم والرعديد بمعنى الجبان. والمليم: الذي يلام على ما صدر منه.

لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد وطاعة ربٍّ بالعباد عليم[١]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خذيه يا فاطمة فقد أدّى بعلك ما عليه وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش.

ومن مقاماته المشهورة في غزوة الأحزاب قتل عمرو بن عبدود، فروى ربيعة السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إنّا لنتحدَّث عن عليّ عليه السلام ومناقبه فيقول لنا أهل البصرة: إنّكم تفرطون في عليّ عليه السلام فهل أنت محدّثي بحديث فيه؟ فقال حذيفة: يا ربيعة والّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم لو وضع جميع أعمال أصحاب محمّد في كفّة الميزان منذ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة ووضع عمل عليّ في الكفّة الأُخرى لرجح عمل عليّ عليه السلام على جميع أعمالهم، فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد فقال حذيفة: يا لكع[٢] وكيف لا يحمل وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يوم عمرو بن عبدودّ، وقد دعا إلى المبارزة فأحجم الناس كلّهم ما خلا عليّ فإنّه برز إليه فقتله الله على يده، والّذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل جميع أصحاب محمّد إلى يوم القيامة.

وروى الواقدي قال: حدَّثنا عبد الله بن جعفر، عن أبي عون، عن الزّهري قال: جاء عمرو بن عبدودّ وعِكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله بن المغيرة وضرار بن الخطّاب الفهري في يوم الأحزاب إلى الخندق فجعلوا يطيفون به يطلبون مضيقاً منه ليعبروا فانتهوا إلى مكان أكرهوا خيولهم فيه فعبرت وجعلوا يجولون بخيلهم فيما بين الخندق وسلع[٣] والمسلمون وقوف لا يقدم أحدٌ منهم عليهم وجعل عمرو بن عبدودّ يدعو إلى البراز ويقول:

---

(١) أعذر في الأمر أي بالغ فيه. وزاد المفيد في الإرشاد:

أميطي دماء القوم عنه فإنه سقى آل عبد الدار كأس حميم

والإماطة: الإبعاد.

(٢) اللكع: الأحمق والذي لا نباهة له.

(٣) سلع: جبل بالمدينة.

ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز ـ الأبيات ـ في كلّ ذلك يقوم عليُّ بن أبي طالب عليه السلام من بينهم ليبارزه فيأمره رسول الله صلى الله عليه وآله بالجلوس انتظاراً منه ليتحرّك غيره والمسلمون كأنّ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو بن عبدودّ ومن معه ووراءه وكان عمرو فارس قريش وكان يعدُّ بألف فارس فلمّا طال نداء عمرو بالبراز وتتابع قيام عليّ عليه السلام قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ادن منّي فدنا منه، فرفع عمامته عن رأسه وعمّمه بها وأعطاه سيفه ذا الفقار وقال له: امض لشأنك ثمّ قال: اللّهمّ أعنه، فسعى نحو عمرو ومعه جابر بن عبد الله لينظر ما يكون منه ومن عمرو ولمّا توجّه إليه قال النبيُّ: خرج الإيمان سائره إلى الكفر سائره، فلمّا انتهى إليه قال: يا عمرو إنّك كنت في الجاهليّة تقول: لا يدعوني أحدٌ إلى ثلاث إلاّ قبلتها أو واحدة منها؟ قال: أجل، قال: فإنّي أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله وأن تسلم لربّ العالمين. قال: يا ابن أخ أخّر هذه عنّي. فقال له عليٌّ: أما إنّها خيرٌ لك لو أخذتها ثمّ قال: فها هنا أُخرى قال: ما هي؟ قال: ترجع من حيث كنت، قال: لا، تحدّث نساء قريش بهذا أبداً، قال: فها هنا أُخرى قال: ما هي؟ قال: تنزل فتقاتلني قال: فضحك عمرو وقال: إنّ هذه الخصلة ما كنت أظنُّ أنّ أحداً من العرب يرومني مثلها إنّي لأكره أن أقتل الرّجل الكريم مثلك وقد كان أبوك لي نديماً، قال عليٌّ عليه السلام: لكنّي أحبُّ أن أقتلك فانزل إن شئت فأسف[1] عمرو ونزل فضرب وجه فرسه حتّى نفر، قال جابر بن عبد الله: وثارت بينهما غبرة فما رأيتهما وسمعت التكبير تحتها، فعلمت أنّ عليّاً قد قتله وانكشف أصحابه حتّى طفرت[2] خيولهم الخندق وتبادر المسلمون حتّى سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم فوجدوا نوفل بن عبد العزّى جوف الخندق فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم: قتلة أجمل من هذه، ينزل إليّ بعضكم أُقاتله. فنزل عليٌّ فضربه حتّى قتله، قال جابر: فما شبّهت قتل عليّ عمرواً إلاّ بما قصّ الله تعالى من قصّة داود وجالوت حيث قال: ﴿**فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت**﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتله: الآن نغزوهم ولا يغزوننا.

ومن مواقفه في بني قريظة أنّه ضرب أعناق رؤساء اليهود أعداء

---

(١) أسف ـ كعلم ـ أي غضب.

(٢) الطفرة: الوثبة.

رسول الله ﷺ في الخندق منهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد بأمر رسول الله ﷺ.

ومن مقاماته المشهورة في غزوة وادي الرّمل ويقال: إنّها تسمّى غزوة السلسلة ومعه لواء النبيّ ﷺ بعد أن خرج غيره إليهم ورجع عنهم خائباً، ثمّ خرج صاحبه وعاد بما عاد به الأوّل فمضى عليٌّ عليه السلام حتّى وافى القوم بسحر وصلّى بأصحابه صلاة الغداة وصفّهم صفوفاً واتّكأ على سيفه مقبلاً على العدوّ وقال: يا هؤلاء أنا رسول رسول الله ﷺ أن تقولوا: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله وإلاّ ضربتكم بالسيف. فقالوا له: ارجع كما رجع صاحبك قال: أنا أرجع! لا والله حتّى تسلموا أو لأضربنّكم بسيفي هذا، أنا عليّ بن أبي طالب ابن عبد المطّلب فاضطرب القوم وواقعهم فانهزموا وظفر المسلمون وحازوا الغنائم.

فروت أمُّ سلمة قالت: كان نبيُّ الله ﷺ قائلاً[(١)] في بيتي إذ انتبه فزعاً من منامه فقلت: الله جارك قال: صدقت، الله جاري ولكن هذا جبرئيل يخبرني أنَّ عليّاً قادم ثمَّ خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا عليّاً وقام المسلمون صفّين مع رسول الله فلمّا بصر به عليٌّ ترجّل من فرسه وأهوى إلى قرب قدميه يقبّلهما، فقال له النبي ﷺ: اركب فإنَّ الله ورسوله عنك راضيان، فبكى عليٌّ عليه السلام فرحاً وانصرف إلى منزله. وقد ذكر بعض أصحاب السير أنَّ في هذه الغزاة نزل على النبيّ **﴿والعاديات ضبحاً ـ إلى آخرها ـ﴾**.

وأما مقامه في الخيبر وبلاؤه يوم الحديبية فمنها مرَّ ذكره فيما قبل.

ومن مقاماته قبل الفتح أنَّ رسول الله ﷺ دبّر الأمر في ذلك بالكتمان وسأل الله عزَّ وجلَّ أن يطوي خبره عن أهل مكّة حتّى يفجأهم بدخولها فكان المؤتمن على هذا السرّ أمير المؤمنين عليه السلام ثمَّ أنماه[(٢)] إلى جماعة من بعد فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى أهل مكّة يطلعهم فيه على سرّ رسول الله في المسير إليهم وأعطى الكتاب امرأة سوداء وأمره أن يأخذها على غير الطريق فنزل ملك بذلك الوحي فدعا

---

(١) من القيلولة.

(٢) أي أفشاه ﷺ.

النبيّ أمير المؤمنين عليه السلام وقال: إنّ بعض أصحابي قد كتب إلى أهل مكّة يخبرهم بخبرنا والكتاب مع امرأة سوداء قد أخذت على غير الطّريق فخذ سيفك والحقها وانتزع الكتاب منها وبعث معه الزّبير بن العوّام فمضيا على غير الطّريق فأدركا المرأة فسبق إليها الزبير وسألها عن الكتاب فأنكرته وحلفت على أنّه لا شيء معها وبكت فقال الزبير: يا أبا الحسن ما أرى معها كتاباً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ معها كتاباً ويأمرني بأخذه منها وتقول أنت: لا كتاب معها، ثمَّ اخترط السّيف وقال: أما والله لئن لم تخرجي الكتاب لأكشفنّك ثمَّ لأضرب عنقك، فقالت له: إذا كان لا بدَّ من ذلك فأعرض يا ابن أبي طالب عنّي بوجهك، فأعرض عنها فكشفت قناعها فأخرجت الكتاب من عقيصتها فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وصار به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن مقاماته أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطى الرَّاية سعد بن عبادة يوم الفتح وأمره أن يدخل بها مكّة فأخذها سعد وجعل يقول:

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة

فقال عليه السلام: أدرك يا عليّ سعداً وخذ الرَّاية فكن أنت الذي تدخل بها، فاستدرك النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يفوت من صواب التدبير بإقدام سعد على أهل مكّة وعلم أنَّ الأنصار لا ترضى أن يأخذ أحد من الناس الرَّاية من سيّدها سعد ويعزله عن ذلك المكان إلاّ من كان في مثل حال النبيّ من رفعة الشأن وجلال المكان.

ومن مواقفه أنّه لمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد الحرام وجد فيه ثلاثمائة وستّين صنماً بعضها مشدود ببعض، فقال لأمير المؤمنين عليه السلام: أعطني يا عليُّ كفّاً من الحصى، فقبض أمير المؤمنين عليه السلام له كفّاً من الحصى، فرماها به وهو يقول: ﴿**جاء الحقُّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً**﴾ فما بقي منها صنم إلاّ خرَّ لوجهه، ثمَّ أمر بها فأُخرجت من المسجد.

ومن حسن بلائه في الإسلام فيما اتّصل بفتح مكّة أنَّ الله خصّه بتلافي فارط من خالف نبيّه في أوامره وذلك أنّه أنفذ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً لهم إلى

الإسلام فخالف أمره وقتل القوم وهم على الإسلام لترة[١] كانت بينه وبينهم فأصلح النبيّ ﷺ ما أفسده خالد بن الوليد بأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فأنفذه ليعطف القوم ويسلّ سخائمهم[٢] وأمره أن يدي القتلى[٣] ويرضي بذلك الأولياء، فبلغ أمير المؤمنين في ذلك مبلغ الرّضا وأدّى ديات وأرضاهم عن الله وعن رسوله، فتمّت بذلك مواد الصلاح وانقطعت أسباب الفساد.

ومن مقاماته في غزوة حنين أنَّ المسلمين انهزموا بأجمعهم، فلم يبق مع النبيّ إلاّ عشرة أنفس تسعة من بني هاشم خاصّة وعاشرهم أيمن بن أُمّ أيمن فقتل أيمن وثبتت التسعة الهاشميّون حتّى ثاب إلى رسول الله من كان انهزم وكانت الكرَّة لهم على المشركين وذلك قوله تعالى: ﴿**ثمَّ أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين**﴾ يعني عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن ثبت معه من بني هاشم وهم ثمانية: العبّاس بن عبد المطّلب عن يمين رسول الله، والفضل بن عباس عن يساره، وأبو سفيان بن الحارث يمسك بسرجه عند نفر بغلته، وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بين يديه بالسيف، ونوفل بن الحارث وربيعة بن الحارث، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطّلب، ومعتّب وعتبة ابنا أبي لهب حوله ولمّا رأى رسول الله ﷺ هزيمة القوم عنه قال للعبّاس وكان جهورياً صيّتاً[٤]: ناد في القوم وذكّرهم العهد فنادى العبّاس بأعلى صوته يا أهل بيعة الشجرة يا أصحاب سورة البقرة إلى أين تفرُّون؟! اذكروا العهد الّذي عاهدكم عليه رسول الله ﷺ فلم يسمعها أحدٌ إلاّ رمى بنفسه الأرض وانحدروا حتّى لحقوا بالعدوّ، وأقبل رجل من بني هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء وهو يرتجز:

أنـــا أبـــو جـــرول لا بـــراح حتّـــى نبيـــح القـــوم أو نبـــاح

فصعد إليه أمير المؤمنين فضرب عجز بعيره فصرعه، ثمَّ ضربه فقطّره[٥]

(١) الترة: تبعة المكروه من قتل وأسر.

(٢) «يسل» ينتزع ويستخرج. والسخيمة: الحقد.

(٣) يدي القتلى أي يعطي أولياءهم الدية.

(٤) أي عالي الصوت.

(٥) طعنه فقطره تقطيراً أي ألقاه على أحد قطريه وهما جانباه فتقطر أي سقط.

وكانت الهزيمة بقتل أبي جرول ولمّا قتله وضع المسلمون سيوفهم فيهم وأمير المؤمنين عليه السلام يقدمهم حتّى قتل أربعين رجلاً من القوم، ثمَّ كانت الهزيمة والأسر حينئذ.

ولمّا قسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غنائم حنين أقبل رجلٌ طوال آدم، بين عينيه أثر السجود فسلّم ولم يخصّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ قال: قد رأيتك وما صنعت في هذه الغنائم، فقال: وكيف رأيت؟ قال: لم أرك عدلت فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ويلك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فقال المسلمون: ألا تقتله؟ قال: دعوه فإنّه سيكون له أتباع يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرَّمية يقتلهم الله على يد أحبّ الخلق إليه من بعدي فقتلهم أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فيمن قتل من الخوارج.

ومن مقاماته يوم الطائف أنَّ النبيَّ أمره أن يطأ ما وجد ويكسّر كلَّ صنم وجده فخرج فلقيه خيلٌ من خثعم في جمع كثير فبرز له رجلٌ من القوم يقال له: شهاب في غبش من الصبح[1] فقال: هل من مبارز، فقتله أمير المؤمنين عليه السلام ومضى في تلك الخيل حتّى كسّر الأصنام وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو محاصر أهل الطائف، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كبّر للفتح وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً.

ثمَّ خرج من حصن الطائف نافع بن غيلان في خيل من ثقيف فقتله أمير المؤمنين عليه السلام وانهزم المشركون ولحق القوم الرُّعب، فنزل منهم جماعة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأسلموا.

الفصل الثالث

في ذكر سبب قتل أمير المؤمنين عليه السلام

روى جماعة [من] أهل السير أنَّ نفراً من الخوارج اجتمعوا بمكّة فتذاكروا الأُمراء وعابوهم وذكروا أهل النهروان فترحّموا عليهم فقال بعضهم لبعض: لو[2]

---

(١) الغبش: ظلمة آخر الليل.

(٢) للتمني.

شرينا أنفسنا لله وأخذنا ثأرنا بإخواننا الشهداء وأرحنا من أئمّة الضلال البلاد والعباد، فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي: أنا أكفيكم عليّاً وقال البرك بن عبد الله التميميّ: أنا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر التميميّ: أنا أكفيكم عمرو بن العاص وتعاقدوا على ذلك وتواعدوا ليلة تسعة عشر من شهر رمضان، فأقبل ابن ملجم حتّى دخل الكوفة كامناً أمره فبينا هو هناك إذ رأى واحداً من أصحابه من تيم الرباب، فصادف عنده قطام بنت الأخضر التيميّة وكان أمير المؤمنين عليه السلام قتل أباها وأخاها بالنهروان وكانت من أجمل نسائها في زمانها، فلمّا رآها ابن ملجم شغف بها[1] فخطبها فأجابته إلى ذلك إن يصدقها ثلاثة آلاف درهم ووصيفاً وخادماً[2] وقتل عليّ بن أبي طالب فقال لها: لك جميع ما سألت، فأمّا قتل عليّ فأنّى لي ذلك، قالت: تلتمس غرّته فإن قتلته شفيت نفسي وهنّأك العيش معي وإن قتلت أنت فما عند الله خيرٌ لك من الدُّنيا، فقال: ما أقدمني هذا المصر إلاّ ما سألتني من قتل عليّ فلك ما سألت، قالت: فأنا طالبة لك من يساعدك على ذلك، وبعثت إلى وردان بن مجالد من تيم الرّباب فخبّرته الخبر وسألته معاونة ابن ملجم فأجابها إلى ذلك ولقي ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له: شبيب بن بجرة فقال: يا شبيب هل لك في شرف الدُّنيا والآخرة قال: وما ذاك؟ قال: تساعدني على قتل عليّ، وكان يرى رأي الخوارج فأجابه فاجتمعوا عند قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبّة، فقالوا: قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرَّجل ثمَّ حضروا ليلة الأربعاء لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة وجلسوا مقابل السدَّة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين إلى الصلاة، وقد كانوا قبل ذلك ألقوا ما في نفوسهم إلى الأشعث وواطأهم عليه وحضر هو في تلك الليلة لمعونتهم، وكان حجر بن عديّ في تلك الليلة بائتاً في المسجد فسمع الأشعث يقول لابن ملجم: النجاء النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح فأحسّ حجر ما أراد الأشعث فقال له: قتلته يا أعور وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين ليخبره الخبر فدخل المسجد فسبقه ابن ملجم فضربه بالسيف وأقبل حجر والناس يقولون: قتل أمير المؤمنين.

---

(١) أي دخل محبتها في شغاف قلبه.

(٢) الوصيف: الخادم ذكراً كان أو أنثى وقد يقال للخادمة: الوصيفة.

وقد ضربه شبيب بن بجرة فأخطأه ووقعت ضربته بالطّاق ومضى هارباً حتّى دخل منزله ودخل عليه ابن عمّ له فرآه يحلُّ الحرير عن صدره، فقال: ما هذا لعلّك قتلت أمير المؤمنين؟ فأراد أن يقول: لا، فقال: نعم، فضربه ابن عمّه بالسيف فقتله. وأمّا ابن ملجم كان رجلاً من همدان يقال له: أبو ذرّ لحقه وطرح عليه قطيفة كانت في يده ثمَّ صرعه وأخذ السّيف من يده وجاء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأفلت الثالث فانسلَّ بين الناس فلمّا دخل ابن ملجم على أمير المؤمنين عليه السلام نظر إليه ثمَّ قال: النَّفس بالنّفس إن أنا متّ فاقتلوه كما قتلني وإن سلمت رأيت فيه رأيي، فقال ابن ملجم: والله لقد ابتعته بألف وسممته بألف فإن خانني فأبعده الله، فأُخرج من بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام والنّاس ينهشون لحمه بأسنانهم وهم يقولون: يا عدوَّ الله ماذا فعلت، أهلكت أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، قتلت خير النّاس وهو صامت لا ينطق، فذهبوا به إلى الحبس وجاء النّاس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا له: أْمرنا بأمرك في عدوّ الله فقد أهلك الأُمّة وأفسد الملّة، فقال: إن عشت رأيت فيه رأيي وإن هلكت فاصنعوا به ما يصنع بقاتل النبيّ، اقتلوه ثمّ حرّقوه بالنّار.

فلمّا قضى أمير المؤمنين عليه السلام وفرغ من دفنه أُتي بابن ملجم فأمر به الحسن عليه السلام فضرب عنقه واستوهبت أُمُّ الهيثم بنت الأسود النخعيّة جيفته منه فأحرقتها بالنّار.

وأمّا الرجلان اللّذان كانا مع ابن ملجم في العهد على قتل عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص فإنَّ أحدهما ضرب معاوية وهو راكع فوقعت ضربته في أليته فنجا منها وقتل من وقته.

وأمّا الآخر فإنّ عمراً وجد في تلك اللّيلة علّة فاستخلف رجلاً يصلّي بالناس يقال له: خارجة العامريُّ فضربه بالسّيف وهو يظنّ أنّه عمرو فأخذوا به وقتل ومات خارجة.

* * *

الفصل الرابع

في موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام وكيفية دفنه

جابر بن يزيد الجعفي قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام أين دفن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قال: دفن بناحية الغريّين قبل طلوع الفجر ودخل قبره الحسن والحسين عليهما السلام ومحمّد بنوه وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم.

قال حيّان بن عليّ العنزي قال: حدَّثنا مولى لعليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: لمّا حضرت أمير المؤمنين الوفاة قال للحسن والحسين عليهما السلام: إذا أنا متّ فاحملاني على سريري ثمّ أخرجاني واحملا مؤخّر السرير فإنّكما تكفيان مقدّمه، ثمَّ أتيا بي الغريّين فإنّكما ستجدان صخرة بيضاء تلمع نوراً فاحتفرا فيها فإنّكما ستجدان فيها ساجة فادفناني فيها، قال: فلمّا مات أخرجناه وجعلنا نسمع دويّاً وحفيفاً حتّى أتينا الغريّين فإذا صخرة بيضاء تلمع نوراً فاحتفرنا فإذا ساج مكتوب عليها: هذا ما ادَّخره نوح عليه السلام لعليّ بن أبي طالب عليه السلام. فدفنّاه فيها وانصرفنا ونحن مسرورون بإكرام الله لأمير المؤمنين عليه السلام فلحقنا قوم من الشيعة لم يحضروا الصلاة فأخبرناهم بما جرى وبإكرام الله لأمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: نحبُّ أن نعاين من أمره ما عاينتم، فقلنا لهم: إنّ الموضع قد عفي أثره بوصيّة منه عليه السلام فمضوا وعادوا إلينا فقالوا: إنّهم احتفروا فلم يجدوا شيئاً.

* * *

الباب الخامس

في ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وعددهم وأسمائهم

وهم سبعة وعشرين ولداً ذكراً وأُنثى: الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وزينب الصغرى المكنّاة بأُمّ كلثوم أُمّهم فاطمة البتول عليها السلام سيّدة نساء العالمين بنت سيّد المرسلين صلوات الله عليهم، ومحمّد المكنّى بأبي القاسم، أُمّه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفيّة، والعبّاس، وجعفر، وعثمان، وعبد الله الشهداء مع أخيهم

الحسين بكربلاء ـ رضي الله عنهم ـ أُمّهم أُمُّ البنين بنت حزام بن خالد بن دارم، وكان العبّاس يكنّى أبا قربة لحمله الماء لأخيه الحسين عليه السلام ويقال له: السقّاء وقتل وله أربع وثلاثون سنة وله فضائل، وقتل عبد الله وله خمس وعشرون سنة، وقتل جعفر بن عليّ وله تسعة عشرة سنة، وعمر، ورقيّة أُمّهما أُمّ حبيب بنت ربيعة وكانا توأمين، ومحمّد الأصغر المكنّى بأبي بكر، وعبيد الله الشهيدان مع أخيهما الحسين عليه السلام بطفّ كربلاء أُمّهما ليلى بنت مسعود الدارميّة، ويحيى أُمّه أسماء بنت عميس الخثعميّة وتوفّي صغيراً قبل أبيه. ورملة أُمّها أُمّ سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفيّ، ونفيسة وهي أُمّ كلثوم الصغرى، وزينب الصغرى، ورقيّة الصغرى، وأُمّ هاني، وأمّ الكرام، وجمانة المكنّاة بأُمّ جعفر، وأمامة، وأمّ سلمة، وميمونة، وخديجة، وفاطمة لأُمّهات أولاد شتّى.

وأعقب عليه السلام من خمسة بنين الحسن والحسين ومحمّد والعبّاس وعمر، وفي الشيعة من يذكر أنَّ فاطمة أسقطت بعد النبيّ ذكراً كان سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو حمل ـ محسناً فعلى هذا يكون أولاده ثمانية وعشرين ولداً والله أعلم.

أمّا زينب الكبرى بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتزوّجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ولد له منها عليّ وجعفر وعون الأكبر وأُمّ كلثوم أولاد عبد الله بن جعفر، وقد روت زينب عن أمّها فاطمة عليها السلام أخباراً.

وأمّا أُمّ كلثوم فهي الّتي تزوّجها عمر بن الخطّاب وقال أصحابنا: إنّه عليه السلام إنّما زوّجها منه بعد مدافعة كثيرة وامتناع شديد واعتلال عليه بشيء بعد شيء حتّى ألجأته الضرورة إلى أن ردَّ أمرها إلى العبّاس بن عبد المطّلب فزوَّجها إيّاه.

وأمّا رقيّة بنت عليّ عليه السلام فكانت عند مسلم بن عقيل فولدت له عبد الله قتل بالطف وعليّاً ومحمّداً ابني مسلم.

وأمّا زينب الصغرى فكانت عند محمّد بن عقيل فولدت له عبد الله وفيه العقب من ولد عقيل.

وأمّا أم هاني فكانت عند عبد الله الأكبر بن عقيل بن أبي طالب فولدت له محمّداً قتل بالطف، وعبد الرّحمن.

وأمّا ميمونة بنت عليّ عليه السلام فكانت عند [عبد الله] الأكبر بن عقيل فولدت له عقيلاً.

وأمّا نفيسة فكانت عند عبد الله الأكبر بن عقيل فولدت له أمّ عقيل.

وأمّا زينب الصغرى[1] فكانت عند عبد الرَّحمن بن عقيل فولدت له سعيداً وعقيلاً.

وأمّا فاطمة بنت عليّ عليه السلام فكانت عند [محمّد بن] أبي سعيد بن عقيل فولدت له حميدة.

وأمّا أمامة بنت عليّ فكانت عند الصلت بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب فولدت له نقيّة وتوفّيت عنده.

هذا آخر ما أثبتنا من أخبار أمير المؤمنين عليه السلام.

* * *

(١) كذا ولعله تصحيف وفي كتاب نسب قريش ص٤٥ مكانها خديجة وهو الصحيح كما مر عن المؤلف ـ رحمه الله ـ.

الركن الثالث

في ذكر الأئمّة من أبناء أمير المؤمنين عليه السلام من الحسن بن عليّ الوصيّ إلى الحسن بن عليّ الزكيّ وتاريخ مواليدهم ومواضع قبورهم ودلائل إمامتهم وأزمان خلافتهم ومدّة أعمارهم وعدد أولادهم وطرف من أخبارهم ويشتمل على عشرة أبواب.

الباب الأول

في ذكر الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام

الإمام الثاني والسبط الأوّل سيّد شباب أهل الجنّة ويتضمن خمسة فصول الفصل الأوّل في ذكر مولده ومبلغ عمره ومدّة خلافته ووقت وفاته وموضع قبره.

ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وكنيته أبو محمّد وجاءت به أُمّه فاطمة سيّدة النساء عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم السابع من مولده في خرقة من حرير الجنّة نزل بها جبرئيل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فسمّاه حسناً، وعقَّ عنه كبشاً، وقبض رسول الله وله سبع سنين وأشهر وقيل: ثماني سنين، وقام بالأمر بعد أبيه عليه السلام وله سبع وثلاثون سنة وأقام في خلافته ستّة أشهر وثلاثة أيّام، ووقع الصلح بينه وبين معاوية في سنة إحدى وأربعين، وإنّما هادنه عليه السلام [1] خوفاً على نفسه إذ كتب إليه جماعة من رؤساء أصحابه في السرّ بالطاعة وضمنوا له تسليمه إليه عند دنوّهم من عسكره لم يكن منهم من غائلته إلاّ خاصّة من شيعته لا يقومون لأجناد الشام وكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح وبعث بكتب أصحابه إليه فأجابه إلى ذلك بعد أن شرط عليه شروطاً كثيرة منها أن يترك سبَّ أمير المؤمنين عليه السلام

(١) هادنه أي صالحه ووادعه.

والعدول في القنوت عليه في الصلاة، ويؤمن شيعته ولا يتعرّض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كلّ ذي حقّ حقّه، فأجابه معاوية إلى ذلك كله وعاهده على الوفاء به، فلمّا استتمّت الهدنة قال في خطبته: إنّي منّيت الحسن وأعطيته أشياء جعلتها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له.

وخرج الحسن عليه السلام إلى المدينة وأقام بها عشر سنين ومضى لرحمة ربه لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة وله سبع وأربعون سنة وأشهر مسموماً سقته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس وكان معاوية قد دسَّ إليها من حملها إلى ذلك وضمن لها أن يزوّجها من يزيد ابنه وأوصل إليها مائة ألف درهم فسقته السمَّ وبقي مريضاً أربعين يوماً وتولّى أخوه الحسين عليه السلام غسله وتكفينه ودفنه عند جدَّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بالبقيع.

الفصل الثاني

في ذكر الدلالة على إمامته وأنه المنصوص عليه بالإمامة من جهة أبيه لنا في كل ذلك طرق

أحدها أن نقول: قد ثبت وجوب الإمامة في كلّ زمان من جهة العقل وأنَّ الإمام لا بدَّ أن يكون معصوماً منصوصاً عليه وعلمنا أنَّ الحقّ لا يخرج عن أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فإذا ثبت ذلك سبرنا أقوال الأُمّة بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فقائل يقول: لا إمام وقوله باطل بما ثبت من وجوب وجوده، وقائل يقول بإمامة من ليس بمعصوم، وقوله باطل بما ثبت من وجوب العصمة، وقائل يقول بإمامة الحسن ويقول بعصمته فيجب القضاء بصحّة قوله وإلاّ أدَّى إلى خروج الحقّ عن أقوال الأُمّة.

وثانيها أن نستدلّ بتواتر الشيعة ونقلها خلفاً عن سلف أنَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام نصَّ على ابنه الحسن بحضرة شيعته واستخلفه عليهم بصريح القول ولا فرق بين من ادَّعى عليهم الكذب فيما تواترت به وبين من ادَّعى على الأُمّة الكذب فيما تواترت به من معجزات النبيّ وادَّعى على الشيعة الكذب فيما تواترت به عن النصوص وكلّ سؤال يسئل عن هذا فمذكور في كتب الكلام.

وثالثها أنّه قد اشتهر في الناس وصية أمير المؤمنين إليه عليه السلام خاصّة من بين ولده وأهل بيته والوصيّة من الإمام توجب الاستحقاق للموصى إليه على ما جرت به عادة الأنبياء والأئمّة في أوصيائهم لا سيّما[١] والوصيّة علم عند آل محمّد صلوات الله عليهم كافّة إذا انفرد بها واحدٌ بعينه على استخلافه وإشارة إلى إمامته وتنبيهٌ على فرض طاعته وإجماعُ آل محمّد صلوات الله عليهم حجّة.

ورابعها أن نستدلّ بالأخبار الواردة فيما ذكرناه فمن ذلك ما رواه محمّد بن يعقوب الكلينيّ ـ وهو من أجلّ رواة الشيعة وثقاتها ـ عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، وعمر بن أُذينة، عن أبان، عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيّته الحسين عليه السلام ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ثمَّ دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له: يا بنيَّ إنّه أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أُوصي إليك وأدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إليَّ ودفع إليَّ كتبه وسلاحه وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين ثمَّ أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا ثمَّ أخذ بيد عليّ بن الحسين وقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تدفعها إلى ابنك محمّد بن عليّ فأقرئه من رسول الله ومنّي السلام.

وعنه عن عدَّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد بن عيسى، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام مثل ذلك سواء.

وعنه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لمّا حضرته الوفاة لابنه الحسن: أُدنُ منّي حتّى آمر إليك ما أمر إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئتمنك على ما ائتمنني عليه ففعل.

وبإسناده رفعه إلى شهر بن حوشب أنَّ عليّاً عليه السلام لمّا سار إلى الكوفة

---

(١) كذا.

استودع أمَّ سلمة رضي الله عنها كتبه والوصيّة فلمّا رجع الحسن عليه السلام دفعتها إليه.

وخامسها أنّا وجدنا الحسن بن عليّ عليه السلام قد دعا إلى الأمر بعد أبيه وبايعه الناس على أنّه الخليفة والإمام فقد روى جماعة من أهل التاريخ أنه عليه السلام خطب صبيحة اللّيلة التي قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ قال: لقد قبض في هذه اللّيلة رجلٌ لم يسبقه الأوّلون ولم يدركه الآخرون لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوجّهه برايته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّى يفتح الله على يديه ولقد توفّي في هذه اللّيلة التي عرج فيها عيسى ابن مريم وفيها قبض يوشع بن نون وما خلف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم فضلت من عطائه[1] أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله. ثمَّ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه، ثمَّ قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النّذير، أنا ابن الدّاعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السّراج المنير، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت فرض الله تعالى مودّتهم وطاعتهم في كتابه فقال: **﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾** فالحسنة مودّتنا أهل البيت. ثمَّ جلس فقام عبد الله بن العبّاس بين يديه فقال: معاشر الناس هذا ابن نبيّكم ووصيُّ إمامكم فبايعوه، فتبادر الناس إلى البيعة له بالخلافة، فلا بدَّ أن يكون محقّاً في دعوته مستحقّاً للإمامة مع شهادة النبيّ له ولأخيه بالإمامة والسيادة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا وقوله: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة. وشهادة القرآن بعصمتهما في قوله تعالى: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾** على ما تقدّم القول فيه.

وسادسها أن نستدلَّ على إمامته بما أظهر الله عزَّ وجلَّ على يديه من العلم المعجز ومن جملته حديث حبابة الوالبيّة أورده الشيخ أبو جعفر بن بابويه القمي ـ ره ـ قال: حدَّثنا عليُّ بن أحمد الدَّقاق قال: حدَّثنا محمد بن يعقوب، قال: حدَّثنا عليُّ بن محمّد عن أبي عليّ محمّد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عليه السلام،

---

(١) يعني من سهمه من بيت المال.

عن أحمد بن القاسم العجليّ، عن أحمد بن يحيى المعروف ببرد[(١)]، عن محمّد بن خداهي، عن عبد الله بن أيّوب، عن عبد الله بن هاشم، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعميّ، عن حبابة الوالبيّة قالت: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس ثمَّ ساق الحديث إلى أن قالت: فلم أزل أقفو أثره حتّى قعد في رحبة المسجد فقلت: يا أمير المؤمنين ما دلالة الإمامة رحمك الله؟ قالت: ائتيني بتلك الحصاة وأشار بيده إلى حصاة فأتيته بها فطبع لي فيها بخاتمه ثمَّ قال: يا حبابة إذا ادَّعى مدَّع الإمامة فقدر أن يطبع كما رأيت فاعلمي أنّه إمام مفترض الطاعة والإمام لا يعزب عنه شيء يريده، قالت: ثمَّ انصرفت حتّى قبض أمير المؤمنين عليه السلام فجئت إلى الحسن وهو في مجلس أمير المؤمنين والناس يسألونه فقال لي: يا حبابة الوالبيّة فقلت: نعم يا مولاي قال: هاتي ما معك فناولته الحصاة فطبع لي فيها، قالت: فأتيت الحسين عليه السلام وهو في مسجد الرسول فقرّب ورحّب، ثمَّ قال لي: أفتريدين دلالة الإمامة؟ فقلت: نعم يا سيّدي، قال: هاتي ما معك، فناولته الحصاة فطبع لي فيها، قالت: فأتيت عليَّ بن الحسين عليه السلام وقد بلغ بي الكبر إلى أن أعييت وأنا أعدُّ يومئذ مائة وثلاثة عشر سنة فرأيته راكعاً وساجداً مشغولاً بالعبادة فيئست من الدّلالة فأومى إليَّ بالسّبابة فعاد لي شبابي قالت: فقلت: يا سيّدي كم مضى من الدُّنيا وكم بقي؟ فقال: أمّا ما مضى فنعم وأمّا ما بقي فلا، قالت: ثمَّ قال لي: هاتي ما معك فأعطيته الحصاة فطبع لي فيها، ثمَّ أتيت محمّد بن عليّ عليه السلام فطبع لي فيها، ثمَّ أتيت جعفر بن محمّد عليه السلام فطبع لي فيها، ثمَّ أتيت أبا الحسن موسى بن جعفر فطبع لي فيها، ثمَّ أتيت الرّضا عليه السلام فطبع لي فيها وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر على ما ذكره عبد الله بن هشام.

قال: وحدَّثنا محمّد بن محمّد بن عصام، عن محمّد بن يعقوب الكليني قال: حدَّثنا عليُّ بن محمّد قال حدَّثنا محمّد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عليه السلام قال: حدَّثني أبي، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر، عن أبيه محمّد عليه السلام قال: إنَّ حبابة الوالبيّة دعا لها علي بن الحسين فردَّ الله عليها شبابها، وأشار إليها بإصبعه فحاضت لوقتها ولها يومئذ مائة سنة وثلاث عشرة سنة.

---

(١) في الكافي [بكرد].

الفصل الثالث

في ذكر طرف من خصائصه ومناقبه عليه السلام

روى عن جابر بن عبد الله قال: لمّا ولدت فاطمة الحسن عليهما السلام قالت لعليّ سمّه فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله: ما كنت لأسبق باسمه ربّي عزَّ وجلَّ فأوحى الله جلَّ جلاله إلى جبرئيل عليه السلام أنّه قد ولد لمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ابن فاذهب إليه وهنّئه وقل له: إنَّ عليّاً عليه السلام منك بمنزلة هارون من موسى فسمّه باسم ابن هارون، فهبط جبرئيل فهنّأه من الله تعالى جلَّ جلاله، ثمَّ قال: إنَّ الله تعالى يأمرك أن تسمّيه باسم ابن هارون، قال: وما كان اسمه؟ قال: شبر، قال: لساني عربيٌّ، فقال: سمّه الحسن، فسمّاه الحسن. أورده الأستاذ أبو سعيد محمّد بن عبد الملك الواعظ في كتاب شرف النبيّ مرفوعاً إلى جابر.

وعن جابر أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سره أن ينظر إلى سيّد شباب الجنّة فلينظر إلى الحسن بن عليّ عليهما السلام.

عبد الله بن بريدة، عن ابن عبّاس قال: انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنادى على باب فاطمة ثلاثاً فلم يجبه أحدٌ، فمال إلى حائط فقعد فيه وقعدت إلى جانبه، فبينا هو كذلك إذ خرج الحسن بن عليّ قد غسل وجهه وعلّقت عليه سبحة، قال: فبسط النبي صلى الله عليه وآله وسلم يديه ومدَّهما ثمَّ ضمَّ الحسن إلى صدره وقبّله وقال: إنَّ ابني هذا سيّد ولعلَّ الله عزَّ وجلَّ يصلح به بين فئتين من المسلمين.

وروى ابن عليّ الرَّافعي عن أبيه، عن جدَّته زينب بنت أبي رافع قالت: أتت فاطمة عليها السلام بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شكواه الّذي توفّي فيه فقالت: هذان ابناك فورّثهما شيئاً، فقال: أمّا الحسن فإنَّ له هيبتي وسؤددي(١) وأمّا الحسين فإنّ له جودي وشجاعتي.

ويصدّق هذا الخبر ما رواه محمّد بن إسحاق قال: ما بلغ أحد من الشرف بعد

---

(١) السؤدد مصدر ساد يسود وهو بمعنى الشرف والمجد والمعنى له سيادتي وشرفي ومجدي.

رسول الله ﷺ ما بلغ الحسن بن عليّ، يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق فما يمرُّ أحدٌ من خلق الله إجلالاً له فإذا علم قام ودخل بيته فمرَّ النّاس ولقد رأيته في طريق مكّة نزل عن راحلته فمشى فما من خلق الله أحد إلاّ نزل ومشى حتّى رأيت سعد بن أبي وقّاص قد نزل ومشى إلى جنبه.

وروي عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن عليّ عليه السلام.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ الحسن ابني أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصّدر إلى الرأس، والحسين عليه السلام أسفل من ذلك. وأشباه هذه الأخبار كثيرة وفيما أوردناه كفاية.

الفصل الرابع

في ذكر سبب وفاته عليه السلام وبعض ما جاء في ذلك

عبد الله بن إبراهيم، عن زياد المحاربي قال: لمّا حضرت الحسن عليه السلام الوفاة استدعى الحسين عليه السلام وقال له: يا أخي إنّني مفارقك ولاحق بربّي وقد سقيت السمّ ورميت بكبدي في الطست وإنّي لعارف بمن سقاني ومن أين دهيت وأنا أُخاصمه إلى الله عزَّ وجلَّ، فبحقّي عليك أن تكلّمت في ذلك بشيء وانتظر ما يحدث الله تبارك وتعالى فيَّ فإذا قضيت نفسي فغسّلني وكفّنّي واحملني على سريري إلى قبر جدّي رسول الله ﷺ لأُجدّد به عهداً ثمَّ ردَّني إلى قبر جدّتي فاطمة فادفنّي هناك وستعلم يا بن أُمّ أنَّ القوم يظنّون أنّكم تريدون دفني عند رسول الله ﷺ فيجلبون في منعكم من ذلك وبالله أُقسم عليك أن تهريق في أمري محجمة دم[1]، ثمَّ وصّى إليه بأهله وولده وتركاته وما كان وصّى أمير المؤمنين حين استخلفه، فلمّا مضى لسبيله وغسّله الحسين عليه السلام وكفّنه وحمله على سريره لم يشكّ مروان وبنو أُميّة أنّهم سيدفنونه عند رسول الله ﷺ فتجمّعوا ولبسوا السّلاح، فلمّا توجّه به

(١) المحجم والمحجمة ـ بكسر الميم ـ آلة الحجم وهو شيء كالكاس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد. فيحدث فيه تهيجاً ويجذب الدم أو المادة بقوة.

الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قبر جدّه رسول الله صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليجدّد به عهداً أقبلوا في جمعهم ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: نحوا ابنكم عن بيتي فإنّه لا يدفن فيه ويهتك عليه حجابه، ثمّ تكلّم محمّد بن الحنفيّة فقال: يا عائشة يوماً على بغل ويوماً على جمل فما تملكين نفسك عداوة لبني هاشم، قال: فأقبلت عليه وقالت: يا ابن الحنفيّة هؤلاء بنو الفواطم يتكلّمون فما كلامك؟ فقال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: وأنّى تفقدين محمّداً من الفواطم فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم فاطمة بنت عمران بن عائذ وفاطمة بنت ربيعة وفاطمة بنت أسد، فقالت عائشة: نحّوا ابنكم فإنّكم قوم خصمون، فمضى الحسين بالحسن عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إلى البقيع ودفنه.

الفصل الخامس

في ذكر ولد الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ وعددهم وأسمائهم

له من الأولاد ستّة عشر ولداً ذكراً وأُنثى: زيد بن الحسن، وأُختاه أُمُّ الحسن، وأُمُّ الحسين أُمّهم أُمُّ بشر بنت أبي مسعود الخزرجيّة، والحسن بن الحسن أُمّه خولة بنت منظور الفزاريّة، وعمر بن الحسن وأخواه: عبد الله، والقاسم ابنا الحسن قتلا مع الحسين بن عليّ بكربلاء أُمّهم أُمُّ ولد، وعبد الرَّحمن بن الحسن أُمّه أُمُّ ولد، والحسين بن الحسن الملقّب بالأثرم، وأخوه طلحة، وأختهما فاطمة أُمّهم أُمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيميّ وأبو بكر قتل مع الحسين وأُمُّ عبد الله، وفاطمة، وأُمُّ سلمة، ورقيّة لأُمّهات أولاد شتّى.

وكان زيد بن الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يلي صدقات رسول الله صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكان جليل القدر كثير البرّ ومات وله تسعون سنة وخرج من الدُّنيا ولم يدّع الإمامة ولا ادّعاها له مدَّع من الشيعة ولا غيرهم.

وأمّا الحسن بن الحسن عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فكان جليلاً فاضلاً وكان يلي صدقات أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ دخل على عبد الملك بن مروان محرشاً(١) على الحجّاج فقال له عبد الملك بعد أن رحّب به وأحسن مسألته: لقد أسرع إليك الشيب يا أبا محمّد وكان

(١) الحرش: الخشونة.

عنده يحيى بن أُمّ الحكم وقد وعده أن ينفعه عنده، فقال: وما يمنعه يا أمير المؤمنين؟ شيّبته أمانيّ أهل العراق، تفد عليه الوفود يمنّونه الخلافة، فأقبل وقال: بئس ـ والله ـ الرفد رفدت ليس كما قلت ولكنّا أهل بيت يسرع إلينا الشيب، فأقبل عليه عبد الملك وقال: هلمَّ ما قدمت له، فقال: إنَّ الحجّاج يقول: أدخل عمر بن عليّ معك في صدقة أبيك، فقال عبد الملك: ليس ذلك له اكتب إليه كتاباً لا يجاوزه، فكتب إليه وأحسن صلة الحسن وأكرمه، فلمّا خرج من عنده لقيه يحيى بن أُمّ الحكم فعاتبه الحسن على سوء محضره فقال له يحيى: إيهاً عليك فوالله لا يزال يهابك ولولا هيبتك لم يقض لك حاجة وما ألوتك رفداً(١).

وروي أنّه خطب إلى عمّه الحسين عليه السلام إحدى ابنتيه، فقال له الحسين عليه السلام: يا بنيّ اختر أحبّهما إليك فاستحيى الحسن فقال له الحسين عليه السلام: فإنّي قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثرهما شبهاً بأُمّي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقبض الحسن بن الحسن وله خمس وثلاثون سنة وأوصى إلى أخيه من أُمّه إبراهيم بن محمّد بن طلحة وكان عبد الله بن الحسن قد زوَّجه الحسين ابنته سكينة فقتل قبل أن يبني بها.

الباب الثاني

في ذكر السبط الشهيد أبي عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام سيد شباب أهل الجنّة وهو خمسة فصول:

الفصل الأول

في ذكر تاريخ مولده ومبلغ سنه

ولد بالمدينة يوم الثلثاء وقيل: يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان وقيل:

(١) قوله: «ما ألوتك رفداً» أي ما قصرت في رفدك.

لخمس خلون منه سنة أربع من الهجرة، وقيل: ولد آخر شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث من الهجرة ولم يكن بينه وبين أخيه الحسن عليه السلام إلاّ الحمل والحمل ستّة. وجاءت به فاطمة الزهراء إلى رسول الله فسمّاه حسيناً وعقّ عنه كبشاً، وعاش سبعاً وخمسين سنة وخمسة أشهر، كان مع رسول الله سبع سنين ومع أمير المؤمنين سبعاً وثلاثين سنة ومع أخيه الحسن عليه السلام سبعاً وأربعين سنة، وكانت مدّة خلافته عشر سنين وأشهراً، وقتل صلوات الله عليه يوم عاشوراء يوم السبت، وقيل: يوم الاثنين، وقيل: يوم الجمعة سنة إحدى وستّين من الهجرة.

الفصل الثاني

في ذكر الدلائل على إمامته وأنه المنصوص عليه من جهة أبيه وأخيه

يدلُّ على إمامته جميع الطرق الاعتباريّة والأخبارية التي ذكرناها في إمامة الحسن عليه السلام بعينها فإنَّ جميعها كما تدلُّ على إمامته تدلُّ على إمامة أبي عبد الله الحسين من بعده مثلاً بمثل، وقد صرَّح النبيُّ على إمامته أيضاً بقوله: هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا وأيضاً فإنَّ وصيّة الحسن عليه السلام إليه تدلُّ على إمامته كما دلّت وصيّة أمير المؤمنين إلى الحسن عليه السلام على إمامته بحسب ما دلّت وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمير المؤمنين على إمامته من بعده.

وممّا جاء من الأخبار في وصيّة الحسن إليه ما رواه محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن محمّد بن سليمان الديلميّ، عن هارون بن الجهم عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام يقول: لمّا احتضر الحسن قال للحسين: يا أخي إنّي أُوصيك بوصيّة إذا أنا متّ كفّنّي ووجّهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأُحدث به عهداً، ثمَّ اصرفني إلى أُمّي فاطمة وردَّني بعده فادفنّي بالبقيع إلى آخر الخبر.

وروى محمد بن يعقوب بإسناده، عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا حضرت الحسن الوفاة قال: يا قنبر انظر هل ترى وراء بابك مؤمناً من غير آل محمّد؟ فقال: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، قال: امض فادع لي

محمّد بن عليّ قال: فأتيته فلمّا دخلت عليه قال: هل حدث إلاّ خير؟ قلت: أجب أبا محمّد فعجّل على شسع نعله فلم يسوّه فخرج معي يعدو، فلمّا قام بين يديه سلّم فقال له الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: اجلس فليس يغيب مثلك عن سماع كلام يحيى به الأموات ويموت به الأحياء كونوا أوعية العلم ومصابيح الدجى فإنّ ضوء النهار بعضه أضوء من بعض أما علمت أنّ الله عزّ وجلّ جعل ولد إبراهيم أئمّة وفضّل بعضهم على بعض وآتى داود زبوراً وقد علمت بما استأثر الله محمّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يا محمّد بن عليّ إنّي أخاف عليك الحسد وإنّما وصف الله تعالى به الكافرين فقال: ﴿**كفّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحقّ**﴾، ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً، يا محمّد بن عليّ ألا أُخبرك بما سمعت من أبيك عَلَيْهِ السَّلَامُ فيك؟ قال: بلى، قال: سمعت أباك يوم البصرة يقول: من أحبَّ أن يبرّني في الدُّنيا والآخرة فليسرَّ محمّداً ولدي يا محمّد بن عليّ لو شئت أن أُخبرك وأنت نطفة من ظهر أبيك لأخبرتك، يا محمّد بن عليّ أما علمت أنّ الحسين بن عليّ بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسمي إمام من بعدي وعند الله في الكتاب الماضي وراثة من النبيّ أضافها الله له في تراثة أبيه وأُمّه، علم الله أنّكم خيرة خلقه فاصطفى منكم محمّداً واختار محمّدٌ عليّاً واختارني عليٌّ للإمامة واخترت أنا الحسين، فقال له محمّد بن عليّ: أنت إمامي وسيّدي ألا وإنّ في رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء ولا تغيّره نغمة الرياح كالكتاب المعجم في الرّق المنمنم أهمّ بإبدائه[1] فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل وما جاءت به الرُّسل وإنّه لكلام يكلُّ به لسان الناطق ويد الكاتب حتّى لا يجد قلماً ويؤتوا بالقرطاس حمماً[2] ولا يبلغ فضلك وكذلك يجزي الله المحسنين ولا قوّة إلاّ بالله، الحسين أعلمنا علماً وأثقلنا حلماً وأقربنا من رسول الله رحماً، كان إمامنا قبل أن يُخلق[3] وقرأ الوحي قبل أن ينطق ولو علم الله أنّ أحداً خيراً منّا ما اصطفى محمّداً فلمّا اختار محمّداً اختار عليّاً إماماً واختارك عليٌّ من بعده واخترت الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ من بعدك، سلّمنا ورضينا بمن

---

(١) النزف: النزح. والنغمة: الصوت الخفي. وهذا تمثيل لثباته واستقراره وعدم زواله بمخاطرات النفس ووساوس الشيطان. (كذا فسره المولى صالح المازندراني). والمنمنم: المزين. وفي بعض النسخ [أهم بأدائه].

(٢) أي أسود، كناية عن الكتابة فيه.

(٣) في الكافي «كان فقيهاً قبل أن يخلق».

هو الرضى وبمن نسلم به من المشكلات.

وفي حديث حبابة الوالبيّة الذي رويناه هناك ما فيه من ظهور الآية المعجزة على يده الدالّة على إمامته فلا معنى لتكرُّره وإعادته، فكانت إمامته عليه السلام ثابتة بعد أخيه الحسن وإن لم يدع إلى نفسه للهدنة الحاصلة بينه وبين معاوية بن أبي سفيان وجرى في ذلك مجرى أبيه وثبوت إمامته بعد وفاته مع الكفّ والصمت ومجرى أخيه في زمان الهدنة والسكوت، فلمّا انقضت زمان الولاية بهلاك معاوية واجتمع له في الظاهر الأنصار أظهر أمره بعض الإظهار، فشمّر لذلك وقدَّم إلى العراق ابن عمّه عليه السلام مسلماً للاستنصار فبايعه أهل الكوفة وضمنوا له النصرة، ثمَّ نكثوا بيعته وخذلوه وأسلموه وخرجوا إليه فحصروه حيث لا يجد ناصراً ولا مهرباً وحالوا بينه وبين ماء الفرات حتّى تمكّنوا منه فقتلوه شهيداً كما استشهد أخوه وأبوه، والصلاة عليهم.

الفصل الثالث

في ذكر بعض خصائصه ومناقبه وفضائله صلوات الله عليه

كان يشبه النبيّ من صدره إلى رأسه كما تقدَّم.

وروى سعيد بن راشد، عن يعلى بن مرّة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: حسين منّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط.

وروى عبد الله بن ميمون القدَّاح، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: اصطرع الحسن والحسين بين يدي رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إيهاً[1] حسن خذ حسيناً، فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله أتستنهض الكبير على الصغير؟ فقال

(١) قال الجوهري: تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل: ايه ـ بكسر الهاء ـ، قال ابن السكيت: فإن وصلت نونت، فقلت: ايه حدثنا، ثم قال: فإذا اسكتّه وكففته قلت: ايها عنا، وإذا أردت التبعيد قلت: أيها ـ بفتح الهمزة ـ انتهى، وفي هامش المطبوع: يظهر من هذا الخبر أن أيها ـ بالفتح ـ أيضاً يستعمل في الاستزادة.

رسول الله ﷺ: هذا جبرئيل يقول للحسين: إيهاً حسين خذ حسناً.

وروى الأوزاعي، عن عبد الله بن شدّاد، عن أُمّ الفضل أنّها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله رأيت اللّيلة حُلماً منكراً، قال: وما رأيت؟ فقالت: إنّه شديد، قال: وما هو؟ قالت: رأيت قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري، فقال رسول الله ﷺ: خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك، فولدت الحسين عليه السلام وكان في حجري كما قال صلوات الله عليه وآله، قالت: فدخلت به يوماً على النبيّ فوضعه في حجره، ثمَّ حانت منّي التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهرقان بالدُّموع، فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ما لك؟ قال: أتاني جبرئيل فأخبرني أنَّ أُمّتي ستقتل ابني هذا وأتاني بتربة من تربته حمراء.

وفي مسند الرضا عليه السلام عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: حدّثتني أسماء بنت عميس قالت: لمّا كان بعد الحول من مولد الحسن عليه السلام ولد الحسين عليه السلام فجاء النبيّ فقال: يا أسماء هاتي ابني، فدفعته إليه في خرقة بيضاء فأذَّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى ووضعه في حجره وبكى، قالت أسماء: فداك أبي وأُمّي ممَّ بكاؤك؟ قال: من ابني هذا، فقلت: إنّه ولد الساعة، قال: يا أسماء تقتله الفئة الباغية من بعدي لا أنالهم الله شفاعتي، ثمَّ قال: يا أسماء لا تخبري فاطمة فإنّها حديث عهد بولادته، ثمَّ قال لعليّ: أيّ شيء سمّيت ابني هذا؟ قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله وقد كنت أُحبُّ أن أُسمّيه حرباً فقال رسول الله: ما كنت لأسبق باسمه ربّي فأتاه جبرئيل فقال: الجبّار يقرئك السلام ويقول: سمّه باسم ابن هارون، فقال: ما اسم ابن هارون؟ قال: شبير قال: لساني عربيٌّ قال: سمّه الحسين فسمّاه الحسين، ثمَّ عقَّ عنه يوم سابعه بكبشين أملحين وحلق رأسه وتصدَّق بوزن شعره ورقاً وطلا رأسه بالخلوق وقال: الدَّم فعل الجاهليّة وأعطى القابلة فخذ كبش.

وروى الضحّاك، عن ابن المخارق، عن أُمّ سلمة رضي الله عنها قالت: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس والحسين عليه السلام في حجره إذ هملت عيناه بالدُّموع فقلت: يا رسول الله أراك تبكي جعلت فداك؟ قال: جاءني جبرئيل عليه السلام فعزّاني بابني الحسين وأخبرني أنَّ طائفة من أُمّتي ستقتله، لا أنالهم الله شفاعتي.

وروى بإسناد آخر عن أُمّ سلمة أنّ رسول الله ﷺ خرج من عندنا ذات ليلة

فغاب عنّا طويلاً ثم جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة فقلت له: يا رسول الله ما لي أراك أشعثاً مغبرّاً؟ فقال: أُسري بي في هذه اللّيلة إلى موضع من العراق يقال له: كربلاء فرأيت فيه مصرع الحسين وجماعة من ولدي وأهل بيتي فلم أزل ألتقط دماءهم فها هي في يدي وبسطها فقال: خذيه واحتفظي به فأخذته فإذا هو شبه تراب أحمر فوضعته في قارورة وشددت رأسها واحتفظت بها فلمّا خرج الحسين عليه السلام متوجّهاً نحو أهل العراق كنت أُخرج تلك القارورة في كلّ يوم وليلة فأشمّها وأنظر إليها ثمّ أبكي لمصابها فلمّا كان يوم العاشر من المحرَّم وهو اليوم الّذي قتل فيه أخرجتها في أوّل النهار وهي بحالها ثمَّ عدت إليها آخر النهار فإذا هي دمٌ عبيط، فضججت في بيتي وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتّى جاء الناعي ينعاه فحقّق ما رأيت.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال جبرئيل عليه السلام: إنّ الله جلَّ جلاله قتل بدم يحيى بن زكريّا سبعين ألفاً وهو قاتل بدم ابنك الحسين سبعين ألفاً وسبعين ألفاً.

وروى سفيان بن عيينة، عن عليّ بن زيد، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: خرجنا مع الحسين فما نزل منزلاً ولا ارتحل عنه إلاّ ذكر يحيى بن زكريّا وقال يوماً: من هوان الدنيا على الله عزَّ وجلَّ أنَّ رأس يحيى بن زكريّا أُهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل.

وروى يوسف بن عبده قال: سمعت محمّد بن سيرين يقول: لم تر هذه الحمرة في السماء إلاّ بعد قتل الحسين عليه السلام.

وذكر الشيخ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة قال: أخبرنا القطّان حدَّثنا عبد الله بن جعفر، حدَّثنا يعقوب بن سفيان، حدَّثنا سليمان بن حريث، حدَّثنا حمّاد بن زيد، عن معروف قال: أوَّل ما عرف الزُّهري تكلّم في مجلس الوليد بن عبد الملك، فقال الوليد: أيّكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين بن عليّ؟ فقال الزُّهري: بلغني أنّه لم يقلب حجر إلاّ وجد تحته دمٌ عبيط.

قال: وأخبرنا القطّان بإسناده، عن عليّ بن مسهر قال: حدَّثتني جدَّتي قالت:

كنت أيّام الحسين عليه السلام جارية شابّة فكانت السماء أيّاماً علقة.

قال: وأخبرنا القطّان بإسناده عن جميل بن مرّة قال: أصابوا إبلاً في عسكر الحسين عليه السلام يوم قتل فنحروها وطبخوها قال: فصارت مثل العلقم فما استطاعوا أن يسيغوا[١] منها شيئاً.

وعن ابن عبّاس قال: رأيت النبيّ فيما يرى النائم ذات يوم نصف النهار أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ما هذه؟ قال: هذا دم الحسين عليه السلام وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم، فأُحصي بذلك الوقت فوجدته قتل ذلك اليوم.

وعن نضرة الأزديّة لمّا قتل الحسين بن عليّ عليهما السلام مطرت السماء دماً فأصبحت وكلُّ شيء لنا مليء دماً.

وروى محمّد بن مسلم، عن السيّدين الباقر والصّادق عليهما السلام قال: سمعتهما يقولان: إنّ الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذرّيّته والشفاء في تربته وإجابة الدعاء عند قبره ولا تعدّ أيّام زائره جائياً وراجعاً من عمره، قال محمّد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله: هذه الخلال تنال[٢] بالحسين قال: نعم في نفسه، قال: إنَّ الله تعالى ألحقه بالنبيّ فكان معه في درجته ومنزلته، ثمَّ تلا أبو عبد الله عليه السلام ﴿**والّذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم**﴾.

والأخبار في هذا المعنى أكثر من أن تحصى.

وممّا روي في السبطين عليهما السلام ما رواه عتبة بن غزوان قال: كان النبيّ يصلّي فجاء الحسن والحسين يركبان ظهره فانصرف فوضعهما في حجره فجعل يقبّل هذا مرّة وهذا مرّة فقال قوم: أتحبّهما يا رسول الله؟ فقال: ما لي لا أُحبّ ريحانتيَّ من الدُّنيا.

وروى سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله وهو يقول: الحسن والحسين

---

(١) أساغ الطعام أو الشراب: سهل مدخله في الحلق وساغ له دخوله فيه.

(٢) الخلال: الخصال وزناً ومعنى.

ابناي من أحبّهما أحبّني ومن أحبّني أحبّه الله ومن أحبّه الله أدخله الجنّة ومن أبغضهما أبغضني ومن أبْغضني أبغضه الله ومن أبغضه الله أدخله النار على وجهه.

وروى ابن لهيعة عن أبي عوانة رفعه إلى النبيّ أنَّ الحسن والحسين شنفا العرش[١] وأنَّ الجنّة قالت: يا ربّ أسكنتني الضعفاء والمساكين، فقال لها الله تعالى: ألا ترضين أنّي زيّنت أركانك بالحسن والحسين، قال: فماست كما تميس[٢] العروس فرحاً.

وروى عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثمّ قال: صدق الله تعالى ﴿**إنّما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ نظرت إلى هذين الصبيّين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتّى قطعت حديثي ورفعتهما.

وأما ما جاء من الرواية في ثواب زيارته وفضل تربته وكيفيّة أخذها وغير ذلك ممّا يتعلّق بجلال رتبته وعلوّ منزلته عند الله فكثير وما ذكرناه كاف في هذا الباب.

الفصل الرابع

في ذكر جملة مختصرة من أخبار خروجه ومقتله

ذكر الثقات من أصحاب السير أنّه لمّا مات الحسن بن عليّ عليه السلام تحرّكت الشيعة بالعراق وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية، فامتنع عليهم للعهد الحاصل بينه وبين معاوية، فلمّا مات معاوية وذلك في النصف من رجب سنة ستّين كتب يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة والي المدينة أن يأخذ الحسين عليه السلام بالبيعة له فأنفذ الوليد إلى الحسين عليه السلام فاستدعاه فعرف الحسين ما أراد، فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح وقال: اجلسوا على الباب فإذا سمعتم صوتي قد

---

(١) الشنف: ما علق في الأذن أو أعلاها من الحلى، الجمع شنوف وأشناف. وبالفارسية (گوشواره).

(٢) قال الجزري: يقال: ماس يميس ميساً إذا تبختر في مشيته وتثنى.

علا فادخلوا عليه ولا تخافوا عليّ، وصار عليه السلام إلى الوليد فنعى الوليد إليه معاوية فاسترجع الحسين عليه السلام ثمّ قرأ عليه كتاب يزيد بن معاوية، فقال الحسين عليه السلام: إنّي لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتّى أُبايعه جهراً، فقال الوليد: أجل، فقال الحسين عليه السلام: فنصبح ونرى في ذلك، فقال الوليد: انصرف على اسم الله تعالى، فقال مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا تقدر منه على مثلها أبداً حتّى يكثر القتلى بينكم وبينه فلا يخرج من عندك حتّى يبايع أو تضرب عنقه فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال: أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أو هو؟ كذبت والله وأثمت فخرج، فقال مروان للوليد: عصيتني، فقال: ويح غيرك يا مروان والله ما أُحبُّ أنَّ لي ما طلعت عليه الشمس وأنّي قتلت حسيناً إن قال: لا أُبايع والله إنّي لأظنُّ أنَّ امرءاً يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله تعالى يوم القيامة، فقال مروان: إن كان هذا رأيك فقد أصبت، وأقام الحسين تلك اللّيلة في منزله واشتغل الوليد بمراسلة عبد الله بن الزُّبير في البيعة ليزيد وظهر امتناعه عليه وخرج ابن الزبير من ليلته متوجّهاً إلى مكّة وسرّح الوليد في إثره الرجال فطلبوه فلم يدركوه، فلمّا كان آخر النهار بعث إلى الحسين عليه السلام ليبايع فقال عليه السلام: أصبحوا وترون ونرى فكفّوا تلك اللّيلة عنه فخرج عليه السلام ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب متوجّهاً نحو مكّة ومعه بنوه وبنو أخيه الحسن وإخوته وجلُّ أهل بيته إلاّ محمّد بن الحنفيّة فإنّه لم يدر أين يتوجّه وشيّعه وودّعه وخرج الحسين عليه السلام وهو يقول: ﴿**فخرج منها خائفاً يترقّب قال ربّ نجّني من القوم الظالمين**﴾ فلمّا دخل مكّة دخلها لثلاث مضين من شعبان وهو يقول: ﴿**ولمّا توجّه تلقاء مدين قال عسى ربّي أن يهدين سواء السبيل**﴾ فأقبل أهل مكّة يختلفون إليه ويأتيه ابن الزُّبير فيمن يأتيه بين كلّ يومين مرَّة وهو أثقل خلق الله على ابن الزُّبير وقد عرف أنَّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين عليه السلام بالبلد وبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية وعرفوا خبر الحسين فاجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي وقالوا: إنَّ معاوية قد هلك وإنَّ الحسين خرج إلى مكّة وأنتم شيعته وشيعة أبيه فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، فكتبوا إليه كتباً كثيرة وأنفذوا إليه الرسل أرسالاً، ذكروا فيها: إنَّ الناس ينتظرونك لا داعي لهم غيرك فالعجل العجل.

فكتب إليه أمراء القبائل: أمّا بعد فقد اخضرّت الجنّات وأينعت الثمار فإذا

شئت فاقدم على جند لك مجنّدة. فلمّا قرأ الكتاب وسأل الرسل كتب إليهم:

من الحسين بن عليّ إلى الملأ من المؤمنين.

أمّا بعد فإنَّ فلاناً وفلاناً قدما عليَّ بكتبكم وفهمت مقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ، وإنّي باعثٌ إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهلي فإن كتب إليَّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوو الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت عليَّ به رسلكم وقرأته في كتبكم أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله تعالى فدعا بمسلم بن عقيل فسرَّحه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي وعبد الرَّحمن بن عبد الله الأزديّ فأقبل مسلم حتّى دخل الكوفة فنزل دار المختار بن أبي عبيدة وأقبلت الشيعة تختلف إليه وبايعه الناس حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً فكتب مسلم إلى الحسين بن عليّ يخبره بذلك ويأمره بالقدوم.

وعلى الكوفة يومئذ النعمان بن بشير من قبل يزيد وكتب عبد الله بن مسلم الحضرمي إلى يزيد بن معاوية أنَّ مسلم بن عقيل قدم إلى الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن عليّ فإن كان لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويّاً، فإنَّ النعمان بن بشير رجلٌ ضعيفٌ.

وكتب إليه عمر بن سعد وغيره بمثل ذلك، فلمّا وصلت الكتب إلى يزيد دعا بسرحون: مولى معاوية وشاوره في ذلك وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد فقال سرحون: أرأيت معاوية لو يشير لك كنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم، فأخرج سرحون عهد عبيد الله بن زياد على الكوفة فقال: إنَّ معاوية مات وقد أمر بهذا الكتاب فضمّ المصرين إلى عبيد الله فقال يزيد: ابعث بعهد ابن زياد إليه وكتب إليه أنَّ سرحون لا يقرأ كتابي هذا حتّى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة[1] حتّى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام، فلمّا وصل العهد والكتاب إلى عبيد الله أمر بالجمّاز من وقته والمسير إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وشريك بن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء فظنّوا أنّه الحسين عليه السلام فكان لا يمرُّ على ملأ من الناس إلاّ سلّموا عليه فقالوا: مرحباً يا ابن رسول الله قدمت

(١) أي كما يطلب الجوهر النفيس.

خير مقدم فرأى من تباشرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه فقال مسلم بن عمرو لمّا أكثروا لهم: تأخّروا هذا الأمير عبيد الله بن زياد، وساروا حتّى وافوا قصر الإمارة فأغلق النعمان بن بشير عليهم الباب حتّى علم أنّه عبيد الله بن زياد ففتح له الباب فلمّا أصبح نادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس وخطب وقال: أمّا بعد فإنَّ أمير المؤمنين ولاّني مصركم وثغركم وفيئكم وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسوطي وسيفي على من ترك أمري وعهدي، فليتّق كلُّ امرء على نفسه و«الصدق ينبىء عنك لا الوعيد»[1]، ثمَّ نزل وأخذ الناس أخذاً شديداً ولمّا سمع مسلم بن عقيل بمجيء ابن زياد إلى الكوفة ومقالته التي قالها خرج من دار المختار حتّى انتهى إلى دار هاني بن عروة فأقبلت الشيعة تختلف إليه سرّاً ونزل شريك بن الأعور دار هاني ابن عروة ومرض فأُخبر أنَّ عبيد الله بن زياد يريد يأتيه يعوده فقال لمسلم بن عقيل: أُدخل هذا البيت فإذا دخل هذا اللّعين وتمكّن جالساً فاخرج إليه واضربه ضربة بالسيف تأتي عليه وقد حصل المراد واستقام لك البلد لو منَّ الله عليَّ بالصحّة ضمنت لك استقامة أمر البصرة فلمّا دخل ابن زياد وأمكنه ما وافقه بدا له في ذلك ولم يفعل واعتذر إلى شريك بعد فوات الأمر بأنَّ ذلك كان يكون فتكاً وقد قال النبيّ: «إنَّ الإيمان قيد الفتك» فقال: أما والله لو قد قتلته لقتلت غادراً فاجراً كافراً، ثمَّ مات شريك من تلك العلّة ودعا عبيد الله بن زياد مولى يقال له معقل وقال: خذ ثلاثمائة درهم ثمَّ اطلب مسلم بن عقيل والتمس أصحابه فإذا ظفرت منهم بواحد أو جماعة فأعطهم هذه الدراهم وقل: استعينوا بها على حرب عدوّكم فإذا اطمأنّوا إليك ووثقوا بك لم يكتموك شيئاً من أخبارهم ثمَّ اغد عليهم ورح حتّى تعرف مستقرّ مسلم بن عقيل ففعل ذلك وجاء حتّى جلس عند مسلم بن عوسجة الأسدي في المسجد الأعظم وقال: يا عبد الله إنّي امرؤ من أهل الشام أنعم الله عليّ بحبّ أهل هذا البيت فقال له مسلم: أحمد الله على لقائك فقد سرَّني ذلك وقد ساءني معرفة الناس إيّاي بهذا الأمر قبل أن يتمَّ مخافة هذا الطاغية فقال له معقل: لا يكون إلاّ خيراً خذ منّي البيعة، فأخذ بيعته وأخذ عليه المواثيق المغلّظة ليناصحنَّ وليكتمنَّ، ثمَّ قال: اختلف إليَّ أيّاماً في منزلي فإنّي طالب

(١) هذا مثل مشهور والمعنى يقول: إنما ينبىء عدوك عنك أن تصدقه في المحاربة وغيرها لا أن توعده ولا تنفذ لما توعد به.

لك الإذن فأذن له فأخذ له مسلم بيعته، ثمَّ أمر قابض الأموال فقبض المال منه وأقبل ذلك اللّعين يختلف إليهم فهو أوَّل داخل وآخر خارج حتّى علم ما احتاج إليه ابن زياد وكان يخبر به وقتاً فوقتاً وخاف هاني بن عروة على نفسه من عبيد الله بن زياد فانقطع عن حضور مجلسه وتمارض فقال ابن زياد: ما لي لا أرى هانياً؟ فقالوا: هو شاكٍ. فقال: لو علمت بمرضه لعدته ودعا محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة وعمرو بن الحجاج الزُّبيدي فقال لهم: ما يمنع هانياً من إتياننا؟ فقالوا: ما ندري وقد قيل: إنّه يشتكي، قال: لقد بلغني أنّه يجلس على باب داره فالقوه ومروه أن لا يدع ما عليه من حقّنا فأتوه حتّى وقفوا عليه عشيّة وهو على باب داره جالس فقالوا: ما يمنعك من لقاء الأمير؟ فقال لهم: الشكوى تمنعني من لقائه، فقالوا له: قد بلغه أنّك تجلس على باب دارك عشيّة وقد استبطأك، فدعا بثيابه فلبسها ودعا ببغلته فركبها، فلمّا دخل على ابن زياد قال: أتتك بحائن رجلاه[1]، والتفت نحوه وقال:

أُريـــد حيـــاتـــه ويـــريـــد قتلـــي غـــديـــرك مـــن خليلـــك مـــن مـــراد

فقال هاني: وما ذاك أيّها الأمير؟ قال: ما هذه الأمور التي تربّص في دورك لأمير المؤمنين وعامّة المسلمين، جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له الرّجال والسلاح قال: ما فعلت ذلك قال: بلى، ثمَّ دعا ابن زياد معقلاً ذلك اللّعين فجاء حتّى وقف بين يديه فلمّا رآه هاني علم أنّه كان عيناً عليهم وأنّه قد أتاه بأخبارهم فقال: اسمع منّي وصدّق مقالتي والله ما دعوته إلى منزلي ولا علمت بشيء من أمره حتّى جاء يسألني النزول فاستحييت أن أردَّه فضيّفته وآويته وأنا أعطيك اليوم عهداً لا أبغيك سوءاً ولا غائلة وإن شئت أُعطيك رهينة فتكون في يدك حتّى آتيك به أو آمره أن يخرج من داري حيث شاء من الأرض فأخرج من جواره، فقال ابن زياد: والله ما تفارقني أبداً حتّى تأتيني به قال: لا والله لا آتيك به وكثر الكلام بينهما حتّى قال: والله لتأتينّي به قال: لا والله لا آتيك به، قال: لتأتينّي به أو لأضربنَّ عنقك، فقال هاني: إذاً والله تكثر البارقة حول دارك فقال ابن زياد: أبالبارقة تخوّفني وهو يظنّ أنَّ عشيرته سيمنعونه، فقال: ادنوه منّي، فلم يزل يضرب وجهه بالقضيب حتّى كسر أنفه وسيل

(١) الحائن ـ بالمهملة ـ: الأحمق، أي سعى برجليه إلى الهلاك، وأول من قاله عبيد بن الأبرص حين عرض للنعمان بن المنذر يوم بؤسه وكان قصده ليمدحه.

الدّماء على ثيابه وضرب هاني يده على قائم سيف شرطيّ وجاذبه الرَّجل ويمنعه فقال ابن زياد: قد حلَّ لنا قتلك فجروه فألقوه في بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه الباب، وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فأمر أن ينادى في الناس فملأ بهم الدُّور وقال لمناديه: ناد يا منصور فعقد مسلم لرؤوس الأرباع على القبائل كندة ومذحج وأسد وتيم وهمدان فتداعى الناس واجتمعوا فامتلأ المسجد من الناس والسوق وما زالوا يتوثّبون حتّى المساء وضيّق بعبيد الله أمره وليس في القصر معه إلاّ ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته وأقبل من نأى عنه من أشراف الناس يأتونه من قبل الباب الذي يلي دار الروميّين وجعل من في القصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم وهم يرمونه بالحجارة ودعا ابن زياد بكثير بن شهاب ومحمّد بن الأشعث وشبث بن ربعي وجماعة من رؤساء القبائل وأمرهم أن يسيروا في الكوفة ويخذلوا الناس عن مسلم بن عقيل ويعلموهم بوصول الجند من الشام، وأنَّ الأمير قد أعطى الله عهداً لئن تمّمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم هذه أن يحرم ذرّيّتكم العطاء ويأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب، فلمّا سمع الناس مقالتهم أخذوا يتفرَّقون وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها وزوجها وتقول: انصرف الناس يكفونك ويجيء الرَّجل إلى ابنه وأخيه ويقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشرّ، فيذهب به فينصرف فما زالوا يتفرّقون حتّى أمسى ابن عقيل وصلّى المغرب وما معه من أصحابه إلاّ ثلاثون رجلاً فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو باب كندة فلمّا بلغ الباب كان معه منهم عشرة فخرج من الباب فإذا ليس معه إنسان ولا يجد أحداً يدلّه على الطريق فمضى على وجهه متلدّداً[١] في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، فمشى على باب امرأة يقال لها: طوعة وهي على باب دارها تنتظر ولدها فسلّم عليها وقال: يا أمة الله اسقيني ماء فسقته وجلس، فقالت: يا عبد الله فاذهب إلى أهلك؟ فقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصر منزل هل لك فيّ أجر ومعروف ولعلّي أُكافيك بعد اليوم، فقالت: وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذّبني هؤلاء القوم وغرُّوني وأخرجوني قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم قالت: ادخل فدخل داراً في بيتها غير الّذي تكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ فجاء ابنها فرآها

(١) المتلدد، الذي يلتفت يميناً وشمالاً كالمتحير.

تكثر الدخول إلى البيت والخروج منه فسألها عن ذلك فقالت: يا بنيَّ أُله عن هذا، قال: والله لتخبريني فأخذت عليه الأيمان أن لا يخبر أحداً فحلف فأخبرته وكانت هذه المرأة أُمّ ولد للأشعث بن قيس فاضطجع ابنها وسكت وأصبح فغدا إلى عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث فأخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أُمّه فأقبل عبد الرحمن حتّى أتى أباه وهو عند ابن زياد فسارَّه، فعرف ابن زياد سراره، قال: قم فأتني به الساعة فقام وبعث معه عبيد الله بن العبّاس السلمي في سبعين رجلاً حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم، فلمّا سمع وقع الحوافر وأصوات الرجال علم أنّه قد أتى العدوّ فخرج إليهم بسيفه واقتحموا عليه الدار فشدَّ عليهم يضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار واختلف هو وبكر بن حمران الأحمري فضرب بكر فم مسلم فقطع شفته العليا وأسرع في السفلى وضربه مسلم على رأسه ضربة منكرة وثنّى بأُخرى على حبل العاتق وخرج عليهم مصلتاً بسيفه فقال له محمّد بن الأشعث: لك الأمان لا تقتل نفسك وهو يقاتلهم ويقول:

أقسمت لا أُقتل إلاّ حرّا ... إنّي رأيت الموت شيئاً نكرا
كلّ امرء يوماً ملاق شرّا ... أخاف أن أُكذب أو أُغرّا

فقال له محمّد بن الأشعث: إنّك لا تكذب ولا تغرّ، فلا تجزع إنَّ القوم بنو عمّك وليسوا بقاتليك، فقال مسلم: أمّا لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم فأُتي ببغلةٍ فركبها واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه فكأنّه أيس هناك من نفسه، فدمعت عيناه وقال: هذا أوّل الغدر وأقبل على محمّد بن الأشعث وقال: إنّي أراك والله ستعجز عن أماني فهل عندك خيرٌ؟ تستطيع أن تبعث من هناك رجلاً على لساني أن يبلّغ حسيناً ـ فإنّي لا أراه إلاّ خرج إليكم اليوم أو هو خارج غداً ـ ويقول: إنّ ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم ما أرى أن يمسي حتّى يقتل وهو يقول: ارجع فداك أبي وأُمّي بأهل بيتك يا ابن عمّي ولا تغترّ بأهل الكوفة فإنّهم أصحاب أبيك الذين تمنّى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة كذبوك وليس لكذوب رأي. فقال ابن الأشعث: لأفعلنّ ولأعلمنّ ابن زياد أنّي قد أمنتك وأقبل ابن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر ودخل على عبيد الله وأعلمه ما كان من أمانه، فقال ابن زياد: ما أنت والأمان؟ كأنّا أرسلناك لتؤمنه وإنّما أرسلناك لتأتينا به، فسكت ابن

الأشعث وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخال مسلم، فلمّا دخل لم يسلّم عليه بالإمرة فقال الحرسي: ألا تسلّم على الأمير؟ قال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه وإن كان لا يريد قتلي ليكثرنّ سلامي عليه، فقال ابن زياد: لعمري لتقتلنّ قتلة لم يقتلها أحدٌ من الناس في الإسلام، فقال له مسلم: أنت أحقُّ من أحدث في الإسلام وإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وقبح السيرة ولؤم الغلبة وأخذ ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعليّاً وعقيلاً وأخذ مسلم لا يكلّمه، ثمَّ قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه ثمَّ أتبعوه جسده، فقال مسلم: لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتني فقال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه فدعي بكر بن حمران الأحمري فقال له: اصعد فكن أنت الذي يضرب عنقه وجعل مسلم يكبّر الله ويستغفره ويصلّي على النبيّ وآله ويقول: اللّهمَّ احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا، وضرب عنقه وأتبع جسده رأسه، وأمر بهاني بن عروة فأُخرج إلى السوق وضرب عنقه وهو يقول: إلى الله المعاد اللّهمَّ إلى رحمتك ورضوانك.

وفي قتلهما يقول عبد الله بن الزبير الأسدي:

وإنْ كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هاني في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشّم السيف وجهه ... وآخر يهوي من جدار قتيل

ـ في أبيات ـ

وبعث ابن زياد برأسيهما إلى يزيد بن معاوية وكان خروج مسلم بالكوفة يوم الثلثاء لثمان مضين من ذي الحجّة يوم التروية وقيل يوم عرفة سنة ستّين.

وكان توجّه الحسين عليه السلام من مكّة إلى العراق في يوم خروج مسلم إلى الكوفة وقد اجتمع إليه مدَّة إقامته بمكّة نفر من أهل الحجاز والبصرة، ولمّا أراد الخروج إلى العراق طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرة لأنّه لم يتمكّن من إتمام الحجّ مخافة أن يقبض عليه بمكّة فينفذ إلى يزيد بن معاوية.

فروي عن الفرزدق الشاعر أنّه قال: حججت بأمّي سنة ستّين فبينا أنا أسوق

بعيرها حين دخلت الحرم إذ لقيت الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ خارجاً من الحرم ومعه أسيافه وأتراسه فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن عليّ، فأتيته فسلّمت عليه وقلت له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحبّ يا ابن رسول الله بأبي أنت وأمّي ما أعجلك عن الحجّ؟ قال: لو لم أعجل لأُخذت ثمَّ قال لي: من أنت؟ قلت: امرءاً من العرب فلا والله ما فتّشني أكثر من ذلك، ثمَّ قال: أخبرني عن الناس خلفك؟ قلت: على الخبير سقطت قلوب الناس معك وأسيافهم عليك، وسألته عن أشياء من نذور ومناسك فأخبرني بها ثمَّ حرّك راحلته وقال: السلام عليك، ثمَّ افترقنا ولحقه عبد الله بن جعفر بكتاب عمرو بن سعيد بن العاص والي مكّة مع أخيه يحيى بن سعيد يؤمنه على نفسه فدعا إليه الكتاب وجهدا به الرُّجوع فقال: إنّي رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في المنام وأمرني بما أنا ماض له. قالا له: فما تلك الرؤيا؟ فقال: ما حدّثت بها أحداً ولا أُحدّث حتّى ألقى ربّي عزَّ وجلَّ، فلمّا يئس عبد الله بن جعفر منه أمر ابنيه عوناً ومحمّداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه ورجع هو ويحيى بن سعيد إلى مكّة وتوجّه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ نحو العراق ولمّا بلغ عبيد الله بن زياد إقبال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطته حتّى نزل القادسيّة ولمّا بلغ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بطن الرَّملة بعث عبد الله بن يقطر وهو أخوه من الرَّضاعة وقيل: بل بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة ولم يكن علم بخبر مسلم وكتب معه إليهم كتاباً يخبرهم فيه بقدومه ويأمرهم بالانكماش في الأمر[1] فأخذه الحصين بن نمير وبعث به إلى عبيد الله بن زياد فقال له عبيد الله بن زياد: اصعد وسبّ الكذّاب الحسين بن عليّ، فصعد وحمد الله وأثنى عليه وقال: أيّها النّاس هذا الحسين بن عليّ خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأنا رسوله إليكم فأجيبوه، ثمَّ لعن ابن زياد، فأمر به فرمي من فوق القصر فوقع على الأرض وانكسرت عظامه وأتاه رجل فذبحه وقال: أردت أن أُريحه، فلمّا بلغ الحسين قتل رسوله استعبر، ولمّا بلغ الثعلبيّة ونزل أتاه خبر قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون رحمة الله عليهما، يردّد ذلك مراراً وقيل له: ننشدك الله يا ابن رسول الله انصرف من مكانك هذا فإنّه ليس لك بالكوفة ناصرٌ ولا شيعة بل نتخوّف أن

---

(١) الانكماش: الإسراع.

يكونوا عليك،' فنظر إلى بني عقيل فقال: ما ترون؟ فقالوا: لا والله لا نرجع حتّى نصيب ثارنا أو نذوق ما ذاق، فقال الحسين: لا خير في العيش بعد هؤلاء.

ثمَّ أخرج إلى النّاس كتاباً فيه: أمّا بعد فقد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا فمن أحبَّ منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج فليس عليه ذمام فتفرَّق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً حتّى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه ونفر يسير ممّن انضمّوا إليه وإنّما فعل ذلك لأنّه علم أنَّ الأعراب الّذين اتّبعوه يظنّون أنّه يأتي بلداً قد استقام عليه فكره أن يسيروا معه إلاّ وهم يعلمون على ما يقدمون.

ثمَّ سار حتّى مرَّ ببطن العقبة فنزل فيها فلقيه شيخ من بني عكرمة يقال له: عمرو بن لوذان فقال: أنشدك بالله يا ابن رسول الله لمّا انصرفت، فوالله ما تقدم إلاّ على الأسنّة وحدّ السيوف وإنَّ هؤلاء الّذين بعثوا إليك لوكانوا كفوك مؤونة القتال ووطّؤوا لك الأسياف فقدمت عليهم كان ذلك رأياً فقال: يا عبد الله لا يخفى عليَّ الرأي ولكنّ الله تعالى لا يغلب على أمره، ثمَّ قال: والله لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلَّ فرق الأُمم.

ثمَّ سار حتّى انتصف النّهار فبينا هو يسير إذ كبّر رجل من أصحابه عليه السلام فقال: لم كبّرت فقال: رأيت النخل فقال له جماعة من أصحابه: والله إنّ هذا المكان ما رأينا به نخل قطّ قال: فما ترونه؟ قالوا: نراه والله آذان الخيل، قال: أنا والله أرى ذلك، فما كان بأسرع حتّى طلعت هوادي الخيل[1] مع الحرّ بن يزيد التميميّ، فجاء حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حرّ الظهيرة وكان مجيء الحرّ بن يزيد من القادسيّة، فقدم الحصين بن نمير في ألف فارس فحضرت صلاة الظّهر فصلّى الحسين عليه السلام وصلّى الحرُّ خلفه، فلمّا سلّم انصرف إلى القوم وحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيّها الناس إنّكم إن تتّقوا الله وتعرفوا الحقَّ لأهله تكن أرضى لله عنكم ونحن

---

(١) أي بدت وظهرت أعناق الخيل.

أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدَّعين ما ليس لهم والسائرين بكم بالجور والعدوان فإن أبيتم إلاّ الكراهة لنا والجهل بحقّنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم وقدمت عليَّ به رسلكم أنصرف عنكم، قالوا: إنّا والله لا ندري ما هذه الكتب التي تذكر، فقال الحسين عليه السلام لبعض أصحابه: يا عقبة بن سمعان أخرج الخرجين اللّذين فيهما كتبهم إليّ، فأخرج خرجين مملوءين كتباً فنشرت بين يديه فقال له الحرُّ: لسنا من هؤلاء الّذين كتبوا إليك وقد أُمرنا إذا لقيناك أن لا نفارقك حتّى نقدم بك الكوفة على عبيد الله بن زياد، فقال له الحسين عليه السلام: الموت أدنى إليك من ذلك ثمّ قال لأصحابه: قوموا فاركبوا فركبوا، فلمّا ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف فقال الحسين عليه السلام للحرّ: ثكلتك أُمّك يا ابن يزيد قال الحرّ: أمّا لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال الّتي أنت عليها ما تركت ذكر أُمّه بالثكل ولكن والله ما لي إلى ذكر أُمّك من سبيل إلاّ بأحسن ما نقدر عليه، فقال الحسين عليه السلام: فما تريد؟ قال: أُريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله، قال: إذاً والله لا أتّبعك قال: إذاً والله لا أدعك، وترادّا القول، فلمّا كثر الكلام بينهما قال الحرّ: إنّي لم أؤمر بقتالك إنّما أُمرت أن لا أُفارقك حتّى أقدم بك الكوفة فتياسر ههنا عن طريق العذيب والقادسيّة حتّى أكتب إلى الأمير ويكتب إليَّ الأمير لعلّ الله أن يأتيني بأمر يرزقني فيه العافية من أن أُبتلى بشيء من أمرك، فسار الحسين عليه السلام وسار الحرُّ في أصحابه يسايره وهو يقول له: إنّي أُذكرك في نفسك فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ، فقال الحسين عليه السلام: أفبالموت تخوّفني؟ وسأقول ما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخوّفه ابن عمّه فقال: إنّك مقتول فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وودَّع مجرما

فلمّا سمع ذلك الحرّ تنحّى عنه قال عقبة بن سمعان: فسرنا معه ساعة فخفق عليه السلام وهو على ظهر فرسه خفقة ثمَّ انتبه وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمد لله ربّ العالمين ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً فأقبل إليه علي بن الحسين عليهما السلام على فرس فقال: يا أبه فيم حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بنيَّ إنّي خفقت خفقة

فعنَّ لي[١] فارس على فرس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم فعلمت أنّها أنفسنا نعيت إلينا فقال له: يا أبه لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحقّ؟ قال: بلى والّذي إليه مرجع العباد، قال: فإنّنا إذن لا نبالي أن نموت محقّين، فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده، فلمّا أصبح نزل فصلّى الغداة ثمَّ عجّل الركوب فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم فيأتيه الحر بن يزيد فيردّه وأصحابه فجعل إذا ردَّهم نحو الكوفة امتنعوا عليه، فلم يزالوا يسايرون كذلك حتّى انتهوا إلى نينوى بالمكان الذي نزل به الحسين فإذا راكب على نجيب له فلمّا انتهى إليهم سلّم على الحرّ ولم يسلّم على الحسين عليه السلام وأصحابه ودفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد، فإذا فيه: أمّا بعد فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ولا تنزله إلاّ بالعراء[٢] في غير خضر ولا ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتّى يأتيني بإنفاذك أمري والسلام. فأخذهم الحرُّ بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا قرية، فقال له الحسين: دعنا ويحك أنزل في هذه القرية ـ يعني نينوى ـ أو هذه ـ يعني الغاضريّة ـ قال: لا والله لا أستطيع ذلك هذا رجل قد بعث عيناً عليَّ، فقال زهير بن القين: إني والله ما أراه يكون بعد هذا الذي ترون إلاّ أشدّ ما ترون يا ابن رسول الله إنَّ قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فلعمري ليأتينا بعدهم من لا قبل لنا به[٣] فقال الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال، ثمَّ نزل وذلك في اليوم الخميس، الثاني من المحرّم سنة إحدى وستّين، فلمّا كان من الغد قدم عمر بن سعد بن أبي وقّاص في أربعة آلاف فارس فنزل نينوى فبعث إلى الحسين عليه السلام عروة بن قيس الأحمسي قال له: فأته فسله ما الذي جاء بك؟ وكان عروة ممّن كتب إلى الحسين عليه السلام فاستحيى منه أن يأتيه فعرض ذلك على الرؤساء فكلّهم أبى ذلك لمكان أنّهم كاتبوه، فدعا عمر بن سعد قرّة بن قيس الحنظليّ فبعثه فجاء فسلّم على الحسين عليه السلام فبلّغه رسالة ابن سعد فقال

---

(١) أي ظهر لي وسنح.

(٢) قال في الصحاح: الجعجعة: الحبس وكتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد أن جعجع بالحسين. قال الأصمعي: أي احبسه، وقال ابن الأعرابي أي ضيق عليه. والعراء ـ بالمد ـ: الفضاء لا يستتر فيه، قال الله تعالى: ﴿**لنبذ بالعراء**﴾.

(٣) يقال: ما لي به قبل ـ بكسر القاف ـ أي طاقة.

الحسين عليه السلام: كتب إليَّ أهل مصركم هذا أن أقدم، فأمّا إذا كرهوني فأنا أنصرف عنكم فلمّا سمع عمر هذه المقالة قال: أرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله وكتب إلى عبيد الله بن زياد أمّا بعد فإنّي حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي فسألته عمّا أقدمه وماذا يطلب، فقال: كتب إليَّ أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم فسألوني القدوم فأمّا إذا كرهوني فإنّي منصرف عنهم، فلمّا قرأ ابن زياد الكتاب قال: الآن إذ علقت مخالبنا به[١] يرجو النجاة ولات حين مناص[٢] وكتب إلى عمر بن سعد أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمته فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه فإذا هو فعل ذلك رأيْنا رأيَنا والسلام.

فلما ورد الجواب قال عمر بن سعد: قد خشيت أن لا يقبل ابن زياد العافية[٣] وورد كتاب ابن زياد في الأثر إليه أن حل بين الحسين وبين أصحابه وبين الماء، فلا تدعهم يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقيّ الزكيّ عثمان بن عفّان، فبعث ابن سعد في الوقت عمرو بن الحجّاج في خمس مائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه أن يستقوا منه، وذلك قبل قتل الحسين عليه السلام بثلاثة أيّام.

ونادى عبد الله بن حصين الأزدي بأعلى صوته: يا حسين ألا ترون إلى الماء كأنّه كبد السماء[٤] والله لا تذوقون منه قطرة حتّى تموتوا عطشاً، فقال الحسين عليه السلام: اللّهمّ اقتله عطشاً ولا تغفر له.

قال حميد بن مسلم: فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيته يشرب الماء حتّى يبغر[٥] ثمَّ يقيء ويصيح: العطش العطش، ثمَّ يعود فيشرب الماء حتّى يبغر، ثمَّ يقيئه ويتلظّى

---

(١) مخالب: جمع مخلب ـ بكسر الميم ـ وهو الظفر خصوصاً من السباع. وأيضاً المنجل.

(٢) قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿ولات حين مناص﴾ أي ليس الحين حين مناص و«لا» هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء تأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الأحيان وحذف أحد المعمولين وقيل: هي النافية للجنس أي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب بإضماره أي ولا أرى حين مناص، والمناص: المنجى.

(٣) «قد خشيت» أي ظننت أو علمت.

(٤) كبد السماء: وسطها.

(٥) البغر: داء وعطش لا يرتوي من ابتلي به. وقال الأصمعي: وهو عطش يأخذ الإبل فتشرب فلا تروى وتمرض منه فتموت.

عطشاً، فما زال ذلك دأبه حتّى لفظ نفسه[١].

ولما رأى الحسين عليه السلام نزول العساكر مع عمر بن سعد ومددهم لقتاله أنفذ إلى عمر بن سعد إنّي أُريد لقاءك فاجتمعا فتناجيا طويلاً.

ثمَّ رجع عمر إلى مكانه وكتب إلى عبيد الله بن زياد أمّا بعد فإنَّ الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأُمّة هذا أعطاني أن يرجع إلى المكان الّذي منه أتى وأن يسير إلى ثغر من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم أو أن يأتي إلى أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه وفي هذا لك رضى وللأُمّة صلاح.

فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال: هذا كتاب ناصح مشفق على قومه، فقام إليه شمر بن ذي الجوشن فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكوننَّ أولى بالقوَّة ولتكوننَّ أولى بالضعف منه، فلا تعطه هذه المنزلة ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت أولى بالعقوبة وإن عفوت كان ذلك لك، فقال ابن زياد: نعم ما رأيت، الرأي رأيك أُخرج بهذا الكتاب إلى عمر فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فإن أبوا فليقاتلهم، فإن أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الجيش واضرب عنقه وأنفذ إليَّ برأسه. وكتب إلى عمر إنّي لم أبعثك إلى الحسين لتكفَّ عنه ولا لتطاوله ولا لتمنّيه السلامة ولا لتعذر له ولا لتكون له عندي شفيعاً، انظر فإن نزل الحسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم إليَّ سلماً وإن أبوا فازحف إليهم حتّى تقتلهم وتمثّل بهم فإنّهم مستحقّون فإذا قتلت حسيناً فأوطىء الخيل صدره وظهره فإنّه عات ظلوم[٢] وما كنت أرى أن هذا يضرُّ بعد الموت شيئاً ولكن على قول قد قلته لو قد قتلته لفعلت هذا به فإن مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع وإن أبيت فاعتزل جندنا وخلّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فإنّا قد أمرناه بأمرنا والسلام.

---

(١) أي رمى وهو كناية عن هلاكه.

(٢) الزحف المشي بالعدو والمناجزة والمبارزة والمقاتلة. والعتو: التكبر والتجبر وقد عتا يعتو عتواً فهو عات. (النهاية)

فأقبل شمر بكتاب عبيد الله إلى عمر بن سعد فلمّا قرأ قال له: ما لك؟ لا قرَّب الله دارك قبّح الله ما قدمت به عليَّ لا يستسلم والله الحسين، إنَّ نفس أبيه لبين جنبيه، قال شمر: ما أنت صانع أمض أمر أميرك وإلاّ فخلّ بيني وبين الجند، قال: لا.والله ولا كرامة لك ولكن أنا أتولّى ذلك وكن أنت على الرَّجّالة.

ونهض عمر بن سعد عشيّة الخميس لتسع مضين من المحرّم وجاء شمر فوقف على أصحاب الحسين فقال: أين بنو أُختنا؟ فخرج إليه العبّاس وجعفر وعثمان بنو عليّ عليه السلام فقالوا: ما تريد؟ قال: أنتم يا بني أُختي آمنون، فقالوا: لعنك الله ولعن أمانك أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟.

ثمَّ نادى عمر بن سعد: يا خيل الله اركبي، فركب النّاس ثمَّ زحف نحوهم بعد العصر والحسين عليه السلام جالس أمام بيته محتبي بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه وسمعت أخته الصيحة فدنت من أخيها فقالت: يا أخي أما تسمع الأصوات؟ فرفع رأسه فقال: إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي: إنّك تروح إلينا، فلطمت أُخته وجهها ونادت بالويل، فقال لها: ليس لك الويل يا أُخيّة اسكتي رحمك الله.

وقال له العبّاس بن عليّ: يا أخي قد جاءك القوم فنهض وقال: يا عبّاس اركب بنفسك أنت يا أخي حتّى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم؟ فأتاهم العبّاس في عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظهّر فقال: ما بدا لكم وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم فانصرف العبّاس راجعاً يركض إلى الحسين يخبر الخبر، ووقف أصحابه يعظون القوم ويكفّونهم عن القتال للحسين عليه السلام وجاء العبّاس وأخبره الخبر بما قال القوم، فقال: ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غد وتدفعهم عنّا العشيّة فافعل، لعلّنا نصلّي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، ومضى العبّاس، ورجع ومعه رسول من قبل عمر بن سعد يقول: إنّا قد أجّلناكم إلى غد وانصرف.

فجمع الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء، قال عليُّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: فدنوت لأسمع ما يقول لهم وأنا إذ مريض فسمعت أبي يقول لأصحابه:

أثنى على الله أحسن الثناء وأحمده على السرّاء والضرّاء. اللّهمَّ إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدّين، أمّا بعد فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خير الجزاء، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم منّي ذمام، هذا اللّيل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً.

فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: لمَ نفعل ذلك لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً، بدأهم بهذا القول العبّاس بن عليّ فاتبعه الجماعة عليه وتكلّموا بمثله، فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم فاذهبوا قد أذنت لكم، قالوا: سبحان الله فما يقول الناس؟ يقولون: إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وسيّد بني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن برمح ولم نضرب دونهم بسيف ولا ندري ما صنعوا به، لا والله ما نفعل لكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا ونقاتل معك حتّى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك.

وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: أنحن نخلّي عنك ولم نعذر إلى الله تعالى في أداء حقّك لا والله حتّى أطعن في صدورهم برمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، والله لو علمت أنّي أُقتل ثمَّ أُحرق ثمَّ أُحيا، يفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتّى ألقى حمامي(١) دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة، ثمَّ هي الكرامة الّتي لا انقضاء لها أبداً.

وقام زهير بن القين فقال: والله لوددت أنّي قتلت ثمَّ نشرت ثمّ قتلت ثمَّ [يفعل بي] هكذا ألف مرّة وأنَّ الله سبحانه يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الصبيان من أهل بيتك.

ثمَّ تكلّم جماعة من أصحابه بكلام يشبه ما ذكرنا فجزاهم الحسين خيراً وانصرف إلى مضربه(٢).

---

(١) الحمام ـ بكسر المهملة ـ: الموت.

(٢) المضرب ـ بكسر الميم ـ: الخيمة العظيمة، والجمع مضارب.

قال عليُّ بن الحسين عليه السلام: إنّي لجالس في تلك العشيّة وعندي عمّتي زينب تمرّضني إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جوين[١] مولى أبي ذرّ الغفاري يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دهر أُف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل والدَّهر لا يقنع بالبديل
وإنّما الأمر إلى الجليل وكلُّ حيّ سالك سبيل

وأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتّى فهمتها وعرفت ما أراد فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت أنَّ البلاء قد نزل وأمّا عمّتي فإنّها سمعت ما سمعت وهي امرأة ومن شأن النساء الرقّة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرُّ ثوبها وإنّها لحاسرة حتّى انتهت إليه فقالت: وا ثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أُمّي فاطمة الزَّهراء وأبي عليّ وأخي الحسن، يا خليفة الماضين وثمال الباقين[٢]، فنظر إليها وقال: يا أُختاه لا يذهبنَّ حلمك الشيطان وترقرقت عيناه بالدُّموع وقال: لو تُرِكَ القطا لنام[٣] فقالت: يا ويلتاه أتغتصب نفسك اغتصاباً فذاك أقرح لقلبي وأشدُّ على نفسي ثمّ لطمت على وجهها وأهوت إلى جيبها فشقّته وخرَّت مغشيّة عليها فقام إليها الحسين عليه السلام فصبَّ الماء على وجهها وقال لها: يا أُختاه اتّقي الله وتعزّي بعزاء الله واعلمي أنَّ أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وأنَّ كلَّ شيء هالك إلاّ وجهه الذي خلق الخلق بقدرته وإليه يعودون وهو فرد واحد وإنّ أبي خيرٌ منّي وأخي خيرٌ منّي ولكلّ مسلم برسول الله أُسوة، فعزّاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أختاه إنّي أقسمت عليك، فأبرّي قسمي لا تشقّي عليّ جيباً ولا تخمشي عليَّ وجهاً ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت، ثمَّ جاء بها وأجلسها عندي.

ثمَّ خرج إلى أصحابه فأمر أن يقرب بعضهم بيوتهم من بعض وأن يدخلوا

(١) كذا وفي أكثر المقاتل وكتب الرجال «جون مولى أبي ذر».
(٢) الثمال ـ بكسر المثلثة ـ: الغياث، يقال: فلان ثمال قومه أي غياث لهم، يقوم بأمرهم.
(٣) القطاة: طائر في حجم الحمام.

الأطناب بعضها في بعض وأن يكونوا بين البيوت فيقبلوا القوم من وجه واحد والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قد حفّت بهم إلاّ الوجه الّذي يأتيهم منه عدوُّهم.

ورجع إلى مكانه فقام اللّيل كلّه يصلّي ويستغفر الله ويدعو وقام أصحابه كذلك يدعون ويصلّون ويستغفرون وأصبح عليه السلام وعبّأ أصحابه[1] بعد صلاة الغداة وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه وحبيب بن مظهّر في ميسرة أصحابه وأعطى الراية العبّاس أخاه وجعل البيوت في ظهورهم وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت أن يترك في خندق كان هناك قد حفروه أن يحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم.

وأصبح عمر بن سعد في ذلك اليوم وهو يوم الجمعة وقيل: يوم السبت فعبّأ أصحابه فجعل على ميمنته عمرو بن الحجّاج وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن وعلى الخيل عروة بن قيس وعلى الرجّال شبث بن ربعي ونادى شمر ـ لعنه الله ـ بأعلى صوته: يا حسين تعجّلت بالنار قبل يوم القيامة فقال: يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صليّاً، ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين عليه السلام من ذلك، فقال له: دعني حتّى أرميه فإنَّ الفاسق من عظماء الجبّارين وقد أمكن الله منه فقال: أكره أن أبدأهم.

ثمَّ دعا الحسين عليه السلام براحلته فركبها ونادى بأعلى صوته كلّهم يسمعونه فقال: أيّها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما يحقُّ عليَّ لكم وحتّى أعذر إليكم فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد وإن لم تعطوني النصَف من أنفسكم ﴿**فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثمَّ لا يكن أمركم عليكم غمّة ثمّ اقضوا إليَّ ولا تنظرون**﴾ ﴿**إنَّ وليّي الله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين**﴾.

ثمَّ حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ فلم يسمع متكلّم قطُّ بعده ولا قبله أبلغ في منطق منه، ثمَّ قال: أمّا بعد فانسبوني وانظروا من أنا ثمَّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيّكم وابن

(١) عبأت الجيش: رتبتهم في مواضعهم وهيأتهم للحرب.

وصيّه وابن عمّه وأوّل المؤمنين بالله المصدّقين لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟ أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمَّ أبي؟ أو ليس جعفر الطيّار بجناحين عمّي؟ أو لم يبلغكم ما قال رسول الله ﷺ لي ولأخي: «هذان سيّدا شباب أهل الجنّة» فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ فوالله ما تعمّدت كذباً منذ علمت أنّ الله تعالى يمقت عليه وإن كذّبتموني فإنَّ فيكم من إذا سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاريّ، وأبا سعيد الخدريّ، وسهل بن سعد الساعديّ، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟.

فقال له شمر: هو يعبد الله على حرف[1] إن كان يدري ما يقول، فقال له حبيب بن مظهّر: والله إنّي لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك، فقال لهم الحسين: فإن كنتم في شكّ من هذا أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري فيكم ولا في غيركم ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استملكته أو بقصاص جراحة؟ فأخذوا لا يكلّمونه.

فنادى يا شبث بن ربعي، يا حجّار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار واخضرَّ الجناب وإنّما تقدم على جند لك مجنّد؟ فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول ولكن انزل على حكم ابن عمّك فإنّهم لم يريدوا بك إلاّ ما تحبُّ، فقال الحسين عليه السلام: لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذّليل ولا أفرُّ فرار العبيد، ثمَّ نادى يا عباد الله «إنّي عذت بربّي وربّكم أن ترجمون وأعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب».

ثمَّ إنّه نزل عن راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها وأقبلوا يزحفون نحوه.

فلما رأى الحرُّ بن يزيد أنَّ القوم قد صمّموا على قتال الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد: أتقاتل الحسين؟ قال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس

---

(١) الحرف والطرف والجانب نظائر والمعنى أنه على جانب من عبادة الله والحرف أيضاً بمعنى الاضطراب والشك والمعنى واضح.

وتطيح فيه الأيدي[١] قال: أفما لكم فيما عرضه عليكم رضى؟ قال: لو كان الأمر إليّ لفعلت ولكن أميرك قد أبى، فأقبل الحرُّ ومعه رجل من قومه يقال له: قرّة بن قيس فقال له: يا قرّة هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا. قال قرّة: فظننت أنّه يريد أن يتنحّى فلا يشهد القتال ولو أنّه أطلعني على الّذي يريد لخرجت معه إلى الحسين، فأخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً فقال له رجلٌ: ما هذا الذي أرى منك؟ فقال: والله إنّي أُخيّر نفسي بين الجنّة والنّار، فوالله ما أختار على الجنّة شيئاً ولو قطعت وحرقت، ثمَّ ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام فقال له: جعلت فداك يا ابن رسول الله أنا صاحبك الذي جعجعت بك في هذا المكان وما ظننت أنَّ القوم يردُّون عليك ما عرضته عليهم ولا يبلغون منك هذه المنزلة والله لو علمت أنَّ القوم ينهضون بك إلى ما أرى ما ركبت منك ما ركبت وإنّي تائب إلى الله سبحانه وتعالى ممّا صنعت، فترى لي من ذلك توبة؟ فقال الحسين عليه السلام: نعم يتوب الله عليك فانزل، قال: فأنا لك فارساً خيرٌ منّي راجلاً، أُقاتلهم لك على فرسي ساعة وإلى النزول آخر أمري، فقال له الحسين عليه السلام: فاصنع ما بدا لك يرحمك الله.

فاستقدم أمام الحسين عليه السلام فقال: يا أهل الكوفة لأُمّكم الهبل[٢] والعبر، دعوتم هذا العبد الصالح حتّى إذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنّكم قاتلو أنفسكم دونه، ثمَّ عدوتم عليه لتقتلوه، أخذتم بكظمه[٣] وأحطتم به من كلّ جانب لتمنعوه التوجّه إلى بلاد الله العريضة فصار كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدرأ عنها ضرّاً وحلأتموه[٤] ونساءه وصبيته وأهله عن ماء الفرات الجاري تشربه اليهود والنصارى والمجوس وتمرّغ فيه خنازير السواد وكلابه؟ وها هم قد صرعهم العطش، بئسما خلّفتم محمّداً في ذرّيّته لا سقاكم الله يوم الظماء. فحمل عليه رجال يرمونه بالنبل فأقبل حتّى وقف أمام الحسين عليه السلام.

ورمى عمر بن سعد بسهم وقال: اشهدوا أنّي أوّل من رمى ثمَّ ارتمى النّاس

---

(١) طاح يطيح ويطوح: هلك وسقط.
(٢) الهبل ـ بالتحريك ـ مصدر قولك: هبلته أمه أي ثكلته.
(٣) الكظم ـ محركة ـ: مخرج النفس.
(٤) يقال حلأت الإبل عن الماء تحلئة وتحليئاً إذا طردتها عنه ومنعتها أن ترده.

وتبارزوا فبرز يسار مولى زياد بن أبيه فبرز إليه عبد الله بن عمير فضربه بسيفه فقتله فشدَّ عليه سالم مولى عبيد الله بن زياد فصاحوا به قد رهقك العبد فلم يشعر حتّى غاله فبدره بضربة اتّقاها ابن عمير بيده اليسرى فأطارت أصابع كفّه، ثمَّ شدَّ عليه فضربه حتّى قتله وأقبل وهو يرتجز:

إن تنكروني فأنا ابن كلبِ إنّي امرؤ ذو مرَّة وعصب
ولست بالخوّار عند النكب[١]

وحمل عمرو بن الحجّاج على ميمنة أصحاب الحسين عليه السلام بمن كان معه من أهل الكوفة فلمّا دنى من الحسين جثوا له على الرّكب وأشرعوا بالرماح نحوهم فلم تقدم خيلهم على الرماح فذهب الخيل لترجع فرشقهم[٢] أصحاب الحسين عليه السلام بالنبل فصرعوا منهم رجالاً وجرحوا آخرين.

وجاء رجل من بني تميم يقال له: عبد الله بن حوزة إلى عسكر الحسين فناداه القوم إلى أين ثكلتك أُمّك؟ فقال: إنّي أقدم على ربّ كريم وشفيع مطاع فقال الحسين عليه السلام لأصحابه: من هذا؟ فقيل ابن حوزة فقال: اللّهم حزه إلى النّار فاضطربت به فرسه في جدول[٣] فوقعت فيه، وتعلّقت رجله اليسرى بالرّكاب وارتفعت اليمنى وشدّ عليه مسلم بن عوسجة فضرب رجله اليمنى فطارت وعدا به فرسه وضرب رأسه كلَّ حجر وكلَّ شجر حتّى مات وعجّل الله بروحه إلى النّار.

ونشب القتال[٤] فقتل من الجمع جماعة وحمل الحرّ بن يزيد على أصحاب عمر بن سعد وهو يتمثّل بقول عنترة:

ما زلت أرميهم بغرَّة وجهه ولبانه حتّى تسربل بالدَّم

فبرز إليه رجلٌ من بني الحارث فقتله الحرُّ وبرز نافع بن هلال وهو يقول:

---

(١) المرة: القوة. والعضب: السيف القاطع، والخوار: ـ بالتشديد ـ الضعيف.
(٢) الرشق: الرمي وقد رشقته بالنبل، أرشقه رشقاً.
(٣) حزه أي سقه. والجدول: النهر الصغير.
(٤) نشب الحرب بينهم أي نابذ واشتعل.

أنـــــا ابـــــن هـــــلال البجلـــــيّ أنـــــا علـــــى ديـــــن علـــــيّ

فبرز مزاحم بن حريث وهو يقول: أنا على دين عثمان.

فقال له نافع: أنت على دين شيطان وحمل عليه فقتله.

فصاح عمرو بن الحجّاج بالنّاس يا حمقى أتدرون من تبارزون ومن تقاتلون؟ تقاتلون فرسان أهل المصر، تقاتلون قوماً مستميتين[1] لا يبرز إليهم منكم أحدٌ فإنّهم قليلٌ وقلَّ ما يبقون، والله لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم، فقال عمر بن سعد: الرّأي ما رأيت، فأرسل في النّاس واعرض عليهم أن لا يبارز رجل منكم رجلاً منهم.

ثم حمل عمرو بن الحجّاج بأصحابه على أصحاب الحسين من نحو الفرات واضطربوا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي ـ رحمه الله ـ وانصرف عمرو بن الحجّاج وأصحابه وانقطعت الغبرة فوجدوا مسلماً صريعاً فسعى إليه الحسين عليه السلام فإذا به رمق فقال له: رحمك الله يا مسلم ﴿**منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً**﴾.

وحمل شمر بن ذي الجوشن في الميسرة على أهل الميسرة وحمل على الحسين عليه السلام وأصحابه من كلّ جانب وقاتلهم أصحاب الحسين قتالاً شديداً وأخذت خيلهم تحمل وإنّما هي اثنان وثلاثون فارساً، فلا تحمل على جانب من خيل الكوفة إلاّ كشفته.

فلما رأى ذلك عروة بن قيس وهو على خيل الكوفة بعث إلى عمر بن سعد أما ترى ما تلقى خيلي منذ اليوم من هذه العدّة اليسيرة فابعث عليهم الرّجّال من الرُّماة، فبعث عليهم بالرُّماة، فعقر بالحر بن يزيد فرسه فنزل عنه وهو يقول:

إن تعقـــرونـــي فـــأنـــا ابـــن الحـــرّ أشجـــع مـــن ذي لبـــد هـــزبـــر

فجعل يضربهم بسيفه وتكاثروا عليه حتّى قتلوه.

---

(١) أي الشجعان الذين يطلبون الموت ويشرفون عليه.

وقاتل الأصحاب القوم أشدَّ قتال حتّى انتصف النّهار فلمّا رأى الحصين بن نمير وكان على الرُّماة صبر أصحاب الحسين عليه السلام تقدّم إلى أصحابه وكانوا خمسمائة فأمر أن يرشقوا أصحاب الحسين بالنبل فرشقوهم فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وجرحوا الرّجال حتّى أرحلوهم واشتدَّ القتال بينهم ساعة وجاءهم شمر بن ذي الجوشن في أصحابه، فحمل عليهم زهير بن القين في عشرة رجال وكشفوهم عن البيوت وعطف عليه شمر فقتل من القوم وردَّ الباقين إلى مواضعهم وكان القتل يبين في أصحاب الحسين عليه السلام لقلّة عددهم ولا يبين في أصحاب عمر بن سعد لكثرتهم.

واشتدَّ القتال وكثر القتل في أصحاب أبي عبد الله عليه السلام إلى أن زالت الشمس فصلّى الحسين بأصحابه صلاة الخوف.

وتقدم حنظلة بن سعد الشبامي بين يدي الحسين فنادى أهل الكوفة: يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، يا قوم إنّي أخاف عليكم يوم التناد، يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى. ثمّ تقدّم فقاتل حتّى قتل ـ رحمه الله ـ.

وتقدم بعده شوذب مولى شاكر فقال: السلام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته أستودعك الله ثمَّ قاتل حتّى قتل، ولم يزل يتقدَّم رجلٌ بعد رجل من أصحابه فيقتل حتّى لم يبق مع الحسين عليه السلام إلاّ أهل بيته خاصّة.

فتقدم ابنه عليُّ بن الحسين عليه السلام وكان من أجمل الناس وله يومئذ تسع عشرة سنة فشدَّ على الناس وهو يقول:

أنا عليّ بن الحسين بن عليّ نحن وبيت الله أولى بالنبيّ
تالله لا يحكم فينا ابن الدّعي

ففعل ذلك مراراً وأهل الكوفة يتّقون قتله، فضربه مرَّة بن منقذ العبدي فطعنه وصرعه واحتوشه القوم[1] فقطّعوه بأسيافهم فجاء الحسين عليه السلام حتّى وقف عليه

(١) أي أحاطوا به، واحتوش القوم على فلان أي جعلوه وسطهم.

فقال: قتل الله قوماً قتلوك، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول، وانهملت عيناه بالدُّموع[١] ثم قال: على الدُّنيا بعدك العفاء[٢]، فخرجت زينب أُخت الحسين مسرعة تنادي يا أُخيّاه وابن أُخيّاه وجاءت حتّى أكبّت عليه وأخذ الحسين عليه السلام برأسها فردها إلى الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه ثمَّ رمى رجلٌ من أصحاب عمر بن سعد يقال له: عمرو بن صبيح إلى عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع عبد الله يده على جبهته يتّقيه فأصاب السهم كفّه ونفذ إلى جبهته فسمّرها به فلم يستطع تحريكاً ثمَّ أنحى إليه آخر برمحه فطعنه في قلبه فقتله.

وحمل عبد الله بن قطبة الطّائي على عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام فقتله.

وحمل عامر بن نهشل التميمي على محمّد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام فقتله.

قال حميد بن مسلم: فأنا كذلك إذ خرج علينا غلام كأن وجهه فلقة[٣] قمر في يده سيف وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع إحديهما، فقال لي عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي: والله لأشدنّ عليه فقلت: يا سبحان الله وماذا تريد منه دعه يكفيكه هؤلاء القوم فشدَّ عليه فقتله، ووقع الغلام لوجهه فقال: يا عمّاه فجلى الحسين عليه السلام كما يجلي الصقر ثمّ شدّ شدَّة ليث أغضب، فضرب عمرو بن سعد بالسيف فاتّقاها بالساعد فأطنّها[٤] من لدن المرفق فصاح صيحة سمعها أهل العسكر ثمَّ تنحّى عنه الحسين وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوه فتوطّأته بأرجلها حتّى مات وانجلت الغبرة فرأيت الحسين عليه السلام قائماً على رأس الغلام وهو يفحص برجله والحسين عليه السلام يقول: بعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدّك، ثمَّ قال: عزَّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا ينفعك. صوت والله كثر واتره وقلَّ ناصره، ثمَّ حمله على صدره فكأنّي أنظر إلى رجلي الغلام تخطّان الأرض

---

(١) أي فاضت عيناه بالدموع.

(٢) العفاء ـ بالفتح والمد ـ: التراب.

(٣) الفلقة ـ بالكسر ـ: القطعة.

(٤) أي قطعها.

فجاء به حتى ألقاه مع ابنه عليّ بن الحسين والقتلى من أهل بيته فسألت عنه فقيل: هو القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ثمّ جلس الحسين أمام الفسطاط فأُتي بابنه عبد الله بن الحسين وهو طفلٌ فأجلسه في حجره فرماه رجل من بني أسد بسهم فذبحه فتلقّى الحسين من دمه ملء كفّه وصبّه على الأرض[1] ثمّ قال: ربِّ إن تكن حبست عنّا النصر من السماء عندك فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين، ثمَّ حوَّله حتّى وضعه مع قتلى أهله.

ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقتله.

فلما رأى العبّاس بن عليّ كثرة القتلى في أهله قال لإخوته من أُمّه ـ وهم عبد الله وجعفر وعثمان ـ: يا بني أُمّي تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتم لله ورسوله وإنّه لا ولد لكم، فتقدّم عبد الله فقاتل قتالاً شديداً فاختلف هو وهاني بن ثبيت الحضرمي ضربتين فقتله هاني وتقدَّم بعده جعفر بن عليّ عليه السلام فقتله أيضاً هاني وتعمّد خولي بن يزيد الأصبحي عثمان بن عليّ وقد قام مقام إخوته فرماه فصرعه وشدَّ عليه رجل من بني دارم فاحتزَّ رأسه.

وحملت الجماعة على الحسين عليه السلام فغلبوه على عسكره واشتدّ به العطش فركب المسنّاة يريد الفرات وبين يديه أخوه العبّاس فاعترضه خيل ابن سعد وفيهم رجلٌ من بني دارم، فقال لهم: ويلكم حولوا بينه وبين الماء الفرات ولا تمكّنوه من الماء، فقال الحسين عليه السلام: اللّهمَّ أظمئه، فغضب الدّارمي فرماه بسهم فأثبته في حنكه فانتزع الحسين عليه السلام السهم وبسط يده تحت حنكه فامتلأت راحتاه بالدَّم فرماه ثمَّ قال: اللّهمَّ إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيّك.

ثمّ رجع إلى مكانه واشتدَّ به العطش وأحاط القوم بالعبّاس فاقتطعوه عنه فجعل يقاتلهم وحده حتّى قتل، ولمّا رجع الحسين من المسنّاة تقدّم إليه شمر بن ذي

---

(١) كذا وهكذا في إرشاد المفيد وهذا خلاف المشهور وفي مقتل ابن نما ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج «فيرمي به إلى السماء».

الجوشن في جماعة من أصحابه وضربه رجل يقال له: مالك بن يسر الكنديّ على رأسه بالسيف وكان عليه قلنسوة فقطعها حتّى وصل إلى رأسه فأدماه وامتلأت القلنسوة دماً فقال له الحسين عليه السلام: لا أكلت بيمينك ولا شربت بها وحشرك الله مع الظالمين، ثمَّ ألقى القلنسوة ودعا بخرقة فشدَّ بها رأسه واستدعى قلنسوة أُخرى فلبسها واعتمَّ عليها ورجع عنه شمر ومن كان معه إلى مواضعهم فمكث هنيئة، ثمَّ عادوا إليه وأحاطوا به فخرج إليهم عبد الله بن الحسن وهو غلامٌ لم يراهق من عند النساء فشدَّ حتّى وقف إلى جنب الحسين عليه السلام فلحقته زينب بنت عليّ لتحبسه فقال لها الحسين: احبسيه يا أُختي فأبى وامتنع عليها امتناعاً شديداً وقال: والله لا أُفارق عمّي فأهوى بحر بن كعب[1] إلى الحسين بالسيف فقال له الغلام: ويلك يا ابن الخبيثة أتقتل عمّي فضربه بحر بالسّيف فاتّقاه الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد فإذا يده معلّقة فنادى الغلام يا أُمّاه فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إلى صدره وقال: يا بنيّ اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير، فإنَّ الله يلحقك بآبائك الصالحين.

ثم رفع الحسين عليه السلام يده وقال: اللّهمَّ إن متّعتهم إلى حين ففرّقهم فرقاً واجعلهم طرائق قدداً[2] ولا ترض الولاة عنهم أبداً فإنّهم دعونا لينصرونا ثمَّ عدوا علينا فقتلونا.

وحملت الرجّالة يميناً وشمالاً على من كان بقي معه فقتلوهم حتّى لم يبق معه إلاّ ثلاثة نفر أو أربعة، فلمّا رأى الحسين ذلك دعا بسراويل ففزره[3] ثمّ لبسه وإنّما فزره لكيلا يطمع أحدٌ بلبسه بعد قتله، فلمّا قتل عمد بحر بن كعب ـ لعنه الله ـ إليه فسلبه السراويل وتركه مجرَّداً فكانت يدا بحر بن كعب بعد ذلك تتيبّسان في الصيف كأنّهما عودان وتترطّبان في الشتاء فتنضحان دماً وقيحاً إلى أن أهلكه الله.

ولما لم يبق معه إلاّ ثلاثة نفر من أهل بيته أقبل على القوم يدفعهم عن نفسه

---

(١) في الإرشاد «أبجر بن كعب» لكن في مثير الأحزان لابن نما مثل ما في المتن.

(٢) أي فرقاً مختلفة أهواؤها. والقدة: الطريقة والفرقة من الناس إذا كان هوى كل واحد غير صاحبه، يقال: كنا طرائق قدداً.

(٣) أي قطعها وفزر الثوب: شقه.

والثلاثة يحمونه حتّى قتل الثلاثة وأُثخن بالجراح في رأسه وبدنه وجعل يضاربهم بسيفه وهم يتفرّقون عنه يميناً وشمالاً.

قال حميد بن مسلم: فوالله ما رأيت مكثوراً قطُّ قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً[١] ولا أمضى جناناً منه إذ كانت الرَّجّالة لتشدُّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فيكشفهم عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا اشتدَّ عليها الذئب. فلمّا رأى ذلك شمر بن ذي الجوشن أمر الرُّماة أن يرموه فرشقوه بالسّهام حتّى صار كالقنفذ، فأحجم عنهم فوقفوا بإزائه ونادى شمر: ويحكم ما تنتظرون بالرَّجل ثكلتكم أمّهاتكم فحمل عليه من كلّ جانب فضربه زرعة بن شريك على كتفه اليسرى وطعنه سنان بن أنس بالرُّمح فصرعه ونزل إليه خولي بن يزيد الأصبحي ليحتزَّ رأسه فأُرعد فقال له شمر: فتّ الله[٢] في عضدك ما لك ترعد؟ ونزل إليه شمر فذبحه ثمَّ دفع رأسه إلى خولي بن يزيد الأصبحي فقال له: احمله إلى الأمير عمر بن سعد ـ لعنهم الله ـ.

ثم أقبلوا على سلب الحسين عليه السلام فأخذ قميصه إسحاق بن حوية الحضرمي[٣]، وأخذ سراويله بحر بن كعب، وأخذ عمامته أخنس بن يزيد، وأخذ سيفه رجلٌ من بني دارم، وانتهبوا رحله وإبله وأثقاله وسلبوا نساءه.

قال حميد بن مسلم: والله لقد كنت أرى المرأة من نسائه وبناته وأهله تنازع ثوبها عن ظهرها حتّى تغلب عليه فيذهب به منها ثمَّ انتهينا إلى عليّ بن الحسين وهو منبسط على فراشه مريضٌ ومع شمر جماعة من الرجّالة فقالوا: نقتل هذا العليل، فقلت: سبحان الله أتقتل الصبيان؟ وهذا صبيّ وإنّه لما به، فلم أزل بهم حتّى دفعتهم عنه.

وجاء عمر بن سعد فصاحت النساء في وجهه وبكين فقال لأصحابه: لا يدخل منكم أحدٌ بيوت هؤلاء النّساء ولا تتعرَّضوا لهذا الغلام المريض، فسألته النسوة أن يسترجع ما أُخذ منهنَّ ليستترن به، فقال: من أخذ من متاعهنَّ شيئاً فليردَّه، فوالله ما

---

(١) الجأش: رواغ القلب إذا اضطرب عند الفزع. ونفس الإنسان.

(٢) الفت ـ بالتاء ـ: الكسر. والانفتات: الانكسار. وكذا بالثاء المثلثة.

(٣) سيأتي فيه كلام.

ردَّ أحدٌ منهم شيئاً، فوكّل بالفسطاط وبيوت النساء وعليّ بن الحسين عليه السلام جماعة ممّن كانوا معه فقال: احفظوهم.

ثم عاد إلى مضربه ونادى في عسكره من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه، فانتدب عشرة منهم إسحاق بن حوية[1] وأخنس بن مرثد فداسوا الحسين بخيولهم حتّى رضّوا ظهره.

وسرح عمر بن سعد برأس الحسين من يومه وهو يوم عاشوراء مع خولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد وأمر برؤوس الباقين فقطعت وكانت اثنين وسبعين رأساً، فسرَّح بها مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجّاج فأقبلوا حتّى قدموا بها على ابن زياد وأقام هو بقيّة يومه واليوم الثّاني إلى الزَّوال ثمَّ نادى في الناس بالرَّحيل وتوجّه نحو الكوفة ومعه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من النساء والصبيان وعليُّ بن الحسين فيهم وهو مريض بالذَّرب وقد أشفى.

فلما رحل ابن سعد خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغاضريّة إلى الحسين وأصحابه فصلّوا عليهم ودفنوا الحسين حيث قبره الآن ودفنوا ابنه عليَّ بن الحسين الأصغر عند رجليه وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا حوله حفيرة ممّا يلي رجله فجمعوهم ودفنوهم جميعاً معاً ودفنوا العبّاس بن عليّ في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضريّة حيث قبره الآن.

ولما وصل رأس الحسين عليه السلام ووصل ابن سعد من غد يوم وصوله جلس ابن زياد في قصر الإمارة وأذن للنّاس إذناً عامّاً وأمر بإحضار الرأس فوضع بين يديه فجعل ينظر إليه ويتبسّم وبيده قضيب يضرب به ثناياه وكان إلى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله وهو شيخ كبيرٌ فقال: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لا أحصيه يترشّفهما[2] ثمَّ انتحب باكياً فقال له ابن زياد: أبكى الله عينك أتبكي لقدرة الله ولولا أنّك شيخ كبير وقد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فنهض زيد بن أرقم وصار إلى منزله.

---

(١) كذا وفي إرشاد المفيد ومروج الذهب «إسحاق بن حيوة الحضرمي».

(٢) أي يمصهما.

وأُدخل عيال الحسين عليه السلام على ابن زياد فدخلت زينب أخت الحسين في جملتهم متنكّرة وعليها أرذل ثيابها فمضت حتّى جلست ناحية من القصر وحفّت بها إماؤها فقال ابن زياد: من هذه التي انحازت[١] ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب فأعادها ثانية وثالثة فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله فأقبل عليها ابن زياد وقال: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم، فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وطهّرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا.

فقال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟ قالت: كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم يوم القيامة فتحاجّون إليه وتختصمون عنده. فغضب ابن زياد واستشاط[٢] فقال عمرو بن حريث: إنّها امرأة والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها، فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك، فرقّت زينب وبكت وقالت: لعمري لقد قتلت كهلي وأبرت[٣] أهلي وقطعت فرعي فإن يشفك هذا فقد اشتفيت، فقال ابن زياد: هذه سجّاعة ولعمري لقد كان أبوها سجّاعاً، فقالت: ما للمرأة والسجاعة إنَّ لي عن السجاعة لشغلاً ولكن صدري نفث بما قلت.

وعرض عليه عليُّ بن الحسين عليه السلام فقال له: من أنت؟ قال: أنا عليُّ بن الحسين قال: أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟ فقال: كان لي أخٌ يسمّى عليّاً فقتله النّاس قال ابن زياد: بل قتله الله، فقال عليُّ بن الحسين عليه السلام: ﴿**الله يتوفّى الأنفس حين موتها**﴾ فغضب ابن زياد وقال: لك جرأة على جوابي وفيك بقيّة للرّدّ عليَّ اذهبوا به واضربوا عنقه فتعلّقت به زينب عمّته فقالت: يا ابن زياد حسبك من دمائنا واعتنقته وقالت: والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه، فنظر ابن زياد إليها ساعة وقال: عجباً للرَّحم والله لأظنّها ودَّت أنّي قتلتها معه، دعوه فإنّي أراه لما به مشغول، ثمَّ قام من مجلسه.

---

(١) أي عدلت.

(٢) أي التهب غضباً.

(٣) أي أهلكت.

ولما أصبح ابن زياد بعث برأس الحسين عليه السلام فدير به في سكك الكوفة وقبائلها.

فروي عن زيد بن أرقم أنّه قال: مرَّ به عليّ وهو على رمح وأنا في غرفة فلمّا حاذاني سمعته يقرأ: **﴿أم حسبت أنَّ أصحاب الكهف والرَّقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾** فقفّ[١] والله شعري وناديت: رأسك يا ابن رسول الله أعجب وأعجب.

فلما فرغ القوم من الطواف به ردُّوه إلى باب القصر فدفعه ابن زياد إلى زحر بن قيس ودفع إليه رؤوس أصحابه وسرَّحه إلى يزيد بن معاوية وأنفذ معه جماعة من أهل الكوفة حتى وردوا بها إلى يزيد بن معاوية بدمشق، فقال يزيد: قد كنت أقنع وأرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين أما لو أنّي كنت صاحبه لعفوت عنه.

ثم إنَّ عبيد الله بن زياد بعد إنفاذه برأس الحسين أمر بنسائه وصبيانه فجهّزوا وأمر بعليّ بن الحسين أن يغلَّ بغلّ في عنقه ثمَّ سرَّح به في أثر الرأس مع محفر بن ثعلبة العائذيّ وشمر بن ذي الجوشن فانطلقا بهم حتّى لحقوا بالقوم الذين معهم الرأس ولم يكن عليّ بن الحسين عليه السلام يكلّم أحداً من القوم في الطريق كلمة حتّى بلغوا باب يزيد بن معاوية فرفع محفر بن ثعلبة صوته فقال: أتى محفر بن ثعلبة أمير المؤمنين باللّئام الفجرة، فأجابه عليُّ بن الحسين عليه السلام: ما ولدت أُمُّ محفر أشرُّ وألأم، ولمّا وضعت الرؤوس بين يدي يزيد وفيها رأس الحسين عليه السلام قال يزيد:

نفلّق هاماً من رجال أعزَّة … علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم وكان جالساً مع يزيد:

لهامٌ بأدنى الطفّ أدنى قرابة … من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل[٢]
أُميّة أمسى نسلها عدد الحصى … وبنت رسول الله ليس لها نسل[٣]

---

(١) أي قام من الفزع.

(٢) الوغل: المدعي نسباً كاذباً والنذل من الرجال، والنذالة: السفاهة. وقد نذل ـ بالضم ـ هو نذل ونذيل أي خسيس.

(٣) في بعض نسخ المقاتل «سمية أمسى» وهو أنسب وهي اسم أم زياد بن أبيه.

فضرب يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال: أُسكت.

ثم قال لعليّ بن الحسين عليه السلام: أبوك قطع رحمي وجهل حقّي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت، فقال عليُّ بن الحسين: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها إنَّ ذلك على الله يسير**﴾ فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه، فلم يدر خالد ما يردُّ عليه فقال له يزيد: قل ﴿**ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**﴾ ثمَّ دعا بالنساء والصبيان فأُجلسوا بين يديه فرأى هيئة قبيحة فقال: قبّح الله ابن مرجانة لو كانت بينكم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بكم ولا بعث بكم على هذا.

قالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: فلمّا جلسنا بين يديه رقَّ لنا فقام رجلٌ من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية يعنيني وكنت جارية وضيئة فأُرعدت وظننت أنَّ ذلك جائز لهم فأخذت بثياب عمّتي زينب وكانت تعلم أنَّ ذلك لا يكون فقالت عمّتي للشامي: كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك ولا له فغضب يزيد وقال: كذبت إنَّ ذلك لي ولو شئت لفعلت، قالت: كلاّ والله ما جعل الله ذلك لك إلاّ أن تخرج من ملّتنا وتدين بغيرها فاستطار يزيد غضباً وقال: إيّاي تستقبلين بهذا إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك، قالت زينب: بدين الله وبدين أبي وأخي اهتديت أنت وجدُّك وأبوك إن كنت مسلماً، قال: كذبت يا عدوَّة الله، قالت: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك، فكأنّه استحيى وسكت، فعاد الشامي فقال: هب لي هذه الجارية فقال له يزيد: أُعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً.

ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة، معهنَّ عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام فأنزلوهم داراً تتّصل بدار يزيد فأقاموا أيّاماً ثمَّ ندب يزيد النعمان بن بشير وقال له: تجهّز لتخرج هؤلاء النساء إلى المدينة ولمّا أراد أن يجهّزهم دعا عليّ بن الحسين فاستخلاه وقال له: لعن الله ابن مرجانة أما والله لو أنّي صاحب أبيك ما سألني خصلة إلاّ أعطيته إيّاها ولدفعت الحتف عنه بكلّ ما استطعت ولكن الله قضى بما رأيت كاتبني من المدينة وأنهِ إليّ كلَّ حاجة تكون لك[١] وتقدّم بكسوته وكسوة

---

(١) «أنه» أي أبلغ وهو أمر من الإنهاء.

أهله وأنفذ معهم جماعة عليهم النعمان بن بشير وتقدَّم إليه أن يسير بهم في اللّيل ويكونوا أمامه حيث لا يفوتونه طرفة عين فإذا نزلوا تنحّى عنهم بالظرف، هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم وينزل منهم حيث لو أراد إنسان من جماعتهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم، فسار معهم فلم يزل يرفق بهم في الطريق حتّى وصلوا إلى المدينة.

فجميع من قتل مع الحسين من أهل بيته بطفّ كربلاء ثمانية عشر نفساً هو صلوات الله عليه تاسع عشرهم منهم العبّاس، وعبد الله، وجعفر، وعثمان بنو أمير المؤمنين عليه السلام أمّهم أمُّ البنين، وعبيد الله، وأبو بكر ابنا أمير المؤمنين عليه السلام أُمّهما ليلى بنت مسعود الثقفيّة، وعليّ، وعبد الله ابنا الحسين عليه السلام، والقاسم، وعبد الله، وأبو بكر بنو الحسن بن عليّ عليهما السلام، ومحمّد، وعون ابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله، وجعفر، وعقيل، وعبد الرحمن بنو عقيل بن أبي طالب، ومحمّد بن أبي سعيد بن عقيل ابن أبي طالب، وهم كلّهم قد دفنوا ممّا يلي رجلي الحسين عليه السلام حفر لهم حفيرة وأُلقوا جميعاً فيها وسوّي عليهم التراب إلاّ العبّاس بن عليّ فإنَّ قبره ظاهر.

قال الشيخ المفيد أبو عبد الله ـ قدّس الله روحه ـ: فأمّا أصحاب الحسين عليه السلام فإنّهم مدفونون حوله ولسنا نحصل لهم أجداثاً على التحقيق إلاّ أننا لا نشكُّ أنّ الحائر محيط بهم.

وذكر الأجلُّ المرتضى ـ رضي الله عنه ـ في بعض مسائله أنَّ رأس الحسين بن عليّ ردّ إلى بدنه بكربلاء من الشام وضمّ إليه والله أعلم.

الفصل الخامس

في ذكر عدد أولاد الحسين عليه السلام

كان له ستّة أولاد: عليُّ بن الحسين الأكبر زين العابدين عليهما السلام أُمُّه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد بن شهريار.

وعلي الأصغر قتل مع أبيه، أُمُّه ليلى بنت أبي مرَّة بن عروة بن مسعود الثقفيّة

والناس يغلطون ويقولون: إنّه عليٌّ الأكبر.

وجعفر بن الحسين وأُمّه قضاعية ومات في حياة أبيه ولا بقيّة له.

وعبد الله قتل مع أبيه صغيراً وهو في حجر أبيه وقد مرَّ ذكره فيما تقدّم.

وسكينة وأُمّها الرّباب بنت امرىء القيس بن عديّ بن أوس وهي أُمّ عبد الله بن الحسين عليه السلام أيضاً.

وفاطمة بنت الحسين وأُمّها أمُّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التميمية.

الباب الثالث

في ذكر الإمام الرابع سيد العابدين علي بن الحسين وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول

في ذكر ألقابه وكنيته وتاريخ مولده ومبلغ عمره ووقت وفاته وموضع قبره

كنيته أبو محمّد ويكنّى بأبي الحسن أيضاً وهو القاسم ولقبه سيّد العابدين، وزين العابدين، والسجّاد، وذو الثفنات وإنما لقّب بذلك لأنَّ مواضع السجود منه كانت كثفنة البعير من كثرة السجود عليه، ولد بالمدينة يوم الجمعة ويقال: يوم الخميس في النصف من جمادى الآخرة وقيل: لتسع خلون من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة وقيل: سنة ستّ وثلاثين. وقيل: سنة سبع وثلاثين واسم أُمّه شاه زنان. وقيل: شهربانويه وكان أمير المؤمنين عليه السلام ولّى حريث بن جابر الحنفي جانباً من المشرق فبعث إليه ببنتي يزدجرد بن شهريار فنحل ابنه الحسين عليه السلام إحداهما فأولدها زين العابدين ونحل الأُخرى محمّد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمّد بن أبي بكر فهما ابنا خالة.

وتوفّي يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة خمس وتسعين من الهجرة ودفن بالبقيع مع عمّه الحسن عليه السلام.

وكانت مدّة إمامته بعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة وكان في أيّام إمامته بقيّة ملك يزيد بن معاوية وملك معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان وتوفّي عليه السلام في ملك الوليد بن عبد الملك.

الفصل الثاني

في ذكر النصوص الدالة على إمامته

القول في تصحيح إمامته وإمامة أكثر أئمّتنا بالنظر والاعتبار دون تواتر الأخبار لأنّهم عليهم السلام كانوا في زمان الخوف والشدَّة والتضييق والاضطرار ولم يتمكّن شيعتهم من ذكر فضائلهم الّتي تقتضي إمامتهم فضلاً عن ذكر ما يوجب البحث عنهم ويبين عن تقدُّمهم على جميع الخلائق ورئاستهم، فممّا يدلُّ على إمامته من طريق النظر العقلي ما ثبت من وجوه العصمة وأنَّ الحقَّ لا يخرج عن أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ولا أحدٌ يدّعي الإمامة في زمان زين العابدين عليه السلام إلاّ من قال بإمامة محمّد بن الحنفيّة وذهب إلى أنّه حيٌّ لم يمت وهم الكيسانيّة لأنّهم ادَّعوا حياة من علم وفاته كما علم وفاة أبيه وأخيه ولعجزهم أيضاً عن إتيان النصّ على محمّد بالإمامة وبطل قول من قال بإمامة من هو غير معصوم فثبتت إمامته.

ومما روي من النصّ عليه بالإمامة والإشارة بالإمامة إليه من أبيه وجدّه فكثير.

منها ما رواه محمّد بن يعقوب، عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، وأحمد بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل، عن منصور بن يونس، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنَّ الحسين عليه السلام لمّا حضره الذي حضره دعا ابنته فاطمة الكبرى فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصيّة ظاهرة وكان عليُّ بن الحسين عليه السلام مريضاً لا يرون أنّه يبقى بعده، فلمّا قتل الحسين عليه السلام ورجع أهل بيته إلى المدينة دفعت فاطمة الكتاب إلى عليّ بن الحسين عليه السلام ثمَّ صار ذلك الكتاب والله إلينا يا زياد.

وعنه، عن عدَّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي عبد الله قال: إنَّ الحسين عليه السلام لمّا سار إلى العراق استودع أمَّ سلمة رضي الله عنها الكتب والوصيّة فلمّا رجع عليُّ بن الحسين عليه السلام دفعتها إليه.

وقد ذكرنا فيما تقدَّم النص والإشارة إليه من جدّه أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته إلى الحسن عليه السلام فلا معنى لتكرارها.

وأمّا الأخبار الواردة عن النبيّ وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما بالنصّ على الأئمّة الاثني عشر من آل محمّد وتعيينهم ـ وحديث اللّوح رواه جابر عن النبيّ ورواه جابر بن يزيد الجعفي، عن الباقر، عن أبيه، عن جدّه عن فاطمة بنت رسول الله ـ فإنّها مشهورة عند أهلها مذكورة في مظانّها ووافقهم أصحاب الحديث العامّة على نقل كثير منها على طريق الجملة وسنورد أكثرها في الرُّكن الرابع من الكتاب إذا انتهينا إليه إن شاء الله[١].

الفصل الثالث

في ذكر شيء من معجزاته

أما ما يدل على إمامته من طريق المعجز الخارق للعادة فحديث حبابة الوالبيّة وما جاء فيه من طبعه نقش فصّه في الحجر وما ثبت من دعائه لها وإيمائه إليها حتّى عادت شابّة ولها يومئذ مائة سنة وثلاث عشرة سنة.

وكذلك نطق الحجر الأسود له، وقد استشهد به على محمّد بن الحنفيّة فشهد له بالإمامة وكانا يومئذ بمكّة فقال لمحمّد: ابتدىء وابتهل إلى الله واسأله أن ينطق لك فأقبل محمّد في الدعاء فلم يجبه فقال: أما إنّك يا محمّد لو كنت إماماً لأجابك فقال

(١) راجع في حديث اللوح الكافي ج١ ص٥٢٧ كمال الدين للصدوق ص١٧٨. الغيبة للنعماني ص٢٩. الاحتجاج للطبرسي ص٢٢٥. الاختصاص للمفيد ص٢١٠.

له محمّد: فادع أنت يا ابن أخي فدعا بما أراد ثمَّ قال: أسألك بالّذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء لما أخبرته بلسان عربيّ مبين من الوصيّ والإمام بعد الحسين بن عليّ؟ فتحرّك الحجر حتّى كاد أن يزول عن موضعه ثمَّ أنطقه الله بلسان عربيّ مبين: «اللّهمّ إن الوصيّة والإمامة بعد الحسين بن عليّ إلى عليّ بن الحسين عليه السلام» فانصرف محمّد وهو يتولّى عليّ ابن الحسين عليه السلام.

وروى هذا الخبر بإسناده محمّد بن أحمد بن يحيى في كتاب نوادر الحكمة وفي هذا المعنى يقول السيد الحميري لمّا رجع عن القول بالكيسانيّة إلى القول بإمامة الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام:

عجبت لكرّ صروف الزمان ... وأمر أبي خالد ذي البيان
ومن ردّه الأمر لا ينثني ... إلى الطيّب الطّهر نور الجنان
عليٌّ وما كان من عمّه ... بردّ الأمانة عطف البيان
وتحكيمه حجراً أسوداً ... وما كان من نطقه المستبان
بتسليم عمّ بغير امتراء ... إلى ابن أخ منطقاً باللّسان
شهدت بذلك حقّاً كما ... شهدت بتصديق آي القران
عليٌّ إمامي ولا أمتري ... وخلّيت قولي بكان وكان

قال الصادق عليه السلام: كان أبو خالد يقول بإمامة محمّد بن الحنفيّة فقدم من كابل شاه إلى المدينة فسمع محمّداً يخاطب عليَّ بن الحسين فيقول: يا سيّدي فقال له: أتخاطب ابن أخيك بما لا يخاطبك مثله؟ فقال: إنّه حاكمني إلى الحجر الأسود فصرت إليه فسمعت الحجر يقول: سلّم الأمر إلى ابن أخيك فإنّه أحقُّ به منك وصار أبو خالد الكابلي إماميّاً.

وروى عنه أنّه قال: قال لي عليّ بن الحسين: يا كنكر، ولا والله ما عرفني بهذا الاسم إلاّ أبي وأُمّي.

الفصل الرابع

في ذكر بعض مناقبه وفضائله

وروى الحسين بن علوان، عن أبي عليّ زياد بن رستم، عن سعيد بن كلثوم قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام فذكر أمير المؤمنين عليه السلام فمدحه بما هو أهله ثمّ قال: والله ما أطاق عمل رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمّة غيره وإن كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنّة والنّار يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النّار ممّا كدّ بيده ورشح منه جبينه وما كان لباسه إلاّ الكرابيس إذا فضل يده من كمّه دعا بالجلم فقصّه، وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبهاً به من عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام . ولقد دخل أبو جعفر ابنه عليه السلام عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحدٌ فرآه قد اصفرّ لونه من السهر، ورمدت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته من السجود، وورمت ساقاه من القيام في الصلاة، فقال أبو جعفر عليه السلام : فلم أملك حين رأيته بتلك الحال من البكاء، فبكيت رحمة له وإذا هو يفكّر فالتفت إليّ بعد هنيئة من دخولي، فقال: يا بنيّ أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة عليّ فأعطيته فقرأ منها يسيراً ثمّ تركها من يده تضجّراً وقال: من يقوى على عبادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وكان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا توضّأ اصفرّ لونه فقيل له: ما هذا الذي يغشاك، فقال: أتدري لمن أتأهّب للقيام بين يديه؟ .

وروى أنّه كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة وكانت الرّيح تميله بمنزلة السنبلة .

وعن سفيان الثوري قال: ذكر لعليّ بن الحسين عليهما السلام فضله قال: حسبنا أن نكون من صالحي قومنا .

وروى أنَّ عليّ بن الحسين عليهما السلام رأى يوماً الحسن البصري وهو يقصُّ عند الحجر الأسود فقال له: أترضى يا حسن نفسك للموت؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟ قال: لا قال: فثمَّ دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال: فللّه في أرضه معاذ غير هذا البيت؟ قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن الطواف؟ .

وقيل له يوماً: إنَّ الحسن البصري قال: ليس العجب ممّن هلك كيف هلك وإنّما العجب ممّن نجا كيف نجا، فقال: أنا أقول: ليس العجب ممّن نجا وإنّما العجب ممّن هلك مع سعة رحمة الله.

وروى عن طاووس اليمانيّ قال: دخلت الحجر في اللّيل فإذا عليُّ بن الحسين عليه السلام قد دخل فقام يصلّي فصلّى ما شاء الله ثمَّ سجد فقلت: رجل صالح من أهل بيت النبوّة لأسمعنَّ إلى دعائه فسمعته يقول في سجوده: «عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك» قال طاووس: فما دعوت بهنّ في كرب إلاّ فرّج عنّي.

وروى أحمد بن محمّد الرافعي، عن إبراهيم بن عليّ، عن أبيه قال: حججت مع عليّ بن الحسين عليه السلام فالتاثت الناقة[1] عليه في مسيرها فأشار إليها بالقضيب، ثم قال: آه لولا القصاص وردَّ يده عنها.

وعنه قال: حجَّ عليُّ بن الحسين عليه السلام ماشياً، فسار عشرين يوماً من المدينة إلى مكّة.

وروى أبو محمّد الحسن بن محمّد العلويّ بإسناده قال: وقف على عليّ بن الحسين عليه السلام رجلٌ من أهل بيته فأسمعه وشتمه، فلم يكلّمه فلمّا انصرف قال لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرّجل وأنا أُحبُّ أن تبلغوا معي إليه حتّى تسمعوا منّي ردّي عليه، قالوا: نفعل فأخذ نعليه ومشى وهو يقول: ﴿**والكاظمين الغيظ ـ الآية ـ**﴾ فعلموا أنّه لا يقول شيئاً قال: فأتى منزل الرجل وصرخ به فخرج الرجل متوثّباً للشرّ فقال عليُّ بن الحسين عليه السلام: يا أخي إن كنت قد قلت ما فيَّ فأستغفر الله منه وإن كنت قلت ما ليس فيَّ فغفر الله لك قال: فقبّل الرجل بين عينيه وقال: بل قلت فيك ما ليس فيك، وأنا أحقُّ به، قال الرّاوي للحديث: والرجل هو الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام.

وروى عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه دعا مملوكه مرّتين فلم يجبه ثمَّ أجابه في الثالثة فقال له: يا بنيَّ أما سمعت صوتي؟ قال: بلى، قال: فما بالك لم تجبني؟

(١) الالتياث: الإبطاء في المشي.

قال: أمنتك، قال: الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني.

وكانت جارية لعليّ بن الحسين عليه السلام تسكب عليه الماء فسقط الإبريق من يدها فشجّه فرفع رأسه إليها فقالت الجارية: إنَّ الله يقول: ﴿**والكاظمين الغيظ**﴾ فقال: كظمت غيظي، قالت: ﴿**والعافين عن الناس**﴾ قال: عفوت عنك، قالت ﴿**والله يحبّ المحسنين**﴾ قال: اذهبي فأنت حرَّة لوجه الله.

وروى عن محمّد بن إسحاق بن يسار قال: كان بالمدينة كذا وكذا أهل بيت يأتيهم رزقهم وما يحتاجون إليه، لا يدرون من أين يأتيهم فلمّا مات عليُّ بن الحسين عليه السلام فقدوا ذلك.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما روي عنه من أنواع العلوم أكثر من أن يحصى فلنقتصر على ما ذكرناه.

الفصل الخامس

في ذكر أولاده ونبذ من أخبارهم

له خمسة عشر ولداً

الباقر عليه السلام أمّه أُمُّ عبد الله بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وأبو الحسين زيد، وعمر أُمّهما أُمُّ ولد، وعبد الله، والحسن، والحسين، أمّهما أُمُّ ولد، والحسين الأصغر، وعبد الرحمن، وسليمان لأُمّ ولد، وعليّ وكان أصغر ولده، وخديجة أُمّهما أُمُّ ولد، ومحمّد الأصغر أُمّه أُمُّ ولد، وفاطمة، وعليّة، وأُمُّ كلثوم.

وكان زيد بن عليّ بن الحسين أفضل إخوته بعد أبي جعفر الباقر عليه السلام وكان عابداً ورعاً سخيّاً شجاعاً وظهر بالسيف يطلب بثارات الحسين عليه السلام ويدعو إلى الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله فظنَّ النّاس أنّه يريد بذلك نفسه ولم يكن يريدها له لمعرفته باستحقاق أخيه الباقر عليه السلام الإمامة من قبل ووصيّته عند وفاته إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق وجاءت الرواية أنَّ سبب خروجه بعد الّذي ذكرناه أنّه دخل على هشام بن عبد الملك وقد جمع هشام أهل الشام فأمر أن يتضايقوا له في المجلس حتّى لا يتمكّن من الوصول إلى قربه فقال له زيد: إنّه ليس من عباد الله أحد

فوق أن يوصي بتقوى الله وأنا أوصيك بتقوى الله يا أمير المؤمنين فاتّقه فقال له هشام: أنت المؤهّل نفسك للخلافة وما أنت وذاك لا أُمَّ لك، وإنّما أنت ابن أمة، فقال له زيد: لا أعلم أحداً أعظم منزلة من نبيّ بعثه الله وهو ابن أمة فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غايته لم يبعث وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام فالنبوّة أعظم منزلة عند الله أم الخلافة؟ وبعد فما يقصر برجل أبوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن عليّ بن أبي طالب، فوثب هشام عن مجلسه ودعا قهرمانه وقال: لا يبيتنَّ هذا في عسكري، فخرج زيدٌ وهو يقول: إنّه لم يكره قوم قطّ حرَّ السيوف[1] إلاّ ذلّوا.

وذكر ابن قتيبة بإسناده في كتاب عيون الأخبار أنَّ هشاماً قال لزيد بن عليّ لمّا دخل عليه: ما فعل أخوك البقرة فقال: سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باقر العلم وأنت تسمّيه بقرة لقد اختلفتما إذاً، قال: فلمّا وصل الكوفة اجتمع عليها أهلها فلم يزالوا به حتّى بايعوه على الحرب، ثمَّ نقضوا بيعته وأسلموه، فقتل وصلب بينهم أربع سنين لا ينكره أحدٌ منهم ولم يعيّره بيد ولا لسان، وكان مقتله يوم الإثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة وكان سنّه يوم قتل اثنين وأربعين سنة ولمّا قتل بلغ ذلك من الصادق عليه السلام كلَّ مبلغ وحزن عليه حزناً عظيماً وفرّق من ماله في عيال من أُصيب معه من أصحابه ألف دينار.

وكان عبد الله بن عليّ بن الحسين فقيهاً فاضلاً وكان يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام.

وكان عمر بن عليّ بن الحسين عليه السلام فاضلاً ورعاً وروى أخباراً كثيرة عن أبيه عليّ بن الحسين وعن أخيه أبي جعفر وعن عمّته فاطمة بنت الحسين عليهم السلام.

وروى عنه أنّه قال: كان إبراهيم بن هشام المخزوميّ والياً على المدينة وكان يجمعنا يوم الجمعة قريباً من المنبر، ثمَّ يقع في عليّ ويشتمه قال: فحضرت يوماً وقد امتلأ ذلك المكان فلصقت بالمنبر وأغفيت[2] فرأيت القبر قد انفرج وخرج منه رجلٌ

(١) في بعض النسخ [حد السيوف]. وفي بعضها [حر السيف].

(٢) غفا يغفوغفواً وغفى يغفي غفية وأغفى: نعس ونام نومة خفيفة، يقال: أغفيت وقل ما يقال: غفيت.

وعليه ثياب بيض فقال لي: يا أبا عبد الله ألا يحزنك ما يقول هذا؟ قلت: بلى والله قال: افتح عينك انظر ما يصنع الله به وإذا هو قد ذكر عليّاً فرمى به من فوق المنبر فمات لا رحمه الله.

الباب الرابع

في ذكر الإمام الباقر والنور الباهر أبي جعفر محمد بن علي وهو يشتمل على خمسة فصول

الفصل الأول

في ذكر تاريخ مولده ومبلغ عمره ومدة إمامته ووقت وفاته وموضع قبره

ولد بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة يوم الجمعة غرّة رجب وقيل الثالث من صفر وقبض سنة أربع عشرة ومائة من ذي الحجّة وقيل: في شهر ربيع الأوّل، وقد تمّ عمره سبعاً وخمسين سنة.

وأُمّه أُمُّ عبد الله فاطمة بنت الحسن عليه السلام فهو هاشميّ من هاشميّين وعلويٌّ من علويّين.

وقبره بالبقيع من مدينة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى جانب أبيه زين العابدين عليه السلام وعمِّ أبيه الحسن بن عليّ عليهما السلام.

فعاش مع جدّه الحسين عليه السلام أربع سنين ومع أبيه تسعاً وثلاثين سنة وكانت مدَّة إمامته ثماني عشرة سنة.

وكان في أيّام إمامته بقيّة ملك الوليد بن عبد الملك وملك سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك وتوفّي في ملكه.

الفصل الثاني

في ذكر دلائل إمامته

الدليل على إمامته ما قدَّمناه بعينه في إمامة أبيه من اعتبار وجوب العصمة وبطلان قول كلّ من ادَّعى حياة أبيه على الترتيب الذي تقدَّم في الاستدلال ودلائل العقول أوكد من دلائل الاستدلال لبعدها من التأويل والاحتمال، فأمّا النصوص الدالّة على إمامته والآثار الواردة في الإشارة إليه من أبيه فمن ذلك:

ما رواه محمّد بن يعقوب الكليني، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن أبي القاسم الكوفي، عن محمّد بن سهل، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن إسماعيل بن محمّد بن عبد الله[1] بن عليّ بن الحسين، عن أبي جعفر قال: لمّا حضرت عليّ بن الحسين عليه السلام الوفاة أخرج سفطاً[2] أو صندوقاً عنده فقال: يا محمّد احمل هذا الصندوق، قال: فحمل بين أربعة فلمّا توفّي جاء إخوته يدَّعون في الصندوق سهماً[3] قال: والله ما لكم فيه شيء ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه إليَّ وكان في الصندوق سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعنه، عن محمّد بن يحيى، عن عمران بن موسى، عن محمّد بن الحسين، عن عبد الله بن عيسى، عن أبيه عيسى، عن جدّه قال: نظر[4] عليُّ بن

(١) استبعد العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ إمكان رواية اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين عليه السلام عن أبي جعفر وقال: الظاهر «إسماعيل بن محمد عن عبد الله». ورواه الصفار في بصائر الدرجات عن إبراهيم بن أبي البلاد عن عيسى بن عبد الله بن عمر، عن جعفر بن محمد عليه السلام.

(٢) السفط ـ محركة ـ واحدة الأسفاط التي يعبى فيها الطيب ونحوه ويستعار للتابوت الصغير ومنه «فأخرج لي سفطاً». (مجمع البحرين)

(٣) في الكافي «فقالوا: اعطنا نصيباً في الصندوق» وقوله: «بين أربعة» حال عن المفعول أي كان بين أربعة رجال وأخذ كل واحد جانباً منه وهو إشارة إلى كونه مملوءاً من الكتب والأسلحة.

(٤) في الكافي «التفت علي بن الحسين عليه السلام».

الحسين عليه السلام إلى ولده وهو يجود بنفسه وهم مجتمعون عنده، ثمَّ نظر إلى محمّد بن عليّ فقال: يا محمّد خذ هذا الصندوق فاذهب به إلى بيتك وقال: أما إنّه لم يكن فيه دينار ولا درهم ولكن كان مملوءاً علماً.

وعنه، عن محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عيسى، عن فضالة بن أيّوب، عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنَّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابن حزم[١] أن يرسل إليه بصدقة عليّ وعمر وعثمان، وإنَّ ابن حزم بعث إلى زيد بن الحسن وكان أكبرهم سنّاً[٢] فسأله الصدقة فقال زيد: إنَّ الوليّ بعد أمير المؤمنين عليه السلام الحسن وبعد الحسن الحسين وبعد الحسين عليُّ بن الحسين وبعد عليّ بن الحسين محمّد بن عليّ فابعث إليه، فبعث ابن حزم إلى أبي فأرسلني أبي بالكتاب فدفعته إلى ابن حزم فقال له بعضنا: يعرف هذا ولد الحسن؟ قال: نعم كما تعرفون أنَّ هذا ليل ولكن يحملهم الحسد ولو طلبوا الحقّ بالحقّ لكان خيراً لهم ولكنّهم يطلبون الدُّنيا.

وأما النصوص المرويّة عليه من النبيّ في جملة الاثني عشر فكثيرة مثل خبر اللّوح الذي هبط به جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الجنّة فأعطاه فاطمة عليها السلام ومثل ما روي أنَّ الله تعالى أنزل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً مختوماً باثني عشر خاتماً وأمره أن يدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ويأمره أن يفضَّ الخاتم الأوّل فيه فيعمل بما تحته ثمَّ يدفعه عند وفاته إلى الحسن عليه السلام ويأمره بفضّ الخاتم الثاني ويعمل بما تحته ثمَّ يدفعه عند حضور وفاته إلى الحسين فيفضّ الخاتم الثالث ويعمل بما تحته ثمَّ يدفعه عند وفاته إلى ابنه [عليّ بن الحسين ويأمره بمثل ذلك ثمَّ يدفعه إلى ابنه] محمد بن عليّ ويأمره بمثل ذلك ثمَّ يدفعه إلى ولده حتّى ينتهي إلى آخر الأئمّة عليهم السلام، وسنورد أكثر ما ورد في هذا النوع فيما بعد إن شاء الله تعالى.

---

(١) هو أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم الأنصاري ولي القضاء بالمدينة لعمر بن عبد العزيز الأموي.

(٢) أي أكبر بني علي عليه السلام سناً. وقوله: «فسأله الصدقة» أي دفتر الصدقات.

الفصل الثالث

في ذكر بعض دلائله

قد روت الشيعة من دلائله أشياء سوى ما تقدَّم ذكره من خبر حبابة الواليّة منها: ما رواه شعيب العقرقوفي، عن أبي عروة قال: دخلت مع أبي بصير إلى منزل أبي جعفر أو أبي عبد الله عليه السلام قال: فقال لي: أترى في البيت كوَّة قريباً من السقف؟ قال: قلت: نعم، وما علمك بها؟ قال: أرانيها أبو جعفر عليه السلام (١)

وروى أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن مثنّى الحنّاط، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم، قلت: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارث الأنبياء، علم كلّ ما علموا؟ قال لي: نعم، قلت: فأنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأبرص والأكمه؟ فقال: بلى بإذن الله ثمَّ قال: ادن منّي يا أبا محمد فمسح على وجهي وعلى عيني فأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكلَّ شيء في الدار فقال: أتحبّ أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة أو تعود كما كنت ولك الجنّة خالصاً؟ قلت: أعود كما كنت قال: فمسح على عيني فعدت كما كنت. قال الراوي: فحدَّثت به ابن أبي عمير فقال: أشهد أنَّ هذا لحقٌّ كما أنَّ النار والجنّة لحقٌّ.

وروى حمّاد بن عثمان، عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال: أبي قال لي ذات يوم: إنّما بقي من أجلي خمس سنين فحسبت فما زاد ولا نقص.

الفصل الرابع

في ذكر طرف من مناقبه وخصائصه ونبذ من أخباره

قد اشتهر في العالم تبريزه على الخلق في العلم والزُّهد والشرف ما لم يؤثر عن أحد من أولاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقبله من علم القرآن والآثار والسنن وأنواع العلوم

---

(١) ذلك لأن أبا بصير يحيى بن القاسم ولد مكفوفاً.

والحكم والآداب ما أثّر عنه واختلف إليه كبار الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين وعرّفه رسول الله ﷺ باقر العلم على ما رواه نقلة الآثار.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال: قال لي رسول الله ﷺ يوشك أن تبقى إلى أن تلقى ولداً لي من الحسين يقال له: محمّد يبقر علم الدين فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام.

وروى أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ جابر بن عبد الله الأنصاري يقعد في مسجد رسول الله ﷺ وهو معتجر[1] بعمامة سوداء، فكان ينادي يا باقر العلم، وكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: لا والله ما أهجر ولكنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّك ستدرك رجلاً منّي اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً. فذاك الذي دعاني إلى ما أقول، قال: فكان جابر يأتيه طرفي النهار وكان أهل المدينة يقولون: وا عجباه لجابر يأتي هذا الغلام طرفي النهار وهوأحد من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ.

وروى ميمون القدّاح، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه قال: دخلت على جابر بن عبد الله فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام وقال لي: من أنت؟ وذلك بعد كفّ بصره، فقلت: محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال: يا بنيّ ادن منّي فدنوت منه فقبّل يدي ثمَّ أهوى إلى رجلي يقبّلها فتنحّيت عنه، ثمَّ قال لي: إنّ رسول الله ﷺ يقرئك السلام، فقلت: وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، فكيف ذاك يا جابر فقال: كنت معه ذات يوم فقال لي: يا جابر لعلّك تبقى حتّى تلقى رجلاً من ولدي يقال له: محمّد بن عليّ بن الحسين يهب الله له النور والحكمة فأقرئه منّي السلام.

وروى عن أبي مالك، عن عبد الله بن عطاء المكّي قال: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام ولقد رأيت

---

(١) الاعتجار هو أن يلف العمامة على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه. (النهاية)

الحكم بن عتيبة مع جلالته في القوم بين يديه كأنّه صبيٌّ بين يدي معلّمه.

وكان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عنه قال: حدَّثني وصيّ الأوصياء ووارث علم الأنبياء محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام.

وروى محمّد بن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن أبي عبد الله قال: إنَّ محمّد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى أنَّ مثل عليّ بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً لفضل عليّ بن الحسين حتّى رأيت ابنه محمّداً فأردت أن أعظه فوعظني فقال له أصحابه: بأيّ شيء وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة فلقيت محمّد بن عليّ عليه السلام وكان رجلاً بادناً[١] وهو متّكىءٌ على غلامين له أسودين، فقلت في نفسي: شيخٌ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا أشهد لأعظنّه فدنوت منه فسلّمت عليه فسلّم عليَّ بنهر[٢] وقد يتصابّ عرقاً، فقلت: أصلحك الله، شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدُّنيا؟ لو جاءك الموت وأنت على هذه الحالة ما كنت تصنع؟ قال: فخلّى عن الغلامين يده وتساند، فقال: لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحالة جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله عزَّ وجلَّ أكفُّ بها نفسي عنك وعن الناس وإنّما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله عزَّ وجلَّ، فقلت: يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني.

وكان يقول: ما ينقم الناس منّا إلاّ أنّا أهل بيت الرَّحمة[٣] وشجرة النبوّة وموضع الملائكة ومعدن الحكمة ومهبط الوحي.

وكان يقول بليّة الناس علينا عظيمة إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا.

وكان يقول: نحن خزنة علم الله، ونحن ولاة أمر الله وبنا فتح الإسلام وبنا

---

(١) أي سميناً كثير اللحم.

(٢) نهرته نهراً من باب نفع فانتهر: زجرته.

(٣) في إرشاد المفيد ـ رحمه الله ـ: «ما ينقم الناس منا، نحن أهل بيت الرحمة». الحديث. وينقم أي يكره.

يختمه ومنّا تعلّموا، فوالله الذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما علم الله في أحد إلاّ فينا وما يدرك ما عند الله إلاّ بنا.

وروى ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة عن الفضيل، عنه قال: لو أنّنا حدَّثنا برأينا ضللنا كما ضلَّ من كان قبلنا ولكنّا حدَّثنا ببيّنة من ربّنا بيّنها لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فبيّنها لنا.

وسئل عن الحديث يرسله ولا يسنده فقال: إذا حدَّثت بالحديث فلم أُسنده فسندي فيه أبي زين العابدين، عن أبيه الحسين الشهيد، عن أبيه عليّ بن أبي طالب، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن جبرئيل، عن الله عزَّ وجلَّ.

وروى عنه معروف بن خرّبوز قال: سمعته يقول: إنَّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبيٌّ مرسلٌ أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان.

وروى سدير الصيرفي عنه أنّه قال: إنّما كلّف الله سبحانه الناس معرفة الأئمّة والتسليم لهم فيما أوردوا عليهم والردّ إليهم فيما اختلفوا فيه.

وروى سورة بن كليب الأسدي عنه عليه السلام قال: والله إنّا لخزّان الله في سمائه وفي أرضه لا على ذهب ولا فضّة إلاّ على علمه.

وروى عن عبيد الله بن زرارة، عن أبيه قال: كنّا عند أبي جعفر عليه السلام فجاء الكميت فاستأذن عليه فأذن له فأنشده: «من لقلب متيّم مستهام»[1] الخ فلمّا فرغ منها قال له أبو جعفر: يا كميت لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك وقلت فينا.

وقال الكميت في حديث آخر: فلمّا بلغت إلى قولي:

أخلص الله لي هواي فما أُغرق نزعاً ولا تطيش سهامي

قال عليه السلام: لا تقل هكذا ولكن قل: «فقد أُغرق نزعاً وما تطيش سهامي» فقلت: يا مولاي أنت أشعر منّي بهذا المعنى[2].

(١) بعده «غير ما صبوة ولا أحلام».

(٢) أي جعل الله محبتي خالصة لكم فصار تأييده تعالى سبباً لأن لا أخطىء الهدف وأصيب كل ما أريده من مدحكم وإن لم أبالغ فيه. يقال: أغرق النازع في القوس إذا استوفى مدها، ثم استعير لمن بالغ في كل شيء. ويقال: طاش السهم عن الهدف أي عدل. ولعل =

الفصل الخامس

في ذكر أولاده وهم سبعة

أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام وكان يكنّى به، وعبد الله بن محمّد، وأمّهما أمُّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، وإبراهيم، وعبيد الله درجا[1] أُمّهما أمُّ حكيم بنت أُسيد بن المغيرة الثقفيّة، وعليٌّ، وزينب لأُمّ ولد، وأُمّ سلمة لأمّ ولد.

وقيل: إنَّ لأبي جعفر عليه السلام ابنة واحدة فقط أُمّ سلمة واسمها زينب.

الباب الخامس

في ذكر الإمام الصادق والعلم الناطق أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وهو خمسة فصول

الفصل الأول

في ذكر تاريخه ومولده ومبلغ سنه ومدة إمامته ووقت وفاته

ولد بالمدينة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين من

= نهيه عليه السلام عن ذلك لإيهامه بتقصير وعدم اعتناء في مدحهم عليهم السلام وهذا لا يناسب مقام المدح، أو لأن الإغراق في النزع لا مدخل له في إصابة الهدف بل الأمر بالعكس، مع أن فيما ذكره معنى لطيفاً كاملاً وهو أن المداحون إذا بالغوا في مدح ممدوحهم خرجوا عن الحق وكذبوا فيما أثبتوا للممدوح كما أن الرامي إذا أغرق نزعاً أخطأ الهدف، وإني في مدحكم كلما أبالغ في المدح لا يخرج سهمي عن هدف الحق والصدق ويكون مطابقاً للواقع، ويحتمل على بعد أن يكون غرضه عليه السلام مدحه وتحسينه بأنك لا تقصر في مدحنا بل تبذل جهدك فيه. (مرآة العقول).

(١) أي ماتا صغيرين.

الهجرة ومضى في النصف من رجب ويقال: في شوّال سنة ثمان وأربعين ومائة، وله خمس وستّون سنة.

أقام فيها مع جدّه وأبيه اثنتي عشرة سنة ومع أبيه بعد جدّه تسع عشرة سنة وبعد أبيه أيّام إمامته أربعاً وثلاثين سنة وكان في أيّام إمامته بقيّة ملك هشام بن عبد الملك وملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وملك يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقّب بالنّاقص[١]، وملك إبراهيم بن الوليد وملك مروان بن محمّد الحمار، ثمّ صارت المسوّدة من أهل خراسان مع أبي مسلم سنة اثنين وثلاثين ومائة، فملك أبو العبّاس عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس الملقّب بالسفّاح أربع سنين وثمانية أشهر، ثمَّ ملك أخوه أبو جعفر عبد الله الملقّب بالمنصور إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً، وتوفّي الصّادق عليه السلام بعد عشر سنين من ملكه ودفن بالبقيع مع أبيه وجدّه وعمّه الحسن عليهم السلام.

الفصل الثاني

في ذكر النص على إمامته

أما طريقة الاعتبار فمثل ما تقدَّم ذكره في إمامة آبائه فأمّا إذا اعتبرنا إمامة من اختلف في إمامته في عصره وجدنا الأُمّة بين أقوال: قائل يقول لا إمام في الوقت وقوله يبطل بما دلَّ عى وجوب الإمامة في كلّ عصر. وقائل يقول بإمامة من لا يقطع على عصمته وقوله يبطل بما دلَّ على وجوب العصمة للإمام. ومن ادَّعى العصمة ولم يقل بالنصّ من متأخّري الزّيديّة فقوله يبطل بما دلّلنا عليه من أنَّ الإمامة لا يمكن أن تعلم إلاّ بالمعجزات أو النّص. ومن اعتبر الحياة من الكيسانيّة فقوله يبطل بما علمناه من موت من ادُّعي حياته.

وأيضاً فإنَّ هذه الفرقة قد انقرضت وخلا الزّمان من القائلين بقولها وانعقد

(١) قال المسعودي: لم يكن ناقصاً في جسمه ولا عقله إنما نقص بعض الجند من أرزاقهم فقالوا: يزيد الناقص.

الإجماع على خلافها، فإذا بطلت هذه الأقوال ثبتت إمامته وإلاّ أدّى إلى خروج الحقّ عن أقوال الأمّة.

وأما طريقة التّواتر فمثل ما ذكرناه فيما تقدّم فإنَّ الشيعة قد تواترت خلفاً عن سلف إلى أن تواتر نقلهم بالباقر أنّه نصّ على الصادق عليه السلام كما تواترت على أنَّ أمير المؤمنين نصّ على الحسن ونصّ على الحسين عليهما السلام وكذلك كلُّ إمام على الإمام الذي يليه، ثمَّ هكذا إلى أن ينتهي إلى صاحب الزّمان، وكلُّ سؤال يسأل عن هذا الدّليل فالجواب عنه مذكور في تصحيح تواتر النّص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أمير المؤمنين عليه السلام ولا يحتمل ذكره هذا الموضع.

فأما ما جاء في الأخبار من النّص بالإمامة عليه والإشارة بذلك من أبيه إليه فمن ذلك:

ما رواه محمّد بن يعقوب، عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن أبان بن عثمان، عن أبي الصّباح الكناني قال: نظر أبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام إلى أبي عبد الله عليه السلام يمشي فقال: ترى هذا، هذا من الذين قال الله سبحانه: **﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين﴾**.

وعنه، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا حضرت أبي الوفاة قال: يا جعفر أُوصيك بأصحابي خيراً، قلت: جعلت فداك والله لأدعنّهم والرّجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحداً[١].

وعنه عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن جابر بن يزيد الجعفيّ عن أبي جعفر عليه السلام أنّه سئل عن القائم فضرب بيده على أبي عبد الله عليه السلام ثمَّ قال: هذا والله قائم آل محمّد. قال عنبسة بن مصعب: فلمّا قبض أبو جعفر دخلت على أبي عبد الله فأخبرته بذلك.

---

(١) ذلك لاستغنائه عنهم وعدم احتياجه إليهم.

فقال: صدق جابر على أبي، ثمَّ قال: لعلّكم ترون أن ليس كلُّ إمام هو القائم بعد الإمام الذي قبله.

وعنه، عن عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن طاهر قال: كنت قاعداً عند أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ فأقبل جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: أبو جعفر هذا خير البريّة.

وعنه، عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرّحمن، عن عبد الأعلى مولى آل سام، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إنَّ أبي استودعني ما هناك، فلمّا حضرته الوفاة قال ادع لي شهوداً فدعوت أربعة من قريش فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر فقال: أُكتب أُوصيك بما أوصى به يعقوب بنيه ﴿**يا بنيَّ إنَّ الله اصطفى لكم الدّين فلا تموتنَّ إلاّ وأنتم مسلمون**﴾ أوصى أبو جعفر محمّد بن عليّ إلى جعفر بن محمّد وأمره أن يكفّنه في برده الذي كان يصلّي فيه الجمعة وأن يعمّمه بعمامته وأن يربّع قبره ويرفعه أربع أصابع، ثمَّ قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله فقلت بعدما انصرفوا: ما كان لك في هذا بأن تشهد عليه؟ فقال: إنّي كرهت أن تغلب وأن يقال: إنّه لم يوص إليه فأردت أن تكون لك الحجّة. وأشباه هذه الأخبار كثيرة.

الفصل الثالث

في ذكر طرف مما ظهر منه من المعجزات والإخبار بالغائبات

ما روي من آيات الله الظاهرة على يده، المعجزات المؤيّدة له، الدَّالّة على بطلان قول من ادَّعى الإمامة لغيره كثير نحن نذكر منها ما اشتهرت به الرّواية فمن ذلك:

ما رواه محمّد بن أحمد بن يحيى في كتاب نوادر الحكمة بإسناده، عن عائذ بن نباتة الأحمسيّ قال: دخلت على أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنا أريد أن أسأله عن صلاة اللّيل ونسيت فقلت: السّلام عليك يا ابن رسول الله، فقال: أجل والله أنا ولده وما

نحن بذي قرابة من أتى الله بالصلوات الخمس المفروضات لم يسأل عمّا سوى ذلك. فاكتفيت بذلك.

وعنه بإسناده، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن مهزم قال: كنّا نزولاً بالمدينة وكانت جارية لصاحب المنزل تعجبني وإنّي أتيت الباب فاستفتحت ففتحت الجارية فغمزت ثديها فلمّا كان من الغد دخلت على أبي عبد الله فقال لي: يا مهزم أين كان أقصى أثرك اليوم؟ فقلت: ما برحت المسجد فقال: أما تعلم أنَّ أمرنا هذا لا ينال إلاّ بالورع.

وروى غيره عن أبي بصير قال: دخلت المدينة وكان معي جويرية لي فأصبت منها ثمَّ خرجت إلى الحمّام فلقيت أصحابنا الشيعة وهم متوجّهون إلى أبي عبد الله عليه السلام فخفت أن يسبقوني ويفوتني الدُّخول عليه، فمشيت معهم حتّى دخلت الدّار معهم فلمّا مثلت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام نظر إليَّ ثمَّ قال لي: يا أبا بصير أما علمت أنَّ بيوت الأنبياء وأولاد الأنبياء لا يدخلها الجنب؟ فاستحييت وقلت: يا ابن رسول الله إنّي لقيت أصحابنا فخفت أن يفوتني الدُّخول معهم ولن أعود إلى مثلها وخرجت.

ومن كتاب نوادر الحكمة، عن محمّد بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: دخل شعيب العقرقوفي على أبي عبد الله ومعه صرَّة فيها دنانير فوضعها بين يديه فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أزكاة أم صلة؟ فسكت ثمَّ قال: زكاة وصلة، قال: فلا حاجة لنا في الزكاة، قال: فقبض أبو عبد الله عليه السلام قبضة فدفعها إليه فلمّا خرج قال أبو بصير: قلت له كم كانت الزّكاة؟ قال: بقدر ما أعطاني، والله لم يزد حبّة ولم ينقص حبّة.

وعن عثمان بن عيسى، عن إبراهيم بن عبد الحميد قال: خرجت إلى قبا لأشتري نخلاً فلقيته وقد دخل المدينة فقال: أين تريد؟ فقلت: لعلّنا نشتري نخلاً، فقال: أوقد أمنتم الجراد؟ فقلت: لا والله لا أشتري نخلة فوالله ما مضت إلاّ خمس حتّى جاء من الجراد ما لم يترك في النخل حملاً.

وعليٌّ بن الحكم، عن عروة بن موسى الجعفي قال لنا يوماً ونحن نتحدَّث:

الساعة انفقأت عين هشام في قبره، قلنا ومتى مات؟ قال: اليوم الثّالث قال: حسبنا موته وسألنا عنه فكان كذلك.

أحمد بن محمّد، عن محمّد بن فضيل، عن شهاب بن عبد ربّه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: كيف أنت إذا نعاني إليك محمّد بن سليمان؟ قال فلا والله ما عرفت محمّد بن سليمان ولا علمت من هو؟ قال: ثمَّ كثر مالي وعرضت تجارتي بالكوفة وبالبصرة فأتيت يوماً بالبصرة عند محمّد بن سليمان وهو والي البصرة إذ ألقى إليَّ كتاباً وقال: يا شهاب أعظم الله جزاك وآجرك في إمامك جعفر بن محمّد، قال: فذكرت الكلام فخنقتني العبرة فخرجت فأتيت منزلي وجعلت أبكي على أبي عبد الله عليه السلام.

وروى عليّ بن إسماعيل بن عمّار، عن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنَّ لنا أموالاً ونحن نعامل النّاس ونخاف إن حدث حادث أن تفرّق أموالنا قال: فقال: اجمع مالك في كلّ شهر ربيع قال عليُّ بن إسماعيل: فمات إسحاق في شهر ربيع.

وأحمد بن قابوس، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل عليه قوم من أهل خراسان فقال ابتداء من غير مسألة: من جمع مالاً من مهاوش أذهبه الله في نهابر[1] فقالوا: جعلنا الله فداك لا نفهم هذا الكلام فقال عليه السلام: «أزباد آيد بدم بشود»[2].

وروى أنَّ داود بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس قتل المعلّى بن خنيس مولى الصادق وأخذ ماله فدخل عليه وهو يجرُّ رداءه فقال: قتلت مولاي وأخذت ماله أما علمت أنَّ الرَّجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب أما والله لأدعونَّ الله عليك، فقال له داود: شهدنا بدعائك ـ كالمستهزىء بقوله ـ فرجع أبو عبد الله عليه السلام إلى داره ولم يزل ليلته كلّها قائماً وقاعداً حتّى إذا كان السّحر سمع وهو يقول في مناجاته: «يا ذا القوّة القويّة ويا ذا المحال الشّديد ويا ذا العزّة التي كلُّ خلقك لها

---

(١) المهاوش: كل مال أصيب من غير حله كالغصب والسرقة ونحو ذلك. والنهابر كالمنابر: المهالك.

(٢) المثال معروف بالفارسية: «باد آورده را بادش برد». ولا يخفى لطف ما في كلام الإمام عليه السلام «بدم بشود».

ذليل، اكفني هذا الطاغية وانتقم لي منه» فما كان إلاّ ساعة حتّى ارتفعت الأصوات بالصّياح وقيل: قد مات داود بن عليّ الساعة.

واشتهر في الرواية أنَّ المنصور أمر الرّبيع بإحضار أبي عبد الله عليه السلام فأحضره فلمّا بصر به قال: قتلني الله إن لم أقتلك أتلحد في سلطاني وتبغيني الغوائل؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: والله ما فعلت ولا أردت فإن كان بلغك فمن كاذب ولو كنت فعلت لقد ظلم يوسف فغفر وابتلي أيّوب فصبر وأُعطي سليمان فشكر، فهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك، فقال له المنصور: أجل ارتفع ههنا، فارتفع فقال له: فلان بن فلان أخبرني عنك بما ذكرت، فقال: أحضره يا أمير المؤمنين ليواقفني على ذلك، فأُحضر الرَّجل المذكور فقال له المنصور: أنت سمعت ما حكيت عن جعفر؟ قال: نعم، قال له أبو عبد الله عليه السلام: فاستحلفه على ذلك فقال له المنصور: أتحلف؟ قال: نعم فابتدأ باليمين فقال أبو عبد الله: دعني يا أمير المؤمنين أُحلّفه أنا، فقال له: إفعل، فقال أبو عبد الله عليه السلام للسّاعي: قل برئت من حول الله وقوّته والتجأت إلى حولي وقوّتي لقد فعل كذا وكذا جعفر، فامتنع منها هنيئة ثمَّ حلف بها فما برح حتّى اضطرب برجله، فقال أبو جعفر: جرُّوا برجله، فأخرجوه لعنه الله.

قال الربيع: وكنت رأيت جعفر بن محمّد حين دخل على المنصور يحرّك شفتيه فكلّما حرّكهما سكن غضب المنصور حتّى أدناه منه ورضي عنه فلمّا خرج أبو عبد الله عليه السلام من عند أبي جعفر اتبعته فقلت له: إنَّ هذا الرَّجل كان أشدَّ الناس غضباً عليك فلمّا دخلت عليه وحرّكت شفتيك سكن غضبه فبأيّ شيء كنت تحرّكهما؟ قال: بدعاء جدّي الحسين بن عليّ عليهما السلام فقلت: جعلت فداك وما هذا الدُّعاء؟ قال: «يا عدَّتي عند شدَّتي ويا غوثي عند كربتي احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام» قال الرَّبيع: فحفظت هذا الدُّعاء فما نزلت بي شدَّة قطُّ فدعوت به إلاّ فرّج الله عنّي قال: وقلت لجعفر بن محمّد: لم منعت السّاعي أن يحلف بالله تعالى؟ قال: كرهت أن يراه الله يوحّده ويمجّده فيحلم عنه ويؤخّر عقوبته فاستحلفته بما سمعت فأخذه الله أخذة رابية[1].

---

(١) قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿**فأخذه أخذة رابية**﴾ أي زائدة في الشدة زيادة أعمالهم في القبح. =

وأمثال ما ذكرناه من الأخبار في آياته ودلالاته وإخباره بالغيوب كثيرة يطول تعدادها.

فمن ذلك ما أورده أبو الفرج عليُّ بن الحسين الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيّين ورواه بأسانيده المتّصلة عن رجاله أنَّ جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء منهم إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن عليّ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن وابناه محمّد وإبراهيم فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: قد علمتم أنَّ ابني هذا هو المهدي فهلمَّ نبايعه، فقال أبو جعفر: لأيّ شيء تخدعون أنفسكم والله لقد علمتم ما النّاس إلى أحد أطول أعناقاً ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى ـ يريد به محمّد بن عبد الله ـ فبايعوا محمّداً جميعاً ومسحوا على يده.

وأرسل إلى جعفر بن محمّد بن عليّ الصادق عليه السلام فجاء وأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه ثمَّ تكلّم بمثل كلامه فقال جعفر: لا تفعلوا فإنّ هذا الأمر لم يأت بعد إن كنت ترى ـ يعني عبد الله ـ أنَّ ابنك هذا هو المهديّ فليس به، ولا هذا أوانه وإن كنت إنّما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإنّا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونبايع ابنك بهذا الأمر، فغضب عبد الله وقال: لقد علمت خلاف ما تقول ووالله ما أطلعك الله على غيبه ولكنّه يحملك على هذا الحسد لابني، فقال: والله ما ذاك يحملني ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم ـ وضرب بيده على ظهر أبي العبّاس ـ ثمَّ ضرب على كتف عبد الله بن الحسن وقال: إنّها والله ما هي إليك ولا إلى ابنيك ولكنها لهم، وإنّ ابنيك لمقتولان، ثمَّ نهض وتوكّأ على عبد العزيز بن عمران الزهريّ فقال: أرأيت صاحب الرداء الأصفر؟ ـ يعني أبا جعفر ـ فقال له: نعم، فقال: إنّا والله نجده يقتله قال له عبد العزيز: أيقتل محمّداً؟ قال: نعم، قال: فقلت في نفسي: حسده وربّ الكعبة! قال: والله ما خرجت من الدُّنيا حتّى رأيته قتلهما، قال: فلمّا قال جعفر ذلك نهض القوم فافترقوا وتبعه عبد الصمد وأبو جعفر فقال: يا أبا عبد الله أتقول هذا؟ قال: نعم، أقوله والله وأعلمه.

قال أبو الفرج: وحدَّثني علي بن العبّاس قال: أخبرنا بكار بن أحمد قال:

حدَّثنا الحسن بن الحسين عن عنبسة بن بجاد العابد قال: كان جعفر بن محمّد إذا رأى محمّد بن عبد الله تغرغرت عيناه وقال: بنفسي هو، إنَّ الناس ليقولون فيه إنّه المهديّ وإنّه لمقتول ليس في كتاب عليّ من خلفاء هذه الأمّة.

ومن ذلك ما رواه صاحب نوادر الحكمة، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبي محمّد الحميري، عن الوليد بن العلاء بن سيابة، عن زكار بن أبي زكار الواسطي قال: كنت عند أبي عبد الله إذ أقبل رجل فسلّم ثمَّ قبّل رأس أبي عبد الله عليه السلام قال: فمسَّ أبو عبد الله ثيابه وقال ما رأيت كاليوم ثياباً أشدّ بياضاً ولا أحسن منها، فقال: جعلت فداك هذه ثياب بلادنا وجئتك منها بخير من هذه، قال: فقال: يا معتّب اقبضها منه، ثمَّ خرج الرَّجل فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدق الوصف وقرب الوقت هذا صاحب الرايات السود التي يأتي بها من خراسان، ثمَّ قال: يا معتّب الحقه فسله ما اسمه؟ ثمَّ قال لي: إن كان عبد الرَّحمن فهو والله هو، قال: فرجع معتّب فقال: قال: اسمي عبد الرَّحمن، قال زكار بن أبي زكار: فمكثت زماناً فلمّا ولي ولد العبّاس نظرت إليه وهو يعطي الجند فقلت لأصحابه: من هذا الرجل؟ فقالوا: هذا عبد الرّحمن.

وذكر ابن جمهور العمّي في كتاب الواحدة قال: حدَّث أصحابنا أنَّ محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن قال لأبي عبد الله: والله إنّي لأعلم منك وأسخى منك وأشجع منك، فقال: أمّا ما قلت: إنّك أعلم منّي فقد أعتق جدّي وجدّك ألف نسمة من كدّ يده فسمّهم لي وإن أحببت أن أُسمّيهم لك إلى آدم فعلت.

وأما ما قلت: إنّك أسخى منّي فوالله ما بتُّ ليلة ولله عليَّ حقٌّ يطالبني به.

وأما ما قلت: إنّك أشجع منّي فكأنّي أرى رأسك وقد جيء به ووضع على حجر الزنابير يسيل منه الدَّم إلى موضع كذا وكذا، قال: فصار إلى أبيه فقال: يا أبه كلّمت جعفر بن محمّد بكذا فردَّ عليَّ كذا فقال أبوه: يا بنيّ آجرني الله فيك إنَّ جعفراً أخبرني أنّك صاحب حجر الزَّنابير.

* * *

من الأخبار الصريحة الدالة على إمامته

ما رواه محمّد بن يعقوب الكليني، عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن جماعة من رجاله، عن يونس بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال: إنّي رجلٌ صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك فقال له أبو عبد الله عليه السلام: كلامك هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو من عندك؟ فقال: من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعضه ومن عندي بعضه، فقال له أبو عبد الله: فأنت شريك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لا، قال: فسمعت الوحي عن الله عزَّ وجلَّ يخبرك؟ قال: لا، قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لا، فالتفت أبو عبد الله إليَّ فقال: يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلّم ثمَّ قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلّمته، قال يونس: فيا لها من حسرة فقلت: جعلت فداك سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام، يقولون: هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق[1]، وهذا نعقله وهذا لا نعقله! فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّما قلت: ويل لقوم تركوا قولي وذهبوا إلى ما يريدون[2].

ثمَّ قال: أُخرج إلى الباب فانظر من تراه من المتكلّمين فأدخله، قال: فخرجت فوجدت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام ومحمّد بن النعمان الأحول وكان متكلّماً وهشام بن سالم وقيس الماصر وكانا متكلّمين فأدخلتهم عليه فلمّا استقرَّ بهم المجلس وكنّا في خيمة لأبي عبد الله على طرف جبل من طرف الحرم وذلك قبل الحجّ بأيّام وأخرج أبو عبد الله رأسه من الخيمة فإذا هو ببعير

(١) إشارة إلى ما يقوله أهل المناظرة في مجادلاتهم: «سلمنا هذا ولكن لا نسلم ذلك» و«هذا ينساق وهذا لا ينساق» إشارة إلى قولهم للخصم: «له أن يقول كذا وليس له أن يقول كذا». (الوافي)

(٢) أي تركوا ما ثبت مني وصح نقله عني من مسائل الدين وأخذوا بآرائهم فيها فنصروها بمثل هذه المجادلات. (الوافي)

يخبُّ[١] فقال: هشام وربِّ الكعبة، قال: فظننّا أنَّ هشاماً رجلٌ من ولد عقيل[٢] كان شديد المحبّة لأبي عبد الله فإذا هو هشام بن الحكم قد ورد وهو أوَّل ما اختطّت لحيته وليس فينا إلاّ من هو أكبر سنّاً منه، فوسّع له أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، ثمَّ قال لحمران: كلّم الرَّجل ـ يعني الشامي ـ فكلّمه حمران فظهر عليه، ثمَّ محمّد بن النعمان[٣]، ثمَّ قال: يا هشام بن سالم كلّمه فتعارفا[٤]، ثمَّ قال لقيس الماصر: كلّمه، فكلّمه وأقبل أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يتبسّم من كلامهما وقد استخذل الشامي في يده ثمَّ قال للشّامي: كلّم هذا الغلام يعني هشام بن الحكم فقال: نعم، ثمَّ قال الشامي لهشام: يا غلام سلني في إمامة هذا ـ يعني أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فغضب هشام حتّى ارتعد[٥]، ثمَّ قال: أخبرني يا هذا أربّك أنظر لخلقه أم هم لأنفسهم؟ قال: بل ربّي أنظر لخلقه، قال: ففعل بنظره لهم في دينهم ماذا؟ قال الشامي: كلّفهم وأقام لهم حجّة ودلائل على ما كلّفهم وأزاح في ذلك علّتهم، فقال له هشام: فما الدّليل الذي نصبه لهم قال الشاميُّ: هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال هشام: فبعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من؟ قال: الكتاب والسنّة، فقال له هشام: فهل ينفعنا اليوم الكتاب والسنّة فيما اختلفنا فيه حتّى يرفع عنّا الاختلاف ويمكّنّا من الاتّفاق؟ قال الشامي: نعم، قال هشام: فلم اختلفنا نحن وأنت وجئتنا من الشام تخالفنا وتزعم أنَّ الرّأي طريق الدّين وأنت مقرٌّ بأنَّ الرّأي لا يجمع على القول الواحد المختلفين؟ فسكت الشامي كالمفكّر فقال له أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما لك لا تتكلّم؟ قال: إن قلت: إنّا ما اختلفنا كابرت وإن قلت: الكتاب والسنّة يرفعان عنّا الاختلاف أبطلت لأنّهما يحتملان الوجوه ولكن لي عليه مثل ذلك، فقال له أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: سله تجده مليّاً، فقال الشّامي لهشام: من أنظر للخلق؟ ربّهم أم أنفسهم؟ قال هشام: بل

---

(١) الخبب: ضرب من العدو وبابه ضرب.

(٢) أي فظننا أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد بقوله: «هشام» هو الذي كان من ولد عقيل لأنه كان يحبه شديداً.

(٣) في الإرشاد «ثم قال يا طاقي كلمه فكلمه فظهر عليه محمد بن النعمان».

(٤) أي تكلما بما عرف كل منهما صاحبه وكلامه بلا غلبة لأحدهما على الآخر وفي الوافي «فتعاركا» أي لم يغلب أحدهما على الآخر. وفي بعض نسخ الكافي «فتعارقا» أي وقعا في العرق وهو كناية عن طول المناظرة.

(٥) كأنه أساء أدب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أو استهزء بهشام ولهذا غضب. (الوافي)

ربّهم أنظر لهم، فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ويرفع اختلافهم ويبيّن لهم حقّهم من باطلهم؟ قال هشام: نعم، قال الشاميّ: من هو؟ قال هشام: أمّا في ابتداء الشريعة فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمّا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فغيره، قال الشاميُّ: ومن هو غير النبيّ القائم مقامه في حجّته؟ قال هشام: في وقتنا هذا أم قبله قال الشامي: بل في وقتنا هذا؟ فقال هشام: هذا ـ يعني أبا عبد الله عليه السلام ـ الذي تشدُّ إليه الرّحال ويخبرنا عن أخبار السماء وراثة عن النبيّ وعن أب وجدّ، قال الشامي: فكيف لي بعلم ذلك؟ قال هشام: سله عمّا بدا لك، قال الشاميُّ: قطعت عذري فعليَّ السؤال. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أنا أكفيك المسألة يا شامي أخبرك عن مسيرك وسفرك خرجت يوم كذا وكانت طريقك كذا ومررت على كذا ومرَّ بك كذا، فأقبل الشامي كلّما وصف له شيئاً من أمره يقول: صدقت والله ثمَّ قال الشامي: أسلمت الساعة فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنّك آمنت بالله الساعة إنَّ الإسلام قبل الإيمان وعليه تتوارثون وتتناكحون، والإيمان عليه تثابون، قال الشامي: صدقت فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمّداً رسول الله وأنّك وصيّ الأوصياء.

قال: فأقبل أبو عبد الله على حمران فقال: يا حمران تجري الكلام على الأثر فتصيب[1] والتفت إلى هشام بن سالم فقال: تريد الأثر ولا تعرفه، ثمَّ التفت إلى الأحول فقال: قيّاس روَّاغ تكسر باطلاً بباطل[2] إلاّ أنَّ باطلك أظهر، ثمَّ التفت إلى قيس الماصر فقال: تتكلّم وأقرب ما تكون من الخبر عن الرَّسول أبعد ما تكون منه[3] تمزج الحقَّ بالباطل وقليل الحقّ يكفي عن كثير الباطل أنت والأحول قفّازان[4] حاذقان، قال يونس بن يعقوب: فظننت والله أنّه يقول لهشام قريباً ممّا قال لهما

(١) أي على الأخبار المأثورة عن المعصومين عليهم السلام فتصيب الحق، أو على أثر كلامك السابق، أو على أثر كلام الخصم. والأول أظهر.

(٢) «قياس» على صيغة المبالغة أي أنت كثير القياس وكذلك «رواغ» ـ بالراء المهملة والغين المعجمة ـ أي كثير الروغان وهو ما يفعله الثعلب من المكر والحيلة ويقال للمصارعة أيضاً. (الوافي)

(٣) أي إذا قربت بالاستشهاد بحديث النبوي وأمكنك أن تتشبث به تركته وأخذت أمراً آخر بعيداً من مطلوبك. (الوافي).

(٤) بالقاف والفاء المشددة والزاي من القفز وهو الوثوب.

فقال: يا هشام لا تكاد تقع تلوي رجليك إذا هممت بالأرض طرت[١]، مثلك فليتكلّم النّاس، اتّق الزّلّة والشفاعة من ورائك.

وهذا الخبر مع ما فيه من المعجزات الدّالّة على إمامة أبي عبد الله عليه السلام متضمّن لإثبات حجيّة النظر ودلالة الإمامة من طريق النظر والاستدلال.

الفصل الرابع

في ذكر طرف من مناقبه ومختصر من أخباره ومآثره

كان أعلم أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله في زمانه بالاتّفاق وأنبههم ذكراً وأعلاهم قدراً وأعظمهم مقاماً عند العامّة والخاصّة، ولم ينقل عن أحد من سائر العلوم ما نقل عنه، وإنَّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسامي الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في المقالات والديانات فكانوا أربعة آلاف رجل.

روى أبو محمّد الحسن بن حمزة الحسيني في كتاب التفهيم بإسناده، عن سدير الصيرفي قال: قال الصادق عليه السلام: نحن تراجمة وحي الله، نحن خزّان علم الله، نحن قومٌ معصومون، أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجّة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض.

وفيه أيضاً بإسناده، عن جميل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: النّاس ثلاثة: عالمٌ ومتعلّم وغثاء، نحن العلماء وشيعتنا المتعلّمون وسائر النّاس غثاء.

وكان يقول: علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقرٌ في الأسماع، وإنَّ عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة عليها السلام، وإنَّ عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاجون إليه، فسئل عن تفسير كلامه عليه السلام، فقال: أمّا الغابر فالعلم بما يكون، وأمّا المزبور فالعلم بما كان، وأمّا النكت في القلوب فهو الإلهام، وأمّا النقر في الأسماع فحديث الملائكة عليهم السلام نسمع كلامهم ولا نرى شخصهم، وأمّا

---

(١) أي أنك كلما قربت من الأرض وخفت الوقوع عليها لويت رجليك كما هو شأن الطير عند إرادة الطيران ثم طرت ولم تقع. (مرآة العقول)

الجفر الأحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله ﷺ ولن يخرج حتّى يقوم قائمنا أهل البيت، وأمّا الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود عليهم السلام وكتب الله المنزلة، وأمّا مصحف فاطمة عليها السلام ففيه ما يكون من حادث وأسماء كلّ من يملك إلى أن تقوم الساعة وأمّا الجامعة فكتاب طوله سبعون ذراعاً، إملاء رسول الله ﷺ وخطُّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده، فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة.

وكان عليه السلام يقول: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله ﷺ حديث الله عزّ وجلّ.

وروى عنه محمّد بن شريح أنّه قال: لولا أنَّ الله تعالى فرض ولايتنا وأمر بمودّتنا ما وقفناكم على أبوابنا ولا أدخلناكم بيوتنا، والله ما نقول إلاّ ما قال ربّنا أُصولٌ عندنا نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم.

وفي رواية أبي حمزة الثمالي قال: ألواح موسى عليه السلام عندنا وعصا موسى عندنا ونحن ورثة النبيّين.

وروى معاوية بن وهب عن سعيد السمّان قال: كنت عند أبي عبد الله إذ دخل عليه رجلان من الزيديّة فقالا: أفيكم إمام مفترض الطّاعة؟ قال: فقال: لا، فقالا: قد أخبرنا عنك الثقات أنّك تقول به؟ وسمّوا قوماً، فغضب عليه السلام وقال: ما أمرتهم بهذا فلمّا رأيا الغضب في وجهه خرجا، فقال لي: أتعرف هذين؟ قلت: نعم، هما من أهل سوقنا وهما من الزيديّة وهما يزعمان أنَّ سيف رسول الله ﷺ عند عبد الله بن الحسن، فقال: كذبا لعنهما الله والله ما رآه عبد الله بن الحسن بعينيه ولا بواحدة من عينيه ولا رآه أبوه إلاّ أن يكون أراه عليُّ بن الحسين فإن كانا صادقين فما علامة في مقبضه وما أثر في موضع مضربه[1] وإنَّ عندي لسيف رسول الله ﷺ ورايته ودرعه ولأمته ومغفره[2]، فإن كانا صادقين فما علامة في درع

---

(١) مضرب السيف: نحو شبر من طرفه.

(٢) اللأمة ـ مهموزة ـ: الدرع. وقيل: السلاح، ولأمة الحرب أداته وقد يترك الهمزة تخفيفاً =

رسول الله ﷺ وإنَّ عندي الاسم الذي كان رسول الله ﷺ إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل إلى المسلمين من المشركين نُشّابة(١) وإنَّ عندي لمثل الذي جاءت به الملائكة ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل كانت بنو إسرائيل في أيّ أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أوتوا النبوّة ومن صار إليه السلاح منّا أُوتي الإمامة ولقد لبس أبي درع رسول الله ﷺ فخطّت على الأرض خطيطاً ولبستها أنا فكانت وكانت(٢) وقائمنا إذا لبسها ملأها إن شاء الله.

ووجدت في كتاب كمال الدين للشيخ أبي جعفر بن بابويه ـ رحمه الله ـ حدَّثنا عبد الواحد بن محمّد العطّار قال: حدّثنا عليُّ بن محمّد بن قتيبة النيسابوري قال: حدَّثنا حمدان بن سليمان، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن حيّان السراج قال: سمعت السيّد بن محمّد الحميري يقول: كنت أقول بالغلوّ وأعتقد غيبة محمّد بن الحنفيّة زماناً فمنّ الله عليَّ بالصادق جعفر بن محمّد عليه السلام فأنقذني من النّار وهداني إلى سواء الصراط فسألته بعدما صحّ عندي بالدّلائل التي شاهدتها منه أنّه حجّة الله على خلقه وأنّه الإمام الذي افترض الله طاعته فقلت له: يا ابن رسول الله قد روي لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحّة كونها فأخبرني بمن تقع؟ فقال: إنَّ الغيبة تقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمّة الهداة بعد رسول الله ﷺ أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وآخرهم القائم بقيّة الله في الأرض وصاحب الزمان والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدُّنيا حتّى يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

قال السيّد: فلمّا سمعت ذلك من مولاي الصادق عليه السلام تبت إلى الله تعالى على يديه وقلت قصيدتي الّتي أوّلها:

تجعفرت باسم الله والله أكبر ... وأيقنت أنَّ الله يعفو ويغفر
ودنت بدين غير ما كنت دائناً ... به ونهاني سيّد النّاس جعفر

= والمغفر ـ كمنبر ـ زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

(١) النشابة ـ بالتشديد ـ: واحدة النشاب وهي السهم العربي.

(٢) كذا. أي كانت قريبة من الاستواء. وقيل أي قد يصل وقد لا يصل.

فقلت هب أنّي قد تهوّدت برهة ... وإلاّ فدينـي ديـن مـن يتنصّر
فإنّي إلى الرَّحمن من ذاك تائب ... وإنّي قد أسلمت والله أكبر
فلست بغال ما حييت وراجع ... إلى ما عليه كنت أُخفي وأُضمر
ولا قائلاً حيٌّ برضوى محمّد ... وإن عاب جهّال مقالي وأكثروا
ولكنّه ممّن مضى لسبيله ... على أفضل الحالات يقفي ويخبر
مع الطيّبين الطاهرين الأولى لهم ... من المصطفى فرع زكيّ وعنصر

إلى آخرها وقلت بعدها:

أيا راكباً نحو المدينة جسرة ... عذافرة يُطوى بها كلُّ سبسب[1]
إذا ما هداك الله عاينت جعفراً ... فقل لوليّ الله وابن المهذّب
ألا يا أمين الله وابن أمينه ... أتوب إلى الرّحمن ثمَّ تأوبي
إليك من الأمر الذي كنت مطنباً ... أُحارب فيه جاهداً كلَّ معرب
وما كان قولي في ابن خولة مبطناً ... معاندة منّي لنسل المطيّب
ولكن روينا عن وصي نبيّنا ... وما كان فيما قاله بالمكذّب
بأنّ وليّ الأمر يفقد لا يرى ... ستيراً كفعل الخائف المترقّب
فتقسم أموال الفقيد كأنّما ... تغيّبه بين الصفيح المنصّب[2]
فيمكث حيناً ثمَّ يشرق شخصه ... مضيئاً بنور العدل إشراق كوكب
يسير بنصر الله من بيت ربّه ... على سؤدد منه وأمر مسبّب
يسير إلى أعدائه بلوائه ... فيقتلهم قتلاً كحرّان مغضب
فلمّا رُوي أنَّ ابن خولة غائب ... صرفنا إليه قوله لم نكذب
وقلنا هو المهديّ والقائم الذي ... يعيش به من عدله كلُّ مجدب
فإن قلت: لا، فالقول قولك والذي ... أمرت فحتمٌ غير ما متعتّب[3]

---

(١) الجسرة: البعير الذي أعيا وغلظ من السير. والعذافرة: العظيمة الشديدة من الإبل. والسبسب: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة.

(٢) والصفيح: السماء ووجه كل شيء عريض وهنا يحتمل الوجهين.

(٣) في الإرشاد للمفيد وكشف الغمة للإربلي ـ رحمهما الله ـ «غير ما متعصب».

وأُشهد ربّي أنَّ قولك حجّة على النّاس طرّاً من مطيع ومذنب
بأنّ وليّ الأمر والقائم الذي تطلّع نفسي نحوه بتطرُّب
له غيبة لا بدّ من أن يغيبها فصلّى عليه الله من متغيّب
فيمكث حيناً ثمّ يظهر حينه فيملأ عدلاً كلّ شرق ومغرب
بذاك أدين الله سرّاً وجهرة ولست وإن عوتبت فيه بمعتب

قال: وكان حيّان السرّاج الرّاوي لهذا الحديث من الكيسانيّة وكان السيّد بن محمّد بلا شكّ كيسانيّاً قبل ذلك يزعم أنَّ ابن الحنفيّة هو المهديّ وأنّه مقيم في جبال رضوى وشعره مملوءٌ بذلك فمن ذلك قوله:

ألا إنَّ الأئمّة من قريش ولاة الأمر أربعة سواء
عليٌّ والثلاثة من بنيه هم أسباطنا والأوصياء[1]
فسبط سبط إيمان وبرّ وسبط غيّبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتّى يقود الجيش يقدمه اللّواء[2]
يغيب لا يرى عنّا زماناً برضوى عنده عسل وماء

وقوله:

أيا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى وبنا إليه من الصبابة أولق
حتّى متى؟ وإلى متى؟ وكم المدى؟ يا ابن الوصيّ وأنت حيٌّ ترزق
إنّي أُؤمّل أن أراك وإنّني من أن أموت ولا أراك لأفرق

وقوله:

ألا حيٍّ مقيم شعب رضوى وأهد له بمنزله السلاما
وقل يا ابن الوصيّ فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما
تمرّ بمعشر وألوف منّا وسمّوك الخليفة والإماما

---

(١) في الملل والنحل للشهرستاني «هم الأسباط ليس بهم خفاء».
(٢) في الملل والنحل «يقود الخيل يقدمه اللواء».

فمـا ذاق ابـن خـولـة طعـم مـوت ولا وارت لـــه أرض عظـــامـــا

وفي شعره الذي ذكرناه دليل على رجوعه عن ذلك المذهب وقبوله إمامة الصادق عليه السلام.

ومنه أيضاً دليل على أنّه عليه السلام دعاه إلى إمامته وعلى صحّة القول بغيبة صاحب الزّمان.

ومما نقل عنه صلوات الله عليه في الحجّة والبيان والرَّدّ على منكري الحقّ ومخالفي الإيمان ما رواه:

محمّد بن يعقوب الكلينيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبّاس بن عمرو الفقيمي أنَّ ابن أبي العوجاء وابن طالوت وابن الأعمى وابن المقفّع في نفر من الزنادقة كانوا مجتمعين في الموسم في المسجد الحرام وأبو عبد الله جعفر بن محمّد إذ ذاك فيه يفتي الناس ويفسّر لهم القرآن ويجيب عن المسائل، فقال القوم لابن أبي العوجاء: هل لك في تغليظ هذا الجالس وسؤاله عمّا يفضحه عند هؤلاء المحيطين به فقد ترى فتنة الناس به وهو علاّمة زمانه، فقال لهم ابن أبي العوجاء: نعم، ثمَّ تقدَّم ففرَّق الناس وقال: يا أبا عبد الله إنَّ المجالس أمانات ولا بدَّ لكلّ من به سعال أن يسعل أفتأذن لي في السؤال؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: سل إن شئت فقال: إلى كم تدوسون إلى هذا البيدر وتلوذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب[١] والمدر وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر، من فكّر في هذا وقدَّر علم أنّه فعل غير حكيم ولا ذي نظر فقل إنّك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أُسّه ونظامه؟ فقال الصادق عليه السلام: إنَّ من أضلّه الله وأعمى قلبه استوخم الحقَّ[٢] فلم يستعذ به وصار الشيطان وليّه وربّه، يورده مناهل الهلكة، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه فحثّهم على تعظيمه وزيارته وجعله قبلة للمصلّين، فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة

(١) البيدر ـ وزان خيبر ـ: الموضع الذي يداس فيه الطعام. والطوب: الآجر.

(٢) أي استثقله، استوخم الطعام ـ وتوخمه: استوبله ولم يستمرئه، يقال: طعام وخيم أي غير موافق.

والجلال، خلقه قبل دحو الأرض بألفي عام وأحقُّ من أُطيع فيما أمر وانتهي عمّا زجر اللهُ المنشيء للأرواح والصور[١] فقال له ابن أبي العوجاء: ذكرت يا أبا عبد الله فأحلت على غائب فقال الصّادق عليه السلام: كيف يكون غائباً ـ يا ويلك ـ من هو مع خلقه شاهدٌ وإليهم أقرب من حبل الوريد يسمع كلامهم ويعلم أسرارهم ولا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان ولا يكون إلى مكان أقرب منه من مكان، تشهد له بذلك آثاره وتدلُّ عليه أفعاله والذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم جاءنا بهذه العبادة فإن شككت في شيء من أمره فاسأل عنه أوضحه لك قال: فأبلس ابن أبي العوجاء فلم يدر ما يقول فانصرف من بين يديه وقال لأصحابه: سألتكم أن تلتمسوا لي جمرة فألقيتموني على جمرة[٢] قالوا له: أُسكت فوالله لقد فضحتنا بحيرتك وانقطاعك وما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه فقال: إلى من تقولون هذا إنّه ابن من حلق رؤوس من ترون وأشار بيده إلى أهل الموسم.

ومن ذلك ما روي أنَّ أبا شاكر الدّيصاني وقف ذات يوم في مجلسه فقال له: إنّك لأحد النجوم الزّواهر وكان آباؤك بدوراً بواهر وأُمّهاتك عقيلات عباهر[٣] وعنصرك من أكرم العناصر وإذا ذكر العلماء فبك تثنّى الخناصر فخبّرنا أيّها البحر الخضمّ الزّاخر[٤] ما الدَّليل على حدوث العالم؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: من أقرب الدليل على ذلك ما أذكره فدعا ببيضة فوضعها في راحته ثمَّ قال: هذا حصن ملموم باطنه غرقىء[٥] رقيق يطيف به كالفضّة السائلة والذّهب المائع أتشكُّ في ذلك قال أبو شاكر: لا شكَّ فيه قال أبو عبد الله: ثمّ إنّه ينفلق عن صورة كالطاووس،

---

(١) قوله: «الله» خبر لقوله أحق.

(٢) يقال: أبلس أي يئس وتحير. والجمرة ـ بالفتح ـ: الموقدة والحصاة. فالمراد بالأول الثاني وبالثاني الأول أي سألتكم أن تطلبوا لي حصاة ألعب بها وأرميها فألقيتموني في النار المتقدة التي لا يمكنني الخلاص منها. وفي الإرشاد «أن تلتمسوا لي خمرة».

(٣) عقيلة كل شيء أكرمه. والعبهر: الجامعة للحسن في الجسم والخلق والجمع عباهر.

(٤) «فبك تثنى الخناصر» أي أنت تعدّ أولاً قبلهم لكونك أفضل وأشهر منهم وإنما يبدأ في العد بالخنصر، والثني: العطف. والخضم ـ بكسر الخاء وفتح الضاد المشددة ـ: الكثير العطاء. وقال الجوهري: زخر الوادي: إذا امتد حداً وارتفع، يقال: بحر زاخر.

(٥) أي مضموم بعضه إلى بعض: والغرقىء: قشر البيضة الملتصق بها.

أدخله شيء غير ما عرفت؟ قال: لا، قال: فهذا الدّليل على حدوث العالم فقال أبو شاكر: دللت يا أبا عبد الله فأوضحت وقلت فأحسنت وذكرت فأوجزت وقد علمت أنّا لا نقبل إلاّ ما أدركناه بأبصارنا أو سمعناه بآذاننا أو ذقناه بأفواهنا أو شممناه بأنوفنا أو لمسناه ببشرتنا فقال له أبو عبد الله: ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع في الاستنباط إلاّ بالدّليل كما لا تنقطع الظلمة بغير مصباح.

أراد أنَّ الحواس لا توصل إلى العلم بالغائبات إلاّ بالعقل وإنَّ الذي أراه من حدوث معقول يوصل إلى العلم به بالمحسوس.

ومن ذلك قد روي أنّه سئل عن التوحيد والعدل فقال: التوحيد أن لا تجوّز على ربّك ما جاز عليك والعدل أن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه. وهذا يؤول في المعنى إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام إنَّ التوحيد أن لا تتوهّمه والعدل أن لا تتّهمه.

وقيل للصادق عليه السلام: أنت أعلم أم أبوك؟ فقال: أبي أعلم منّي وعلم أبي لي.

وروى عليُّ بن أسباط، عن داود الرقّي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف أدعو الله أن يرضي عنّي إمامي قال: تقول: اللّهمَّ ربّ إمامي وربّي وخالق إمامي وخالقي ورازق إمامي ورازقي أرضِ عنّي إمامي.

وما حفظ عنه وتلقّي منه في أنواع العلوم وفنون الحكم أكثر من أن يُحصى وأن يحويه كتاب أو يحصره حساب والاقتصار على ما أوردناه أليق بالباب والله الموفّق للصواب.

الفصل الخامس

في ذكر أولاده ونبذ من أخبارهم
كان له عليه السلام عشرة أولاد

إسماعيل، وعبد الله، وأمّ فروة أُمّهم فاطمة بنت الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وموسى، وإسحاق، وفاطمة، ومحمّد لأُمّ

ولد اسمها حميدة البربريّة، والعبّاس، وعليّ، وأسماء لأُمّهات أولاد شتّى.

أما إسماعيل فكان أكبر إخوته وكان أبوه شديد المحبّة له والبرّ به وقد كان قوم من الشيعة في حياة الصادق عليه السلام يظنّون أنّه القائم بعده والخليفة له لميل أبيه إليه وإكرامه له ولأنّه أكبر إخوته سنّاً فمات في حياة أبيه الصادق عليه السلام بالعريض[١] وحمل على رقاب الناس إلى أبيه بالمدينة فجزع عليه جزعاً شديداً وتقدّم سريره بغير حذاء ولا رداء وكان يأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة ويكشف عن وجهه وينظر إليه، يريد عليه السلام إزالة الشبهة عن الذين ظنّوا خلافته له من بعده وتحقيق أمر وفاته عندهم، ودفن ـ رحمه الله ـ بالبقيع ولمّا مات إسماعيل رجع عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظنّ ذلك وأقام على حياته طائفة لم تكن من خواصّ أبيه بل كانوا من الأباعد، فلمّا مات الصّادق عليه السلام انتقل جماعة منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر عليهما السلام وافترق باقون منهم فرقتين فريق منهم رجعوا عن حياة إسماعيل وقالوا بإمامة ابنه محمّد بن إسماعيل لظنّهم أنّ الإمامة كانت في أبيه وأنّ الابن أحقُّ بمقام الإمامة من الأخ وفريق منهم ثبتوا على حياة إسماعيل وهم اليوم شذاذ وهذان الفريقان يسمّيان الإسماعيليّة.

وأما عبد الله بن جعفر فإنّه كان أكبر إخوته بعد إسماعيل ولم تكن منزلته عند أبيه منزلة غيره من الأولاد وكان متّهماً بالخلاف على أبيه في الاعتقاد وادّعى الإمامة بعد وفاة أبيه أبي عبد الله عليه السلام وتابعه قومٌ ثمّ رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة موسى لمّا ظهر عندهم براهين إمامته ولم يبق على القول بإمامة عبد الله إلاّ طائفة يسيرة تسمّى الفطحيّة وإنّما لزمهم هذا اللّقب لأنّه كان أفطح الرّجلين[٢] ويقال: لأنّ داعيهم إلى ذلك رجل اسمه عبد الله بن الأفطح.

وأما محمّد بن جعفر فكان يرى رأي الزيديّة في الخروج بالسيف وكان سخيّاً شجاعاً وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً وكان يذبح كلّ يوم كبشاً للضيافة، وخرج على المأمون في سنة تسع وتسعين ومائة فخرج لقتاله عيسى الجلودي فهزم أصحابه وأخذه وأنفذه إلى المأمون فوصله وأكرمه وكان مقيماً معه بخراسان ويركب إليه في

(١) عريض ـ كزبير ـ: واد بالمدينة.

(٢) أي عريض الرجلين.

مركب بني عمّه وكان المأمون يحتمل منه ما لا يحتمل السلطان من رعيّته.

وروي أنَّ المأمون أنكر ركوبه إليه في جماعة الطالبيّة التي خرجت عليه معه فخرج التوقيع من المأمون إليهم لا تركبوا مع محمّد بن جعفر واركبوا مع عبيد الله بن الحسين[١] فأبوا أن يركبوا ولزموا منازلهم فخرج التوقيع اركبوا مع من أحببتم فكانوا يركبون مع محمّد بن جعفر إذا ركب إلى المأمون وينصرفون بانصرافه.

وأما إسحاق بن جعفر فكان ورعاً فاضلاً مجتهداً وروى عنه الناس الحديث والآثار وكان ابن كاسب إذا حدَّث عنه قال: حدَّثني الثقة الرَّضي إسحاق بن جعفر وكان يقول بإمامة أخيه موسى وروى عن أبيه النصّ عليه بالإمامة.

وأما عليُّ بن جعفر فإنّه كان راوية للحديث، كثير الفضل والورع ولزم أخاه موسى بن جعفر وروى عنه مسائل كثيرة وقال بإمامة أخيه وإمامة عليّ بن موسى، ومحمّد بن عليّ، وروى عن أبيه النصّ على موسى أخيه.

وكان العبّاس بن جعفر فاضلاً نبيلاً.

الباب السادس

في ذكر الإمام العالم أبي الحسن موسى ابن جعفر الكاظم عليه السلام وهو ستة فصول

الفصل الأول

في ذكر تاريخ مولده ومبلغ سنه ووقت وفاته

ولد عليه السلام بالأبواء منزل بين مكّة والمدينة لسبع خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومائة وقبض ببغداد في حبس السنديّ بن شاهك لخمس بقين من رجب سنة

---

(١) في بعض نسخ الإرشاد عبد الله بن الحسين. وفي بعض هوامش الإرشاد هكذا «لعله هو سبط علي بن الحسين زين العابدين» انتهى. وفي مقاتل الطالبيين «وأمر المأمون آل أبي طالب بخراسان أن يركبوا مع غيره من آل أبي طالب فأبوا إلا أن يركبوا معه فأقرهم».

ثلاث وثمانين ومائة، وله يومئذ خمس وخمسون سنة وأُمّه أُمُّ ولد يقال لها: حميدة المصفّاة، وكنيته أبو الحسن وهو أبو الحسن الأوَّل وأبو إبراهيم وأبو علي ويعرف بالعبد الصالح والكاظم.

وكانت مدَّة إمامته خمساً وثلاثين سنة وقام بالأمر وله عشرون سنة وكانت في أيّام إمامته بقيّة ملك المنصور أبي جعفر، ثمَّ ملك ابنه المهديّ عشر سنين وشهراً ثمَّ ملك ابنه الهادي موسى بن محمّد سنة وشهراً ثمَّ ملك هارون بن محمّد الملقّب بالرشيد واستشهد بعد مضيّ خمس عشرة سنة من ملكه مسموماً في حبس السنديّ بن شاهك ودفن بمدينة السلام في المقبرة المعروفة بمقابر قريش.

الفصل الثاني

في ذكر النص عليه بالإمامة

دليل الاعتبار الذي قدَّمناه كما دلَّ على إمامة آبائه يدلُّ على إمامته وإمامة الأئمّة من ذرّيّته وإنّا دلّلنا على بطلان جميع أقوال مخالفي الشيعة القائلين بعصمة الإمام والنصّ، فإنّ الشيعة اختلفت بعد وفاة أبي عبد الله على أقوال قائل يقول: إنَّ الصادق لم يمت ولا يموت حتّى يظهر فيملأ الأرض عدلاً وهم الناووسيّة وإنّما سمّوا بذلك لأنّ رئيسهم في مقالتهم رجلٌ يقال له: عبد الله بن الناووس وقولهم باطل بقيام الدّليل على موته كقيامه على موت آبائه عليهم السلام وبانقراض هذه الفرقة بأسرها ولو كانت محقّة لما انقرضت. وقائل يقول بإمامة عبد الله بن جعفر وهم الفطحيّة وقولهم يبطل بأنّهم لم يعوّلوا في ذلك على نصّ عليه من أبيه بالإمامة وإذا عوَّلوا على ذلك لأنّه أكبر ولده[1]، وأيضاً فإنّهم رجعوا عن ذلك، إلاّ من شذَّ منهم وانقرضت الجماعة الشاذَّة أيضاً فلا يوجد منهم أحد وإنّما نحكي مذهبهم على سبيل التعجّب وما هذه صفته فلا شكّ في فساده.

وقائل يقول بإمامة إسماعيل بن جعفر على اختلاف بينهم، فمنهم من أنكر وفاته في حياة أبيه وزعم أنّه بقي ونصّ أبوه عليه وهم شذاذ.

(١) وقد صح عن الرضا عليه السلام «أن الإمامة في الكبير ما لم تكن به عاهة» وعبد الله به عاهة.

ومنهم من قال: إنَّ إسماعيل توفّي في زمن أبيه غير أنّه قبل وفاته نصَّ على ابنه محمّد فكان هو إمام بعده وهؤلاء هم القرامطة نسبوا إلى رجل يقال له: قرمطويه ويقال لهم: المباركيّة نسبوا إلى المبارك مولى إسماعيل بن جعفر عليه السلام.

وقول هؤلاء يبطل من وجهين: أحدهما أنَّ مذهبهم يقضي ببطلان حكاية دعوى التواتر عنهم بالنصّ وذلك أنَّ من أصلهم المعروف أنَّ الدّين مستور عن جمهور الخلق وإنّما يدعو إليه قوم بأعيانهم لا يبلغون التواتر ولا يوجد الحقّ إلاّ عنهم ولا يحلُّ لأحد من هؤلاء أن يوعز إلى الخلق شيئاً منه إلاّ بعد العهود والمواثيق فقد ثبت فساد قول من ادّعى عليهم التواتر وإنّما يعوّلون على أخبار آحاد وتأويلات في معنى الأعداد وقياس ذلك بالسماوات والأرضين والنجوم وغير ذلك من الشهور والأيّام ممّا يجري مجرى الخرافات، وهذا لا يعارض ما ذهبنا إليه من إيراد النصوص الظاهرة والتواتر بها من الأُمم الكثيرة والمتظاهرة، والوجه الآخر أن لا يكون نصٌّ من الله تعالى على من يعلم موته قبل إمامته من حيث يكون ذلك نقضاً للغرض ويكون عبثاً وكذباً وإذ لم يبق إسماعيل بعد أبيه بطل قول من ادّعى له النصَّ بخلافته ولا فصل بين من أنكر وفاته في عصر أبيه وادَّعى أنَّ ذلك كان تلبيساً وبين من أنكر موت أبي عبد الله من الناووسيّة وكذلك من ادَّعى أنّه نصَّ على ابنه محمّد لأنَّ الإمامة إذا لم تحصل لإسماعيل في حياة أبيه لفساد وجود إمامين معاً في زمان واحد فكيف يصحُّ نصّه على ابنه إذ النصُّ على الإمام لا يوجب الإمامة إلاّ إذا كان من إمام.

وقائل يقول بإمامة موسى بن جعفر وهم الشيعة الإماميّة فإذا فسدت الأقوال المتقدّمة ثبتت إمامة أبي الحسن موسى وإلاّ أدّى إلى خروج الحقّ عن جميع أقوال الأُمّة وأيضاً فإنّ الجماعة التي نقلت النصّ عليه من أبيه وجدّه وآبائه عليهم السلام قد بلغوا من الكثرة إلى حدّ يمتنع معه منهم التواطؤ على الكذب إذ لا يحصرهم بلد ومكان ولا يضمّهم صقع ولا يحصيهم إنسان.

وأما ألفاظ النصّ عليه من أبيه فمن ذلك ما رواه محمّد بن يعقوب الكليني عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبي أيّوب الخزّاز، عن ثبيت، عن معاذ بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أسأل الله الّذي رزق أباك منك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك قبل الممات مثلها، فقال: فعل الله

ذلك: قلت: من؟ جعلت فداك، فأشار إلى العبد الصالح وهو راقد فقال: هذا الرَّاقد وهو يومئذ غلام.

وبهذا الإسناد، عن أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ بن موسى الصيقل، عن المفضّل بن عمر قال: كنا عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فدخل أبو إبراهيم وهوغلام فقال لي أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: استوص به وضع أمره عند من تثق به من أصحابك.

وبهذا الإسناد، عن محمّد بن عليّ بن عبد الله القلاّ، عن الفيض بن المختار قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: خذ بيدي من النار من لنا بعدك؟ فدخل علينا أبو إبراهيم، فقال: هذا صاحبكم فتمسّك به.

عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي نجران، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال له منصور بن حازم: بأبي أنت وأُمّي إنَّ الأنفس يغدى عليها ويراح فإذا كان ذلك فمن؟ قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إذا كان ذلك فهو صاحبكم وضرب على منكب أبي الحسن الأيمن وكان يومئذ خماسيّاً وعبد الله بن جعفر جالسٌ معنا.

وبهذا الإسناد، عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن عبد الرّحمن بن أبي نجران، عن عيسى بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قلت له: إن كان كونٌ ـ ولا أراني الله ذلك ـ فبمن أئتمُّ؟ قال: فأوما إلى ابنه موسى، قلت له: فإن حدث بموسى حدثٌ فبمن أئتمُّ؟ قال: بولده، قلت: فإن حدث بولده وترك أخاً كبيراً وابناً صغيراً؟ قال: بولده ثمّ هكذا أبداً قلت: فإن لم أعرفه ولم أعرف موضعه؟ قال: تقول: «اللّهمّ إنّي أتولّى من بقي من حججك من ولد الإمام الماضي» فإنَّ ذلك يجزئك إن شاء الله.

وبهذا الإسناد، عن محمّد بن يحيى، وأحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن الحسن بن الحسين، عن أحمد بن الحسن الميثميّ، عن فيض بن المختار، في حديث طويل في أمر أبي الحسن حتّى قال له أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: هو صاحبكم الّذي سألت عنه فقم إليه فأقرَّ له بحقّه، فقمت حتّى قبّلت رأسه ويده ودعوت الله له، قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: أما إنّه لم يؤذن لنا في

ذلك[١] فقلت: جعلت فداك فأُخبر به أحداً؟ قال: نعم أهلك وولدك ورفقاءك فكان معي أهلي وولدي وكان معي من رفقائي يونس بن ظبيان، فلمّا أخبرته حمد الله تعالى وقال: لا والله حتّى أسمع منه ذلك وكانت به عجلة، فخرج فاتبعته فلمّا انتهيت إلى الباب سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول له ـ وكان سبقني إليه ـ: يا يونس الأمر كما قال لك فيض، فقال: سمعت وأطعت فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: خذه إليك يا فيض.

وبهذا الإسناد، عن أحمد بن إدريس. عن محمد بن عبد الجبّار، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد قال: دعا أبو عبد الله أبا الحسن موسى عليه السلام ونحن عنده فقال لنا: عليكم بهذا بعدي، فهو والله صاحبكم بعدي.

وبهذا الإسناد، عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن عليّ بن الحسن عن صفوان الجمّال قال: سألت أبا عبد الله عن صاحب هذا الأمر، فقال: إنّ صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب فأقبل أبو الحسن عليّ وهو صغير ومعه عناق مكّيّة[٢] وهو يقول لها: اسجدي لربّك فأخذه أبو عبد الله فضمّه إليه ثمَّ قال: بأبي وأمّي من لا يلهو ولا يلعب.

وبهذا الإسناد، عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسن، عن جعفر بن بشير، عن فضيل، عن طاهر قال: كان أبو عبد الله عليه السلام يلوم عبد الله ولده يوماً ويعاتبه ويعظه ويقول: ما يمنعك أن تكون مثل أخيك فوالله إنّي لأعرف النور في وجهه، فقال عبد الله: ولم؟ أليس أبي وأبوه واحداً وأصلي وأصله واحداً؟ فقال له أبو عبد الله: إنّه من نفسي وأنت ابني.

وبهذا الإسناد، عن عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، وغيره، عن محمّد بن الوليد، عن يونس، عن داود بن زربي، عن أبي أيّوب الجوزي[٣] قال: بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف اللّيل فأتيته فدخلت إليه وهو جالسٌ على كرسيّ وبين يديه

---

(١) في الكافي «في أول منك».

(٢) العناق: الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم لها سنة.

(٣) في الكافي ج١ ص ٣١٠ «عن أبي أيوب النحوي».

شمعة وفي يده كتاب قال: فلمّا سلّمت عليه رمى بالكتاب إليَّ وهو يبكي وقال: هذا كتاب محمّد بن سليمان يخبرنا أنَّ جعفر بن محمّد قد مات فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ثلاثاً وأين مثل جعفر، ثمَّ قال لي: أُكتب إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدّمه واضرب عنقه، قال: فكتبت وعاد الجواب أنّه قد أوصى إلى خمسة أحدهم أبو جعفر المنصور، ومحمّد بن سليمان، وعبد الله وموسى وحميدة.

وبهذا الإسناد، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النضر بن سويد نحو هذا الحديث إلاّ أنّه قال: أوصى إلى خمسة أوّلهم أبو جعفر المنصور ثمَّ عبد الله، وموسى، ومحمّد بن جعفر، ومولى لأبي عبد الله عليه السلام فقال المنصور: ما لي إلى قتل هؤلاء سبيل.

وروى محمّد بن سنان، عن يعقوب السراج قال: دخلت على أبي عبد الله وهو واقف على رأس أبي الحسن وهو في المهد فجعل يساره طويلاً فجلست حتّى فرغ فقمت إليه فقال لي: ادن إلى مولاك فسلّم عليه، فدنوت فسلّمت عليه فردّ عليَّ بلسان فصيح، ثمَّ قال لي: اذهب فغيّر اسم ابنتك التي سمّيتها أمس فإنّه اسم يبغضه الله عزَّ وجلَّ وكانت ولدت لي ابنة فسمّيتها بالحميراء، فقال أبو عبد الله عليه السلام انته إلى أمره ترشد، فغيّرت اسمها.

وروى يعقوب بن جعفر الجعفريّ قال: حدَّثني إسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام قال: كنت عند أبي يوماً فسأله عليُّ بن عمر بن عليّ فقال: جعلت فداك إلى من نفزع ويفزع الناس بعدك؟ قال: إلى صاحب هذين الثوبين الأصفرين والغديرتين ـ يعني الذؤابتين ـ[1] وهو الطالع عليك من الباب، فما لبثنا أن طلعت علينا كفّان آخذتان بالبابين حتّى انفتحتا ودخل علينا أبو إبراهيم وهو صبيّ وعليه ثوبان أصفران.

وروى محمّد بن الوليد قال: سمعت عليّ بن جعفر قال: سمعت أبي جعفر بن محمّد عليه السلام يقول لجماعة من خاصّته وأصحابه: استوصوا بابني موسى خيراً فإنّه

(١) الغديرة ـ بالفتح ـ: الذؤابة ـ بالضم مهموزاً ـ وهي ما نبت في الصدغ من الشعر.

أفضل ولدي ومن أُخلّف من بعدي وهو القائم مقامي والحجّة لله تعالى على كافّة خلقه من بعدي.

وأمثال هذه الأخبار كثيرة.

الفصل الثالث

في ذكر نبذ من آياته ودلالاته ومعجزاته

محمّد بن يعقوب، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبي الحسين الواسطيّ، عن هشام بن سالم قال: كنّا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام أنا ومحمّد بن النعمان صاحب الطاق والناس مجتمعون على عبد الله بن جعفر فدخلنا عليه فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ قال: في مائتي درهم خمسة دراهم قلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف، قال: فخرجنا ضُلّالاً ما ندري إلى أين نتوجّه وإلى من نقصد، نعوّل إلى المرجئة؟ إلى القدريّة، إلى المعتزلة، إلى الخوارج، إلى الزّيديّة؟ فنحن كذلك إذ رأيت شيخاً لا أعرفه يومي إليَّ بيده فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور وذلك أنّه كان بالمدينة جواسيس على من يجتمع بعد جعفر بن محمّد عليهما السلام من الناس فيؤخذ فتضرب عنقه فخفت أن يكون منهم فقلت للأحول: تنحَّ عنّي فإنّي خائف على نفسي وعليك وإنّما يريدني ليس يريدك فتنحّى عنّي بعيداً واتبعت الشيخ وذلك أنّي لا أقدر على التخلّص منه، فما زلت أتبعه حتّى ورد على باب أبي الحسن موسى عليه السلام ثمَّ خلّاني ومضى فإذا خادم بالباب فقال لي: ادخل رحمك الله، فدخلت فإذا أبو الحسن عليه السلام فقال لي ابتداءً منه: إليَّ لا إلى المرجئة ولا إلى القدريّة ولا إلى المعتزلة ولا إلى الخوارج ولا إلى الزيديّة، فقلت: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم قلت: مضى موتاً قال: نعم، قلت: فمن لنا بعده قال: إن شاء الله أن يهديك هداك، قلت: جعلت فداك إنَّ عبد الله أخاك يزعم أنّه إمام بعد أبيه فقال: عبد الله يريد أن لا يعبد الله، قلت: جعلت فداك فمن لنا بعده؟ قال: إن شاء الله أن يهديك هداك، قلت: جعلت فداك فأنت هو؟ قال: لا، ما أقول ذلك، قال: فقلت في نفسي: لم أصب طريق المسألة، ثمَّ قلت له: جعلت فداك عليك إمامٌ؟ قال: لا، فدخلني شيء لا يعلمه إلاّ الله تعالى إعظاماً له

وهيبة، ثمّ قلت: جعلت فداك أسألك كما كنت أسأل أباك، قال: سل تخبر ولا تذع فإن أذعت فهو الذبح قال: فسألته فإذا بحر لا ينزف قلت: جعلت فداك شيعة أبيك ضُلّال فأُلقي إليهم هذا الأمر وأدعوهم إليك؟ فقد أخذت عليَّ الكتمان قال: من آنست منه رشداً فألق إليه وخذ عليه الكتمان فإن أذاع فهو الذبح ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ قال: فخرجت من عنده ولقيت أبا جعفر الأحول فقال: ما وراءك؟ قلت: الهدى وحدَّثته بالقصّة ثمَّ لقينا زرارة بن أعين وأبا بصير فدخلا عليه وسمعا كلامه وسألاه وقطعا عليه ثمَّ لقينا الناس أفواجاً فكلُّ من دخل عليه قطع عليه إلاّ طائفة عمّار الساباطيّ وبقي عبد الله لا يدخل عليه إلاّ القليل من الناس.

وعنه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الواقفي قال: كان لي ابن عمّ يقال له: الحسن بن عبد الله وكان زاهداً وكان من أعبد أهل زمانه وكان السلطان يتّقيه لجدّه في الدّين واجتهاده، فدخل يوماً المسجد وفيه أبو الحسن موسى عليه السلام قال: فأومأ إليه فأتاه فقال له: يا أبا عليّ ما أحبّ إليَّ ما أنت فيه وأسرَّني إلاّ أنّه ليس لك معرفة فاطلب المعرفة، فقال له: جعلت فداك وما المعرفة؟ فقال له: اذهب تفقّه واطلب الحديث، قال: عمّن؟ قال: عن فقهاء المدينة، ثمَّ أعرض عليَّ الحديث قال: فذهب وكتب ثمَّ جاء فقرأه عليه فأسقطه كلّه ثمَّ قال له: اذهب فاعرف وكان الرَّجل معنيّاً بدينه[١] قال: فلم يزل يترصّد أبا الحسن حتّى خرج إلى ضيعة له فلقيه في الطريق، فقال له: جعلت فداك إنّي أحتجُّ عليك بين يدي الله عزَّ وجلَّ فدلّني على ما تجب معرفته، فأخبره بأمر أمير المؤمنين عليه السلام وحقّه وأمر الحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد عليهم السلام ثمَّ سكت فقال له: جعلت فداك فمن اليوم الإمام؟ قال: إن أخبرتك تقبل؟ قال: نعم، قال: أنا هو، قال: فشيء أستدلّ به؟ قال: اذهب إلى تلك الشجرة وأشار إلى بعض شجر أُمّ غيلان فقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: أقبلي. قال: فأتيتها فرأيتها والله تخدُّ على الأرض خدّاً[٢] حتى وقفت بين يديه ثمَّ أشار بالرجوع فرجعت قال: فأقرَّ به ولزم

---

(١) قوله: «فاعرف» أي اطلب المعرفة. وقوله: «معنياً بدينه» أي ذا عناية بالغة واهتمام شديد بدينه.

(٢) الخد: إحداث الحفرة المستطيلة في الأرض: يعني تشق الأرض شقاً.

الصمت والعبادة، وكان لا يراه أحدٌ يتكلّم بعد ذلك.

وروى عبد الله بن إدريس، عن ابن سيّار قال: حمل الرّشيد في بعض الأيّام إلى ابن يقطين ثياباً أكرمه بها وكان في جملتها درّاعة خز سوداء[١] من لباس الملوك مثقّلة بالذّهب وتقدَّم عليٌّ بن يقطين بحمل تلك الثياب إلى أبي الحسن موسى وأضاف إليها مالاً كان أعدَّه على رسمه له فيما يحمله إليه من خمس ماله فلمّا وصل ذلك إلى أبي الحسن عليه السلام قبل المال والثياب وردّ الدرّاعة على يد غير الرّسول إلى عليّ بن يقطين وكتب إليه احتفظ بها ولا تخرجها من يدك فيكون لك شأن تحتاج إليها معه، فارتاب عليٌّ بن يقطين بردّها عليه ولم يدر ما سبب ذلك فاحتفظ بالدرّاعة، فلمّا كان بعد أيّام تغيّر ابن يقطين على غلام له كان يختصُّ به فصرفه عن خدمته فسعى به إلى الرّشيد وقال: إنّه يقول بإمامة موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ ويحمل إليه خمس ماله في كلّ سنة وقد حمل إليه الدرّاعة التي أكرمه أمير المؤمنين بها في وقت كذا وكذا، فاستشاط الرَّشيد غضباً[٢] وقال: لأكشفنَّ عن هذه الحال وأمر بإحضار عليّ بن يقطين فلمّا مثّل بين يديه قال: ما فعلت تلك الدرّاعة التي كسوتك بها؟ قال: هي يا أمير المؤمنين عندي في سفط مختوم فيه طيب وقد احتفظت بها وكلّما أصبحت فتحت السفط ونظرت إليها تبركاً بها وأردُّها إلى موضعها وكلّما أمسيت صنعت مثل ذلك، فقال: ائت بها الساعة، قال: نعم وأنفذ بعض خدمه فقال: امض إلى البيت الفلاني وافتح الصندوق وجئني بالسفط الذي ختمته، فلم يلبث الغلام أن جاء بالسفط مختوماً ووضع بين يدي الرَّشيد، ففكَّ ختمه ونظر إلى الدرّاعة مطويّة مدفونة بالطيب، فسكن غضب الرَّشيد وقال: ارددها إلى مكانها وانصرف راشداً فلن أصدق عليك بعدها ساعياً، وأمر له بجائزة سنيّة وأمر بضرب الساعي ألف سوط فضرب خمسمائة سوط فمات في ذلك.

وروى محمّد بن إسماعيل، عن محمّد بن الفضل قال: اختلفت الرواية بين أصحابنا في مسح الرّجلين في الوضوء أهو من الأصابع إلى الكعبين؟ أم من الكعبين

---

(١) الدراعة ـ بضم الدال ـ: ثوب يتخذ من صوف ومثله.

(٢) أي التهب غضباً.

إلى الأصابع؟ فكتب عليٌّ بن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السلام جعلت فداك إنَّ أصحابنا قد اختلفوا في مسح الرّجلين فإن رأيت أن تكتب بخطّك إليَّ ما يكون عملي عليه فعلت إن شاء الله، فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام فهمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء والّذي آمرك لا تغيّر شيئاً أن تتمضمض ثلاثاً وتستنشق ثلاثاً وتغسل وجهك ثلاثاً وتخلّل لحيتك وتغسل يدك من أصابعك إلى المرفقين وتمسح رأسك كلّه وتمسح ظاهر أُذنيك وباطنهما وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً ولا تخالف ذلك شيئاً إلى غيره، فلمّا وصل الكتاب إلى عليّ بن يقطين تعجّب ممّا رسم له فيه ممّا أجمع العصابة على خلافه، ثمَّ قال: مولاي أعلم بما قال وأنا ممتثل أمره وكان يعمل في وضوئه على هذه، قال: وسعي بعليّ بن يقطين إلى الرَّشيد وقيل: إنّه رافضيٌّ مخالفٌ لك فقال الرَّشيد لبعض خاصّته: قد كثر القول في عليّ بن يقطين وميله إلى الرَّفض وقد امتحنته مراراً فما ظهرت منه على ما يقرف[1] به فقيل: إنَّ الرَّافضة تخالف في الوضوء فتخفّفه ولا تغسل الرّجلين فامتحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه، فتركه مدَّة وناطه بشيء[2] من شغله في الدار حتى دخل وقت الصلاة وكان عليٌّ يخلو في حجرة من الدّار لوضوئه وصلاته، فلمّا دخل وقت الصلاة دخل الرَّشيد من وراء حائط إلى الحجرة بحيث يرى عليَّ بن يقطين ولا يراه هو، فدعا بالماء فتوضّأ على ما أمره الإمام فلم يملك الرَّشيد نفسه حتّى أشرف عليه بحيث يراه ثمَّ ناداه: كذب يا عليّ بن يقطين من زعم أنّك من الرّافضة وصلحت حاله عنده، وورد كتاب أبي الحسن ابتداء: من الآن يا عليَّ بن يقطين توضّأ كما أمرك الله: اغسل وجهك مرَّة فريضة ومرَّة أُخرى إسباغاً واغسل يديك من المرفقين كذلك وامسح بمقدَّم رأسك وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك فقد زال ما كنت أخافه عليك والسلام.

وروى أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ، عن أبي بصير قال: قلت لأبي الحسن موسى: جعلت فداك بم يعرف الإمام؟ قال: بخصال أمّا أُولاهنَّ فإنّه بشيء قد تقدَّم فيه من أبيه وإشارته إليه لتكون حجّة، ويسأل فيجيب وإذا سكت عنه ابتدأ،

(١) يقال: يقرف بكذا أي يرمى به ويتهم فهو مقروف. (الصحاح)
(٢) ناط الشيء ينوط نوطاً علقه وكل شيء علق في شيء فهو منوط. (المجمع)

ويخبر بما في غد، ويكلّم الناس بكلّ لسان، ثمّ قال: يا أبا محمّد أُعطيك علامة قبل أن تقوم، فلم ألبث أن دخل عليه رجلٌ من أهل خراسان يكلّمه فكلّمه الخراساني بالعربيّة فأجابه أبو الحسن بالفارسيّة فقال الخراساني: والله ما منعني أن أُكلّمك بالفارسيّة إلاّ أنّني ظننت أنّك لا تحسنها، فقال: سبحان الله إذا كنت لا أحسن أن أُجيبك فما فضلي عليك فيما أستحقّ، ثمَّ قال: يا أبا محمّد إنّ الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس، ولا منطق الطير، ولا كلام شيء فيه روح.

وروى الحسن بن عليّ بن أبي عثمان[1]، عن إسحاق بن عمّار قال: كنت عند أبي الحسن فدخل عليه رجلٌ فقال له أبو الحسن: يا فلان أنت تموت إلى شهر، قال: فأضمرت في نفسي كأنّه يعلم آجال الشيعة، فقال: يا إسحاق ما تنكرون من ذلك قد كان رشيد الهجري مستضعفاً وكان يعلم علم المنايا والإمام أولى بذلك، ثمَّ قال: يا أبا إسحاق تموت إلى سنتين ويشتّت مالك وعيالك وأهل بيتك ويفلسون إفلاساً شديداً قال: فكان كما قال.

وروى محمّد بن جمهور عن بعض أصحابنا، عن أبي خالد الزّبالي قال: ورد علينا أبو الحسن موسى عليه السلام وقد حمله المهديُّ فلمّا رجع ودَّعته وبكيت، فقال: ما يبكيك، يا أبا خالد؟ فقلت: جعلت فداك قد حملك هؤلاء ولا أدري ما يحدث، فقال: أمّا في هذه المرَّة فلا خوف عليَّ منهم وأنا عندك يوم كذا في شهر كذا في ساعة كذا، فانتظرني عند أوّل ميل ومضى، قال: فلمّا أن كان في اليوم الذي وصفه لي خرجت إلى أوَّل ميل فجلست أنتظره حتّى اصفرَّت الشمس وخفت أن يكون قد تأخّر عن الوقت فقمت وانصرفت فإذا أنا بالسواد قد أقبل ومناد ينادي من خلفي فأتيته فإذا هو أبو الحسن عليه السلام على بغلة له فقال لي: إيهاً يا أبا خالد، فقلت: لبّيك يا ابن رسول الله، الحمد لله الذي حفظك من أيديهم، فقال لي: يا أبا خالد أما إن لي إليهم عودة لا أتخلّص من أيديهم.

---

(١) الحسن بن علي ضعيف غال ملعون والخبر رواه الكليني في الكافي ج١ ص٤٨٤ بسند آخر.

الفصل الرابع

في ذكر طرف من مناقبه وفضائله وخصائصه التي بان بها عن غيره

قد اشتهر في الناس أنّ أبا الحسن موسى عليه السلام كان أجلَّ ولد الصادق عليه السلام شأناً وأعلاهم في الدّين مكاناً وأفصحهم لساناً، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأفقههم.

وروي أنّه كان يصلّي نوافل اللّيل ويصلها بصلاة الصبح ثمَّ يعقّب حتّى تطلع الشمس، ثمّ يخرُّ ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتّى يقرب زوال الشمس، وكان يقول في سجوده: «قبح الذّنب من عبدك فليحسن العفو والتجاوز من عندك، وكان من دعائه «اللّهمَّ إنّي أسألك الرّاحة عند الموت والعفو عند الحساب» وكان يبكي من خشية الله حتّى تخضلَّ لحيته بالدُّموع، وكان يتفقّد فقراء المدينة فيحمل إليهم في اللّيل العين والورق وغير ذلك فيوصلها إليهم وهم لا يعرفون من أيّ وجه هو.

وروى الشريف الحسن بن محمّد بن يحيى العلويّ، عن جدّه بإسناده قال: إنّ رجلاً من ولد عمر بن الخطّاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسى عليه السلام ويشتم عليّاً فقال له بعض حاشيته: دعنا نقتل هذا الرّجل فنهاهم عن ذلك أشدَّ النهي وسأل عن العمريّ فقيل له: إنّه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب إليه فوجده في زرعه فدخل المزرعة بحماره فصاح به العمريّ لا توطىء زرعنا فتوطّأه أبو الحسن عليه السلام بالحمار حتّى وصل إليه فنزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه وقال له: كم غرمت في زرعك هذا؟ قال: مائة دينار، قال: وكم ترجو أن تصيب؟ قال: لست أعلم الغيب، قال: إنّما قلت لك: كم ترجو، فقال: أرجو أن يحصل ثلاثمائة دينار، قال: فأخرج له أبو الحسن عليه السلام صرّة فيها ثلاثمائة دينار وقال: هذا زرعك على حاله والله يرزقك فيه ما ترجو، فقام فقبّل رأسه وسأله أن يصفح عن فارطه[1]، فتبسّم أبو

---

(١) أي عما جرى من إساءة أدبه بالإمام عليه السلام .

الحسن عليه السلام وانصرف، ثمَّ رجع إلى المسجد فوجد العمري جالساً فلمّا نظر إليه قال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» قال: فوثب إليه أصحابه فقالوا له: ما قصّتك؟ فقد كنت تقول غير هذا، قال: فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو لأبي الحسن عليه السلام فخاصموه وخاصمهم، فلمّا رجع أبو الحسن عليه السلام إلى داره قال لمن سألوا قتل العمريّ: أيّما كان خيراً ما أردت أو ما أردتم؟.

وذكرت الرُّواة أنّه كان يصل بالمائتي دينار إلى ثلاثمائة دينار، وكانت صرار موسى عليه السلام مثلاً.

وذكروا أنَّ الرَّشيد لمّا خرج إلى الحجّ وقرب من المدينة استقبله وجوه أهلها يقدمهم موسى بن جعفر عليه السلام على بغلة فقال له الرَّبيع: ما هذه الدابّة التي تلقّيت عليها أمير المؤمنين وأنت إن طلبت عليها لم تدرك وإن طلبت لم تفت؟ فقال عليه السلام: إنّها تطأطأت عن خيلاء الخيل وارتفعت عن ذلّة العير، وخير الأمور أوسطها.

قالوا: ولمّا دخل هارون المدينة وزار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: السلام عليك يا ابن عمّ مفتخراً بذلك على غيره، فتقدَّم أبو الحسن عليه السلام وقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه، فتغيّر وجه الرَّشيد وتبيّن فيه الغضب.

وروى الشريف الأجلّ المرتضى ـ قدس الله روحه ـ عن أبي حريز ـ عن أبي عبد الله المرزبانيّ مرفوعاً إلى أيّوب بن الحسين الهاشميّ قال: كان نفيع رجلاً من الأنصار حضر باب الرشيد وكان عريفاً[1] وحضر عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليه السلام على حمار له فتلقّاه الحاجب بالبشر والإكرام وأعظمه من كان هناك وعجّل له بالإذن، فقال نفيع لعبد العزيز: ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير أما لئن خرج لأسوءنّه، قال له عبد العزيز: لا تفعل إنَّ هؤلاء أهل بيت قلَّ من تعرَّض لهم بالخطاب إلاّ وسموه في الجواب سمة يبقى عارها عليه مدى الدهر، قال: وخرج موسى عليه السلام فقام إليه نفيع الأنصاري فأخذ بلجام حماره، ثمَّ قال: من أنت؟ فقال: يا هذا إن كنت تريد النسب فأنا ابن محمّد

(١) العريف: قيم القبيلة.

حبيب الله ابن إسماعيل ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله فإن كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله عزَّ وجلَّ على المسلمين وعليك إن كنت منهم الحجّ إليه وإن كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك أكفاء لهم حتّى قالوا: يا محمّد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش وإن كنت تريد الصيت والاسم فنحن الّذين أمر الله بالصلاة علينا في الصلاة المفروضة يقول: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد» فنحن آل محمّد، خلّ عن الحمار فخلّى عنه ويده ترعد، وانصرف مخزيّاً، فقال له عبد العزيز: ألم أقل لك؟!.

وروى عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت قال: دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله جعفر بن محمّد فسلّمت عليه وخرجت من عنده فرأيت ابنه موسى في دهليزه قاعداً في مكتبه وهو صغير السنّ، فقلت: أين يضع الغريب إذا كان عندكم إذا أراد ذلك؟ فنظر إليّ ثمَّ قال: يجتنب شطوط الأنهار ومساقط الثمار وأفنية الدار والطرق النافذة والمساجد ويضع بعد ذلك أين شاء، فلمّا سمعت هذا القول نبل في عيني وعظم في قلبي وقلت له: جعلت فداك ممّن المعصية؟ فنظر إليّ ثمَّ قال: اجلس حتّى أُخبرك، فجلست فقال: إنَّ المعصية فإن كانت من الربّ فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وإن كانت منهما جميعاً فهو شريكه فالقويُّ أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر وإليه توجّه النهي وله حقُّ الثواب والعقاب ولذلك وجبت له الجنّة والنار، فلمّا سمعت ذلك قلت: ﴿**ذرّيّة بعضها من بعض والله سميع عليم**﴾.

ونظم عليه السلام في هذا المعنى شعراً فقال:

لم تخل أفعالنا اللاّتي نذمُّ بها إحدى ثلاث خلال حين نبديها
إمّا تفرَّد بارينا بصنعتها فيسقط اللّوم عنّا حين نأتيها
أو كان يشركنا فيه فيلحقه ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنايتها ذنب فما الذنب إلاّ ذنب جانيها

وروى أبو زيد قال: أخبرنا عبد الحميد قال: سأل محمّد بن الحسن أبا الحسن موسى عليه السلام بمحضر من الرشيد وهم بمكّة فقال له: هل يجوز للمحرم أن يظلّل

محمله؟ فقال: لا يجوز له ذلك مع الاختيار، فقال محمّد بن الحسن: أفيجوز أن يمشي تحت الظلال مختاراً؟ قال: نعم، فتضاحك محمّد بن الحسن من ذلك فقال له أبو الحسن عليه السلام: أتعجب من سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وتستهزىء بها، إنَّ رسول الله كشف ظلاله في إحرامه ومشى تحت الظلال وهو محرم، إنَّ أحكام الله تعالى يا محمّد لا تقاس فمن قاس بعضه على بعض فقد ضلَّ عن سواء السبيل، فسكت محمّد بن الحسن ولم يحر جواباً.

وكان عليه السلام أحفظ الناس بكتاب الله تعالى وأحسنهم صوتاً به وكان إذا قرأ يحزن ويبكي السامعون لتلاوته وكان الناس بالمدينة يسمّونه زين المجتهدين.

ومن أظهر خصائصه عليه السلام ما وردت به الآثار في شأن أُمّه وذلك ما أخبرني به المفيد عبد الجبّار بن عبيد الله، عن أبي عليّ أحمد بن جعفر البزوفريّ، عن حميد بن زياد، عن العبّاس بن عبيد الله بن أحمد الدهقان، عن إبراهيم بن صالح الأنماطي، عن محمّد بن الفضل، وزياد بن النعمان، وسيف بن عميرة، عن هشام بن أحمر قال: أرسل إليّ أبو عبد الله في يوم شديد الحرّ، فقال لي: اذهب إلى فلان الإفريقيّ فاعترض جارية عنده من حالها كذا وكذا ومن صفتها كذا وكذا، فأتيت الرجل فاعترضت ما عنده فلم أر ما وصف لي فرجعت إليه فأخبرته فقال: عد إليه فإنّها عنده، فرجعت إلى الإفريقيّ فحلف لي ما عنده شيء إلاّ وقد عرضه عليَّ، ثمَّ قال: عندي وصيفة مريضة محلوقة الرأس ليس ممّا يُعرض، فقلت له: اعرضها عليَّ، فجاء بها متوكّئة على جاريتين تخطُّ برجليها الأرض فأرانيها فعرفت الصفة، فقلت: بكم هي؟ فقال لي: إذهب بها إليه فيحكم فيها لأنّها قد والله أردتها منذ ملكتها فما قدرت عليها ولقد أخبرني الذي اشتريتها منه أيضاً أنّه لم يصل إليها وحلفت الجارية أنّها نظرت إلى القمر وقع في حجرها، فأخبرت أبا عبد الله عليه السلام بمقالته فأعطاني مائتي دينار فذهبت بها إليه فقال الرجل: هي حرّة لوجه الله إن لم يكن بعث إليّ بشرائها من المغرب فأخبرت أبا عبد الله عليه السلام بمقالته، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن أحمر إنّها تلد مولوداً ليس بينه وبين الله حجاب.

وقد روى الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد مثل هذا الخبر مسنداً إلى هشام بن

الأحمر أيضاً إلاّ أنَّ أبا الحسن موسى عليه السلام أمره ببيع هذه الجارية وإنّها كانت أُمَّ الرضا.

وسمّي بالكاظم لما كظمه من الغيظ ولصبره على ما فعله الظالمون به حتّى مضى قتيلاً في حبسهم.

الفصل الخامس

في ذكر وفاته

ذكروا أنَّ الرشيد قبضه عليه السلام لمّا ورد إلى المدينة قاصداً للحجّ وقيّده واستدعى بقبّتين جعله في إحديهما على بغل وجعل القبّة الأُخرى على آخر وخرج البغلان من داره مع كلّ واحد منهم خيل فافترقت الخيل فمضى بعضها مع إحدى القبّتين على طريق البصرة وإنّما فعل ذلك الرشيد ليعمي على الناس الخبر وأمر أن يسلّم إلى عيسى بن جعفر بن المنصور فحبسه عنده سنة، ثمَّ كتب إليه الرشيد في دمه فاستعفى عيسى منه فوجّه الرشيد من تسلّمه منه وصيّر به إلى بغداد وسلّم إلى الفضل بن الربيع وبقي عنده مدَّة طويلة ثمَّ أراده الرشيد على شيء من أمره فأبى فأمر بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فجعله في بعض دوره ووضع عليه الرصد فكان مشغولاً بالعبادة، يحيي اللّيل كلّه صلاة وقراءة للقرآن ويصوم النهار في أكثر الأيّام ولا يصرف وجهه عن المحراب، فوسّع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه فبلغ ذلك الرشيد وهو بالرقّة فكتب إليه يأمره بقتله، فتوقّف عن ذلك فاغتاظ الرشيد لذلك وتغيّر عليه وأمر به فوضع فأُدخل على العبّاس بن محمّد وجرّد وضرب مائة سوط وأُمر بتسليم موسى بن جعفر عليه السلام إلى السندي بن شاهك وبلغ يحيى بن خالد الخبر فركب إلى الرشيد وقال له: أنا أكفل بما تريد، ثمَّ خرج إلى بغداد ودعا بالسندي وأمره فيه بأمره فامتثله وسمّه في طعام قدَّمه إليه ويقال: إنّه جعله في رطب أكل منه فأحسّ بالسمّ ولبث بعده موعوكاً ثلاثة أيّام ومات في اليوم الثالث.

ولما استشهد صلوات الله عليه أدخل السنديّ عليه الفقهاء من الناس وجمع الناس من أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عديّ فنظروا إليه لا أثر به من جراح ولا خنق،

ثمَّ وضعه على الجسر ببغداد وأمر يحيى بن خالد فنودي هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنّه لا يموت قد مات فانظروا إليه فجعل الناس يتفرَّسون في وجهه وهو ميّت ثمّ حمل فدفن في مقابر قريش وكانت هذه المقبرة لبني هاشم والأشراف من الناس قديماً.

وروى أنّه لمّا حضرته الوفاة قال للسندي بن شاهك أن يحضر مولى له مدنيّاً ينزل عند دار العبّاس في مشرعة القصب ليتولّى له غسله وتكفينه ففعل ذلك، قال السندي بن شاهك: وكنت سألته أن يأذن لي أن أُكفّنه فأبى وقال: إنّا أهل بيت مهور نسائنا وحجّ نائلنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا وعندي كفني وأُريد أن يتولّى غسلي وجهازي مولاي فلان، فتولّى ذلك منه.

وقيل: إنَّ سليمان بن أبي جعفر المنصور أخذه من أيديهم وتولّى غسله وتكفينه وكفّنه بكفن فيه حبرة استعمل ثمنها خمسمائة دينار، عليها القرآن كلّه ومشى على جنازته مشقوق الجيب إلى مقابر قريش فدفنه هناك.

الفصل السادس

في ذكر عدد أولاده عليه السلام

كان له سبعة وثلاثون ولداً ذكراً وأُنثى:

عليُّ بن موسى الرضا عليه السلام، وإبراهيم، والعبّاس، والقاسم لأُمّهات أولاد.

وأحمد، ومحمّد، وحمزة لأُمّ ولد. وإسماعيل، وجعفر، وهارون، والحسن لأُمّ ولد. وعبد الله، وإسحاق، وعبيد الله، وزيد، والحسن، والفضل، وسليمان لأمّهات أولاد وفاطمة الكبرى، وفاطمة الصغرى، ورقيّة، وحكيمة، وأُمّ أبيها، ورقيّة الصغرى، وكلثم، وأُمُّ جعفر، ولبانة، وزينب، وخديجة، وعليّة، وآمنة، وحسنة، وبريهة، وعائشة، وأمّ سلمة، وميمونة، وأمّ كلثوم [لأمّهات أولاد].

وكان أحمد بن موسى كريماً ورعاً وكان موسى عليه السلام يحبّه ووهب له ضيعته المعروفة باليسيرة، ويقال: إنّه أعتق ألف مملوك.

وكان محمّد بن موسى عليه السلام صالحاً ورعاً.

وكان إبراهيم بن موسى شجاعاً كريماً وتقلّد الإمرة على اليمن في أيّام المأمون من قبل محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام الذي بايعه أبو السرايا[1] بالكوفة ومضى إليها ففتحها وأقام بها مدّة إلى أن كان من أمر أبي السرايا ما كان، وأخذ الأمان من المأمون.

ولكلّ واحد من ولد أبي الحسن موسى عليه السلام فضل ومنقبة، وكان الرضا مشهوراً بالتقدّم ونباهة القدر، وعظم الشأن، وجلالة المقام بين الخاصّ والعامّ.

الباب السابع

في ذكر الإمام المرتضى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام وهو ستة فصول:

الفصل الأول

في ذكر تاريخ مولده ومبلغ سنه ووقت وفاته

ولد بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة. ويقال: إنّه ولد لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة يوم الجمعة سنة ثلاث وخمسين ومائة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام بخمس سنين رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه، وقيل: يوم الخميس، وأمّه أُمُّ ولد يقال لها: أمّ البنين، واسمها نجمة، ويقال: سكن النوبية ويقال: تكتم.

روى الصولي عن عون بن محمّد قال: سمعت عليَّ بن ميثم قال: اشترت حميدة المصفّاة وهي أُمُّ أبي الحسن موسى عليه السلام وكانت من أشراف العجم جارية مولّدة اسمها تُكتم فكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها لمولاتها

(١) راجع مفصل قصة أبي السرايا في مقاتل الطالبيين ص ٥١٨ إلى ٥٣٦.

حميدة حتّى أنّها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالاً لها فقالت لابنها موسى عليه السلام: يا بنيَّ إنّ تكتم جارية ما رأيت جارية قطّ أفضل منها ولست أشكُّ أن يكون لها شأن وفضل إن كان لها نسلٌ وقد وهبتها لك فاستوص بها خيراً.

ومما يدلُّ على أنَّ اسمها تكتم قول الشاعر يمدح الرضا عليه السلام:

ألا إنَّ خير الناس نفساً ووالداً ورهطاً وأجداداً علي المعظّم
أتتنا به للعلم والحلم ثامناً إماماً يؤدّي حجّة الله تكتم

وفي رواية أُخرى عن عليّ بن ميثم، عن أبيه قال: إنَّ حميدة أُمَّ موسى بن جعفر عليه السلام لما اشترت نجمة رأت في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: يا حميدة هبي نجمة لابنك موسى فإنّه سيولد منها خير أهل الأرض فوهبتها له فلمّا ولدت له الرضا سمّاها الطاهرة.

وقبض بطوس من خراسان في قرية يقال لها: سناباذ في آخر صفر، وقيل إنّه توفّي في شهر رمضان لسبع بقين منه يوم الجمعة من سنة ثلاث ومائتين وله يومئذ خمس وخمسون سنة وكانت مدَّة إمامته وخلافته بعد أبيه عشرين سنة وكانت في أيّام إمامته بقيّة ملك الرشيد وملك محمّد الأمين بعده ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوماً ثمّ خلع الأمين وأجلس عمّه إبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة أربعة عشر يوماً ثمَّ أُخرج محمّد ثانية وبويع له وبقي بعد ذلك سنة وسبعة أشهر وقتله طاهر بن الحسين ثمَّ ملك المأمون الخلافة بعده عشرين سنة واستشهد في أيّام ملكه مسموماً.

وإنّما سمّي الرضا لأنّه كان رضى لله عزَّ وجلَّ في سمائه ورضى لرسوله والأئمّة عليهم السلام بعده في أرضه وقيل: لأنّه رضي به المخالف والمؤالف.

الفصل الثاني

في ذكر النصوص الدالة على إمامته

أجمع أصحاب أبيه أبي الحسن موسى عليه السلام على أنّه نصّ عليه وأشار بالإمامة إليه إلاّ من شذَّ منهم من الواقفة والمسمّين الممطورة والسبب الظاهر في

ذلك طمعهم في ما كان في أيديهم من الأموال [المؤداة] إليهم في مدّة حبس أبي الحسن موسى عليه السلام وما كان عندهم من ودائعه فحملهم ذلك على إنكار وفاته وادّعاء حياته ودفع خليفة بعده عن الإمامة وإنكار النصّ عليه ليذهبوا بما في أيديهم ممّا وجب عليهم أن يسلّموه إليه ومن كان هذا سبيله بطل الاعتراض بمقالة هذا ووجب أنَّ الإنكار لا يقابل الإقرار فثبت النصُّ المنقول وفسد قولهم المخالف للمعقول على أنّهم قد انقرضوا ولله الحمد فلا يوجد منهم ديّار وأمّا النصوص الواردة عن أبيه عليه:

فمن ذلك ما رواه محمّد بن يعقوب، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب عن الحسين بن نعيم الصحّاف قال: كنت أنا وهشام بن الحكم وعلي بن يقطين ببغداد فقال علي بن يقطين: كنت عند العبد الصالح جالساً فدخل عليه ابنه عليٌّ فقال لي: يا عليَّ بن يقطين هذا عليٌّ سيّد ولدي، أما إنّي قد نحلته كنيتي(١)، قال: فضرب هشام بن الحكم جبهته براحته وقال: ويحك كيف قلت(٢)؟ فقال عليّ بن يقطين: سمعته والله منه كما قلت! قال هشام: إنَّ الأمر فيه من بعده.

وعنه، عن أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن سنان، وإسماعيل بن عباد القصري جميعاً، عن داود الرقّي قال: قلت لأبي إبراهيم: جعلت فداك إنّه قد كبر سنّي فخذ بيدي وأنقذني من النار، من صاحبنا بعدك؟ قال: فأشار إلى ابنه أبي الحسن عليّ الرضا فقال: هذا صاحبكم من بعدي.

وعنه، عن عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن معاوية بن حكيم، عن نعيم القابوسي، عن أبي الحسن موسى قال: ابني عليٌّ أكبر ولدي وأبرُّهم عندي وأحبّهم إليَّ وهو ينظر معي في الجفر ولم ينظر فيه إلاّ نبيٌّ أو وصيّ نبيّ.

وعنه، عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله، عن الحسن، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن إسحاق بن عمّار قال: قلت

---

(١) أي كنيته بها.

(٢) الراحة: الكف، والضرب للتعجب.

لأبي الحسن الأوّل عليه السلام: ألا تدلّني على من آخذ ديني عنه؟ فقال: هذا ابني عليٌّ إنَّ أبي أخذ بيدي وأدخلني إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [١] وقال: يا بنيَّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿**إنّي جاعل في الأرض خليفة**﴾ وإنَّ الله تعالى وإذا قال قولاً وفى به.

وعنه، عن أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ، عن زياد بن مروان القنديّ ـ وكان من الواقفة ـ قال: دخلت على أبي إبراهيم وعنده ابنه أبو الحسن فقال: يا زياد هذا ابني كتابه كتابي وكلامه كلامي ورسوله رسولي وما قال فالقول قوله.

وعنه، عن أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن الفضيل قال: حدّثني المخزوميّ وكانت أُمّه من ولد جعفر بن أبي طالب قال: بعث إلينا أبو الحسن موسى عليه السلام فجئنا ثمَّ قال: أتدرون لم دعوتكم؟ فقلنا: لا، قال: اشهدوا أنَّ ابني هذا وصيّي والقيّم بأمري وخليفتي من بعدي، من كان له عندي دين فليأخذه من ابني هذا، ومن كان له عندي عدة فلينجزها منه، ومن لم يكن له بدٌّ من لقائي فلا يلقني إلاّ بكتابه.

وعنه، عن أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن سنان، وعليُّ بن الحكم جميعاً، عن الحسين بن المختار قال: خرجت إلينا ألواح من أبي الحسن موسى ـ وهو في الحبس ـ عهدي إلى أكبر ولدي أن يفعل كذا وكذا وفلانٌ لا تنله شيئاً حتّى ألقاه أو يقضي الله عليّ الموت.

وعنه، عن أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ، عن أبي عليّ الخزّاز، عن داود بن سليمان قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: إنّي أخاف أن يحدث حدث الموت ولا ألقاك فأخبرني من الإمام بعدك؟ فقال: ابني عليٌّ ـ يعني الرضا عليه السلام ـ.

وعنه، عن ابن مهران، عن محمّد بن علي، عن سعيد بن أبي الجهم، عن نصر بن قابوس قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: إنّي سألت أباك عليه السلام مَن الّذي يكون من بعدك؟ فأخبرني أنّك أنت هو، فلمّا توفّي أبو عبد الله عليه السلام ذهب الناس

(١) أي إلى ما يجاور قبره صلى الله عليه وآله وسلم.

يميناً وشمالاً وقلت أنا بك وأصحابي[١]، فأخبرني مَن الّذي يكون من بعدك من ولدك؟ قال: ابني فلان ـ يعني علياً ـ[٢].

وعنه، عن ابن مهران، عن محمّد بن عليّ، عن الضحّاك بن الأشعث، عن داود بن زربي قال: جئت إلى أبي إبراهيم عليه السلام بمال فأخذ بعضه وترك بعضه فقلت: جعلت فداك أصلحك الله لأيّ شيء تركته عندي؟ فقال: إنَّ صاحب هذا الأمر يطلبه منك، فلمّا جاء نعيه بعث إليَّ أبو الحسن الرضا عليه السلام فسألني ذلك المال فدفعته إليه.

وعنه، عن محمّد بن عليّ، عن أبي الحكم، ورواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه، عن أبيه وجماعة، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد، عن عبد الله بن محمّد بن الحسن عن عليّ بن أسباط، عن الحسين مولى أبي عبد الله، عن أبي الحكم، عن عبد الله بن إبراهيم عن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عن يزيد بن سليط قال: لقيت أبا إبراهيم عليه السلام ونحن نريد العمرة في بعض الطريق فقلت: جعلت فداك هل تثبت[٣] هذا الموضع الذي نحن فيه، قال: نعم، فهل تثبته أنت؟ قلت: نعم، إنّي أنا وأبي لقيناك ههنا مع أبي عبد الله ومعه إخوتك، فقال له: بأبي أنت وأُمّي أنتم كلّكم أئمّة مطهّرون والموت لا يعرى منه أحد فأحدث إليّ شيئاً أُحدّث به من بعدي فلا يضلّوا، فقال: نعم يا أبا عمارة[٤] هؤلاء ولدي وهذا سيّدهم وأشار إليك وفيه الحكم والفهم، وله السخاء والمعرفة بما يحتاج إليه الناس وما اختلفوا فيه من أمر دينهم ودنياهم وفيه حسن الخلق وحسن الجوار[٥]، وهو باب من أبواب الله عزَّ وجلَّ وفيه أُخرى خيرٌ من هذا كلّه، فقال له أبي: وما هي؟ فقال: يخرج الله منه غوث هذه الأمّة وغياثها وعلمها ونورها، خير مولود وخير

(١) أي قلت أنا بإمامتك وهكذا أصحابي قالوا بإمامتك.

(٢) قوله: «يعني علياً» ليس في الكافي والظاهر أنه من كلام المؤلف.

(٣) أي هل تعرف في القاموس أثبته عرفه حق المعرفة.

(٤) في الكافي «يا أبا عبد الله». وقوله: «لا يعرى منه» أي لا يخلو تشبيهاً للموت بلباس لا بد من أن يلبسه كل أحد. وقوله: «فأحدث» على بناء الأفعال أي ألق شيئاً حديثاً أو حدثاً. وقوله: «من يخلفني» من باب نصر أي يبقى بعدي.

(٥) الحكم ـ بالضم ـ: القضاء أو الحكمة. وحسن الجوار أي المجاورة والمخالطة.

ناشيءٍ[١]، يحقن الله به الدماء ويصلح به ذات البين ويلمُّ به الشعث ويشعب به الصدع[٢]، ويكسو به العاري، ويشبع به الجائع، ويؤمن به الخائف، وينزل الله به القطر، ويرحم به العباد، خير كهل وخير ناشىء، قوله حكم وصمته علم، يبيّن للنّاس ما يختلفون فيه، ويسود عشيرته من قبل أوان حلمه[٣] فقال له أبي: بأبي أنت وأُمّي ما يكون له ولد بعده؟ فقال: نعم، ثمَّ قطع الكلام، قال يزيد: فقلت له: بأبي أنت وأُمّي فأخبرني بمثل ما أخبرنا به أبوك قال: نعم إنَّ أبي كان في زمان ليس هذا الزّمان مثله، فقلت له: من لا يرضى بهذا منك فعليه لعنة الله، قال: فضحك أبو إبراهيم ثمّ قال: أُخبرك يا أبا عمارة أنّي خرجت من منزلي فأوصيت إلى ابني فلان وأشركت معه بنيَّ في الظاهر وأوصيته في الباطن وأفردته وحده ولو كان الأمر إليّ لجعلته في القاسم لحبّي إيّاه ورقّتي عليه ولكن ذاك إلى الله يجعله حيث يشاء ولقد جاءني بخبره رسول الله ﷺ [وجدّي عليُّ بن أبي طالب] ثمَّ أرانيه وأراني من يكون بعده وكذلك نحن لا نوصي إلى أحد منّا حتّى يخبره رسول الله ﷺ وجدّي عليُّ بن أبي طالب ورأيت مع رسول الله ﷺ خاتماً وسيفاً وعصا وكتاباً وعمامة، فقلت: ما هذا يا رسول الله؟ فقال لي: أمّا العمامة فسلطان الله، وأمّا السيف فعزُّ الله، وأمّا الكتاب فنور الله، وأمّا العصا فقوّة الله، وأمّا الخاتم فجامع هذه الأمور، ثمَّ قال: والأمر قد خرج منك إلى غيرك، فقلت: يا رسول الله أرنيه أيّهم هو؟ فقال رسول الله ﷺ: ما رأيت أحداً من الأئمّة أجزع على فراق هذا الأمر منك، ولو كانت الإمامة بالمحبّة لكان إسماعيل أحب إلى أبيك منك، ولكن ذاك إلى الله عزَّ

---

(١) والغوث: العون للمضطر، والغياث أبلغ منه. والعلم ـ محركة ـ سيد القوم، والراية، وما يهتدى به في الطريق. والناشىء: الحدث جاز حد الصغر.

(٢) «يلم» بضم اللام وشد الميم ـ أي يجمع به. والشعث ـ بالتحريك ـ: المتفرق من أمور الدنيا والدين. والصدع: الشق، أي يصلح به هذا الافتراق.

(٣) «وصمته علم» أي سبب عن العلم لأنه يصمت عن تقية ومصلحة، لا لجهل وقد قيل: سبب لأنه يتفكر، والأول أنسب، وقوله: «يسود قومه» أي يصير سيدهم ومولاهم وأشرفهم. والحلم ـ بضم اللام ـ: الاحتلام والمراد هنا بلوغ السن الذي يكون للناس ذلك لأن الإمام عليه السلام لا يحتلم ـ أو بالكسر ـ: وهو العقل وهو أيضاً كناية عن البلوغ للناس وإلا فهم كاملون عند الولادة.

وجلَّ، ثمَّ قال أبو إبراهيم عليه السلام: ورأيت ولدي جميعاً الأحياء منهم والأموات فقال لي أمير المؤمنين عليه السلام: هذا سيّدهم وأشار إلى ابني عليّ فهو منّي وأنا منه والله مع المحسنين.

قال يزيد: ثمَّ قال أبو إبراهيم: يا يزيد إنّها وديعة عندك فلا تخبر بها إلاّ عاقلاً أو عبداً تعرفه صادقاً وإن سئلت عن الشهادة فاشهد بها وهو قول الله عزَّ وجلَّ لنا: ﴿**إنَّ الله يأمركم أن تؤدُّوا الأمانات إلى أهلها**﴾ وقال لنا: ﴿**ومن أظلم ممّن كتم شهادة عنده من الله**﴾. قال: وقال أبو إبراهيم: فأقبلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: قد اجتمعوا إليَّ بأبي أنت وأُمّي فأيّهم هو؟ فقال: هو الذي ينظر بنور الله، ويسمع بتفهيمه، وينطق بحكمته، ويصيب فلا يخطىء، ويعلم فلا يجهل[1]، هو هذا ـ وأخذ بيد عليّ ابني ـ ثمّ قال: ما أقلّ مقامك معه، فإذا رجعت من سفرتك فأوص وأصلح أمرك وافرغ ممّا أردت فإنّك منتقل عنهم ومجاور غيرهم وإذا أردت فادع عليّاً فمره فليغسّلك وليكفّنك وليتطهّر لك[2] ولا يصلح إلاّ ذلك وذلك سنّة قد مضت.

ثم قال أبو إبراهيم: إنّي أؤخذ هذه السنّة والأمر إلى ابني عليّ سميّ عليّ وعليّ، فأمّا عليٌّ الأوّل فعليّ بن أبي طالب عليه السلام وأمّا عليٌّ الآخر فعلي بن الحسين عليه السلام أُعطي فهم الأوّل وحكمته وبصره وودّه ودينه ومحنته ومحنة الآخر وصبره على ما يكره، وليس له أن يتكلّم إلا بعد موت هارون بأربع سنين.

ثم قال: يا يزيد فإذا مررت بهذا الموضع ولقيته وستلقاه فبشّره أنّه سيولد له غلامٌ أمين مأمون مبارك وسيعلمك أنّك لقيتني فأخبره عند ذلك أنَّ الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية أهل بيت مارية القبطيّة جارية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن قدرت أن تبلّغها منّي السلام فافعل ذلك، قال يزيد: فلقيت بعد مضيّ أبي إبراهيم عليّاً عليه السلام فبدأني فقال لي: يا يزيد ما تقول في العمرة؟ فقلت: فداك أبي وأمّي ذاك إليك وما عندي نفقة فقال: سبحان الله ما كنّا نكلّفك ولا نكفيك فخرجنا حتّى انتهينا إلى ذلك الموضع فابتدأني فقال: يا يزيد إنَّ هذا الموضع لكثيراً ما لقيت فيه خيراً لك من

---

(١) في الكافي «فلا يجهل، معلماً حكماً وعلماً».

(٢) في الكافي «فإنه طهر لك».

عمرتك[١] فقلت: نعم ثمّ قصصت عليه الخبر، فقال لي: أمّا الجارية فلم تجيء بعد فإذا دخلت أبلغتها منك السّلام فانطلقا إلى مكّة واشتراها في تلك السنة ولم تلبث إلاّ قليلاً حتّى حملت فولدت ذلك الغلام، قال يزيد: وكان إخوة عليّ يرجون أن يرثوه فعادوني من غير ذنب فقال لهم إسحاق بن جعفر: والله لقد رأيته وإنّه ليقعد من أبي إبراهيم عليه السلام المجلس الذي لا يقعده أحد منّا.

وعنه، عن محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عليّ بن عبيد الله المرزبانيّ، عن ابن سنان قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام قبل أن يقدم العراق بسنة وعليٌّ ابنه جالس بين يديه فنظر إليّ فقال: يا محمّد أما إنّه سيكون في هذه السنة حركة فلا تجزع لذلك، قال: قلت: وما يكون جعلت فداك؟ فقد أقلقتني، قال: أصير إلى هذا الطاغية أما إنّه لا يبدأني منه[٢] بسوء ولا من الذي يكون بعده، قال: قلت: وما يكون جعلت فداك؟ قال: يضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء، قال: قلت: وما ذاك جعلت فداك، قال: من ظلم ابني هذا حقّه وجحد إمامته من بعدي كان كمن جحد عليّاً عليه السلام حقّه وجحد إمامته من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قلت: والله لئن مدَّ الله لي في العمر لأُسلّمنَّ له حقَّه ولأُقرَّنَّ له بإمامته، قال: صدقت يا محمّد يمدُّ الله لك في عمرك وتقرُّ بإمامته وإمامة من يكون بعده، قال: قلت: ومن ذاك؟ قال: محمّد ابنه، قال: قلت له: الرّضى والتسليم.

والأخبار في هذا الباب كثيرة وهذه جملة كافية في هذا الموضع.

الفصل الثالث

في ذكر دلالاته ومعجزاته

قد نقلت الرواة من العامّة والخاصّة كثيراً من دلالاته وآياته في حياته وبعد وفاته ونحن نذكر منها ما يليق بكتابنا فممّا روته العامّة ما:

أخبرني به الحاكم الموفّق بن عبد الله العارف النّوقانيّ قال: أخبرنا الحسن بن

(١) كذا وفي الكافي «لقيت فيه جيرتك وعمومتك».

(٢) «أقلقتني» القلق: الانزعاج والاضطراب و«يبدأني» أي لا يصيبني منه سوء.

أحمد بن محمّد السمرقنديّ المحدّث، قال: أخبرنا محمّد بن علي الصفّار، قال: أخبرنا أبو سعيد الزّاهد، قال: أخبرنا عبد العزيز بن عبد ربّه الشيرازيّ بمصر، قال: حدّثنا عمر بن محمّد بن عراك، قال: حدّثنا عليّ بن محمّد الشيروانيّ، قال: حدّثنا عليّ بن أحمد الوشّاء الكوفيّ قال: خرجت من الكوفة إلى خراسان فقالت لي ابنتي: يا أبه خذ هذه الحلّة فبعها واشتر لي بثمنها فيروزجاً قال: فأخذتها وشددتها في بعض متاعي وقدمت مرو فنزلت في بعض الفنادق(١) فإذا غلمان عليّ بن موسى ـ المعروف بالرّضا ـ قد جاؤوني وقالوا: نريد حلّة نكفّن بها بعض علمائنا فقلت: ما هي عندي، فمضوا ثمَّ عادوا وقالوا: مولانا يقرأ عليك السّلام ويقول لك: معك حلّة في السّفط الفلانيّ دفعتها إليك ابنتك وقالت: اشتر لي بثمنها فيروزجاً وهذه ثمنها فدفعتها إليهم وقلت: والله لأسألنّه عن مسائل فإن أجابني عنها فهو هو فكتبتها وعدوت إلى بابه فلم أصل إليه لكثرة ازدحام الناس فبينما أنا جالس إذ خرج إليّ خادم فقال: يا عليّ بن أحمد هذه جوابات مسائلك التي جئت فيها فأخذتها منه فإذا هي جوابات مسائلي بعينها.

ومن ذلك ما رواه الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده، عن محمّد بن عيسى، عن أبي حبيب النباجي قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في المنام وقد وافى النباج(٢) ونزل في المسجد الذي ينزل الحجّاج في كلّ سنة، وكأنّي مضيت إليه وسلّمت عليه ووقفت بين يديه فوجدت عنده طبقاً من خوص نخل المدينة فيه تمر صيحانيٌّ وكأنّه قبض قبضة من ذلك التمر فناولني فعددته فكان ثماني عشرة فتأوّلت أنّي أعيش بعدد كلّ تمرة سنة، فلمّا كان بعد عشرين يوماً كنت في أرض تعمر بين يدي للزّراعة إذ جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرضا عليه السلام من المدينة ونزوله ذلك المسجد ورأيت الناس يسعون إليه فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي كنت رأيت فيه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وتحته حصير مثل ما كان تحته وبين يديه طبق من خوص فيه تمر صيحانيٌّ فسلّمت عليه فردَّ عليَّ السلام واستدعاني فناولني قبضة من ذلك التمر

---

(١) الفندق: الخان جمعه فنادق.

(٢) النباج ـ بكسر أوله وآخره جيم ـ قيل: في بلاد العرب نباجان أحدهما على طريق البصرة يقال له: نباج بني عامر وهو بحذاء فيد، والآخر نباج بني سعد بالقريتين (المراصد).

فعددته فإذا عدده مثل ذلك العدد الذي ناولني رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت له: زدني منه يا ابن رسول الله فقال: لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله لزدناك.

ومن ذلك ما أورده الحاكم أيضاً ورواه بإسناده، عن سعد بن سعد، عنه عليه السلام أنّه نظر إلى رجل فقال له: يا عبد الله أوص بما تريد واستعدّ لما لا بدَّ منه، فمات الرَّجل بعد ذلك بثلاثة أيّام.

ومما روته الخاصّة ما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه بإسناده، عن يحيى بن محمّد بن جعفر قال: مرض أبي مرضاً شديداً فأتاه الرضا عليه السلام يعوده وعمّي إسحاق جالس يبكي فالتفت إليّ وقال: ما يبكي عمّك؟ قلت: يخاف عليه ما ترى، قال: فقال لي: لا تغتمنَّ فإنَّ إسحاق سيموت قبله، قال: فبرىء أبي محمّد ومات إسحاق.

وبإسناده، عن معمر بن خلّاد قال: قال لي الرَّيّان بن الصلت: أُحبُّ أن تستأذن لي عليّاً أبا الحسن الرّضا عليه السلام فأُسلّم عليه وأُحبُّ أن يكسوني من ثيابه وأن يهب لي من الدراهم التي ضربت باسمه، فدخلت على الرّضا فقال مبتدئاً: إنَّ الريّان بن الصلت يريد الدُّخول علينا والكسوة من ثيابنا والعطيّة من دراهمنا فأذنت له فدخل وسلّم فأعطاه ثوبين وثلاثين درهماً من الدَّراهم المضروبة باسمه.

وبإسناده، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن الحسين بن موسى بن جعفر[1] قال: كنّا حول أبي الحسن الرّضا ونحن شبّان من بني هاشم إذ مرَّ علينا جعفر بن عمر العلويّ وهو رثُّ الهيئة فنظر بعضنا إلى بعض وضحكنا من هيئته، فقال الرضا: سترونه من قريب كثير المال كثير التبع، فما مضى إلاّ شهر أو نحوه حتّى ولي المدينة وحسنت حاله فكان يمرُّ بنا ومعه الخصيان والحشم.

وبإسناده، عن الحسين بن بشار قال: قال لي الرضا عليه السلام: إنَّ عبد الله يقتل محمّداً فقلت: عبد الله بن هارون يقتل محمّد بن هارون؟ فقال لي: نعم عبد الله الذي بخراسان يقتل محمّد بن زبيدة الّذي هو ببغداد، فقتله.

وبإسناده، عن موسى بن مهران قال: رأيت الرّضا عليه السلام وقد نظر إلى هرثمة

(١) هو جعفر بن محمد بن عمر بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين عليه السلام.

بالمدينة فقال: كأنّي به وقد حمل إلى مرو فضربت عنقه فكان كما قال.

وبإسناده، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، وصفوان بن يحيى قالا: جاءنا الحسين بن قياما الواسطيّ وكان من رؤساء الواقفة فسألنا أن نستأذن له الرضا عليه السلام ففعلنا فلمّا صار بين يديه قال له: أنت إمام؟ قال: نعم، قال: إنّي أُشهد الله أنّك لست بإمام، قال: فنكت طويلاً في الأرض منكّس الرأس ثمَّ رفع رأسه إليه فقال له: ما علمك أنّي لست بإمام؟ قال: لأنّا روينا عن أبي عبد الله أنَّ الإمام لا يكون عقيماً وأنت قد بلغت هذا السن وليس لك ولد، قال: فنكس رأسه أطول من المرَّة الأولى ثمَّ رفع رأسه وقال: إنّي أشهد والله أنّه لا تمضي الأيّام واللّيالي حتّى يرزقني الله ولداً منّي، قال عبد الرحمن: فعددنا الشهر من الوقت الذي قال، فوهب الله له أبا جعفر في أقلّ من سنة.

قال الشيخ حدَّثنا أحمد بن عليّ بن الحسين الثعالبيّ، قال: حدَّثني أبو أحمد عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالصّفوانيّ قال: خرجت قافلة من خراسان إلى كرمان فقطع اللّصوص عليهم الطريق وأخذوا منهم رجلاً اتّهموه بكثرة المال وأقاموه في الثلج وملأوا فاه منه فانفسد فمه ولسانه حتّى لم يقدر على الكلام ثمَّ انصرف إلى خراسان وسمع بخبر الرضا وأنّه بنيسابور، فرأى فيما يرى النائم كأنَّ قائلاً يقول: إنَّ ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد ورد خراسان فسله عن علّتك ليعلّمك دواء تنتفع به، قال: فرأيت كأنّي قد قصدته وشكوت إليه ما كنت وقعت فيه وأخبرته بعلّتي فقال: خذ من الكمّون والسعتر والملح ودقّه وخذ منه في فمك مرّتين أو ثلاثاً، فإنّك تعافى، فانتبه الرجل من منامه ولم يفكّر فيما كان رأى في منامه حتّى ورد باب نيسابور فقيل له: إنّ عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قد ارتحل من نيسابور وهو برباط سعد، فوقع في نفسه أن يقصده ويصف له أمره فدخل إليه فقال له: يا ابن رسول الله كان من أمري كيت وكيت وقد انفسد عليّ فمي ولساني حتّى لا أقدر على الكلام إلا بجهد فعلّمني دواء أنتفع به فقال: ألم أُعلّمك فاذهب فاستعمل ما وصفته لك قال: فقال الرَّجل: يا ابن رسول الله إن رأيت أن تعيده عليّ، فقال لي: خذ من الكمّون والسعتر والملح فدقّه وخذ منه في فمك مرَّتين أو ثلاثاً فإنّك تعافى، قال الرَّجل: فاستعملت ما وصفه لي فعوفيت.

قال الثعالبي: سمعت الصفواني يقول: رأيت هذا الرجل وسمعت منه هذه الحكاية.

وبإسناده عن جعفر بن محمّد النوفليّ قال: أتيت الرضا وهو بقنطرة أربق[1] فسلّمت عليه ثمّ جلست وقلت: جعلت فداك إنَّ أُناساً يزعمون أنّ أباك حيّ فقال: كذبوا لعنهم الله لو كان حيّاً ما قسّم ميراثه ولا نكح نساؤه ولكنّه والله ذاق الموت كما ذاقه عليُّ بن أبي طالب عليه السلام قال: فقلت له: فما تأمرني؟ قال: عليك بابني محمّد من بعدي وأمّا أنا فإني ذاهب في وجه لا أرجع منه، بورك قبر بطوس وقبران ببغداد قلت: جعلت فداك قد عرفنا واحداً فما الثاني قال: ستعرفونه ثمَّ قال: قبري وقبر هارون هكذا وضمَّ بإصبعيه.

وعن حمزة بن جعفر الأرجانيّ قال: خرج هارون من المسجد الحرام مرَّتين وخرج الرضا عليه السلام مرَّتين ويقول: ما أبعد الدار وأقرب اللّقاء يا طوس يا طوس يا طوس ستجمعني وإيّاه.

وبإسناده عن الحسن بن عليّ الوشّاء قال: قال لي الرضا عليه السلام: إنّي حيث أرادوا الخروج بي من المدينة جمعت عيالي وأمرتهم أن يبكوا عليَّ حتّى أسمع، ثمّ فرَّقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثمَّ قلت: إنّي لا أرجع إلى عيالي أبداً.

وعن الحسن الوشّاء أيضاً عن مسافر قال: كنت مع الرضا بمنى فمرَّ به يحيى بن خالد مع قوم من آل برمك فغطّى وجهه من الغبار فقال الرضا: مساكين لا يدرون ما يحلُّ في هذه السنة ثمَّ قال: وأعجب من هذا هارون وأنا كهاتين ـ وضمَّ بين إصبعيه ـ قال مسافر: فما عرفت معنى حديثه حتّى دفنّاه معه.

وبإسناده، عن صفوان بن يحيى قال: لمّا مضى أبو الحسن موسى عليه السلام وتكلّم الرضا خفنا عليه من ذلك وقلنا له: إنّك قد أظهرت أمراً عظيماً وإنّا نخاف عليك هذا الطاغية، فقال: ليجهد جهده فلا سبيل له عليّ، قال صفوان: فأخبرنا الثقة أنَّ يحيى بن خالد قال للطاغي: هذا عليٌّ ابنه قد قعد وادّعى الأمر لنفسه، فقال: ما يكفينا ما صنعنا بأبيه تريد أن نقتلهم جميعاً.

---

(١) ـ بضم الباء ـ قرية برامهرمز وكزبير: واد بالحجاز. (القاموس)

وبإسناده عن عليّ بن جعفر، عن أبي الحسن الطيب قال: لمّا توفّي أبو الحسن موسى عليه السلام دخل أبو الحسن الرضا السوق واشترى كلباً وكبشاً وديكاً فلمّا كتب صاحب الخبر إلى هارون قال: قد أمنّا جانبه وكتب الزُّبيري أنَّ عليّ بن موسى قد فتح بابه ودعا إلى نفسه فقال هارون: واعجبا إنَّ عليَّ بن موسى قد اشترى كلباً وكبشاً وديكاً ويكتب فيه بما يكتب.

وبإسناده عن الحسن بن موسى قال: خرجنا مع أبي الحسن الرضا عليه السلام إلى بعض أملاكه في يوم لا سحاب فيه فلمّا برزنا قال: هل حملتم معكم المماطر؟ قلنا: لا وما حاجتنا إلى المماطر وليس سحاب ولا نتخوّف المطر، قال: قد حملته وستمطرون، قال: فما مضينا إلاّ يسيراً حتّى ارتفعت سحابة ومطرنا فما بقي منّا أحدٌ إلاّ ابتلّ.

وأسانيد هذه الأحاديث مذكورة في كتاب عيون الأخبار للشيخ أبي جعفر(١).

وروى محمّد بن يعقوب الكلينيّ بإسناده، عن إبراهيم بن موسى قال: ألححت على أبي الحسن الرضا عليه السلام في شيء أطلبه منه وكان يعدني فخرج ذات يوم يستقبل والي المدينة وأنا معه فجاء إلى قرب قصر فلان فنزل تحت شجرات ونزلت معه أنا وليس معنا ثالث، فقلت: جعلت فداك هذا العيد قد أظلّنا ولا والله لا أملك درهماً فما سواه، فحكَّ بسوطه الأرض حكّاً شديداً ثمَّ ضرب بيده فتناول منه سبيكة ذهب، ثمَّ قال: انتفع بها واكتم ما رأيت.

وأما ما ظهر للنّاس بعد وفاته من بركة مشهده المقدَّس وعلاماته والعجائب التي شاهدها الخلق فيه وأذعن العامّ والخاصّ له وأقرّ المخالف والمؤالف به إلى يومنا هذا فكثير خارج عن حدّ الإحصاء والعدّ ولقد أبرىء فيه الأكمه والأبرص واستجيبت الدَّعوات وقضيت ببركته الحاجات وكشفت الملمّات وشاهدنا كثيراً من ذلك وتيقنّاه وعلمناه علماً لا يتخالج الشكّ والريب في معناه فلو ذهبنا نخوض في إيراد ذلك لخرجنا عن الغرض في هذا الكتاب.

---

(١) طبع ١٣١٨ ص ٣٢٧ إلى ٣٤٢.

الفصل الرابع

في ذكر طرف من خصائصه ومناقبه وأخلاقه الكريمة عليه السلام

محمّد بن يحيى الصولي، عن ابن ذكوان قال: سمعت إبراهيم بن العبّاس يقول: ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيء قطُّ ولا رأيته يشتم أحداً من مواليه ومماليكه وما رأيته نقل إلاّ علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء فيجيب عنه وكان كلامه كلّه وجوابه وتمثّله انتزاعات من القرآن وكان يختمه في كلّ ثلاث ويقول: لو أنّي أردت أختمه في أقرب من ثلاث لختمت ولكنّي ما مررت بآية قطّ إلاّ فكّرت فيها وفي أيّ شيء أنزلت وفي أيّ وقت فلذلك صرت أختمه في كلّ ثلاث.

وفي رواية أُخرى عن إبراهيم بن هاشم، عن إبراهيم بن العبّاس أنّه قال: ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا وشاهدت منه ما لم أُشاهد من أحد، وما رأيته جفا أحداً بكلامه، ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتّى يفرغ منه وما ردَّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدَّ رجليه بين يدي جليس له قطُّ، ولا رأيته يشتم أحداً من مواليه ومماليكه، وما رأيته تفل، ولا رأيته يقهقه في ضحكه بل كان ضحكه التبسّم، وكان إذا خلا ونصبت مائدته أجلس على مائدته مواليه ومماليكه حتّى البوّاب والسائس، وكان قليل النوم باللّيل كثير السهر، يحيي أكثر لياليه من أوّلها إلى الصبح، وكان كثير الصوم، ولا يفوته صيام ثلاثة أيّام في الشهر، ويقول: ذلك صوم الدهر، وكان كثير المعروف والصدقة في السرّ، وأكثر ذلك يكون منه في اللّيالي المظلمة، فمن زعم أنّه رأى مثله في فضله فلا تصدِّقوه.

وعن محمّد بن أبي عباد قال: كان جلوس الرضا عليه السلام على حصير بالصيف وعلى مسح في الشتاء[1]، ولبسه الغليظ من الثياب حتّى إذا برز للناس تزيّن لهم.

وروى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده، عن الفضل بن العبّاس، عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهرويّ قال: ما رأيت أعلم من عليّ بن موسى

(١) المسح ـ بكسر الميم ـ البلاس يقعد عليه.

الرضا عليه السلام ولا رآه عالم إلاّ شهد له بمثل شهادته ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلّمين فغلبهم عن آخرهم حتّى ما بقي أحد منهم إلاّ أقرّ له بالفضل وأقرّ على نفسه بالقصور، ولقد سمعت عليَّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون فإذا أعيى الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم وبعثوا إليّ بالمسائل فأجبت عنها.

قال أبو الصّلت: ولقد حدَّثني محمّد بن إسحاق بن موسى بن جعفر، عن أبيه أنَّ موسى بن جعفر عليه السلام كان يقول لبنيه: هذا أخوكم عليّ بن موسى الرضا عالم آل محمّد فسلوه عن أديانكم واحفظوا ما يقول لكم فإنّي سمعت أبي جعفر بن محمّد غير مرَّة يقول لي: إنَّ عالم آل محمّد لفي صلبك وليتني أدركته فإنّه سميُّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وروى عليُّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمّد بن يحيى الفارسيّ قال: نظر أبو نواس إلى الرضا ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة له، فدنا منه وسلّم عليه وقال: يا ابن رسول الله قد قلت فيك أبياتاً وأنا أُحبُّ أن تسمعها منّي فقال: هات فأنشأ يقول:

مطهّرون نقيّات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علويّاً حين تنسبه ... فما له في قديم الدَّهر مفتخر
فالله لمّا برا خلقاً فأتقنه ... صفّاكم واصطفاكم أيّها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال الرضا عليه السلام: قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحدٌ، يا غلام هل عندك من نفقتنا شيء؟ فقال: ثلاثمائة دينار فقال: أعطها إيّاه، ثم قال: لعلّه استقلّها يا غلام سق إليه البغلة.

ولأبي نواس فيه أيضاً:

قيل لي أنت أوحد الناس طرًّا ... في فنون من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع ... في المعاني وفي الكلام البديه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمّعن فيه

قلـت: لا أهتـدي لمـدح إمـام كـان جبـريـل خـادمـاً لأبيـه(١)

عليٌّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن أبي الصلت الهرويّ قال: دخل دعبل بن عليّ الخزاعيّ على الرضا عليه السلام بمرو فقال له: يا ابن رسول الله إنّي قد قلت فيك قصيدة وآليت(٢) على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك فقال عليه السلام: هاتها فأنشدها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما بلغ إلى قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن الرضا وقال له: صدقت يا خزاعيّ.

فلما بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدُّوا إلى واتريهم أكفّاً عن الأوتار منقبضات

جعل الرضا عليه السلام يقلّب كفّيه ويقول أجل والله منقبضات.

فلما بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدُّنيا وأيّام سعيها وإنّي لأرجو الأمن عند وفاتي

قال الرضا عليه السلام: آمنك الله يوم الفزع الأكبر.

فلما انتهى إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكيّة تضمّنها الرحمن في الغرفات

---

(١) الأشعار منقولة في الوفيات هكذا:

قيل لي أنت أحسن الناس طراً في فنون من الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه

(٢) يعني أقسمت أو نذرت وجعلت على نفسي كذا وكذا.

قال الرضا عليه السلام: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما إتمام قصيدتك؟ فقال: بلى يا ابن رسول الله فقال الرضا:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة ... توقّد بالأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً ... يفرّج عنّا الهمّ والكربات

قال دعبل: يا ابن رسول الله هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟ فقال الرضا عليه السلام: قبري ولا تنقضي الأيام واللّيالي حتّى تصير طوس مختلف شيعتي وزوّاري. ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له ثمَّ نهض الرضا بعد فراغ دعبل من إنشاد القصيدة وأمره أن لا يبرح من موضعه فدخل الدّار فلمّا كان بعد ساعة خرج الخادم إليه بمائة دينار. وفي رواية غيره ستّمائة دينار، وقال له: يقول لك مولاي: اجعلها في نفقتك فقال دعبل والله ما لهذا جئت ولا قلت هذه القصيدة طمعاً في شيء وردَّ الصرَّة وسأل ثوباً من ثياب الرضا ليتبرَّك به ويتشرَّف فأنفذ إليه الرضا بجبّة خزّ مع الصرّة وقال: قل له: خذ هذه الصرَّة فإنّك ستحتاج إليها ولا تراجعني فيها، فانصرف دعبل وصار من مرو في قافلة فوقع عليهم اللّصوص وأخذوا القافلة وكتّفوا أهلها وجعلوا يقسّمون أموالهم فتمثّل رجلٌ منهم بقوله: «أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً» البيت فقال دعبل: أنا قائل هذه القصيدة فخلّوا أكتافه وأكتاف جميع القافلة وردُّوا عليهم جميع ما أخذوا منهم وسار دعبل حتّى وصل إلى قم وأنشدهم القصيدة فوصلوه وأكرموه وسألوه أن يبيع الجبّة منهم بألف دينار فأبى وسار عن قم فلحقه قومٌ من أحداثهم وأخذوا الجبّة منه فرجع وسألهم ردّها عليه فقالوا: لا سبيل لك إليها فخذ ثمنها ألف دينار، فقال: إلاّ أن تدفعوا إليّ شيئاً منها، فأعطوه بعضها وألف دينار وانصرف دعبل إلى وطنه فوجد اللّصوص أخذوا جميع ما في منزله فباع المائة دينار التي وصله بها الرضا عليه السلام من الشيعة كلَّ دينار بمائة درهم وتذكّر قول الرضا عليه السلام: «إنّك ستحتاج إليها».

وعن أبي الصلت الهرويّ قال: سمعت دعبل قال: لمّا أنشدت الرضا القصيدة وانتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله والبركات

يميّــز فينــا كــلّ حــقّ وبــاطــل ويجــزي علــى النعمــاء والنقمــات

بكى الرضا عليه السلام بكاء شديداً ثمَّ رفع رأسه إليَّ وقال: يا خزاعيّ نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا الإمام ومتى يخرج؟ قلت: لا يا مولاي إلاّ أنّي سمعت بخروج إمام منكم يملأ الأرض عدلاً فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمّد ابني وبعد محمّد عليّ وبعد عليّ ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدُّنيا إلاّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

وروى الصولي عن أبي ذكوان، عن إبراهيم بن العبّاس قال: كان الرضا عليه السلام ينشد كثيراً:

إذا كنـت فـي خيـر فـلا تغتـرر بـه ولكـن قـل اللّهـمّ سلّـم وتمّـم

وعن الرّيّان بن الصلت قال: أنشدني الرضا عليه السلام لعبد المطّلب:

يعيــب النــاس كلّهــم زمــانــا ومــا لــزمــاننــا عيــبٌ ســوانــا
نعيــب زمــاننــا والعيــب فينــا ولــو نطــق الــزمــان بنــا هجــانــا
وليـس الـذئـب يـأكـل لحـم ذئـب ويــأكــل بعضنــا بعضــاً عيــانــا

وشكا رجلٌ أخاه في مجلسه فأنشأ يقول:

اعــذر أخــاك علــى ذنــوبــه واستــر وغــطّ علــى عيــوبــه
واصبــر علــى بهــت السفيــ ــه وللــزمــان علــى خطــوبــه
ودع الجــواب تفضّــلاً وكــل الظلــوم إلــى حسيبــه

وروى عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال: كتب أبو الحسن الرضا عليه السلام إلى بعض أصحابه: إنّا لنعرف الرّجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق.

وروى عن ياسر الخادم قال: كان لأبي الحسن في البيت غلمان صقالبة وروم وكان أبو الحسن عليه السلام قريباً منهم فسمعهم باللّيل يتراطنون بالصقلبيّة والروميّة[١]

(١) تراطن القوم تكلموا بالأعجمية.

ويقولون: إنا كنّا نفتصد في كلّ سنة في بلادنا ثمّ ليس نفتصد ههنا، فلمّا كان من الغد وجّه أبو الحسن إلى بعض الأطبّاء فقال: افصد هؤلاء ثمّ افصد فلاناً عرق كذا وافصد فلاناً عرق كذا، ثمّ قال: يا ياسر لا تفتصد أنت قال: فافتصدت فورمت يدي واحمرّت. فقال لي: يا ياسر ما لك؟ فأخبرته فقال: ألم أنهك عن ذلك هلمّ بيدك فمسح يده وتفل فيها ثمّ أوصاني أن لا أتعشّى فكنت بعد ذلك ما شاء الله لا أتعشّى ثمّ أتغافل فأتعشّى فتضرب عليّ.

عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الصلت الهرويّ قال: كان الرضا عليه السلام يكلّم الناس بلغاتهم وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكلّ لسان ولغة فقلت له يوماً: يا ابن رسول الله إنّي لأعجب من معرفتك بهذه اللّغات على اختلافها فقال: يا أبا الصلت أنا حجّة الله على خلقه وما كان الله ليتّخذ حجّة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم، أوما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام أُوتينا فصل الخطاب، وما كان فصل الخطاب إلاّ معرفة اللّغات.

وروى الحسن بن عليّ بن فضّال، عن الرّضا عليه السلام أنّه قال: قال له رجل من أهل خراسان: يا ابن رسول الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام كأنّه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بعضي واستحفظتم وديعتي وغيّب في ثراكم نجمي؟ فقال له الرّضا عليه السلام: أنا المدفون في أرضكم وأنا بضعة من نبيّكم وأنا الوديعة والنّجم، ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تعالى من حقّي فأنا وآبائي شفعاءه يوم القيامة ومن كنّا شفعاؤه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثّقلين الجنّ والإنس! ولقد حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رآني في منامه فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتمثّل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم وإنّ الرّؤيا الصّادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوّة.

وأما ما روي عنه من فنون العلم وأنواع الحكم والأخبار المجموعة والمشهورة والمجالس مع أهل الملك والمناظرات المشهورة فأكثر من أن تحصى[1].

(١) راجع عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام ـ للشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ.

الفصل الخامس

في ذكر نبذ من أخباره مع المأمون

كان المأمون قد أنفذ إلى جماعة من الطالبيّة فحملهم من المدينة وفيهم الرّضا عليه السلام فأخذهم على طريق البصرة حتّى جاؤوه بهم، وكان المتولّي لإشخاصهم المعروف[1] بالجلودي فقدم بهم على المأمون فأنزلهم داراً وأنزل الرّضا عليه السلام داراً وأكرمه وأعظم أمره ثمَّ أنفذ إليه إنّي أُريد أن أخلع نفسي من الخلافة وأُقلّدك إيّاها فأنكر الرّضا هذا الأمر وقال: أُعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد، فورد عليه الرّسالة[2] فإذا أبيت ما عرضته عليك فلا بدَّ من ولاية العهد من بعدي فأبى عليه الرّضا عليه السلام إباء شديداً، فاستدعاه إليه وخلا به ومعه ذو الرياستين الفضل بن سهل وردَّ عليه هذا الكلام فقال: اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين فقال له المأمون كالمهدّد: إنَّ عمر بن الخطّاب جعل الأمر شورى في ستّة أحدهم جدُّك أمير المؤمنين وشرط فيمن خالف ذلك أن تُضرب عنقه ولا بدَّ من قبولك ما أُريده منك فقال الرّضا: إنّي أُجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد على أنّي لا آمر ولا أنهى ولا أُفتي ولا أقضي ولا أُولّي ولا أعزل ولا أُغير شيئاً ممّا هو قائمٌ فأجابه المأمون إلى ذلك كلّه.

وذكر رواة السّير أنّ المأمون لمّا أراد العقد للرّضا عليه السلام أحضر الفضل والحسن ابني سهل فأعلمهما بما قد عزم عليه من ذلك وقال: إنّي عاهدت الله تعالى أنّني إن ظفرت بالمخلوع[3] أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرّجل على وجه الأرض فلمّا رأيا عزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته، فأرسلهما إلى الرضا، فعرضا ذلك عليه فامتنع منه، فلم يزالا به حتّى أجاب ورجعا إلى المأمون فعرفاه إجابته فسرَّ المأمون به وجلس للخاصّة في يوم

---

(١) كذا.

(٢) في إرشاد المفيد ـ رحمه الله ـ «فرد عليه الرسالة».

(٣) أراد بالمخلوع محمد بن هارون الأمين أخ المأمون فإنه خلع عن الخلافة. وكان هو الخليفة بعد أبيه هارون ووقعت بينه وبين أخيه المأمون حروب حتى ظفر به.

خميس وخرج الفضل بن سهل فأعلم النّاس برأي المأمون في عليّ بن موسى وأنّه قد ولاّه عهده وقد سمّاه الرّضا وأمرهم بلبس الخضرة والعود[١] لبيعته في الخميس الآخر على أن يأخذوا رزق سنة، فلمّا كان ذلك اليوم ركب الناس على طبقاتهم من القوّاد والحجّاب والقضاة وغيرهم في الخضرة وجلس المأمون ووضع للرضا وسادتين عظيمتين حتّى لحق بمجلسه وفرشه وأجلس المأمون الرضا عليهما في الخضرة وعليه عمامة وسيف، ثمّ أمر ابنه العبّاس بن المأمون فبايع له أوّل الناس فرفع الرضا عليه السلام يده فتلقّى بظهرها بطن نفسه وببطنها وجوههم فقال المأمون: ابسط يدك للبيعة، فقال الرّضا عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هكذا كان يبايع فبايعه الناس ويده فوق أيديهم ووضعت البدر[٢] وقامت الخطباء والشعراء، فجعلوا يذكرون فضل الرضا عليه السلام وما كان من المأمون في أمره، ثمَّ دعا أبو عبّاد بالعبّاس بن المأمون فوثب فدنا من أبيه فقبّل يده وأمره بالجلوس، ثمَّ نودي محمّد بن جعفر بن محمّد وقال له الفضل بن سهل: قم فقام ومشى حتّى قرب من المأمون فوقف فلم يقبّل يده فقيل له: امض فخذ جائزتك وناداه المأمون ارجع يا أبا جعفر إلى مجلسك فرجع ثمَّ جعل أبو عبّاد يدعو بعلويّ وعبّاسيّ فيقبضان جوائزهما حتّى نفدت الأموال.

ثم قال المأمون للرضا: اخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنّ لنا عليكم حقّاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكم علينا حقٌّ به فإذا أنتم أدّيتم إلينا ذلك الحقّ وجب علينا الحقُّ لكم.

ولم يذكر عنه غير هذا في ذلك المجلس، وأمر المأمون فضربت الدَّراهم وطبع عليها اسم الرضا عليه السلام وخطب للرضا في كلّ بلد بولاية العهد وخطب عبد الجبّار بن سعد في تلك السنة على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فقال في الدُّعاء له: ولي عهد المسلمين عليُّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السلام.

---

(١) إنما كان شعار بني العباس قبل هذا اليوم الأعلام السود وهكذا ألبستهم وفي ذلك اليوم بدلوا بالخضراء.

(٢) البدر ـ بكسر الباء وفتح الدال ـ جمع البدرة.

ستّــــة آبــــاء هــــم مــــا هــــم أفضــل مــن يشـرب صـوب الغمـام

وذكر المدائنيّ عن رجاله قال: لمّا جلس الرضا لولاية العهد قام بين يديه الخطباء والشعراء وخفقت الألوية على رأسه فذكر بعض من حضر ذلك المجلس ممّن كان يختصّ بالرضا قال: نظر إليّ وكنت مستبشراً بما جرى فأومأ إليّ أن أُدن منّي فقال لي من حيث لا يسمعه أحدٌ غيري: لا تشغل قلبك بهذا الأمر ولا تستبشر به فإنّه شيء لا يتمُّ.

وذكر الصوليُّ بإسناده عن الفضل بن سهل النوبختي ـ أو عن أخ له ـ قال: لمّا عزم المأمون على العقد للرضا عليه السلام بالعهد قلت: والله لأعتبرنَّ بما في نفس المأمون أيحبُّ تمام هذا الأمر أم هو تصنّع منه؟ فكتبت إليه على يد خادم له كان يكاتبني بأسراره على يده: قد عزم ذو الرياستين على عقد العهد والطالع السرطان وفيه المشتري والسرطان وإن كان شرف المشتري فهو برج منقلب لا يتمُّ أمر يعقد فيه ومع هذا فإنّ المريخ في الميزان في بيت العاقبة وهذا يدلُّ على نكبة المعقود له، قد عرّفت أمير المؤمنين ذلك لئلاّ يعتب عليَّ إذا وقف على هذا من غيري، فكتب إليَّ إذا قرأت جوابي إليك فاردده إليَّ مع الخادم ونفسك أن يقف أحدٌ على ما عرَّفتنيه وأن يرجع ذو الرّياستين عن عزمه فإنّه إن فعل ذلك ألحقت الذّنب بك وعلمت أنّك سببه، قال: فضاقت عليّ الدُّنيا وبلغني أنَّ الفضل بن سهل قد تنبّه على الأمر ورجع عن عزمه وكان حسن العلم بالنجوم فخفت والله على نفسي وركبت إليه فقلت له: أتعلم في السماء أسعد من المشتري؟ قال: لا، قلت: أتعلم في الكواكب [نجماً يكون] في حال أسعد منها في شرفها؟ قال: لا، قلت: فأمض العزم على ذلك إن كنت تعقده وسعد الفلك في أسعد حالاته فأمضى الأمر على ذلك فما أحسَّ أنّي من أهل الدُّنيا حتّى وقع العقد فزعاً من المأمون.

وروى عليُّ بن إبراهيم، عن ياسر الخادم والرَّيّان بن الصلت جميعاً قالا: لمّا حضر العيد وكان قد عقد للرضا عليه السلام الأمر بولاية العهد بعث المأمون إليه في الركوب إلى العيد والصلاة بالناس والخطبة بهم فبعث إليه الرضا قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول الأمر فاعفني من الصلاة بالناس، فقال له المأمون: إنّي أريد أن تطمئنَّ قلوب الناس ويعرفوا فضلك ولم يزل الرَّسول يتردَّد

بينهم في ذلك فلمّا ألحّ عليه المأمون أرسل عليه السلام إليه إن أعفيتني فهو أحبُّ إليّ وإن لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال المأمون: أخرج كيف شئت، وأمر القوّاد والناس أن يبكروا إلى باب الرضا عليه السلام فقعد الناس لأبي الحسن في الطرقات والسطوح واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه وصار جميع القوّاد والجند إلى بابه فوقفوا على دوابّهم حتّى طلعت الشمس فاغتسل أبو الحسن عليه السلام، ولبس ثيابه، وتعمّم بعمامة بيضاء من قطن، ألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه، ومسَّ شيئاً من الطيب على جسده، وأخذ بيده عكّازة[1] وقال لمواليه: افعلوا مثل ذلك، فخرجوا بين يديه وهو حاف، قد شمّر سراويله إلى نصف الساق، وعليه ثياب مشمّرة، فمشى قليلاً ورفع رأسه إلى السماء وكبّر وكبّر مواليه معه، ومشى حتّى وقف على الباب فلمّا رآه القوّاد والجند في تلك الصورة سقطوا كلّهم إلى الأرض وكان أحسنهم حالاً من كان معه سكّين قطع بها شراكة نعليه ونزعها وتحفّى، وكبّر الرضا عليه السلام على الباب وكبّر الناس معه فخيل إلينا أنَّ السماء والحيطان تجاوبه، وتزعزعت مرو بالبكاء والضجيج لمّا رأوا أبا الحسن عليه السلام وسمعوا تكبيره وبلغ المأمون من ذلك فقال له الفضل بن سهل ذو الرياستين: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا عليه السلام المصلّى على هذا السبيل افتتن به الناس وخفنا كلّنا على دمائنا فأنفذ إليه أن يرجع فبعث إليه المأمون: قد كلّفناك شططاً وأتعبناك ولست أُحبُّ أن يلحقك مشقّة فارجع وليصلّ بالناس من كان يصلّي بهم على رسمه، فدعا أبو الحسن بخفّه فلبسه وركب ورجع فاختلف أمر الناس في ذلك اليوم ولم تنتظم صلاتهم.

وروى عليُّ بن إبراهيم، عن ياسر قال: لمّا عزم المأمون على الخروج من خراسان إلى بغداد خرج معه ذو الرياستين وخرجنا مع أبي الحسن الرضا عليه السلام فورد على الفضل كتاب من أخيه الحسن بن سهل ونحن في بعض المنازل: إنّي نظرت في تحويل السنة فوجدت فيه أنّك تذوق في شهر كذا يوم الأربعاء حرَّ الحديد وحرَّ النار وأرى أن تدخل أنت وأمير المؤمنين والرضا عليه السلام الحمّام وتحتجم فيه وتصبَّ على بدنك الدَّم ليزول عنك نحسه فكتب ذو الرياستين بذلك إلى المأمون

---

(١) العكازة: عصاء ذات حديدة في أسفلها.

وسأله أن يسأل أبا الحسن في ذلك، فكتب إلى الرضا عليه السلام يسأله فيه فأجابه لست بداخل الحمّام غداً، فأعاد عليه الرقعة مرّتين فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه اللّيلة فقال لي: يا عليّ لا تدخل الحمّام غداً ولا أرى لك يا أمير المؤمنين ولا للفضل أن تدخلا الحمّام، فكتب إليه المأمون صدقت يا أبا الحسن وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله ولست بداخل الحمّام غداً والفضل أعلم، قال ياسر: فلمّا أمسينا قال لنا الرضا: قولوا نعوذ بالله من شرّ ما ينزل في هذه اللّيلة فلم نزل نقول ذلك فلمّا صلّى الرضا عليه السلام الصبح قال لي: اصعد السطح هل تجد شيئاً فلمّا صعدت سمعت الصيحة فكثرت وزادت فلم نشعر بشيء، فإذا نحن بالمأمون قد دخل من الباب الذي كان من داره إلى دار أبي الحسن عليه السلام وهو يقول: يا سيّدي آجرك الله في الفضل فإنّه دخل الحمّام ودخل عليه قوم بالسيوف فقتلوه وأُسر ممّن دخل عليه ثلاثة نفر أحدهم ابن خالة الفضل ابن ذي القلمين، قال: واجتمع الجند والقوّاد من كان من رجال الفضل على باب المأمون فقالوا: هو اغتاله وشغبوا عليه وطلبوا بدمه وجاؤوا بالنيران ليحرقوا الباب فقال المأمون لأبي الحسن: يا سيّدي إن رأيت تخرج إليهم وترفق بهم حتّى يتفرّقوا؟ قال: نعم وركب أبو الحسن وقال لي: يا ياسر اركب فركبت فلمّا خرجنا من باب الدّار نظر إلى الناس وقد ازدحموا فأومأ إليهم بيده تفرّقوا، قال ياسر: فأقبل الناس وقد يقع بعضهم على بعض وما أشار إلى أحد إلاّ ركض ومشى.

وقال أبو عليّ السلامي: إنّما قتل الفضل بن سهل غالب خال المأمون في حمّام سرخس مغافصة[1] في شعبان سنة ثلاث ومائتين.

عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن إبراهيم بن محمّد الحسينيّ قال: بعث المأمون إلى أبي الحسن جارية فلمّا أُدخلت عليه اشمأزّت من الشيب فردّها إلى المأمون وكتب إليه:

نعى نفسي إلى نفسي المشيب ... وعند الشيب يتّعظ اللّبيب
فقد ولّى الشباب إلى مداه ... فلست أرى مواضعه تؤوب

---

(١) أي فتكاً.

سأبكيه وأندبه طويلاً وأدعوه إليّ عسى يجيب
وهيهات الذي قد فات منه[١] تمنّيني به النفس الكذوب
وراع الغانيات بياض رأسي ومن مدّ البقاء له يشيب
أرى البيض الحسان يخدفن عنّي وفي هجرانهنّ لنا نصيب
فإن يكن الشباب مضى حبيباً فإنّ الشيب أيضاً لي حبيب
سأصحبه بتقوى الله حتّى يفرّق بيننا الأجل القريب

الفصل السادس

في ذكر وفاته عليه السلام وسببها وبعض ما جاء من الأخبار في ذلك

وكان سبب قتل المأمون إيّاه عليه السلام أنّه كان لا يحابي المأمون في حقّ ويجبهه في أكثر أحواله بما يغيظه ويحقده عليه ولا يظهر ذلك له وكان عليه السلام يكثر وعظه إذا خلا به ويخوّفه بالله تعالى وكان المأمون يظهر قبوله ويبطن خلافه ودخل يوماً عليه فرآه يتوضّأ للصلاة والغلام يصبُّ على يده الماء فقال: لا تشرك يا أمير المؤمنين بعبادة ربّك أحداً فصرف المأمون الغلام وتولّى المأمون إتمام الوضوء، وكان يزري[٢] على الفضل والحسن ابني سهل عند المأمون إذا ذكرا ويصف له مساوئهما وينهاه عن الإصغاء إلى مقالهما فعرفا ذلك فجعلا يخطّئان عليه عند المأمون ويخوّفانه من حمل الناس عليه حتّى قلبا رأيه فيه وعزم على قتله فاتّفق أنّه أكل هو والمأمون طعاماً فاعتلَّ الرضا وتمارض المأمون.

ذكر محمّد بن علي بن أبي حمزة، عن منصور بن بشير، عن أخيه عبد الله بن بشير قال: أمرني المأمون، أن أُطوّل أظفاري على العادة ولا أُظهر لأحد ذلك، ففعلت ذلك ثمَّ استدعاني وأخرج إليَّ شيئاً شبيهاً بالتّمر الهنديّ، وقال: اعجن هذا بيديك جميعاً ففعلت ثمَّ قام وتركني، فدخل على الرّضا فقال له: ما خبرك؟ قال: أرجو أن أكون صالحاً. فقال له: وأنا اليوم بحمد الله أيضاً صالح فهل جاءك أحدٌ من

(١) في العيون «قد فات مني».
(٢) أي يعيب ويقبح.

المترفّقين في هذا اليوم؟ قال: لا، فغضب المأمون وصاح على غلمانه ثمَّ قال: فخذ ماء الرمان السّاعة فإنّه ممّا لا يستغنى عنه، ثمّ دعاني فقال: ائتنا برمّان فأتيته به فقال: اعصره بيديك، ففعلت وسقاه المأمون بيده وكان ذلك سبب موته ولم يلبث إلاّ يومين حتّى مات.

وروى عن محمّد بن الجهم أنّه قال: كان الرّضا عليه السلام يعجبه العنب فأُخذ له شيء منه وجعل في موضع أقماعه الإبر[١] أيّاماً ثمّ نزعت منه وجيء به إليه فأكل منه وهو في علّته الّتي ذكرناها فقتله وذكر أنّ ذلك من لطيف السموم.

وروى جماعة كثيرة من أصحابنا، عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن أبي الصلت الهرويّ قال: بينا أنا واقفٌ بين يدي الرّضا عليه السلام إذ قال لي: يا أبا الصلت أُدخل هذه القبّة التي فيها قبر هارون فائتني بترابه من أربعة جوانب قال: فأتيته به فقال: ناولني هذا التراب وهو من عند الباب فناولته فأخذه وشمّه ثمَّ رمى به فقال: سيحفر لي ههنا فتظهر صخرة لو جمع عليها كلّ معول بخراسان لم يتهيّأ قلعها ثمَّ قال في الذي عند الرجل مثل ذلك وفي الذي عند الرأس مثل ذلك، وأمّا هذا التراب فهو من تربتي ثمَّ قال: سيحفر لي في هذا الموضع فتأمرهم أن يحفروا لي سبع مراقي إلى أسفل ذلك وأن يشقَّ لي ضريحاً فإن أبوا إلاّ أن يلحدوا فتأمرهم أن يجعلوا اللّحد ذراعين وشبراً فإنّ الله عزَّ وجلَّ سيوسّعه لي بما شاء، فإذا فعلوا ذلك، فإنّك ترى عند رأسي نداوة فتكلّم بالكلام الذي أُعلّمك فإنّه ينبع الماء حتى يمتلىء اللّحد فترى فيه حيتاناً صغاراً ففتّت لها الخبز الذي أعطيك فإنّها تلتقطه فإذا لم يبق منه شيءٌ خرجت حوتة كبيرة فالتقطت الحيتان الصغار حتّى لا يبقى منها شيءٌ ثمَّ تغيب فإذا غابت فضع يدك على الماء وتكلّم بالكلام الذي أُعلّمك فإنّه ينضب الماء ولا يبقى منه شيء، ولا تفعل ذلك إلاّ بحضرة المأمون، ثمَّ قال: يا أبا الصلت غداً أدخل إلى هذا الفاجر فإن أنا خرجت وأنا مكشوف الرأس فتكلّم أُكلّمك وإن خرجت وأنا مغطّى الرأس فلا تكلّمني، فلمّا أصبحنا من الغد لبس ثيابه وجلس في محرابه ينتظر فبينما هو كذلك إذ دخل عليه غلامُ المأمون فقال: أجب أمير المؤمنين، فلبس نعله ورداءه وقام يمشي وأنا أتبعه حتّى دخل على المأمون وبين يديه طبق عليه عنب وأطباق فاكهة وبيده

(١) القمع: ما التصق بأسفل التمر ونحوها. والإبر جمع إبرة.

عنقود عنب قد أكل بعضه فلمّا نظر إلى الرّضا وثب إليه فعانقه وقبّل ما بين عينيه وأجلسه معه وناوله العنقود وقال: يا ابن رسول الله ما رأيت عنباً أحسن من هذا، فقال له الرّضا عليه السلام: ربّما كان عنباً أحسن يكون من الجنّة، فقال: كل منه، فقال له الرّضا عليه السلام: تعفيني منه فقال: لا بدَّ من ذلك وما يمنعك منه لعلّك تتّهمنا بشيء فتناول العنقود وأكل منه ثمَّ ناوله فأكل منه الرّضا ثلاث حبّات ثمَّ رمى به وقام فقال له المأمون: إلى أين؟ قال: إلى حيث وجّهتني وخرج عليه السلام مغطّى الرأس فلم أُكلّمه حتّى دخل الدار وأمر أن يغلق الباب فأُغلق ثمَّ نام على فراشه، ومكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً فبينا أنا كذلك إذ دخل عليَّ شابٌّ حسن الوجه قطط الشعر أشبه الناس بالرّضا، فبادرت إليه وقلت: من أين دخلت والباب مغلق؟ فقال لي: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق، فقلت له: ومن أنت؟ فقال لي: أنا حجّة الله عليك يا أبا الصلت أنا محمّد بن عليّ ثمَّ مضى نحو أبيه فدخل وأمرني بالدُّخول معه فلمّا نظر إليه الرّضا عليه السلام وثب إليه فعانقه وضمّه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه، ثمَّ سحبه سحباً في فراشه وأكبَّ عليه وبقي يتحدّث معه كثيراً ويساره بشيء لم أفهمه ورأيت على شفتي الرضا زبداً أبيض من الثلج فأقبل أبو جعفر يلحسه بلسانه، ثمَّ أدخل يده بين ثوبيه وصدره فاستخرج منه شيئاً شبيهاً بالعصفور فابتلعه أبو جعفر، ومضى الرضا عليه السلام فقال أبو جعفر: قم يا أبا الصلت وائتني بالمغتسل والماء من الخزانة فقلت: ما في الخزانة مغتسل ولا ماء فقال لي: انته إلى ما أمرتك به، فدخلت الخزانة فإذا فيها مغتسل وماء فأخرجته وشمّرت ثيابي لأُغسّله معه، ثمَّ قال لي: يا أبا الصلت إنَّ معي من يعينني غيرك، فغسّله ثمَّ قال لي: ادخل الخزانة فأخرج لي السفط الّذي فيه كفنه وحنوطه، فدخلت فإذا أنا بالسفط لم أره في تلك الخزانة قطُّ، فحملته إليه وكفّنه وصلّى عليه، ثم قال: ائتني بالتابوت، فقلت: أمضي إلى النجّار حتّى يصلح تابوتاً، قال: قم فإنَّ في الخزانة تابوتاً فدخلت الخزانة فوجدت تابوتاً لم أره قطّ فأتيته به فأخذه فوضعه في التابوت بعد ما صلّى عليه وصفّ قدميه وصلّى ركعتين، لم يفرغ منهما حتّى علا التابوت وانشقَّ السقف فخرج منه التابوت ومضى فقلت: يا ابن رسول الله الساعة يجيئنا المأمون يطالبنا بالرضا فما نصنع؟ فقال لي: اسكت سيعود يا أبا الصلت ما من نبيّ يموت في المشرق ويموت وصيّه في المغرب إلاّ جمع الله بين أرواحهما

وأجسادهما فما استتمَّ الحديث حتّى انشقَّ السقف ونزل التابوت فقام واستخرج الرضا عليه السلام من التابوت ووضعه في فراشه كأنّه لم يغسّل ولم يكفّن، ثمَّ قال: يا أبا الصلت قم فافتح الباب للمأمون ففتحت الباب فإذا المأمون والغلمان بالباب فدخل باكياً حزيناً قد شقَّ جيبه ولطم رأسه وهو يقول: يا سيّداه فجعت بك يا سيّدي، ثمَّ دخل وجلس عند رأسه وقال: خذوا في تجهيزه وأمر بحفر القبر فحفرت الموضع فظهر كل شيء على ما وصفه الرضا عليه السلام فقام بعض جلسائه وقال: ألست تزعم أنّه إمام؟ قلت: بلى، قال: لا يكون الإمام إلاّ مقدّم الرأس، فأمر أن يحفر له في القبلة فقلت: أمرني أن أحفر له سبع مراقي وأن أشقَّ له ضريحة.

فقال: انتهوا إلى ما يأمر به أبو الصلت سوى الضريح ولكن يحفر له ويلحد، فلمّا رأى ما يظهر به من النداوة والحيتان وغير ذلك قال المأمون: لم يزل الرّضا عليه السلام يرينا العجائب في حياته حتّى أراناها بعد وفاته أيضاً، فقال وزير كان معه: أتدري ما أخبرك الرّضا قال: لا، قال: أخبركم أنَّ ملككم بني العبّاس مع كثرتكم وطول مدَّتكم مثل هذه الحيتان حتّى إذا فنيت آجالكم وانقطعت آثاركم وذهبت دولتكم سلّط الله عليكم رجلاً منّا فأفناكم عن آخركم فقال له: صدقت ثمَّ قال: يا أبا الصلت علّمني الكلام الذي علّمك به قلت: والله لقد نسيت الكلام من ساعتي وقد كنت صدقت، فأمر بحبسي فحبست سنة فضاق عليَّ الحبس وسألت الله أن يفرّج عنّي بحقّ محمّد وآله فلم أستتمَّ الدُّعاء حتّى دخل محمّد بن عليّ الرضا عليهما السلام فقال لي: ضاق صدرك يا أبا الصلت؟ قلت: إي والله، قال: قم فاخرج، ثمَّ مدَّ بيده إلى القيود التي كانت عليَّ ففكّها وأخذ بيدي وأخرجني من الدَّار والحرسة والغلمة يرونني فلم يستطيعوا أن يكلّموني وخرجت من باب الدَّار ثمَّ قال لي: امض في ودائع الله فإنّك لن تصل إليه ولا يصل إليك أبداً، قال أبو الصلت: فلم ألتق مع المأمون إلى هذا الوقت.

وروى عن إبراهيم بن العبّاس قال: كانت البيعة للرّضا عليه السلام لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وزوّجه ابنته أمّ حبيب في أوّل سنة اثنين ومائتين وتوفّي سنة ثلاث ومائتين والمأمون متوجّه إلى العراق.

وفي رواية هرثمة بن أعين عن الرضا عليه السلام في حديث طويل أنّه قال: يا

هرثمة هذا أوان رجوعي إلى الله عزَّ وجلَّ ولحوقي بجدّي وآبائي وقد بلغ الكتاب أجله فقد عزم هذا الطاغي على سمّي في عنب وفي رمّان مفروك، فأمّا العنب فإنّه يغمس المسلك في السمّ ويجذبه بالخيط في العنب، وأمّا الرمّان فإنّه يطرح السمّ في كفّ بعض غلمانه ويفرك الرمّان بيده ليُلطخ حبّه في ذلك السمّ، وإنّه سيدعوني في اليوم المقبل ويقرب إليَّ الرمّان والعنب ويسألني أكلها ثمَّ ينفذ الحكم ويحضر القضاء، ثمَّ ساق الحديث بطوله قريباً من حديث أبي الصلت الهرويّ في معناه ويزيد عليه بأشياء.

[أولاده عليه السلام]

وكان للرضا عليه السلام من الولد ابنه أبو جعفر محمّد بن عليّ الجواد لا غير(١) ولمّا توفّي الرضا أنفذ المأمون إلى محمّد بن جعفر الصادق عليه السلام وجماعة آل أبي طالب الذين كانوا عنده فلمّا حضروه نعاه لهم وأظهر حزناً شديداً وتوجّعاً وأراهم إيّاه صحيح الجسد، وقال: يعزُّ عليَّ يا أخي أن أراك بهذه الحال وقد كنت آمل أن أُقدم قبلك ولكنَّ الله أبى إلاّ ما أراد.

الباب الثامن

في ذكر الإمام التقي أبي جعفر محمد بن علي
وهو على أربعة فصول

الفصل الأول

في تاريخ مولده ومدة إمامته ووقت وفاته عليه السلام

ولد في شهر رمضان من سنة خمس وتسعين ومائة لسبع عشرة ليلة مضت من

---

(١) ظاهر تاريخ گزيده لحمد الله المستوفى أن شاه زاده حسين الذي دفن بباب القزوين من أولاد الرضا عليه السلام. راجع ص٢٠٧ وص٨٣٥ و٨٣٦، والنقض ص٦٤٣ وجنات الخلود ص٣٣.

الشهر وقيل للنصف منه ليلة الجمعة.

وفي رواية ابن عيّاش ولد يوم الجمعة للنصف من رجب، وقبض ببغداد في آخر ذي القعدة سنة عشرين ومائتين وله يومئذ خمس وعشرون سنة، وكانت مدَّة خلافته بعد أبيه سبع عشرة سنة وكانت في أيّام إمامته بقيّة ملك المأمون وقبض في أوّل ملك المعتصم.

وأمّه أُمُّ ولد يقال لها: سبيكة ويقال: درّة ثمَّ سمّاها الرضا عليه السلام خيزران وكانت نوبيّة.

ولقبه التقيّ، والمنتجب، والجواد، والمرتضى، ويقال له: أبو جعفر الثاني ودفن في مقابر قريش في ظهر جدّه موسى عليه السلام.

الفصل الثاني

في ذكر النصوص الدالة على إمامته

يدلُّ على إمامته بعد طريقة الاعتبار وطريقة التواتر اللّتين تقدَّم ذكرهما في إمامة آبائه ما ثبت من إشارة أبيه إليه بالإمامة.

وروى الثقات من أصحابه وأهل بيته عنه مثل عمّه عليّ بن جعفر الصادق عليه السلام وصفوان بن يحيى، ومعمر بن خلّاد، وابن أبي نصر البزنطي، والحسين بن بشار وغيرهم.

وروى محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، وعليّ بن محمّد القاسانيّ جميعاً، عن زكريّا بن يحيى قال: سمعت عليّ بن جعفر يحدّث الحسن بن الحسين بن عليّ بن الحسين فقال في حديثه: لقد نصر الله أبا الحسن الرضا لمّا بغى عليه إخوته وعمومته وذكر حديثاً طويلاً[١] حتّى انتهى إلى قوله فقمت وقبضت على يد[٢] أبي جعفر محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام وقلت: أشهد أنّك إمامي عند الله فبكى

(١) راجع الكافي ج١ ص ٣٢٢ باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني الحديث الرابع عشر.

(٢) في الكافي «فقمت فمصصت ريق أبي جعفر عليه السلام». أي قبلت فاه شفقة وذوقاً بحيث =

الرضا عليه السلام ثمّ قال: يا عمّ ألم تسمع أبي وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بأبي ابن خيرة الإماء النوبيّة الطيّبة يكون من ولده الطّريد الشريد الموتور بأبيه وجدّه[١] صاحب الغيبة يقال: مات أو هلك أو أيّ واد سلك، فقلت: صدقت جعلت فداك.

وعنه عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن صفوان بن يحيى قال: قلت للرّضا عليه السلام قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً، فقد وهبه الله لك، فأقرّ عيوننا فلا أرانا الله يومك فإن كان كونٌ فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت له: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين؟! قال: وما يضرُّه من ذلك، قد قام عيسى بالحجّة وهو ابن أقل من ثلاث سنين.

وعنه عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن معمر بن خلّاد قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول ـ وذكر شيئاً ـ فقال: ما حاجتكم إلى ذلك هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيّرته مكاني، وقال: إنّا أهل بيت يتوارثون أصاغرنا عن أكابرنا القذَّة بالقذَّة[٢].

وعنه عن بعض أصحابه، عن محمّد بن عليّ، عن معاوية بن حكيم، عن ابن أبي نصر البزنطي قال: قال لي ابن النجاشيّ: من الإمام من بعد صاحبك؟ ـ ولم يكن رزق أبا جعفر ـ فدخلت على الرضا عليه السلام فأخبرته بما سألني به ابن النجاشيّ فقال الإمام بعدي ابني، قال: وهل يجترىء أحدٌ أن يقول: ابني وليس له ولد؟!.

= دخل بعض ريقه فمي.

(١) المراد به صاحب الزمان لا محمد بن علي الجواد لأن ضمير هو في قوله: «هو الطريد» راجع إلى الابن وهو بيان لحال الصاحب قطعاً وفي الكافي «ابن خيرة الإماء ابن النوبية الطيبة الفم». والنوبة ـ بالضم ـ: بلاد واسعة للسودان وأيضاً جبل من السودان والنسبة إليها نوبي ونوبية. وقوله: «الطيبة» إما لخلوصها من كلمة اللغو والشرك أو لنظافتها أو لطيب رائحتها. (قاله المولى صالح المازندراني شارح الكافي)، والشريد بمعنى الطريد والطرد الإبعاد. والموتور: من قتل حميمه.

(٢) القذذ ـ بضم القاف وفتح الذال ـ: ريش السهم واحدتها قذة ـ بضم القاف ـ يقال: حذو القذة بالقذة إذا تساويا في المقدار حيث يقدر كل منها على قدر صاحبتها وتقطع ثم يضرب مثلاً لشيئين يستويان ولا يتفاوتان أصلاً كما في النهاية.

وعنه عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد، عن جعفر بن يحيى، عن مالك بن أشيم، عن الحسين بن بشّار قال: كتب ابن قياما إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام كتاباً يقول فيه: كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟ فأجابه أبو الحسن عليه السلام وما علمك أنّه لا يكون لي ولد والله لا تمضي الأيّام والليالي حتّى يرزقني الله ذكراً يفرّق بين الحقّ والباطل.

وعنه عن الحسين بن محمّد، عن الخيراني، عن أبيه قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان فقال له قائلٌ: يا سيّدي إن كان كون فإلى من؟ قال: إلى أبي جعفر ابني، فكأنَّ القائل استصغر سنَّ أبي جعفر، فقال أبو الحسن عليه السلام: إنَّ الله بعث عيسى ابن مريم رسولاً نبيّاً صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السنّ الذي هو فيه.

وعنه، عن عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن الوليد، عن يحيى بن حبيب الزَّيّات قال: أخبرني من كان عند الرضا عليه السلام جالساً فلمّا نهضوا قال لهم أبو الحسن الرضا عليه السلام: ألقوا أبا جعفر فسلّموا عليه وأحدثوا به عهداً فلمّا نهض القوم التفت إليّ فقال: رحم الله المفضّل إنه كان ليقنع بدون هذا.

وعنه، عن أحمد، عن محمّد بن عليّ، عن الحسن بن الجهم قال: كنت مع أبي الحسن الرضا عليه السلام جالساً فدعا بابنه وهو صغير، فأجلسه في حجري وقال: جرّده ـ أي أنزع قميصه ـ فنزعته فقال: انظر بين كتفيه فنظرت فإذا في إحدى كتفيه شبيه بالخاتم داخل في اللّحم فقال لي: أترى هذا؟ كان مثله في هذا الموضع من أبي عليه السلام.

وعنه عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن عليّ، عن أبي يحيى الصنعانيّ قال: كنت عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فجيء بابنه أبي جعفر وهو صغيرٌ فقال: هذا المولود الّذي لم يولد مولودٌ أعظم بركة على شيعتنا منه.

الفصل الثالث

في ذكر طرف من دلائله ومعجزاته عليه السلام

محمّد بن يعقوب، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن حسّان، عن عليّ بن خالد قال: كنت بالعسكر فبلغني أنَّ هناك رجلاً محبوساً أُتي به من ناحية الشام مكبولاً(١) وقالوا: إنّه تنبّأ(٢)، قال: فأتيت الباب وداريت البوّابين حتّى وصلت إليه فإذا رجل له فهم وعقل فقلت له: ما قصّتك، فقال: إنّي كنت بالشام أعبد الله في الموضع الذي يقال إنّه نصب فيه رأس الحسين عليه السلام فبينا أنا ذات ليلة في موضعي مقبل على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يديّ فنظرت إليه فقال: قم، فقمت فمشى بي قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة فقال لي: أتعرف هذا المقام؟ قلت: نعم هذا مسجد الكوفة. قال: فصلّى وصلّيت معه ثم انصرف فانصرفت فمشى بي قليلاً فإذا نحن في مسجد الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم فسلّم على الرسول وصلّى وصلّيت معه، ثمّ خرج وخرجت معه فمشى قليلاً فإذا أنا بمكّة فطاف بالبيت وطفت معه، ثمّ خرج ومشيت معه قليلاً فإذا أنا بموضعي الذي كنت أعبد الله فيه بالشام وغاب الشخص عن عيني فبقيت معجباً حولاً ممّا رأيت، فلمّا كان في العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به ودعاني فأجبته، ففعل كما فعل في العام الماضي، فلمّا أراد مفارقتي بالشام قلت له: سألتك بحقّ الذي أقدرك على ما رأيت منك إلاّ أخبرتني من أنت؟ قال: أنا محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام فحدَّثت من كان يصير إليَّ بخبره فتراقى ذلك إلى محمّد بن عبد الملك الزيّات فبعث إليَّ من أخذني وكبّلني في الحديد وحملني إلى العراق وحبست كما ترى وادّعى عليَّ المحال، فقلت له: أرفع عنك القصّة إلى محمّد بن عبد الملك، قال: افعل فكتبت عنه قصّته، شرحت فيها حاله فرفعتها إلى محمّد بن عبد الملك فوقّع في ظهرها قل له: الذي أخرجك من الشام في ليلة إلى

---

(١) أي مقيداً والكبل: القيد.

(٢) أي ادعى النبوة.

الكوفة ومن الكوفة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكّة وردَّك من مكّة إلى الشام أن يخرجك من حبسك هذا. قال عليُّ بن خالد: فغمّني ذلك من أمره فانصرفت محزوناً عليه فلمّا كان من الغد باكرت إلى الحبس لأُعلمه الحال وآمره بالصبر والعزاء، فوجدت الجند وأصحاب الحرس وخلقاً عظيماً يهرعون[١] فسألت عن حالهم فقيل لي: المتنبّيء المحمول من الشام افتقد البارحة من الحبس فلا يدرى أخسفت به الأرض أو اختطفه الطير. وكان عليُّ بن خالد هذا زيديّاً فقال بالإمامة لمّا رأى ذلك وحسن اعتقاده.

وفي كتاب أخبار أبي هاشم الجعفريّ للشيخ أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن عيّاش الذي أخبرني بجميعه السيّد أبو طالب محمّد بن الحسين الحسينيّ القصيّ الجرجاني قال: أخبرني والدي السيّد أبو عبد الله الحسين بن القصيّ، عن الشريف أبي الحسين طاهر بن محمّد الجعفريّ عنه قال: حدَّثني أبو عليّ أحمد بن محمّد بن يحيى العطّار القمّيّ، عن عبد الله بن جعفر الحميريّ قال: قال أبو هاشم داود بن القاسم الجعفريُّ: دخلت على أبي جعفر الثاني ومعي ثلاث رقاع غير معنونة فاشتبهت عليَّ فاغتممت لذلك غمّاً، فتناول إحداهنَّ وقال: هذه رقعة ريّان بن شبيب، ثمَّ تناول الثانية فقال: هذه رقعة محمّد بن حمزة، وتناول الثالثة وقال: هذه رقعة فلان فبهتُّ فنظر إليّ وتبسّم عليه السلام.

قال الحميريّ: وقال لي أبو هاشم: وأعطاني أبو جعفر ثلاثمائة دينار وأمرني أن أحملها إلى بعض بني عمّه وقال: أما إنّه سيقول لك دلّني على حريف يشتري لي بها متاعاً فدلّه عليه قال: فأتيته بالدنانير فقال لي: يا أبا هاشم دلّني على حريف يشتري لي بها متاعاً ففعلت.

قال أبو هاشم: وكلّفني جمّال أن أُكلّمه ليدخله في بعض أموره فدخلت عليه لأُكلّمه فوجدته يأكل مع جماعة فلم يمكنني كلامه، فقال: يا أبا هاشم كل ووضع بين يديَّ ثمَّ قال ـ ابتداء منه من غير أن أسأله ـ: يا غلام أُنظر الجمّال الذي أتانا أبو هاشم فضمّه إليك.

---

(١) أي يسرعون مضطربين.

قال أبو هاشم: ودخلت معه ذات يوم بستاناً فقلت له: جعلت فداك إنّي مولع بأكل الطّين فادع الله لي، فسكت فقال لي بعد أيّام ابتداء منه: يا أبا هاشم قد أذهب الله عنك أكل الطين، قال أبو هاشم: فما شيء أبغض إليّ منه.

ومما رواه محمّد بن يعقوب، عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد قال: خرج عليّ أبو جعفر حدثان موت أبيه فنظرت إلى قدّه لأصف قامته لأصحابنا فقعد، ثمَّ قال: يا معلّى إنَّ الله تعالى احتجَّ في الإمامة بمثل ما احتجَّ به في النبوَّة قال: ﴿**وآتيناه الحكم صبيّاً**﴾.

وروى أيضاً عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد، عن الحجّال، عن رجل من أهل المدينة، عن المطرفيّ قال: مضى أبو الحسن الرضا عليه السلام ولي عليه أربعة آلاف درهم، لم يكن يعرفها غيري وغيره فأرسل إليّ أبو جعفر إذا كان في غد فائتني فأتيته من الغد فقال لي: مضى أبو الحسن ولك عليه أربعة آلاف درهم؟ فقلت: نعم، فرفع المصلّى الذي كان تحته فإذا تحته دنانير فدفعها إليّ وكانت قيمتها في الوقت أربعة آلاف درهم.

وروى محمّد بن أحمد بن يحيى في كتاب نوادر الحكمة، عن موسى بن جعفر قال: كنت بالمدينة وكنت أختلف إلى أبي جعفر عليه السلام وأبو الحسن بخراسان وكان أهل بيته وعمومة من أبيه يأتونه ويسلّمون عليه فدعا يوماً الجارية فقال: قولي لهم: يتهيّأون للمأتم فلمّا تفرَّقوا قالوا: ألا سألناه مأتم من؟ فلمّا كان من الغد فعل مثل ذلك قالوا: مأتم من؟ قال: مأتم خير من على ظهرها، فأتانا خبر أبي الحسن عليه السلام بعد ذلك بأيّام فإذا هو قد مات في ذلك اليوم.

وفيه عن حمّاد بن سليمان، عن أبي سعيد الأرمنيّ عن محمّد بن عبد الله بن مهران قال: قال محمّد بن الفرج كتب إليّ أبو جعفر: احملوا إليّ الحسن فإنّي لست آخذه منكم سوى عامي هذا فقبض في تلك السنة.

* * *

الفصل الرابع

في مناقبه وفضائله

كان قد بلغ في كمال العقل والفضل والعلم والحكم والآداب ورفعة منزلة ما لم يساوه فيها أحد من ذوي السنّ من السادات وغيرهم ولذلك كان المأمون مشغوفاً به لما رأى من علوّ رتبته وعظم منزلته في جميع الفضائل، فزوّجه ابنته أُمَّ الفضل وحملها معه إلى المدينة وكان متوفّراً على تعظيمه وتوقيره وتبجيله.

وروى عن الريّان بن شبيب أنَّ المأمون لمّا أراد أن يزوّجه ابنته استكبر ذلك جماعة العبّاسيّة وخاضوا في ذلك وقالوا للمأمون: ننشدك الله أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فإنّا نخاف أن يخرج به عنّا أمراً قد ملّكناه الله وينزع به عنّا عزًّا قد ألبسناه الله وقد كنّا في وهلة[١] من عملك مع الرضا حتّى كفا الله المهمَّ من ذلك، فقال المأمون: والله ما ندمت على ما كان منّي من استخلاف الرضا، وقد سألته أن يقوم بالأمر وينزعه من عنقي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً وأمّا أبو جعفر فقد اخترته لتبريزه[٢] على كافّة أهل الفضل مع صغر سنّه والأُعجوبة به في ذلك فقالوا له: إنّه صبيٌّ لا معرفة له فأمهله ليتأدّب ويتفقّه في الدّين ثمَّ اصنع ما ترى، فقال لهم: ويحكم إنّني أعرف بهذا الفتى منكم وإنَّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى وموادّه وإلهامه، ولم تزل آباؤه أغنياء في علم الدِّين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر حتّى يتبيّن لكم ما وصفت لكم من حاله، قالوا: رضينا بذلك فخرجوا واتّفق رأيهم على أنَّ يحيى بن أكثم يسأله مسألة وهو قاضي الزمان فأجابهم المأمون إلى ذلك، واجتمع القوم في يوم اتّفقوا عليه وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست[٣] ويجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك وخرج أبو جعفر وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر فجلس بين المسورتين وجلس يحيى بن أكثم

---

(١) الوهلة: الفزعة.

(٢) التبريز مصدر برّز أي فاق أصحابه فضلاً.

(٣) الدست يقال له بالفارسية: تشك. والمسورة ـ بكسر الميم ـ: المتكأ من ادم.

بين يديه وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالسٌ في دست متّصل بدست أبي جعفر عليه السلام فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟ فقال: استأذنه في ذلك. فأقبل عليه يحيى وقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟ فقال: سل إن شئت، فقال: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: في حلّ أو حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأً؟ حرًّا كان المحرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً كان بالقتل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم غيرها؟ من صغار الصيد أم كبارها؟ مصرًّا كان على ما فعل أو نادماً؟ ليلاً كان قتله للصيد أم نهاراً؟ محرماً كان بالعمرة أو بالحجّ؟ فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتّى عرف أهل المجلس أمره فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي ثمَّ قال لأبي جعفر عليه السلام: اخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوّجك أمَّ الفضل ابنتي.

فقال أبو جعفر عليه السلام: الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلاّ الله إخلاصاً لوحدانيّته، وصلّى الله على محمّد سيّد بريّته، وعلى الأصفياء من عترته.

أمّا بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه: ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصّالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**﴾ ثمَّ إنّ محمّد بن عليّ بن موسى يخطب أُمّ الفضل ابنة عبد الله المأمون وقد بذل لها من الصداق مهر جدَّته فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وهو خمسمائة درهم جياداً فهل زوَّجته يا أمير المؤمنين بها على الصداق المذكور؟ فقال المأمون: نعم قد زوَّجتك يا أبا جعفر ابنتي على الصداق المذكور فهل قبلت النكاح قال أبو جعفر: نعم قبلت النكاح ورضيت به.

فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم قال الريّان: فلم نلبث حتّى سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملاّحين فإذا الخدم يجرُّون سفينة مصنوعة من فضّة تشدُّ بحبال الأبريسم على عجلة، مملوءة من الغالية ثمَّ أمر المأمون أن تخضب لحى الخاصّة من تلك الغالية ثمَّ مدَّت إلى دار العامّة وطيّبوا بها ووضعت المائدة وأكل الناس وخرجت الجوائز إلى كلّ قوم على قدرهم فلمّا تفرَّق الناس وبقي من الخاصّة من بقي قال المأمون لأبي جعفر: إن رأيت جعلت فداك أن تذكر تفصيل ما ذكرته من الفقه في قتل

المحرم فعلت، فقال أبو جعفر: نعم، وأجاب عن جميع المسائل بما هو مشهورٌ[١] فقال له المأمون: أحسنت أحسن الله إليك يا أبا جعفر، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك، فقال له أبو جعفر عليه السلام: خبّرني عن رجل نظر إلى امرأة في أوّل النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار حلّت له، فلمّا زالت الشمس حرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر حلّت له، فلمّا غربت الشمس حرمت عليه، فلمّا دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له، فلمّا كان انتصاف اللّيل حرمت عليه، فلمّا طلع الفجر حلّت له ما حال هذه المرأة وبماذا حلّت له وحرمت عليه؟ فقال يحيى: لا أعرف ذلك فإن رأيت أن تفيدنا، فقال أبو جعفر: هذه المرأة أمة من الناس نظر إليها أوّل النهار حرمت عليه فلمّا ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلمّا كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه ثمَّ تزوَّجها وقت العصر حلّت له ثمَّ ظاهر منها وقت المغرب فحرمت عليه ثمَّ كفّر عن الظهار وقت العشاء فحلّت له، ثمّ طلّقها واحدة نصف اللّيل فحرمت عليه ثمَّ راجعها وقت الفجر فحلّت له، فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته وقال: ويحكم إنَّ أهل هذا البيت خصّوا من دون الخلق بما ترون من الفضل وإنَّ صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال أما علمتم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين وقبل منه الإسلام وحكم الله له به ولم يدع أحداً في سنّه غيره وبايع الحسن والحسين وهما ابنا دون الستّ سنين ولم يبايع صبيّاً غيرهما فإنّهم ذرّيّة بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم، قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين.

ثمّ نهض القوم فلمّا كان من الغد أحضر الناس وحضر أبو جعفر عليه السلام وسار القوّاد والحجّاب والخاصّة والعمّال لتهنئة المأمون وأبي جعفر فأُخرجت عليه أطباق من الفضّة فيها بنادق مسك وزعفران معجون في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنيّة وإقطاعات فأمر المأمون بنشرها على القوم في خاصّته، فكلّ من وقع في يده بندقة أخرج الرُّقعة التي فيها والتمسه فأُطلق له ووضعت البدر فنثرها وما فيها على القوّاد وغيرهم وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا، ولم يزل مكرماً لأبي جعفر يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته ولمّا انصرف أبو

(١) راجع ارشاد المفيد أبواب تاريخ أبي جعفر الثاني عليه السلام. والاحتجاج ص٢٣٢.

جعفر عليه السلام من عند المأمون ببغداد ومعه أمُّ الفضل إلى المدينة صار إلى شارع باب الكوفة والناس يشيّعونه فانتهى إلى دار المسيّب عند مغيب الشمس فنزل ودخل المسجد وكان في صحنه نبقة[1] لم تحمل بعد، فدعا بكوز فيه ماء فتوضّأ في أصل النبقة وقام وصلّى بالناس صلاة المغرب فقرأ في الأُولى «الحمد» و«إذا جاء نصر الله» وفي الثانية «الحمد» و«قل هو الله أحد» وقنت قبل الرُكوع وجلس بعد التسليم هنيئة يذكر الله تعالى وقام من غير تعقيب فصلّى النوافل أربع ركعات وعقّب بعدها وسجد سجدتي الشكر ثمّ خرج، فلمّا انتهى إلى النبقة رآها الناس قد حملت حملاً كثيراً حسناً، فتعجّبوا من ذلك فأكلوا منها فوجدوه نبقاً حلواً لا عجم له، ومضى إلى المدينة.

ولم يزل بها حتّى أشخصه المعتصم إلى بغداد في أوّل سنة خمس وعشرين ومائتين، فأقام بها حتّى مات في آخر ذي القعدة من هذه السنة وقيل: إنّه مضى عليه السلام مسموماً.

وخلّف من الولد عليّاً عليه السلام ابنه الإمام، وموسى، ومن البنات حكيمة، وخديجة، وأُمّ كلثوم، وقد قيل: إنّه خلّف، فاطمة، وأمامة ابنتيه ولم يخلّف غيرهم.

الباب التاسع

في ذكر الإمام أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام
وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

في ذكر مولده ومبلغ سنه ووقت وفاته وموضع قبره

ولد عليه السلام بصريا من المدينة في النصف من ذي الحجّة سنة اثنتي عشرة

(١) النبق ـ بفتح النون وكسر الباء وقد تسكن ـ: ثمرة السعد، واحدتها نبقة ـ بكسر الباء أيضاً ـ أشبه شيء بها العناب قبل أن تشتد حمرته، والجمع نبقات. (المجمع)

ومائتين وفي رواية ابن عيّاش يوم الثلثاء الخامس من رجب وقبض بسرّ من رأى في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين وله يومئذ إحدى وأربعون سنة وأشهر وكان المتوكّل قد أشخصه مع يحيى بن هرثمة بن أعين من المدينة إلى سرّ من رأى فأقام بها حتّى مضى لسبيله وكانت مدّة إمامته ثلاثاً وثلاثين سنة وأُمّه أمُّ ولد يقال لها: سمانة.

ولقبه النقيُّ والعالم، والفقيه، والأمين، والطيّب، ويقال له: أبو الحسن الثالث وكان في أيّام إمامته بقيّة ملك المعتصم ثمَّ ملك الواثق خمس سنين وسبعة أشهر، ثمَّ ملك المتوكّل أربع عشرة سنة، ثمَّ ملك ابنه المنتصر ستّة أشهر، ثمَّ ملك المستعين وهو أحمد بن محمّد بن المعتصم سنتين وتسعة أشهر، ثمّ ملك المعتزُّ وهو الزُّبير بن المتوكّل ثماني سنين وستّة أشهر وفي آخر ملكه استشهد وليّ الله عليُّ بن محمّد عليه السلام ودفن في داره بسرّ من رأى.

الفصل الثاني

في ذكر طرف من النص الدال على إمامته

بعد الطريقتين اللّتين تكرّر ذكرهما في الدلالة على إمامة آبائه عليهم السلام ما ثبت من الإشارة إليه وتوقيفه عليه:

ما رواه محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مهران قال: لمّا أُخرج أبو جعفر في الدَّفعة الأولى من المدينة إلى بغداد فقلت له: إنّي أخاف عليك في هذا الوجه فإلى من الأمر بعدك؟ قال: فكرَّ بوجهه إليَّ ضاحكاً وقال: ليس حيث ظننت في هذه السنة، فلمّا استدعى به المعتصم صرت إليه فقلت: جعلت فداك، أنت خارجٌ فإلى من الأمر بعدك؟ فبكى حتّى اخضلّت لحيته، ثمَّ التفت إليَّ فقال: عند هذه يخاف عليَّ، الأمر من بعدي إلى ابني عليّ.

محمد بن يعقوب، عن الحسين بن محمّد، عن الخيراني، عن أبيه ـ وكان يلزم باب أبي جعفر للخدمة التي وكّل بها ـ قال: كان أحمد بن محمّد بن عيسى الأشعريُّ يجيء في السحر ليعرف خبر علّة أبي جعفر وكان الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر وبين أبي إذا حضر قام أحمد بن محمّد بن عيسى وخلا به أبي فخرج ذات

ليلة وقام أحمد عن المجلس وخلا أبي بالرّسول واستدار أحمد بن محمّد ووقف حيث يسمع الكلام فقال الرسول لأبي: إنّ مولاك يقرأ عليك السلام ويقول: إنّي ماض والأمر صائر إلى ابني عليّ وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي ثمَّ مضى الرسول فرجع أحمد بن محمّد بن عيسى إلى موضعه وقال لأبي: ما الذي قال لك؟ قال: خيراً قال: فإنّني قد سمعت ما قال لك وأعاد إليه ما سمع فقال له أبي: قد حرّم الله عليك ذلك لأنّ الله يقول: ﴿ولا تجسّسوا﴾ فأمّا إذا سمعت فاحفظ هذه الشهادة لعلّنا نحتاج إليها يوماً وإيّاك أن تظهرها لأحد إلى وقتها، فلمّا أصبح أبي كتب نسخة الرسالة في عشر رقاع بلفظها وختمها ودفعها إلى عشرة من وجوه العصابة وقال لهم: إن حدث بي حدث الموت قبل أن أطالبكم بها فافتحوها واعملوا بما فيها، قال: فلمّا مضى أبو جعفر عليه السلام لبث أبي في منزله فلم يخرج حتّى اجتمع رؤساء الإماميّة عند محمّد بن الفرج الرُّخّجيّ يتفاوضون في القائم بعد أبي جعفر ويخوضون في ذلك فكتب محمّد بن أبي الفرج[1] إلى أبي يعلمه باجتماع القوم عنده وأنّه لولا مخافة الشهرة لصار معهم إليه وسأله أن يأتيه، فركب أبي وصار إليه فوجد القوم مجتمعين عنده فقالوا لأبي: ما تقول في هذا الأمر؟ فقال أبي لمن عنده الرقاع أحضروها فأحضروها وفضّها وقال هذا ما أُمرت به فقال بعض القوم: قد كنّا نحبّ أن يكون معك في هذا الأمر شاهد آخر فقال لهم أبي: قد اتاكم الله ما تحبّون، هذا أبو جعفر الأشعريّ يشهد لي بسماع هذه الرسالة، وسأله أن يشهد فتوقّف أبو جعفر فدعاه أبي إلى المباهلة وخوَّفه بالله فلمّا حقّق عليه القول قال: قد سمعت ذلك ولكنّي توقّفت لأنّي أحببت أن تكون هذه المكرمة لرجل من العرب فلم يبرح القوم حتّى اعترفوا بإمامة أبي الحسن وزال عنهم الرَّيب في ذلك.

والأخبار في هذا الباب كثيرة وفي إجماع العصابة على إمامته وعدم من يدَّعي فيه إمامة غيره غناء عن إيراد الأخبار في ذلك، هذا وضرورة أئمّتنا عليهم السلام في هذه الأزمنة في خوفهم من أعدائهم وتقيّتهم منهم أحوجت شيعتهم في معرفة نصوصهم على من بعدهم إلى ما ذكرناه من الاستخراج حتّى أنَّ أوكد الوجوه في ذلك عندهم

(١) في الكافي والإرشاد «محمد بن الفرج» والظاهر أنه الرخجي المعروف، كما تقدم ويأتي عن قريب ولفظة «أبي» زائدة من النساخ.

دلائل العقول الموجبة للإمامة وما اقترن إلى ذلك من حصولها في ولد الحسين وفساد أقوال ذوي النحل الباطلة، وبالله التوفيق.

الفصل الثالث

في ذكر طرف من دلائله ومعجزاته وبيناته عليه السلام

محمّد بن يعقوب، عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن خيران الأسباطيّ قال: قدمت إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد بالمدينة، فقال لي: ما خبر الواثق عندك؟ قلت: جعلت فداك خلّفته في عافية، أنا من أقرب الناس عهداً به، عهدي به منذ عشرة أيّام، فقال: إنَّ الناس يقولون إنّه مات[1] فعلمت أنّه يعني نفسه، ثمَّ قال: ما فعل جعفر؟ قلت: تركته أسوأ الناس حالاً في السجن، قال: فقال: أما إنّه صاحب الأمر ثمَّ قال: ما فعل ابن الزيّات؟ قلت: الناس معه والأمر أمره، فقال: أما إنّه شؤم عليه ثمّ سكت وقال لي: لا بدَّ أن تجري مقادير الله وأحكامه، يا خيران مات الواثق وقعد المتوكّل جعفر وقتل ابن الزيّات، قلت: متى جعلت فداك؟ فقال: بعد خروجك بستّة أيّام.

وبهذا الإسناد عن معلّى بن محمّد، عن أحمد بن محمّد بن أبي عبد الله، عن عليّ بن محمّد النوفليّ قال: قال لي محمّد بن الفرج الرُّخّجيّ: إنَّ أبا الحسن عليه السلام كتب إليه يا محمّد اجمع أمرك وخذ حذرك، قال: فأنا في جمع أمري لست أدري ما الذي أراد بما كتب حتّى ورد عليّ رسول حملني من وطني مصفّداً بالحديد وضرب على كلّ ما أملك[2] وكنت في السجن ثماني سنين ثمَّ ورد عليَّ كتاب منه وأنا في السجن: يا محمّد بن الفرج لا تنزل في ناحية الجانب الغربي، فقرأت الكتاب وقلت في نفسي: يكتب أبو الحسن إليَّ بهذا وأنا في السجن إنَّ هذا لعجب فما مكثت إلاّ أيّاماً يسيرة حتّى فرّج عنّي وحلّت قيودي وخلّي سبيلي.

قال: وكتبت إليه بعد خروجي أسأله أن يسأل الله تعالى أن يردَّ عليَّ ضيعتي

(١) في الكافي والإرشاد «فقال لي: إن أهل المدينة يقولون: إنه مات».

(٢) أي جعلت محجوراً منها.

فكتب إليَّ سوف تردُّ عليك وما يضرّك أن لا تردَّ عليك، قال عليُّ بن محمّد النوفليّ: فلمّا شخص محمّد بن الفرج الرُّخّجيّ إلى العسكر كتب إليه بردّ ضياعه فلم يصل الكتاب حتّى مات.

قال النوفليّ: وكتب عليُّ بن الخضيب إلى محمّد بن الفرج بالخروج إلى العسكر فكتب إلى أبي الحسن عليه السلام يشاوره فكتب إليه أُخرج فإنَّ فيه فرجك إن شاء الله، فخرج فلم يلبث إلاّ يسيراً حتّى مات.

وذكر أحمد بن محمّد بن عيسى قال: أخبرني أبو يعقوب قال: رأيت محمّد بن الفرج قبل موته في عشيّة من العشايا وقد استقبل أبا الحسن فنظر إليه نظراً شافياً فاعتلَّ محمّد بن الفرج فدخلت عليه عائداً بعد أيّام من علّته فحدَّثني أنَّ أبا الحسن قد أنفذ إليه بثوب وأرانيه مدرجاً تحت رأسه، قال: فكفّن والله فيه.

وذكر أيضاً عن أبي يعقوب قال: رأيت أبا الحسن وابن الخضيب يتسايران وقد قصر أبو الحسن عليه السلام عنه فقال له ابن الخضيب: سر جعلت فداك، فقال له أبو الحسن: أنت المقدَّم فما لبثنا إلاّ أربعة أيّام حتّى وضع الدَّهق[1] على ساق ابن الخضيب وقتل.

قال: وألحّ عليه ابن الخضيب في الدَّار التي كان قد نزلها وطالبه بالانتقال منها وتسليمها إليه فبعث إليه أبو الحسن عليه السلام لأقعدنّ لك من الله مقعداً لا يبقي لك معه باقية فأخذه الله في تلك الأيّام.

ومما شاهده أبو هاشم داود بن القاسم الجعفريّ من دلائله، وأسنده عن السيّد الصالح أبي طالب القصيّ بالإسناد الذي تقدَّم ذكره عن أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن عيّاش قال: حدَّثني أبو طالب عبد الله بن أحمد بن يعقوب قال: حدَّثنا الحسين بن أحمد المالكيّ الأسديّ قال: أخبرني أبو هاشم الجعفريّ قال: كنت بالمدينة حين مرَّ بها بغاء أيّام الواثق في طلب الأعراب فقال أبو الحسن عليه السلام: أُخرجوا بنا حتّى ننظر إلى تعبية هذا التركيّ، فخرجنا فوقفنا فمرَّت بنا تعبيته فمرَّ بنا تركيٌّ فكلّمه أبو الحسن عليه السلام بالتركيّة فنزل عن فرسه فقبّل حافر دابّته قال: فحلفت

(١) الدهق ـ بالتحريك ـ: خشبتان يغمر بهما الساق فارسيته (اشكنجه).

التركيّ وقلت له: ما قال لك الرَّجل؟ قال: هذا نبيّ؟ قلت: ليس هذا بنبيّ، قال: دعاني باسم سمّيت به في صغري في بلاد الترك ما علمه أحد إلى الساعة.

قال أبو عبد الله بن عيّاش: وحدَّثني عليُّ بن حبشيّ بن قوفي قال: حدَّثنا جعفر بن محمّد بن مالك قال: حدَّثنا أبو هاشم الجعفريّ قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فكلّمني بالهنديّة فلم أُحسن أن أردَّ عليه وكان بين يديه ركوة ملأى حصاً فتناول حصاة واحدة ووضعها في فيه فمصّها مليّاً، ثمّ رمى بها إليّ فوضعتها في فمي فوالله ما برحت من عنده حتّى تكلّمت بثلاثة وسبعين لساناً أوّلها الهنديّة.

قال ابن عيّاش: وحدّثني عليُّ بن محمّد المقعد قال: حدَّثني يحيى بن زكريّا الخزاعي، عن أبي هاشم قال: خرجت مع أبي الحسن إلى ظاهر سرّ من رأى نتلقّى بعض الطالبيّين فأبطأ حرسه فطرحت لأبي الحسن غاشية السرج فجلس عليها ونزلت عن دابّتي وجلست بين يديه وهو يحدّثني وشكوت إليه قصر يدي فأهوى بيده إلى رمل كان عليه جالساً فناولني منه أكفّاً وقال: اتّسع بهذا يا أبا هاشم واكتم ما رأيت فخبأته معي فرجعنا فأبصرته فإذا هو يتّقد كالنيران ذهباً أحمر فدعوت صائغاً إلى منزلي وقلت له: اسبك لي هذا فسبكه وقال: ما رأيت ذهباً أجود منه وهو كهيئة الرَّمل فمن أين لك هذا فما رأيت أعجب منه، قلت: هذا شيء عندنا قديماً تدَّخره لنا عجائزنا على طول الأيّام.

قال ابن عيّاش: وحدّثني أبو طاهر الحسن بن عبد القاهر الطّاهري قال: حدَّثنا محمّد بن الحسن الأشتر العلويّ قال: كنت مع أبي على باب المتوكّل وأنا صبيٌّ في جمع من الناس ما بين طالبيّ إلى عبّاسيّ وجعفريّ، ونحن وقوف إذ جاء أبو الحسن ترجّل الناس كلّهم حتّى دخل فقال بعضهم لبعض: لم نترجّل لهذا الغلام وما هو بأشرفنا ولا بأكبرنا ولا بأسنّنا، والله لا ترجّلنا له فقال أبو هاشم الجعفريّ: والله لتترجّلنَّ له صغرة إذا رأيتموه فما هو إلاّ أن أقبل وبصروا به حتّى ترجّل له الناس كلّهم فقال لهم أبو هاشم الجعفريّ: أليس زعمتم أنّكم لا ترجّلون له؟ فقالوا له: والله ما ملكنا أنفسنا حتّى ترجّلنا.

قال: وحدَّثني أبو القاسم عبد الله بن عبد الرَّحمن الصالحيّ من آل إسماعيل بن صالح وكان في أهل بيته بمنزلة من السادة وعليهم مكاتبين لهم أنَّ أبا

هاشم الجعفريّ شكا إلى مولانا أبي الحسن عليّ بن محمّد ما يلقى من الشوق إليه إذا انحدر من عنده إلى بغداد وقال له: يا سيّدي ادع الله لي فما لي مركوب سوى برذوني هذا على ضعفه فقال: قوّاك الله يا أبا هاشم وقوّى برذونك، قال: فكان أبو هاشم يصلّي الفجر ببغداد ويسير على البرذون فيدرك الزوال من يومه ذلك عسكر سرّ من رأى ويعود من يومه إلى بغداد إذا شاء على ذلك البرذون بعينه فكان هذا من أعجب الدّلائل التي شوهدت.

وروى محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، عن إبراهيم بن محمّد الطّاهري قال: مرض المتوكّل من خُراج خرج به فأشرف على الموت فلم يجسر أحدٌ أن يمسّه بحديد فنذرت أُمّه أن تحمل إلى أبي الحسن عليه السلام مالاً جليلاً من مالها، وقال الفتح بن خاقان للمتوكّل لو بعثت إلى هذا الرجل ـ يعني أبا الحسن ـ فإنّه ربّما كان عنده صفة شيء يفرّج الله تعالى به عنك، فقال: ابعثوا إليه فمضى الرسول فرجع فقال: خذوا كسب الغنم فدوفوه[١] بماء ورد وضعوه على الخراج فإنّه نافع بإذن الله، فجعل من يحضر المتوكّل يهزأ من قوله فقال لهم الفتح: وما يضرُّ من تجربة ما قال فوالله إنّي لأرجو الصلاح به، فأُحضر الكسب وديف بماء الورد ووضع على الخراج فخرج منه ما كان فيه وبشّرت أُمّ المتوكّل بعافيته فحملت إلى أبي الحسن عشرة آلاف دينار تحت خاتمها واستقلّ المتوكّل من علّته فما كان بعد أيّام حتى سعى البطحائي بأبي الحسن إلى المتوكّل وقال: عنده أموال وسلاح فتقدّم المتوكّل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً ويأخذ ما يجد عنده من الأموال والسلاح ويحمله إليه قال إبراهيم: قال لي سعيد الحاجب: صرت إلى دار أبي الحسن عليه السلام باللّيل ومعي سلّم فصعدت منه على السطح ونزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة فلم أدر كيف أصل إلى الدّار فناداني أبو الحسن من الدّار: يا سعيد مكانك حتّى يأتوك بشمعة فلم ألبث أن أتوني بشمعة فنزلت فوجدت عليه جبّة صوف وقلنسوة منها وسجّادة على حصير بين يديه وهو مقبل على القبلة فقال لي: دونك البيوت فدخلتها وفتّشتها فلم أجد فيها شيئاً ووجدت البدرة مختومة بخاتم أمّ المتوكّل وكيساً مختوماً معها فقال لي أبو الحسن: دونك المصلّى فرفعته فوجدت سيفاً في جفن غير ملبوس فأخذت ذلك

(١) الكسب ـ بالضم ـ: عصارة الدهن ولعل المراد به السركين. والدوف: البل والخلط.

وصرت إليه فلمّا نظر إلى خاتم أُمّه على البدرة بعث إليها فخرجت إليه فسألها عن البدرة، فأخبرني بعض خدم الخاصّة أنّها قالت: كنت نذرت في علّتك إن عوفيت أن أحمل إليه من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها إليه وهذا خاتمي على الكيس ما حرّكها وفتح الكيس الآخر فإذا أربع مائة دينار فأمر أن يضمّ إلى البدرة بدرة أُخرى وقال لي: احمل ذلك إلى أبي الحسن واردد عليه السيف والكيس، فحملت ذلك واستحييت منه وقلت له: يا سيّدي عزَّ عليَّ بدخولي دارك من غير إذنك ولكنّني مأمور، فقال لي: يا سعيد سيعلم الّذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون.

حدَّثنا الحسن بن الحسين الحسينيّ قال: حدَّثني أبو الطيّب يعقوب بن ياسر قال: كان المتوكّل يقول: ويحكم أعياني أمر ابن الرضا وجهدت أن يشرب معي وينادمني فامتنع فقال له بعض من حضر: إن لم تجد من ابن الرضا[1] ما تريد من هذه الحال، فهذا أخوه موسى اللاّهي واللاّعب على الطّعام قصّاف عزّاف يأكل ويشرب ويعشق ويتخالع[2] فأحضره وأشهره فإنَّ الخبر يسمع عن ابن الرضا ولا يفرّق الناس بينه وبين أخيه، من عرفه اتّهم أخاه بمثل فعاله، فقال: اكتبوا بإشخاصه مكرماً فأُشخص وتقدَّم المتوكّل بأن يتلقّى جميع بني هاشم والقوّاد وسائر الناس وعمل على أنّه إذا وافى أقطعه قطيعة[3] وبنى له فيها وحوَّل إليه الخمّارين والقيان وتقدَّم بصلته وبرّه وأفرد له منزلاً سريّاً[4] يصلح لأن يزوره هو فيه، فلمّا وافى موسى تلقّاه أبو الحسن في قنطرة وصيف فسلّم عليه ثمَّ قال له: إنَّ هذا الرجل قد أحضرك ليهتكك ويضع منك فلا تقرَّ له أنّك شربت نبيذاً قطُّ واتّق الله يا أخي أن ترتكب محظوراً فقال له موسى: إنّما دعاني لهذا فما حيلتي؟ قال: فلا تضع من قدرك ولا تعص ربّك وتفعل ما يشينك فما غرضه إلاّ هتكك فأبى عليه موسى وكرّر أبو الحسن عليه القول والوعظ وهو مقيم على خلافه فلمّا رأى أنّه لا يجيب قال: أما إنَّ الّذي تريد الاجتماع

---

(١) أراد بابن الرضا أبا الحسن عليه السلام.

(٢) إنما كان موسى هو الملقب بالمبرقع، وقصاف أي نديم مقيم في الأكل والشرب. عزاف: لعاب بالملاهي كالعود والطنبور. وتخلع في الشراب أي انهمك فيه ورجل خليع أي مشتهر بالذنوب واللهو. وقوله: «يتخالع» لعله مأخوذ من هذا المصدر.

(٣) أي أعطاه أرضين ببغداد ليعمرها ويسكنها.

(٤) القيان جمع القينة وهي الجارية المغنية. وقوله: «سرياً» أي علياً.

معه عليه لا تجتمع عليه أنت وهو أبداً قال: فأقام ثلاث سنين يبكر كلَّ يوم إلى باب المتوكّل ويروح فيقال له: قد سكر وقد شرب دواء حتّى قتل المتوكّل ولم يجتمع معه على شراب.

وذكر الحسن بن محمّد بن جمهور العمّيّ في كتاب الواحدة قال: حدَّثني أخي الحسين بن محمّد فإنّه قال: كان لي صديق مؤدّب لولد بغاء أو وصيف ـ الشكّ منّي ـ فقال لي الأمير منصرفه من دار الخليفة: حبس أمير المؤمنين هذا الّذي يقولون: ابن الرضا اليوم ودفعه إلى عليّ بن كركر، وسمعته يقول: أنا أكرم على الله من ناقة صالح ﴿**تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام ذلك وعدٌ غير مكذوب**﴾ وليس يفصح بالآية ولا بالكلام أيّ شيء هذا، قال: قلت: أعزَّك الله توعّد انظر ما يكون بعد ثلاثة أيّام، فلمّا كان من الغد أطلقه واعتذر إليه، فلمّا كان في اليوم الثالث وثب عليه ياغز ويغلون وتامش وجماعة معهم فقتلوه وأقعدوا المنتصر ولده خليفة.

قال: وحدّثني أبو الحسين سعيد بن سهيل البصريّ وكان يلقّب بالملاّح قال: وكان يقول بالوقف جعفر بن القاسم الهاشميّ البصريّ وكنت معه بسرّ من رأى إذ رآه أبو الحسن في بعض الطرق فقال له: إلى كم هذه النومة؟ أما آن لك أن تنتبه منها؟ فقال لي جعفر: سمعت ما قال لي عليُّ بن محمّد قد والله وقع في قلبي شيء، فلمّا كان بعد أيّام حدث لبعض أولاد الخليفة وليمة فدعانا فيها ودعا أبا الحسن معنا فدخلنا فلمّا رأوه أنصتوا إجلالاً له وجعل شابّ في المجلس لا يوقّره وجعل يلفظ ويضحك فأقبل عليه فقال له: يا هذا أتضحك ملء فيك وتذهل عن ذكر الله وأنت بعد ثلاثة أيّام من أهل القبور، قال: فقلت: أهذا دليل حتّى ننظر ما يكون؟ قال: فأمسك الفتى وكفَّ عمّا هو عليه وطعمنا وخرجنا، فلمّا كان بعد يوم اعتلَّ الفتى ومات في اليوم الثالث من أوّل النهار ودفن في آخره.

وحدثني سعيد أيضاً قال: اجتمعنا في وليمة لبعض أهل سرّ من رأى وأبو الحسن معنا فجعل رجلٌ يعبث ويمزح ولا يرى له جلالة، فأقبل على جعفر فقال: أما إنّه لا يأكل من هذا الطعام وسوف يرد عليه من خبر أهله ما ينغّص عليه عيشه، قال: فقدمت المائدة قال جعفر: ليس بعد هذا خبرٌ قد بطل قوله فوالله لقد غسل الرجل يده وأهوى إلى الطعام فإذا غلامه قد دخل من باب البيت يبكي وقال له: الحق أُمّك فقد

وقعت من فوق البيت وهي بالموت قال جعفر: فقلت: والله لا وقفت بعد هذا وقطعت عليه.

والروايات في هذا الباب كثيرة وفيما أوردناه كفاية.

الفصل الرابع

في ذكر طرف من خصائصه وأخباره

ذكر ابن جمهور وقال: حدثني سعيد بن عيسى قال: رفع زيد بن موسى إلى عمر بن الفرج مراراً يسأله أن يقدّمه على ابن أخيه ويقول: إنّه حدث وأنا عمُّ أبيه فقال عمر ذلك لأبي الحسن عليه السلام فقال: افعل واحدة أقعدني غداً قبله ثمّ انظر فلمّا كان من الغد أحضر عمر أبا الحسن عليه السلام فجلس في صدر المجلس ثمَّ أذن لزيد بن موسى فدخل فجلس بين يدي أبي الحسن عليه السلام فلمّا كان يوم الخميس أذن لزيد بن موسى قبله فجلس في صدر المجلس ثمَّ أذن لأبي الحسن عليه السلام فدخل فلمّا رآه زيد قام من مجلسه وأقعده في مجلسه وجلس بين يديه.

وأشخص أبا الحسن المتوكّل من المدينة إلى سرّ من رأى وكان السبب في ذلك أنَّ عبد الله بن محمّد كان والي المدينة سعى به إليه فكتب المتوكّل إليه كتاباً يدعو به فيه إلى حضور العسكر على جميل من القول، فلمّا وصل الكتاب إليه تجهّز للرحيل وخرج مع يحيى بن هرثمة حتّى وصل إلى سرّ من رأى، فلمّا وصل إليها تقدّم المتوكّل أن يحتجب عنه في منزله فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك(١) فقام فيه يومه، ثمَّ تقدّم المتوكّل بإفراد دار له فانتقل إليها.

فروى محمّد بن يعقوب، عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله، عن محمّد بن يحيى، عن صالح بن سعيد قال: دخلت على أبي الحسن في يوم وروده فقلت له: جعلت فداك في كلّ الأُمور أرادوا إطفاء نورك والتنصير بك حتّى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك، فقال: ههنا أنت

(١) الصعلوك ـ كعصفور ـ: الفقير الذي لا مال له.

يا ابن سعيد[١] ثمَّ أومأ بيده فإذا بروضات أنقات[٢] وأنهار جاريات وجنّات فيها خيرات عطرات وولدان كأنّهنَّ اللّؤلؤ المكنون، فحار بصري وكثر عجبي فقال لي: حيث كنّا فهذا لنا يا ابن سعيد، لسنا في خان الصعاليك.

وكان المتوكّل يجتهد في إيقاع حيلة به ويعمل على الوضع من قدره في عيون الناس فلا يتمكّن من ذلك وله معه أحاديث يطول بذكرها الكتاب فيها آيات له ودلالات ذكرنا بعضها وفي إيراد جميعها خروج عن الغرض في الإيجاز.

وروى عبد الله بن عيّاش بإسناده، عن أبي هاشم الجعفريّ فيه وقد اعتلّ عليه السلام:

مادت الأرض بي وأدَّت فؤادي — واعترتني موارد العرواء[٣]
حين قيل الإمام نضو[٤] عليل — قلت نفسي فدته كلّ الفداء
مرض الدين لاعتلالك واعتـ — ـلّ وغارت له نجوم السماء
عجباً أن منيت بالدّاء والسقـ — ـم وأنت الإمام حسم الدّاء
أنت آسي الأدواء في الدّين و — الدنيا ومحيي الأموات والأحياء

«في أبيات»

[أولاده عليه السلام]

وله من الأولاد خمسة: أبو محمّد الحسن الإمام بعده، والحسين، ومحمّد، وجعفر الملقّب بالكذّاب، وابنته عليّة، وكان مقامه بسرّ من رأى إلى أن توفّي عليه السلام مدَّة سنة وأشهر.

---

(١) يعني أنت في هذا المقام من معرفتنا فتظن أن هذه الأمور تنقص من قدرنا.

(٢) الانق: الفرح والسرور.

(٣) مادت أي اضطربت. وأدت أي ثقلت. والعرواء ـ بضم العين وفتح الراء ـ: قرة الحمى ومسها في أول ما تأخذ بالرعدة.

(٤) النضو ـ بالكسر ـ: المهزول. والآسي: الطبيب.

الباب العاشر

في ذكر الإمام الزكي أبي محمد الحسن ابن علي العسكري عليه السلام وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

في تاريخ مولده ومبلغ عمره ووقت وفاته

كان مولده يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وقبض عليه السلام بسرّ من رأى لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ستّين ومائتين وله يومئذ ثمان وعشرون سنة وأُمّه أمّ ولد ويقال لها: حديث وكانت مدّة خلافته ستَّ سنين ولقبه الهاديّ والسراج والعسكري وكان هو وأبوه وجدّه يعرف كل منهم في زمانه بابن الرضا وكانت في سني إمامته بقيّة ملك المعتزّ أشهراً ثمَّ ملك المهتدي، أحد عشر شهراً وثمانية وعشرين يوماً ثمَّ ملك أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكّل عشرين سنة وأحد عشر شهراً وبعد مضيّ خمس سنين من ملكه قبض الله وليّه أبا محمّد ودفن في داره بسرّ من رأى في البيت الذي دفن فيه أبوه عليه السلام وذهب كثير من أصحابنا إلى أنّه عليه السلام مضى مسموماً وكذلك أبوه وجدُّه وجميع الأئمّة عليهم السلام خرجوا من الدنيا بالشهادة واستدلّوا على ذلك بما روي عن الصادق عليه السلام ما منّا إلاّ مقتول أو شهيد والله أعلم بحقيقة ذلك.

الفصل الثاني

في ذكر النصوص الدالة على إمامته عليه السلام

يدلُّ على إمامته بعد طريقي الاعتبار والتواتر اللّتين هما في إمامة من تقدّم من آبائه:

ما رواه محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، عن جعفر بن محمّد الكوفيّ،

عن بشّار بن أُحمد البصري، عن عليّ بن عمر النوفلي قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره فمرَّ بنا محمّد ابنه[١]، فقلت: جعلت فداك هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: لا، صاحبكم بعدي ابني الحسن.

وبهذا الإسناد، عن بشّار بن أحمد، عن عبد الله بن محمّد الإصفهانيّ قال: قال أبو الحسن عليه السلام: صاحبكم بعدي الذي يصلّي عليَّ قال: ولم نكن نعرف أبا محمّد قبل ذلك، فلمّا مات أبو الحسن عليه السلام خرج أبو محمّد عليه السلام فصلّى عليه.

وبهذا الإسناد، عن بشّار بن أحمد، عن موسى بن جعفر بن وهب، عن عليّ بن جعفر قال: كنت حاضراً حين توفّي أبو الحسن عليه السلام دعا ابنه الحسن فقال: يا بنيَّ أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً.

محمد بن يعقوب، عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن أحمد بن محمّد، عن عبد الله بن مروان الأنباريّ قال: كنت حاضراً عند مضيّ أبي جعفر محمّد بن عليّ فجاء أبو الحسن فوضع له كرسيٌّ فجلس عليه وحوله أهل بيته وأبو محمّد ابنه قائمٌ بناحية فلمّا فرغ من أمر أبي جعفر التفت إلى أبي محمّد عليه السلام فقال: يا بنيَّ أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً.

وعنه، عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن أحمد القلانسيّ، عن عليّ بن الحسين بن عمرو، عن عليّ بن مهزيار قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إن كان كونٌ ـ وأعوذ بالله ـ فإلى من؟ قال: عهدي إلى الأكبر من ولدي ـ يعني الحسن عليه السلام ـ.

وعنه، عن عليّ بن محمّد، عن أبي محمّد الأسترابادي[٢]، عن عليّ بن عمرو العطّار قال: دخلت على أبي الحسن وأبو جعفر ابنه ـ أعني محمّداً ـ في الأحياء وأنا أظنّه هو القائم من بعده، فقلت له: جعلت فداك من أخصُّ من ولدك؟ فقال: لا تخصّوا أحداً حتى يخرج إليكم أمري قال: فكتبت إليه فيمن يكون هذا الأمر؟ قال:

---

(١) هو أبو جعفر ولده الأكبر مات قبله وكانت الشيعة تزعم أنه الإمام وأخباره عليه السلام بعدم إمامة محمد هذا يكشف عن علمه السابق بموته وهذا من أسرارهم عليهم السلام.

(٢) كذا وفي الإرشاد أيضاً هكذا ولكن في الكافي «أبي محمد الأسبارقيني».

فكتب إلي في الأكبر من ولدي، قال: وكان أبو محمّد أكبر من جعفر.

وعنه، عن محمّد بن يحيى وغيره، عن سعد بن عبد الله، عن جماعة من بني هاشم منهم الحسن بن الحسن الأفطس أنّهم حضروا يوم توفّي محمّد بن عليّ بن محمّد دار أبي الحسن عليه السلام ليعزُّوه وقد بسط له في صحن داره والناس جلوس حوله قالوا: فقدَّرنا أن يكون حوله يومئذ من آل أبي طالب وسائر بني هاشم وبني عبّاس مائة وخمسون رجلاً سوى مواليه وسائر الناس إذ نظر إلى الحسن بن عليّ ابنه فقد جاء مشقوق الجيب حتّى قام عن يمينه ونحن لا نعرفه فنظر إليه أبو الحسن عليه السلام ساعة، ثمَّ قال: يا بنيّ أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً فبكى الفتى واسترجع وقال: الحمد لله ربّ العالمين وقدَّرنا أنَّ له في ذلك الوقت عشرين سنة فيومئذ عرفناه وعلمنا أنّه قد أشار إليه بالإمامة وأقامه مقامه.

وعنه، عن عليّ بن محمّد، عن إسحاق بن محمّد، عن شاهويه بن عبد الله بن الجلاب قال: كتب إليّ أبو الحسن عليه السلام أردت أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر وقلقت[١] لذلك ولا تقلق فإنَّ الله لا يضلُّ قوماً بعد إذ هداهم حتّى يتبيّن لهم ما يتّقون وصاحبك بعدي أبو محمّد ابني وعنده ما تحتاجون إليه. الحديث بطوله.

وبهذا الإسناد، عن إسحاق بن محمّد، عن محمّد بن يحيى، عن أبي بكر الفهفكي قال: كتب إليَّ أبو الحسن عليه السلام أبو محمّد ابني أصحُّ آل محمّد غريزة[٢] وأوثقهم حجّة وهو الأكبر من ولدي وهو الخلف وإليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامها وما كنت سائلي عنه فسله عنه، فعنده ما تحتاج إليه ومعه آلة الإمامة[٣].

وعنه، عن عليّ بن محمّد بن أحمد النهديّ، عن يحيى بن يسار القنبري قال: أوصى أبو الحسن إلى ابنه الحسن قبل مضيّه بأربعة أشهر وأشار إليه بالأمر من بعده وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي.

وفي كتاب أبي عبد الله بن عيّاش حدَّثني أحمد بن محمّد بن يحيى قال: حدَّثنا

---

(١) كنصرت أي اضطربت.

(٢) في الكافي «أنصح آل محمد غريزة» أي أخلص وأصفى. والغريزة الطبيعة.

(٣) أي الكتب والسلاح وغيره مما يختص بالإمام وعلامة له.

سعد بن عبد الله قال: حدَّثني محمّد بن أحمد بن محمّد العلويّ العريصي قال: حدَّثني أبو هاشم داود بن القاسم الجعفريّ قال: سمعت أبا الحسن صاحب العسكر يقول: الخلف من بعدي الحسن فكيف لكم بالخلف بعد الخلف؟ قلت: ولم جعلت فداك؟ قال: لأنّكم لا ترون شخصه ولا تحلُّ لكم تسميته ولا ذكره باسمه، قلت: كيف نذكر به فقال: قولوا: الحجّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

الفصل الثالث

في ذكر طرف من آياته ومعجزاته عليه السلام

محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، عن إسحاق بن محمّد النخعيّ قال: حدَّثني إسماعيل بن محمّد بن عليّ بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، قال: قعدت لأبي محمّد على ظهر الطريق فلمّا مرَّ بي شكوت إليه الحاجة وحلفت أن ليس عندي درهم فما فوقه لا غداء ولا عشاء، فقال: تحلف بالله كاذباً وقد دفنت مائتي دينار وليس قولي هذا دفعاً لك من العطيّة أعطه يا غلام ما معك فأعطاني غلامه مائة دينار، ثمَّ أقبل عليَّ فقال لي: إنّك تحرم الدنانير التي دفنتها أحوج ما تكون إليها وصدق وذلك أنّي أنفقت ما وصلني به واضطررت ضرورة شديدة إلى شيء أنفقه وانغلقت عليَّ أبواب الرزق فنبشت عن الدنانير التي كنت دفنتها فلم أجدها فنظرت فإذا ابن لي قد عرف موضعها فأخذها وهرب فما قدرت عليها على شيء.

وبهذا الإسناد، عن إسحاق بن محمّد النخعيّ، عن عليّ بن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: كان لي فرس وكنت به معجباً أُكثر ذكره في المحافل، فدخلت على أبي محمّد يوماً فقال لي: أين فرسك؟ فقلت: هو عندي وهو ذا هو على بابك الآن نزلت عنه فقال لي: استبدل به قبل المساء إن قدرت ولا تؤخّر ذلك ودخل علينا داخل فانقطع الكلام فقمت متفكّراً ومضيت إلى منزلي فأخبرت أخي فقال: ما أدري ما أقول في هذا وشححت عليه ونفست على الناس ببيعه وأمسينا فلمّا صلّينا العتمة جاءني السائس فقال: يا مولاي نفق[1] فرسك الساعة فاغتممت لذلك وعلمت أنّه

(١) نفق الرجل أو الدابة نفوقاً: مات.

عنى هذا بذلك القول، ثمَّ دخلت على أبي محمّد بعد أيّام وأنا أقول في نفسي: ليته أخلف عليَّ دابّة فلمّا جلست قال قبل أن أُحدّث: نعم نخلف عليك يا غلام أعطه برذوني الكميت ثمَّ قال: هذا خير من فرسك وأوطأ وأطول عمراً.

ومما شاهده أبو هاشم ـ رحمه الله ـ من دلائله عَلَيْهِ السَّلَامُ ما ذكره أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن عيّاش قال: حدّثني أبو عليّ أحمد بن محمّد بن يحيى العطّار، وأبو جعفر محمّد بن أحمد بن مصقلة القمّيّان قالا: حدَّثنا سعد بن عبد الله بن أبي خلف قال: حدَّثنا داود بن القاسم الجعفريّ، عن أبي هاشم قال: كنت عند أبي محمّد عَلَيْهِ السَّلَامُ فاستؤذن لرجل من أهل اليمن فأذن له فإذا هو رجلٌ جميلٌ طويلٌ جسيمٌ فسلّم عليه بالولاية فردَّ عليه بالقبول وأمره بالجلوس فجلس إلى جنبي، فقلت في نفسي: ليت شعري من هذا، فقال أبو محمّد: هذا من ولد الأعرابيّة صاحبة الحصاة التي طبع آبائي عليها ثمَّ قال: هاتها فأخرج حصاة وفي جانب منها موضع أملس فأخذها وأخرج خاتمه فطبع فيها فانطبع وكأنّي أقرأ الخاتم الساعة «الحسن بن عليّ» فقلت لليمانيّ: رأيته قطُّ قبل هذا؟ فقال: لا والله وإنّي منذ دهر حريص على رؤيته حتّى كان الساعة أتاني شابٌّ لست أراه قال: قم فادخل فدخلت، ثمَّ نهض وهو يقول: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد ذرّيّة بعضها من بعض» أشهد أنّ حقّك لواجب كوجوب حقّ أمير المؤمنين والأئمّة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين، وإليك انتهت الحكمة والإمامة وإنّك وليُّ الله الذي لا عذر لأحد في الجهل به، فسألت عن اسمه فقال: اسمي مهجع بن الصلت بن عقبة بن سمعان بن غانم بن أمّ غانم وهي الأعرابيّة اليمانيّة صاحبة الحصاة التي ختم فيها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال أبو هاشم الجعفريّ في ذلك:

بدرب الحصا مولى لنا يختم الحصى ... لـه الله أصفـى بـالـدّليـل وأخلصـا
وأعطــاه آيــات الإمــامــة كلّهــا ... كمـوسـى وفلـق البحـر واليـد والعصـا
ومــا قمّــص الله النبيّيــن حجّــة ... ومعجــزة إلاّ الــوصيّيــن قمّصــا
وإن كنــت مـرتـابـاً بـذاك فقصـره ... مـن الأمـر أن تتلـو الـدّليـل وتفحصـا

ـ في أبيات ـ

قال أبو عبد الله بن عيّاش: هذه أُمُّ غانم صاحبة الحصاة غير تلك صاحبة الحصاة وهي أُمُّ الندى حبابة بنت جعفر الوالبيّة الأسديّة وهي غير صاحبة الحصاة الأولى التي طبع فيها رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام فإنّها أمُّ سليم وكانت وارثة الكتب فهنَّ ثلاثة ولكلّ واحدة منهنّ خبر قد رويته، ولم أُطل الكتاب بذكره.

قال: وحدَّثني أحمد بن محمّد بن يحيى قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، وعبد الله بن جعفر قالا: حدَّثنا أبو هاشم قال: شكوت إلى محمّد ضيق الحبس وثقل القيد، فكتب إليَّ تصلّي الظهر اليوم في منزلك، فأُخرجت في وقت الظهر وصلّيت في منزلي كما قال عليه السلام.

وقال: كنت مضيقاً فأردت أن أطلب منه دنانير في كتابي فاستحييت فلمّا صرت إلى منزلي وجّه إليّ مائة دينار وكتب إليَّ إذا كانت لك حاجة فلا تستح ولا تحتشم واطلبها فإنّك ترى ما تحبُّ.

قال: وكان أبو هاشم حبس مع أبي محمّد عليه السلام كان المعتزُّ حبسهما مع عدَّة من الطالبيّين في سنة ثمان وخمسين ومائتين.

حدثنا أحمد بن زياد الهمدانيُّ، عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم قال: حدّثني أبو هاشم داود بن القاسم قال: كنت في الحبس المعروف بحبس صالح بن وصيف الأحمر أنا، والحسن بن محمّد العقيقي، ومحمّد بن إبراهيم العمري، وفلان وفلان إذ ورد علينا أبو محمّد الحسن عليه السلام وأخوه جعفر فخففنا له إلى خدمته وكان المتولّي لحبسه صالح بن وصيف وكان معنا في الحبس رجل جمحي يقول إنّه علويُّ قال: فالتفت أبو محمّد عليه السلام فقال: لولا أنَّ فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرَّج عنكم، وأومأ إلى الجمحي أن يخرج فخرج، فقال أبو محمّد عليه السلام: هذا الرّجل ليس منكم فاحذروه فإنَّ في ثيابه قصّة قد كتبها إلى السلطان يخبره بما تقولون فيه، فقام بعضهم ففتّش ثيابه فوجد فيها القصّة يذكرنا فيها بكلّ عظيمة وكان أبو الحسن يصوم فإذا أفطر أكلنا معه من طعام كان يحمله غلامه إليه في جونة مختومة

وكنت أصوم معه، فلمّا كان ذات يوم ضعفت فأفطرت في بيت آخر على كعكة وما شعر بي والله أحد، ثمَّ جئت فجلست معه، فقال لغلامه: أطعم أبا هاشم شيئاً فإنّه مفطر فتبسّمت فقال: ما يضحكك يا أبا هاشم؟ إذا أردت القوّة فكل اللّحم فإنّ الكعك لا قوّة فيه، فقلت: صدق الله ورسوله وأنتم، فأكلت فقال لي: أفطر ثلاثاً فإنّ المُنّة لا ترجع إذا نهكها الصوم في أقلّ من ثلاث فلمّا كان في اليوم الذي أراد الله سبحانه أن يفرّج عنه جاءه الغلام فقال: يا سيّدي أحمل فطورك؟ فقال: احمل وما أحسبنا نأكل منه فحمل الطعام الظهر وأُطلق عنه عند العصر وهو صائم فقال: كلوا هنّاكم الله.

قال: وحدّثناأحمد بن محمّد بن يحيى قال: حدَّثنا عبد الله بن جعفر قال: حدَّثنا أبو هاشم قال: كنت عند أبي محمّد الحسن عليه السلام فقال: إذا خرج القائم أمر بهدم المنابر والمقاصير التي في المساجد، فقلت في نفسي: لأيّ معنى هذا؟ قال: فأقبل عليَّ وقال: معنى هذا أنّها محدثة مبتدعة لم يبنها نبيٌّ ولا حجّة.

وبهذا الإسناد، عن أبي هاشم قال: سأل الفهفكي أبا محمّد ما بال المرأة المسكينة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرَّجل سهمين؟ فقال: إنَّ المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا معقلة إنّما ذلك على الرّجال، فقلت في نفسي: قد كان قيل لي إن ابن أبي العوجاء سأل أبا عبد الله عن هذه المسألة فأجابه بمثل هذا الجواب فأقبل أبو محمّد فقال: نعم هذه مسألة ابن أبي العوجاء والجواب منّا واحد إذا كان معنى المسألة واحداً جرى لآخرنا ما جرى لأوّلنا وأوّلنا وآخرنا في العلم والأمر سواء ولرسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما فضلهما.

وبهذا الإسناد، عن أبي هاشم قال: كتب إليه ـ يعني أبا محمّد ـ بعض مواليه يسأله شيئاً من الدُّعاء فكتب إليه: ادع بهذا الدّعاء «يا أسمع السامعين، ويا أبصر المبصرين، ويا أنظر الناظرين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين، صلّ على محمّدٍ وآل محمّد، وأوسع لي في رزقي، ومدَّ لي في عمري، وامنن عليَّ برحمتك واجعلني ممّن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري».

قال أبو هاشم فقلت في نفسي: «اللّهمّ اجعلني في حزبك وفي زمرتك» فأقبل

عليَّ أبو محمّد فقال: أنت في حزبه وفي زمرته وإن كنت بالله مؤمناً ولرسوله مصدّقاً وبأوليائه عارفاً ولهم تابعاً ثمَّ أبشر.

وبهذا الإسناد، عن أبي هاشم قال: سمعت أبا محمّد عليه السلام يقول: من الذُّنوب التي لا تُغفر قول الرجل ليتني لا أُؤاخذ إلاّ بهذا، فقلت في نفسي: إنَّ هذا لهو الدَّقيق وينبغي للرَّجل أن يتفقّد من نفسه كلّ شيء فأقبل عليَّ أبو محمّد فقال: صدقت يا أبا هاشم الزم ما حدَّثتك به نفسك فإنَّ الإشراك في الناس أخفى من دبيب الذّرّ على الصفا في اللّيلة الظلماء ومن دبيب الذَّرّ على المسح الأسود.

وبهذا الإسناد قال: سمعت أبا محمّد عليه السلام يقول: إنَّ في الجنّة لباباً يقال له المعروف ولا يدخله إلاّ أهل المعروف فحمدت الله في نفسي وفرحت ممّا أتكلّفه من حوائج الناس فنظر إليَّ أبو محمّد وقال: نعم قد علمت ما أنت عليه وإنَّ أهل المعروف في الدُّنيا هم أهل المعروف في الآخرة، جعلك الله منهم يا أبا هاشم ورحمك.

وبهذا الإسناد، عن أبي هاشم قال: دخلت على أبي محمّد وأنا أُريد أن أسأله فصّاً أصوغ به خاتماً أتبرَّك به، فجلست ونسيت ما جئت له، فلمّا ودَّعته ونهضت رمى إليّ بخاتم فقال: أردت فصّاً فأعطيناك خاتماً وربحت الفصَّ والكرى هنّاك الله يا أبا هاشم فتعجّبت من ذلك فقلت: يا سيّدي إنّك وليُّ الله وإمامي الّذي أدين الله بفضله وطاعته فقال: غفر الله لك يا أبا هاشم.

وهذا قليل من كثير ما شاهده أبو هاشم من آياته ودلالاته وقد ذكر ذلك أبو هاشم فيما روي لنا عنه بالإسناد الذي ذكرناه، قال: ما دخلت على أبي الحسن وأبي محمّد عليهما السلام يوماً قطّ إلاّ رأيت منهما دلالة وبرهاناً.

محمد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، عن إسحاق بن محمّد، عن محمّد بن الحسن بن شمّون، عن أحمد بن محمّد قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام حين أخذ المهتدي في قتل الموالي وقلت: يا سيّدي الحمد لله الذي شغله عنك فقد بلغني أنّه يتهدَّدك ويقول: والله لأُجلينّهم عن جديد الأرض[1] فوقّع أبو محمّد بخطّه ذاك أقصر

---

(١) الإجلاء: الإبعاد، وجديد الأرض وجهها.

لعمره، عدّ من يومك هذا خمسة أيّام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمرُّ به، فكان كما قال.

وبإسناده، عن أحمد بن محمّد الأقرع قال: حدَّثني أبو حمزة نصير الخادم قال: سمعت أبا محمّد غير مرّة وعنده قوم يحدّثهم بلغاتهم وفيهم ترك وروم وصقالبة فتعجّبت من ذلك وقلت: هذا ولد بالمدينة ولم يظهر لأحد حتّى مضى أبو الحسن ولا رآه أحدٌ فكيف هذا؟ أُحدّث نفسي بهذا وأقبل عليَّ وقال: الله تبارك وتعالى بيّن حجّته من سائر خلقه وأعطاه معرفة كلّ شيء فهو يعرف اللّغات والأنساب والآجال والحوادث ولولا ذلك لم يكن بين حجّته والمحجوج فرقٌ.

وبإسناده، عن الحسن بن ظريف قال: اختلج في صدري مسألتان أردت الكتاب بهما إلى أبي محمّد عَلَيْهِ السَّلَامُ فكتبت أسأله عن القائم إذا قام بم يقضي؟ وأين مجلسه الذي يقضي فيه بين الناس؟ وأردت أن أكتب أسأله عن شيء لحمّى الربع فأغفلت ذكر الحمّى فجاء الجواب سألت عن القائم وإذا قام قضى في الناس بعلمه كقضاء داود لا يسأل عن بيّنة، وكنت أردت أن تسأل عن حمّى الربع فأُنسيت فاكتب في ورقة وعلّقها على المحموم «يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم» فكتبت ذلك وعلّقته على محموم لنا فأفاق وبرىء.

وأمثال هذه الأخبار كثيرة لا نطوّل الكتاب بذكرها.

الفصل الرابع

في ذكر طرف من مناقبه وخصائصه ونبذ من أخباره

محمّد بن يعقوب، عن رجاله قالوا: كان أحمد بن عبد الله بن خاقان على الضياع والخراج بقمّ وكان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت فجرى في مجلسه ذكر العلويّة يوماً فقال: ما رأيت وما عرفت من العلويّة مثل الحسن بن علي بن محمّد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته وبني هاشم كافّة وتقديمهم إيّاه على ذوي السنّ منهم والخطر وكذلك كانت حاله عند القوّاد والوزراء

وعامّة الناس وأذكر يوماً أنّي كنت قائماً على رأس أبي إذ دخل حجّابه فقالوا: أبو محمّد بن الرضا بالباب فقال بصوت عال: ائذنوا له فتعجّبت من جسارتهم أن يكنّوا رجلاً بحضرة أبي ولم يكن يكنّى عنده إلاّ خليفة أو وليّ عهد أو من أمر السلطان، فدخل رجل أسمر حسن القامة جميل الوجه حديث السنّ، له جلالة وهيئة حسنة، فلمّا نظر إليه قام يمشي إليه ولا أعلم فعل هذا بأحد من بني هاشم والقوّاد، فلمّا دنا منه عانقه وقبّل وجهه وصدره وأخذ بيده وأجلسه على مصلاّه الذي كان عليه وجلس مقبلاً بوجهه وجعل يكلّمه ويفديه بنفسه وأنا متعجّب ممّا أرى منه إذ دخل الحاجب فقال: الموفّق قد جاء[1] وكان الموفّق إذا دخل على أبي يقدّمه حجّابه وخاصّة قوّاده، فقاموا جميعاً حتّى صار بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين[2] إلى أن يدخل ويخرج فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمّد بوجهه حتّى نظر إلى غلمان الخاصّة فقال حينئذ: إذا شئت فقم جعلت فداك، ثمّ قال لحجّابه: خذوا به خلف السماطين لا يراه هذا ـ يعني الموفّق ـ، فقام وقام أبي وعانقه ومضى فلم أزل يومي ذلك متفكّراً في أمره وأمر أبي وما رأيته منه حتّى كان اللّيل، فلمّا صلّى العتمة وجلس وجلست بين يديه وليس عنده أحدٌ فقال: يا أحمد ألك حاجة؟ قلت: نعم يا أبه من الرَّجل الذي رأيتك الغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والتبجيل وفديته بنفسك وأبويك؟ فقال: يا بنيَّ ذاك إمام الرَّافضة الحسن بن عليّ المعروف بابن الرضا، ثمَّ سكت ساعة وأنا ساكت ثمَّ قال: يا بنيَّ لو زالت الإمامة من خلفاء بني العبّاس ما استحقّها أحدٌ من بني هاشم غيره لفضله وعفافه وهديه وصيانته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً فازددت قلقاً وتفكّراً وغيظاً على أبي ولم تكن لي همّة بعد ذلك إلاّ السؤال عن خبره فما سألت أحداً من بني هاشم والقوَّاد والكتّاب والفضلاء والفقهاء وسائر الناس إلاّ وجدته في غاية الإجلال والإعظام والمحلّ الرفيع والتقديم له على جميع أهل بيته، فعظم قدره عندي إذ لم أجد له وليّاً ولا عدوّاً إلاّ وهو يحسن القول فيه والثناء عليه، فقال له بعض الحاضرين: فما خبر أخيه جعفر[3]؟ قال: ومن جعفر فيسأل عن خبره ويقرن الحسن بجعفر معلن الفسق

(١) الموفق هو أخو الخليفة المعتمد على الله أحمد بن المتوكل وكان صاحب جيشه.

(٢) أي رديفين منظمين، والسماط: الصف من الناس.

(٣) هو المشهور بالكذاب.

فاجر شرّيب الخمور أقلُّ من رأيته من الرجال وأهتكهم لنفسه ولقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن عليّ ما تعجّبت منه وما ظننت أنّه يكون وذلك أنّه لمّا اعتلّ بعث إلى أبي أنَّ ابن الرضا قد اعتلَّ، فركب من ساعته فبادر إلى دار الخلافة ثمَّ رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلّهم من ثقاته وخاصّته فيهم نحرير[١] وأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرُّف خبره وحاله وبعث إلى نفر من المتطبّبين وأمرهم بالاختلاف إليه[٢] وتعاهده صباحاً ومساءً، فلمّا كان بعد يومين أو ثلاثة أخبر أنّه ضعف فأمر المتطبّبين بلزوم داره وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار عشرة ممّن يوثق بهم وبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هناك حتّى توفّي فلمّا ذاع خبر وفاته صارت سرّ من رأى ضجّة واحدة وعطّلت الأسواق وركب بنو هاشم والقوّاد وسائر الناس إلى جنازته ودفنه وكانت سرّ من رأى يومئذ شبيهاً بيوم القيامة فلمّا فرغ من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكّل فأمره بالصلاة عليه فلمّا وضعت الجنازة للصلاة دنا أبو عيسى منه وكشف عن وجهه وعرضه على بني هاشم من العلويّة والعبّاسيّة وعلى القوّاد والكتّاب والقضاة والمعدّلين فقال: هذا الحسن بن عليّ بن محمّد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه وحضره من خدّام أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان، ومن القضاة فلان وفلان ثمَّ غطّى وجهه وصلّى عليه وأمر بحمله فلمّا دفن جاء جعفر بن عليّ إلى أبي فقال له: اجعل لي مرتبة أخي وأنا أُوصل إليك في كلّ سنة عشرين ألف دينار، فزبره[٣] أبي وأسمعه ما كره وقال له: يا أحمق إنَّ السلطان جرَّد سيفه في الّذين زعموا أنَّ أباك وأخاك أئمّة ليردَّهم عن ذلك فلم يتهيّأ له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى سلطان يرتّبك مراتبهم ولا غير سلطان وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا، ثمَّ أمر أبي أن يحجب عنه ولم يأذن له في الدُّخول عليه حتّى مات أبي وخرجنا وهو على تلك الحال والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن عليّ إلى اليوم ولا يجد إلى ذلك سبيلاً وشيعته مقيمون على أنّه مات وخلّف ولداً يقوم مقامه في الإمامة.

---

(١) كان شقياً من خواص خدم الخليفة.

(٢) يعني بالاختلاف التردد للإطلاع على أحواله.

(٣) أي زجره.

محمد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل العلويّ قال: حبس أبو محمّد عند عليّ بن أوتاش[١] وكان شديد العداوة لآل محمّد عليهم السلام، غليظاً على آل أبي طالب وقيل له: افعل به وافعل[٢] قال: فما أقام إلاّ يوماً حتّى وضع خدَّيه له[٣] وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً له وإعظاماً وخرج من عنده وهو من أحسن الناس بصيرة وأحسنهم فيه قولاً.

وبهذا الإسناد أيضاً قال: دخل العبّاسيّون على صالح بن وصيف عندما حبس أبو محمّد فقالوا له: ضيّق عليه فقال لهم صالح: ما أصنع به فقد وكّلت عليه رجلين شرّ من قدرت عليه صارا من أمر العبادة والصلاة والصيام على أمر عظيم، ثمَّ أمر بإحضار الموكّلين فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا: ما تقول في رجل يصوم النهار ويقوم اللّيل كلّه لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة وإذا نظرنا إليه أرعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا. فلمّا سمع ذلك العبّاسيّون انصرفوا خائبين.

وبهذا الإسناد، عن جماعة من أصحابنا قالوا: سلّم أبو محمّد إلى نحرير[٤] وكان يضيّق عليه ويؤذيه فقالت له امرأته: اتّق الله فإنّك لا تدري من في منزلك، وذكرت له صلاحه وعبادته، فقال: والله لأرمينّه بين السباع، فاستأذن في ذلك فأذن له فرمى به إليها ولم يشكّوا في أكلها له فنظروا إلى الموضع فوجده قائماً يصلّي وهي حوله فأمر بإخراجه إلى داره.

وكان مرضه الذي توفّي فيه أوَّل شهر ربيع الأوَّل سنة ستّين ومائتين وتوفّي يوم الجمعة لثمان خلون من هذا الشهر وخلّف ولده الحجّة القائم المنتظر لدولة الحقّ وكان أخفى مولده لشدَّة طلب سلطان الوقت له واجتهاده في البحث عن أمره فلم يره إلاّ الخواصّ من شيعته على ما نذكره وتولّى أخوه جعفر أخذ تركته وسعى إلى

---

(١) في الكافي «علي بن نارمش» وفي الإرشاد «علي بن أوتامش».

(٢) يعني من السوء والأذى كذا وكذا.

(٣) وضع الخدين كناية عن الانقياد والخضوع.

(٤) هو خادم من خدم الخليفة وكان راعي سباعه وكلابه.

السلطان في أخذ جواري أبي محمّد وشنّع على الشيعة في انتظارهم ولده وقطعهم بوجوده واعتقادهم لإمامته وجرى بسبب ذلك على مخلفة أبي محمّد وشيعته كلُّ بلاء من حبس واعتقال وشدّة واجتهد جعفر في القيام مقامه فلم يقبله أحدٌ من الطائفة بل تبرَّؤوا منه ولقّبوه بالكذّاب.

والأخبار كثيرة في هذا المعنى، مشهورة عند أصحابنا، رأيت الإضراب عن ذكرها تحرّياً للاختصار وبالله التوفيق.

❊ ❊ ❊

الركن الرابع من الكتاب
في ذكر إمامة الاثني عشر والإمام الثاني عشر

المطلب الأهمّ والغرض الأتمّ من هذا الركن الكلام في تصحيح إمامة صاحب الزّمان ابن الحسن القائم الحجّة مهديّ الأُمّة وكاشف الغمّة على الجملة والتفصيل بثابت البرهان وواضح الدليل، ثمّ إنَّ ذلك يدور على قسمين أحدهما ذكر البراهين والبيّنات من جهة النصوص الدالّة على إمامة الاثني عشر الذي هو خاتمهم وقائمهم ـ عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة والسلام ـ وقد رواها الخاصّة والعامّة وأطبق على نقلها الفرقتان المتباينتان والطائفتان المختلفتان عن النبيّ ﷺ وما يؤيّد ذلك من الأدلّة التي تجملهم وتعمّهم وتشملهم، والآخر ذكر الدلالات الواضحة في إمامته عليه السلام خاصّة على التعيين والتفصيل والإفراد له بالدليل بعد اشتراكه في دلالة الاعتبار مع ذكر طرف من الأخبار في ذكر مولده وغيبته وعلامات وقت قيامه ومدّة دولته وبيان سيرته.

القسم الأول

من الركن الرابع وهو الكلام في الدلالة على إمامة الاثني عشر من آل محمد عليهم السلام ويشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول

في ذكر بعض الأخبار التي جاءت في النص على عدد الاثني عشر من الأئمة من طريق العامة على طريق الإجمال

اعلم أنَّ الخبر إذا رواه المعترف بصحّته الدائن بصدقه ووافقه في ذلك المنكر لمضمونه الدافع لما اشتمل عليه فقد أسفر فيه الحقّ عن وجه الدلالة لاتّفاق

المتضادّين في المقالة إذ لو كان باطلاً لما توفّرت دواعي المنكر له على نقله وهو حجّة عليه بل كانت منه الدّواعي متوفّرة في دفعه على مجرى العرف ولا سيّما وقد سلم من نقل معارضة تسقط الحجّة به أو دعوى تكافئه في الظاهر فتمنع من الاتّفاق عليه والاعتقاد به فإذا كانت الأخبار الواردة في أعداد الأئمّة بهذه الصفة فقد وجب القطع بصحّتها.

فمما جاء من الأخبار التي نقلها أصحاب الحديث غير الإمامية في ذلك وصحّحوها ما رواه الإمام أبو محمّد الحسن بن أحمد السمرقنديّ محدّث خراسان قال: أخبرنا أبو العبّاس المستغفريُّ قال: حدَّثنا أبو الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل الكسائيّ أخبرنا أبو حاتم جبرئيل بن مجاع الكسائيّ أخبرنا قتيبة بن سعيد، قال: وأخبرنا أبو القاسم الكاتب أخبرنا أبو حامد الصائغ أخبرنا أبو العبّاس النسوي حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قالا: حدّثنا حاتم بن إسماعيل، عن المهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ فكتب إليَّ إنّي سمعت رسول الله ﷺ يوم جمعة عشيّة رجم الأسلمي يقول: لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش، ثمَّ يخرج كذّابون بين يدي الساعة، وسمعته يقول: أنا الفرط على الحوض ـ رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة وقتيبة بن سعيد ـ.

قال: وأخبرنا أبو القاسم الكاتب أخبرنا أبو حامد الصائغ أخبرنا أبو العبّاس الثقفيّ حدَّثنا محمّد بن رافع حدَّثنا ابن أبي فُديك أخبرنا ابن أبي ذئب، عن مهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد أنّه أرسل إلى ابن سمرة العدوي فقال: حدّثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فكتب سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال الدين قائماً حتّى يكون اثنا عشر خليفة من قريش، ثمَّ يخرج كذّابون بين يدي الساعة، وأنا الفرط على الحوض. رواه مسلم عن محمّد بن رافع.

وأخبرنا عبد العزيز بن أحمد الكاتب حدَّثنا أحمد بن محمّد بن عبد الله الحارثي أخبرنا محمّد بن إسحاق الثقفي حدَّثنا قتيبة حدَّثنا أبو عوانة، عن سماك، عن جابر بن سمرة، عن النبيّ ﷺ قال: يكون بعدي اثنا عشر أميراً، وتكلّم بكلمة

فلم أفهم ما قال، فسألت القوم فزعموا أنّه قال: كلّهم من قريش ـ رواه مسلم عن قتيبة ـ.

قال: وأخبرنا أبو سلمة القاضي حدَّثني أبو القاسم النسوي أخبرنا أبو العبّاس النسوي حدَّثنا أبو الحصين بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله اليربوعي حدَّثنا عنبر حدَّثنا حصين، عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على رسول الله ﷺ فقال لي: إنَّ هذا الأمر لن ينقضي ـ أو لن يمضي ـ حتّى يكون فيكم اثني عشر خليفة ثمّ قال شيئاً لم أسمعه، فسألتهم، فقالوا: كلّهم من قريش.

قال: وأخبرنا أبو سلمة القاضي أخبرنا أبو القاسم النسوي أخبرنا أبو العبّاس النسوي حدّثنا أبو عمارة حدّثنا الفضل بن موسى، عن وهب، عن أبي خالد الوالبيّ قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يضرُّ هذا الدين من ناواه حتّى يقوم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.

قال: وأخبرنا أبو سلمة القاضي حدَّثنا أبو القاسم النسوي حدَّثنا أبو العبّاس النسوي حدَّثنا جعفر بن حميد العبسي حدَّثنا يونس بن أبي يعقوب، عن عون بن أبي حجيفة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال أمر أُمّتي صالحاً حتّى يمضي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.

ومما ذكره الشيخ المفيد أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان في كتابه:

قال: ومن ذلك ما رواه محمّد بن عثمان الذهبيُّ حدَّثنا أبو عبد الله بن جعفر الرقّيّ قال: حدَّثنا عيسى بن يونس، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق قال: كنّا عند عبد الله بن مسعود فقال له رجل: أحدّثكم نبيّكم كم يكون بعده من الخلفاء؟ فقال له عبد الله: نعم وما سألني عنها أحدٌ قبلك وإنّك لأحدث القوم سنّاً، سمعته ﷺ يقول يكون بعدي من الخلفاء عدَّة نقباء موسى اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.

وروى عثمان بن أبي شيبة، وأبو سعيد الأشجع، وأبو كريب، ومحمود بن غيلان، وعليُّ بن محمّد، وإبراهيم بن سعيد جميعاً، عن أُسامة، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق مثل الأوَّل بعينه.

ورواه أبو أسامة، عن أشعث، عن عامر الشعبي، عن عمّه قيس بن عبد الله، عن عبد الله بن مسعود وذكر نحوه.

ورواه حمّاد بن زيد، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله وزاد فيه قال: كنّا جلوساً عند عبد الله يقرئنا القرآن فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك أمر هذه الأُمّة من خليفة بعده؟ فقال له عبد الله: ما سألني عنها أحدٌ منذ قدمت العراق، نعم سألنا رسول الله ﷺ فقال: اثنا عشر عدّة نقباء بني إسرائيل.

وروى عبد الله بن أُميّة مولى مجامع، عن يزيد الرقاش، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لن يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش فإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها وساق الحديث.

ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة، عن علي بن جعد، عن زهير بن معاوية، عن زياد بن خيثمة، عن الأسود بن سعيد الهمدانيّ قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون بعدي اثنا عشر خليفة من قريش، فقالوا له: ثمَّ يكون ماذا؟ قال: ثمَّ يكون النفث والنفاث.

سماك بن حرب، وزياد بن علاقة، وحصين بن عبد الرحمن، عن جابر بن سمرة عن رسول الله مثله.

ورواه سليمان بن أحمر قال: حدَّثنا أبو عون عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، عن النبيّ ﷺ قال: لا يزال أهل هذا الدين ينصرون على من ناوأهم إلى اثني عشر خليفة فجعل الناس يقومون ويقعدون وتكلّم بكلمة لم أفهمها، فقلت لأبي أو لأخي: أيّ شيء قال؟ قال: كلّهم من قريش.

ورواه فطر بن خليفة، عن أبي خالد الوالبيّ، عن جابر بن سمرة، عن النبي ﷺ مثله.

ورواه سهل بن حمّاد، عن يونس بن أبي يعفور قال: حدَّثني عون بن أبي حجيفة عن أبيه قال: كنت عند رسول الله ﷺ وعمّي جالسٌ بين يديَّ فقال

رسول الله ﷺ: لا يزال أمر أُمّتي صالحاً حتّى يمضي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش، اسم أبي حجيفة وهب بن عبد الله.

وروى اللّيث بن سعيد، عن خالد بن زيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ربيعة بن سيف قال: كنّا عند شقيق الأصبحي فقال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون خلفي اثنا عشر خليفة.

ورواه حمّاد بن سلمة عن أبي الطفيل قال: قال لي عبد الله بن عمر: يا أبا الطفيل أعدد اثني عشر خليفة بعد النبيّ ثمَّ يكون النفث والنفاث.

وممّا ذكره الشيخ أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن أبي أحمد الدوريستي في كتابه في الردّ على الزيديّة قال: أخبرني أبي قال: أخبرني الشيخ أبو جعفر بن بابويه قال: حدَّثنا محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن عمّه، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن خلف بن حمّاد الأسدي، عن الأعمش، عن عباية بن ربعيّ، عن ابن عبّاس قال: سألت رسول الله ﷺ حين حضرته وفاته فقلت: إذا كان ما نعوذ بالله منه فإلى من؟ فأشار إلى عليّ عليه السلام فقال: إلى هذا فإنّه مع الحقّ والحقُّ معه، ثمَّ يكون من بعده أحد عشر إماماً مفترضة طاعتهم كطاعتي.

قال: وأخبرني المفيد أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان قال: أخبرني محمّد بن عليّ قال: حدَّثني حمزة بن محمّد العلوي حدّثنا أحمد بن يحيى الشحّام حدّثنا أبو حاتم محمّد بن إدريس الحنظلي حدَّثنا أبو بكر محمّد بن أبي غياث الأعين حدَّثنا سويد بن سعيد الأنباريّ حدَّثنا محمّد بن عبد الرحمن بن شردين الصنعاني عن ابن مثنى، عن أبيه، عن عائشة قال: سألتها كم خليفة يكون لرسول الله ﷺ؟ فقالت: أخبرني رسول الله ﷺ أنّه يكون بعده اثنا عشر خليفة، فقلت لها: من هم؟ فقالت: أسماؤهم عندي مكتوبة بإملاء رسول الله ﷺ، فقلت لها: فاعرضيه فأبت.

قال: وأخبرني أبو عبد الله محمّد بن وهبان قال: حدّثنا أبو بشر أحمد بن إبراهيم بن أحمد العمّيّ قال: أخبرنا محمّد بن زكريّا بن دينار الغلابي حدَّثنا سليمان بن إسحاق بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس قال: حدَّثني أبي قال:

كنت يوماً عند الرشيد فذكر المهديُّ وما ذكر من عدله، فأُطنب في ذلك، فقال الرشيد: أحسبكم تحسبونه أبي المهدي.

حدثني عن أبيه، عن جدّه، عن ابن عبّاس، عن أبيه العبّاس بن عبد المطّلب أنَّ النبيّ قال له: يا عمّ يملك من ولدي اثنا عشر خليفة ثمَّ تكون أمور كريهة شديدة عظيمة ثمَّ يخرج المهديُّ من ولدي يصلح الله أمره في ليلة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ويمكث في الأرض ما شاء الله ثمَّ يخرج الدّجّال.

هذا بعض ما جاء من الأخبار من طريق المخالفين ورواياتهم في النصّ على عدد الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام وإذا كانت الفرقة المخالفة قد نقلت ذلك كما نقلته الشيعة الإماميّة ولم تنكر ما تضمّنه الخبر فهو أدلُّ دليل على أنَّ الله تعالى هو الّذي سخّرهم لروايته إقامة لحجّته وإعلاءً لكلمته وما هذا الأمر إلاّ كالخارق للعادة والخارج عن المعتادة ولا يقدر عليه إلاّ الله تعالى الذي يذلّل الصعب ويقلّب القلب ويسهّل العسر وهو على كلّ شيء قدير.

الفصل الثاني

في ذكر بعض الأخبار التي جاءت من طريق الشيعة الإمامية في النص على إمامة الاثني عشر من آل محمد عليهم السلام

هذه الأخبار على ضربين أحدهما يتضمّن النصّ على عدد الاثني عشر على الجملة والثاني يتضمّن النصّ على أعيان الأئمّة الاثني عشر على التفصيل.

فأمّا الضرب الأوّل منها فنحو ما رواه محمّد بن يعقوب الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن ابن محبوب، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر آخرهم القائم ثلاثة منهم محمّد وأربعة منهم عليّ.

وعنه، عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ الله تعالى أرسل محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم

إلى الجنّ والإنس وجعل من بعده اثني عشر وصيّاً منهم من سبق ومنهم من بقي وكلُّ وصيّ جرت به سنّة، والأوصياء الذين من بعد محمّد على سنّة أوصياء عيسى، وكانوا اثني عشر، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على سنّة المسيح.

وعنه، عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن مسعدة بن زياد، عن أبي عبد الله ومحمّد بن الحسين، عن إبراهيم بن أبي يحيى المديني، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري قال: كنت حاضراً لمّا هلك أبو بكر واستخلف عمر جاء رجلٌ من عظماء يهود يثرب يزعم يهود المدينة أنّه أعلم زمانه حتّى رفع إلى عمر فقال له: يا عمر إنّي جئتك أُريد الإسلام فإن أخبرتني عمّا أسألك عنه فأنت أعلم أصحاب محمّد بالكتاب والسنّة وجميع ما أُريد أن أسأل عنه قال: فقال له عمر: إنّي لست هناك ولكنّي أرشدك إلى من هو أعلم أُمّتنا بالكتاب والسنّة وجميع ما قد تسأل عنه وهو ذاك وأومأ إلى عليّ عليه السلام وساق الحديث إلى[1] أن قال: قال له أمير المؤمنين عليه السلام سل عمّا بدا لك، فقال: أخبرني عن ثلاث وثلاث وواحدة قال له عليٌّ عليه السلام: لِم لم تقل: عن سبع؟ فقال له اليهوديّ: إنّك إن أخبرتني بالثلاث سألتك عن البقيّة وإلاّ كففت ثمَّ قال: أخبرني عن أوَّل حجر وضع على وجه الأرض [وأوّل شجرة غرست على وجه الأرض وأوَّل عين نبعت على وجه الأرض] فأخبره أمير المؤمنين عليه السلام، قال له اليهوديُّ: أخبرني عن هذه الأُمّة كم لها من إمام هدى؟ وأخبرني عن نبيّكم محمّد أين منزله في الجنّة؟ وأخبرني من معه في الجنّة؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ لهذه الأُمّة اثني عشر إماماً من ذرّيّة نبيّها وهم منّي، وأمّا منزلة نبيّنا في الجنّة فهي أفضلها وأشرفها جنّة عدن، وأمّا من معه في منزله فهؤلاء الاثنا عشر من ذريّته وأُمّهم وجدَّتهم وأُمُّ أُمّهم وذراريهم لا يشركهم فيها أحدٌ ـ الخبر بتمامه ـ.

---

(١) تمام الحديث في الكافي ج١ ص٥٣١ وفيه هنا هكذا: «فقال له اليهودي: يا عمر إن كان هذا كما تقول فما لك ولبيعة الناس؟! وإنما ذاك أعلمكم! فزبره عمر، ثم إن اليهودي قام إلى علي عليه السلام فقال له: أنت كما ذكر عمر؟ فقال: وما قال عمر؟ فأخبره، قال: فإن كنت كما قال سألتك عن أشياء أريد أن أعلم هل يعلمه أحد منكم فأعلم أنكم في دعواكم خير الأمم وأعلمها صادقين ومع ذلك أدخل في دينكم الإسلام، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: نعم أنا كما ذكر لك عمر، سل عما بدا لك أُخبرك به إن شاء الله الحديث.

وعنه، عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن عبد الله بن القاسم، عن حيان، عن داود بن سليمان الكناني، عن أبي الطفيل قال: شهدت جنازة أبي بكر يوم مات وشهدت عمر يوم بويع وعليٌّ جالس ناحية فأقبل يهوديٌّ عليه ثياب حسان وهو من ولد هارون حتّى قام على رأس عمر بن الخطّاب فقال: يا أمير المؤمنين أنت أعلم هذه الأمّة بكتابهم وأمر نبيّهم؟ فطأطأ عمر رأسه، فأعاد عليه القول، فقال له عمر: ولم ذلك؟ فقال له: إنّي جئت مرتاداً لنفسي، شاكّاً في ديني أريد الحجّة وأطلب البرهان، فقال له عمر: دونك هذا الشابّ وأشار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال الغلام: ومن هذا؟ قال عمر: هذا علي بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله وأبو الحسن والحسين ابني رسول الله، وزوج فاطمة بنت رسول الله، وأعلم الناس بالكتاب والسنّة، قال: فقام الغلام إلى عليّ فقال له: أنت كذلك؟ فقال له: نعم، قال الغلام: أُريد أن أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا هاروني ما منعك أن تقول: عن سبع؟ فقال: أُريد أسألك عن ثلاث فإن علمتهنّ سألتك عمّا بعدهنّ وإن لم تعلمهنّ علمت أنّه ليس فيكم عالم قال أمير المؤمنين عليه السلام: فإنّي أسألك بالإله الذي تعبده لئن أجبتك عمّا تسألني لتدعنَّ دينك ولتدخلنَّ في ديني؟ قال: ما جئت إلاّ لذلك، قال: فسل، قال: فأخبرني عن أوّل قطرة قطرت على وجه الأرض أيّ قطرة هي؟ وأوَّل عين فاضت على وجه الأرض أيُّ عين هي؟ وأوَّل شجرة اهتزَّت على وجه الأرض أيّ شجرة هي؟ فقال: يا هاروني أمّا أنتم فتقولون: أوّل قطرة قطرت على وجه الأرض حيث قتل أحد ابني آدم وليس كذلك ولكنّه حيث طمثت حواء وذلك قبل أن تلد ابنيهما، وأمّا أنتم فتقولون: أوَّل عين فاضت على وجه الأرض العين التي ببيت المقدس وليس هو كذلك ولكنّها عين الحياة التي وقف عليها موسى وفتاه ومعهما النون المالح فسقط فيها فحيي وهذا الماء لا يصيب ميّتاً إلاّ حيي وأمّا أنتم فتقولون: أوَّل شجرة اهتزَّت على وجه الأرض التي كانت منها سفينة نوح عليه السلام وليس كذلك ولكنّها النخلة التي أُهبطت من الجنّة وهي العجوة ومنها تفرع كلّ ما ترى من أنواع النخل، فقال: صدقت والله الذي لا إله إلاّ هو، إنّي لأجد هذا في كتب أبي هارون كتابته بيده وإملاء عمّي موسى عليه السلام، ثمّ قال: أخبرني عن الثلاث الأُخر عن أوصياء محمّد كم بعده من أئمّة عدل؟ وأين منزله في الجنّة؟ ومن يكون ساكناً معه في الجنّة في منزله؟

فقال: يا هاروني إنَّ لمحمّد اثني عشر وصيّاً أئمّة عدل لا يضرُّهم خذلان من خذلهم ولا يستوحشون لخلاف من خالفهم وإنّهم أرسب في الدّين من الجبال الرواسي[١] في الأرض ومسكن محمّد ﷺ في جنّة عدن التي ذكرها الله عزّ وجلّ وغرسها بيده ومعه في مسكنه أُولئك الاثنى عشر العدول فقال: صدقت والذي لا إله إلاّ هو إنّي لأجد ذلك في كتب أبي هارون كتابته بيده وإملاء عمّي موسى عليه السلام قال: فأخبرني عن الواحدة: كم يعيش وصيُّ محمّد بعده؟ وهل يموت أو يقتل؟ فقال: يا هاروني يعيش بعده ثلاثين سنة لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً، ثمَّ يضرب ضربة ههنا ووضع يده على قرنه وأومأ إلى لحيته فتخضب هذه من هذا، قال: فصاح الهاروني وقطع كستيجه[٢] وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله وأنّك وصيُّ رسول الله ﷺ ينبغي أن تفوق ولا تفاق وأن تعظّم ولا تستضعف قال: ثمّ مضى به عليٌّ عليه السلام إلى منزله فعلّمه معالم الدين.

وقد روي هذا الخبر عن طريق آخر وقد تركناه خوف الإطالة.

وعن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن الحسين، عن أبي سعيد العصفوريّ عن عمرو بن ثابت، عن أبي حمزة قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: إنَّ الله تعالى خلق محمّداً واثني عشر وصيّاً من نور عظمته وأقامهم أشباحاً في ضياء نوره، يعبدونه ويسبّحونه ويقدّسونه وهم الأئمّة من بعد محمّد ﷺ.

وعنه، عن محمّد بن يحيى، عن عبد الله بن محمّد، عن الخشّاب، عن الحسن بن سماعة، عن عليّ بن الحسين بن رباط، عن ابن أُذينة، عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من آل محمّد اثنا عشر كلّهم محدَّث من ولد رسول الله ﷺ وولد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فرسول الله وعليٌّ هما الوالدان.

وعنه، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، ومحمّد بن أبي

---

(١) «أرسب» أي أثبت. والراسي أيضاً: الثابت.

(٢) الكستيجة ـ بضم الكاف والسين المهملة وتاء مثناة فوقانية وياء تحتانية وجيم بعدها هاء ـ: خيط غليظ يشد فوق الثياب دون الزنار.

عبد الله، ومحمّد بن حمزة[١]، عن سهل بن زياد جميعاً، عن الحسن بن العبّاس بن الحريش[٢]، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عبّاس: إنَّ ليلة القدر في كلّ سنة وإنّه ينزل في تلك اللّيلة أمر السنة ولذلك الأمر ولاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابن عبّاس: من هم؟ قال: أنا وأحد عشر من صلبي أئمّة محدّثون.

وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: آمنوا بليلة القدر أنّها[٣] تكون من بعدي لعليّ بن أبي طالب وولده وهم أحد عشر من بعده عليهم السلام.

الشيخ أبو جعفر بن بابويه[٤] قال: حدَّثنا أحمد بن زياد الهمدانيّ، عن محمّد بن معقل القرميسينيّ، عن محمّد بن عبد الله البصريّ، عن إبراهيم بن مهزم، عن أبيه، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اثنا عشر من أهل بيتي أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي وخلقهم من طينتي فويل للمتكبّرين عليهم بعدي، القاطعين فيهم صلتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي.

وعنه، عن أحمد بن محمّد بن يحيى العطّار، عن أبيه، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن محمّد بن زياد الأزديّ، عن أبان بن عثمان، عن ثابت بن دينار، عن سيّد العابدين عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الأئمّة بعدي اثنا عشر أوّلهم أنت يا عليُّ وآخرهم القائم الذي يفتح الله تعالى على يده مشارق الأرض ومغاربها.

وعنه حدَّثنا عليُّ بن أحمد، حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ، عن موسى بن عمران، عن عمّه الحسين بن يزيد، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه، عن يحيى بن أبي القاسم، عن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن

(١) في الكافي «ومحمد بن الحسن» والمراد به الصفار ولعله هو الصحيح.

(٢) الحريش بالحاء المهملة المفتوحة والراء المكسورة والياء المثناة من تحت الساكنة والشين المعجمة ـ وقيل: هو مصغر على وزن زبير.

(٣) بفتح الهمزة بدل ليلة القدر.

(٤) كل ما نقله المصنف عن الصدوق ـ رحمهما الله ـ فهو من كتاب كمال الدين وتمام النعمة باب ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النص على القائم عليه السلام.

جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأئمّة من بعدي اثنا عشر أوَّلهم عليّ بن أبي طالب وآخرهم القائم هم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله على أُمّتي بعدي، المقِرُّ بهم مؤمن والمنكر لهم كافر.

وعنه قال: حدَّثنا جعفر بن محمّد، عن مسروق قال: حدَّثنا الحسين بن محمّد بن عامر، عن المعلّى بن محمّد البصريّ، عن جعفر بن سليمان، عن هشام بن الحكم، عن أبيه عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثنا عشر أوَّلهم أخي وآخرهم ولدي قيل: يا رسول الله ومن أخوك؟ قال: عليُّ بن أبي طالب، قيل: فمن ولدك؟ قال: المهديّ الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً والذي بعثني بالحقّ بشيراً لو لم يبق من الدُّنيا إلاّ يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ولدي المهديّ فينزل روح الله عيسى ابن مريم فيصلّي خلفه وتشرق الأرض بنور ربّها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب.

والأخبار من هذا الفنّ أكثر ممّا ذكرنا فلنقتصر على ما أوردناه ففيه كفاية ومقنع فيما نحوناه.

وأما الضرب الثاني وهو ما روي من النصوص على أعيان الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام فمن ذلك ما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه قال: حدَّثنا أبي، ومحمّد بن موسى بن المتوكّل، ومحمّد بن عليّ ماجيلويه، وأحمد بن عليّ بن إبراهيم بن ناتانه، وأحمد بن موسى بن زياد الهمدانيّ قالوا: حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن بكر بن صالح، وحدَّثنا أبي، ومحمّد بن الحسن قالا: حدَّثنا سعد بن عبد الله، وعبد الله بن جعفر الحميريّ جميعاً، عن أبي الخير صالح بن أبي حمّاد، والحسن بن ظريف جميعاً، عن بكر بن صالح، عن عبد الرحمن بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاريّ: إنَّ لي إليك حاجةً فمتى يخفُّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ فقال له جابر: في أيّ الأوقات شئت، فخلا به أبي فقال له جابر: أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أُمّي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما أخبرتك به أُمّي أنّ في ذلك اللّوح مكتوباً قال جابر: أشهد بالله أنّي دخلت على أُمّك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله

أُهنّئها بولادة الحسن، فرأيت في يدها لوحاً أخضر ظننت أنّه زمرُّد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه نور الشمس فقلت لها: بأبي أنت وأُمّي يا بنت رسول الله ما هذا اللّوح؟ فقالت: هذا اللّوح أهداه الله عزَّ وجلَّ إلى رسول الله ﷺ فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابنيّ وأسماء الأوصياء من ولدي فأعطانيه أبي ليسرَّني بذلك، قال جابر: فأعطتنيه أُمّك فاطمة فقرأته واستنسخته فقال أبي: فهل لك أن تعرضه عليّ قال: نعم، فمشى معه أبي حتّى انتهى إلى منزل جابر وأخرج إلى أبي صحيفة من رقّ، قال جابر: فأشهد بالله أنّي رأيته هكذا في اللّوح مكتوباً:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز العليم لمحمّد بن عبد الله نوره وسفيره وحجابه ودليله نزل به الرُّوح الأمين من عند ربّ العالمين، عظّم يا محمّد أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي إنّي أنا الله الذي لا إله إلاّ أنا، قاصم الجبّارين ومذلّ الظالمين ومبير المتكبّرين(١) وديّان يوم الدين، إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا، فمن رجا غير فضلي وخاف غير عدلي عذَّبته عذاباً لا أُعذّبه أحداً من العالمين، فإيّاي فاعبد وعليَّ فتوكّل، إنّي لم أبعث نبيّاً فأكملت أيّامه وانقضت مدَّته إلا جعلت له وصيّاً وإنّي فضّلتك على الأنبياء وفضّلت وصيّك على الأوصياء وأكرمتك بشبليك بعده وبسبطيك الحسن والحسين فجعلت حسناً معدن علمي، بعد انقضاء مدَّة أبيه وجعلت حسيناً خازن وحيي وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التّامّة معه، والحجّة البالغة عنده بعترته أُثيب وأُعاقب أوَّلهم سيّد العابدين وزين أوليائي الماضين وابنه شبيه جدّه المحمود محمّد الباقر لعلمي والمعدن لحكمي، سيهلك المرتابون في جعفر، الرادُّ عليه كالرادّ عليّ، حقَّ القول منّي لأُكرمنَّ مثوى جعفر ولأُسرَّنّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه وانتجبت بعده موسى وأُتيحت بعده فتنة عمياء حندس لأنّ خيط فرضي لا ينقطع وحجّتي لا تخفى وإنَّ أوليائي لا يشقون، ألا من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي ومن غيّر آية من كتابي فقد افترى عليّ، وويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدَّة عبدي موسى وحبيبي وخيرتي إنَّ المكذّب بالثامن مكذّب بكلّ أوليائي وعليٌّ وليّي

(١) الإبارة: الإهلاك.

وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوّة وأمتحنه بالاضطلاع بها[١]. يقتله عفريت مستكبر يدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح[٢] إلى جنب شرّ خلقي حقَّ القول مني لأقرَّنّ عينه بمحمّد ابنه وخليفته من بعده فهو وارث علمي ومعدن حكمي وموضع سرّي وحجّتي على خلقي وجعلت الجنّة مثواه وشفّعته في سبعين من أهل بيته قد استوجبوا النار، وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليّي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن العسكريّ ثمَّ أُكمل ذلك بابنه رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيّوب، ستذلُّ أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين، مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم ويفشو الويل والرنين في نسائهم أولئك أوليائي حقّاً بهم أدفع كلّ فتنة عمياء حندس وبهم أكشف الزلازل وأرفع الآصار والأغلال أُولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأُولئك هم المهتدون.

قال عبد الرَّحمن بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك إلاّ هذا الحديث لكفاك فصنه إلاّ عن أهله.

قال: وحدَّثنا أبو محمّد الحسن بن حمزة العلويّ قال: حدَّثنا أبو جعفر محمّد بن الحسن بن درست السرويّ، عن جعفر بن محمّد بن مالك، عن محمّد بن عمران الكوفيّ، عن عبد الرَّحمن بن أبي نجران، عن صفوان بن يحيى، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: يا إسحاق ألا أُبشّرك؟ قلت: بلى جعلني الله فداك يا ابن رسول الله، فقال: وجدنا صحيفة بإملاء رسول الله وخطّ أمير المؤمنين بسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث مثله سواء إلاّ أنّه قال في آخره: ثمَّ قال الصادق: يا إسحاق هذا دين الملائكة والرُّسل فصنه عن غير أهله يصنك الله ويصلح شأنك ثمَّ قال: من دان بهذا أمن عقاب الله عزَّ وجلَّ.

قال: وحدَّثنا عليّ بن الحسين المؤدّب وأحمد بن هارون الفاميّ قالا: حدَّثنا

---

(١) فلان اضطلع على الأمر أي قوي عليه.

(٢) المراد بالعفريت: المأمون، وشر الخلق الهارون وبالعبد الصالح ذو القرنين لأن طوس من بنائه كما صرح به في رواية النعماني.

محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميريّ، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد بن مالك الفزاريّ الكوفي، عن مالك السلوليّ، عن درست، عن عبد الحميد، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن جبلة، عن أبي السفاتج، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال: دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقدّامها لوحٌ يكاد ضوؤه يغشي الأبصار، فيه اثنا عشر اسماً: ثلاثة في ظاهره وثلاثة في باطنه وثلاثة في آخره وثلاثة أسماء في طرفه فعددتها فإذا هي اثنا عشر، فقلت: أسماء من هؤلاء؟ قالت: هذه أسماء الأوصياء أوّلهم ابن عمّي وأحد عشر من ولدي آخرهم القائم، قال جابر: فرأيت فيها محمّداً، محمّداً، محمّداً في ثلاثة مواضع وعليّاً، عليّاً، عليّاً، عليّاً، في أربعة مواضع.

قال: حدّثنا أبو العبّاس محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانيّ قال: حدَّثنا الحسن بن إسماعيل قال: حدّثنا سعيد بن محمّد القطّان قال: حدَّثنا عبد الله بن موسى الروياني، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن عليّ بن الحسن بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: حدَّثني عبد الله بن محمّد بن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه أنّ محمّد بن عليّ عليهما السلام باقر العلم جمع ولده وفيهم عمّهم زيد بن عليّ ثمّ أخرج إليهم كتاباً بخطّ عليّ عليه السلام وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكتوبٌ فيه: هذا كتاب من الله العزيز الحكيم العليم... حديث اللّوح إلى الموضع الذي يقول فيه وأُولئك هم المهتدون، ثمَّ قال في آخره: قال عبد العظيم: العجب كلّ العجب لمحمّد بن جعفر وخروجه عن هذا الحديث إذ سمع من آبائه عليهم السلام يقول هذا ويحكيه قال: هذا سرُّ الله ودين الله فصنه إلاّ عن أهله.

قال: وحدّثنا سعد بن عبد الله، عن عليّ بن عيسى، عن محمّد بن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سليم بن قيس قال: سمعت عبد الله بن جعفر الطيّار يقول: كنّا عند معاوية أنا والحسن والحسين وعبد الله بن عبّاس وعمر بن أبي سلمة وأُسامة بن زيد فذكر حديثاً جرى بينه وبينه وأنّه قال لمعاوية بن أبي سفيان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثمّ أخي علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فأخوه الحسين بن عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا

استشهد فابنه عليُّ بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا علي ثمَّ ابنه محمّد بن عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين ثمّ تكملة اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين، قال عبد الله: ثمَّ استشهدت الحسن والحسين وعبد الله بن عبّاس، ومحمّد بن أبي سلمة وأُسامة بن زيد فشهدوا لي عند معاوية، قال سليم بن قيس الهلالي: وقد كنت سمعت عن سلمان وأبي ذرّ والمقداد وأُسامة بن زيد أنّهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني قال: حدَّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمّد بن أبي عمير، عن غياث بن إبراهيم، عن الصادق، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ، عن أبيه الحسين عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» من العترة؟ قال: أنا والحسن والحسين والأئمّة التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتّى يردوا على رسول الله حوضه.

قال: وحدَّثنا عليُّ بن عبد الله الورَّاق، حدَّثنا سعد بن عبد الله، حدَّثنا القاسم بن أبي مسروق النهديّ، عن الحسين بن علوان، عن عمر بن خالد، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن عبد الله بن عبّاس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون.

قال: وحدَّثنا أحمد بن الحسن القطّان قال: حدَّثنا أحمد بن يحيى بن زكريّا القطّان، حدَّثنا بكر بن صالح، عن عبد الله بن حبيب، حدَّثنا الفضل بن الصقر العبديّ، حدَّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عباية بن ربعي، عن عبد الله بن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا سيّد النبيّين وعليٌّ سيّد الوصيّين وإنَّ أوصيائي من بعدي اثنا عشر وصيّاً أوّلهم عليُّ بن أبي طالب وآخرهم قائمهم عليهم السلام.

قال: وحدَّثنا غير واحد من أصحابنا، حدَّثنا محمّد بن همّام، عن جعفر بن يزيد بن مالك الفزاريّ، عن الحسين بن محمّد بن سماعة، عن أحمد بن الحارث، عن المفضّل بن عمر، عن يونس بن ظبيان، عن جابر بن يزيد الجعفيّ قال: سمعت

جابر بن عبد الله الأنصاريّ يقول: لمّا أنزل الله تعالى على نبيّه ﷺ ﴿**يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأُولي الأمر منكم**﴾ قلت: يا رسول الله قد عرفنا الله ورسوله، فمن أُولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعته؟ فقال: هم خلفائي يا جابر وأئمّة المسلمين بعدي أوّلهم عليُّ بن أبي طالب عليه السلام ثمَّ الحسن ثمَّ الحسين ثم عليُّ بن الحسين ثمَّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام، ثم الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى ثمَّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميّي وذو كنيتي حجّة الله في أرضه وبقيّته في عباده محمّد بن الحسن بن عليّ ذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان، قال جابر: فقلت: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال ﷺ: إي والّذي بعثني بالنبوّة إنّهم ليستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاّها سحاب يا جابر هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علم الله فاكتمه إلاّ عن أهله، إلى آخر الخبر.

قال: وحدَّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل قال: حدثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ حدَّثنا موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن يزيد، عن الحسن بن عليّ بن سالم، عن أبيه، عن أبي حمزة، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله تعالى اطّلع على الأرض اطّلاعة فاختارني منها فجعلني نبيّاً، ثمَّ اطّلع الثانية فاختار منها عليّاً فجعله إماماً، ثمّ أمرني أن أتّخذه أخاً ووصيّاً وخليفة ووزيراً فعليٌّ منّي وأنا من عليّ وهو زوج ابنتي وأبو سبطيّ الحسن والحسين ألا وإنَّ الله تبارك وتعالى جعلني وإيّاهم حججاً على عباده، وجعل من صلب الحسين أئمّة يقومون بأمري ويحفظون وصيّتي، التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهديّ أُمّتي أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، يظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مظلمة(١) فيعلن أمر الله ويظهر دين الله ويؤيّد بنصر الله وينصر بملائكة الله، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

(١) في بعض النسخ [مضلة].

وبهذا الإسناد، عن الحسين بن يزيد، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حدَّثني جبرئيل عن الله تعالى جلَّ جلاله أنّه قال: من علم أنّه لا إله إلاّ الله وحدي وأنَّ محمّداً عبدي ورسولي وأنَّ عليّ بن أبي طالب خليفتي وأنَّ الأئمّة من ولده حججي أدخلته الجنّة برحمتي ونجّيته من النار بعفوي وأبحت له جواري وأوجبت له كرامتي وأتممت عليه نعمتي وجعلته من خاصّتي وخالصتي، إن ناداني أجبته وإن دعاني لبّيته وإن سألني أعطيته وإن سكت ابتدأته وإن أساء رحمته وإن فرّ منّي دعوته وإن رجع إليَّ قبلته وإن قرع بابي فتحت له، ومن لم يشهد أن لا إله إلاّ أنا وحدي أو شهد بذلك ولم يشهد أنَّ محمّداً عبدي ورسولي أو شهد بذلك ولم يشهد أنَّ عليّ بن أبي طالب خليفتي أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ الأئمّة من ولده حججي فقد جحد نعمتي وصغّر عظمتي وكفر بآياتي وكتبي، إن قصدني حجبته وإن سألني حرمته وإن ناداني لم أسمع نداءه وإن دعاني لم أستجب دعاءه وإن رجاني خيّبته وذلك جزاؤه منّي وما أنا بظلام للعبيد، فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله ومن الأئمّة من ولد عليّ بن أبي طالب؟ قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ثمَّ سيّد العابدين في زمانه عليّ بن الحسين، ثمَّ الباقر محمّد بن عليّ وستدركه يا جابر فإذا أدركته فأقرئه منّي السلام، ثمَّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ الكاظم موسى بن جعفر، ثمَّ الرّضا عليّ بن موسى بن جعفر، ثمَّ التقيّ محمّد بن عليّ، ثمَّ النقيّ عليُّ بن محمّد، ثمَّ الزكيّ الحسن بن عليّ، ثم ابنه القائم بالحقّ مهديُّ أُمّتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي من أطاعهم فقد أطاعني ومن عصاهم فقد عصاني ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها.

وحدّثنا عليُّ بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن أبيه، عن جدّه أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه محمّد بن خالد، عن محمّد بن داود، عن محمّد بن الجارود العبدي، عن الأصبغ بن نباتة قال: خرج علينا أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ووضع يده في يد ابنه الحسن عليه السلام وهو يقول: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم ويده في يدي هكذا وهو يقول: خير

الخلق بعدي وسيّدهم أخي هذا وهو إمام كلّ مسلم وأمير كلّ مؤمن بعد وفاتي ألا وإنّي أقول: إنَّ خير الخلق بعدي وسيّدهم ابني هذا إمام كلّ مسلم ووليّ كلّ مؤمن بعد وفاتي ألا وإنّه سيظلم بعدي كما ظلمت بعد رسول الله ﷺ وخير الخلق وسيّدهم بعد الحسن ابني الحسين المظلوم بعد أخيه المقتول بأرض كربلا أما إنّه وأصحابه من سادة الشهداء يوم القيامة ومن بعد الحسين تسعة من صلبه خلفاء الله في أرضه وحججه على عباده وأُمناؤه على خزائنه[1] وهم أئمّة المسلمين وقادة المؤمنين وسادة المتّقين وتاسعهم القائم الذي يملأ الله به الأرض نوراً بعد ظلمتها، وعدلاً بعد جورها، وعلماً بعد جهلها والذي بعث أخي محمّداً بالنبوّة واختصّني بالإمامة لقد نزل بذلك الوحي من السماء على لسان الرّوح الأمين جبرئيل ولقد سئل رسول الله ﷺ وأنا عنده من الأئمّة بعده فقال ﷺ للسائل: والسماء ذات البروج إنّ عددهم كعدد البروج، وربّ اللّيالي والأيّام والشهور إنّ عدَّتهم كعدّة الشهور، قال السائل: فمن هم يا رسول الله؟ فوضع رسول الله ﷺ يده على رأسي فقال: أوَّلهم هذا وآخرهم المهديّ، من والاهم فقد والاني ومن عاداهم فقد عاداني ومن أحبّهم فقد أحبّني ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن أنكرهم فقد أنكرني ومن عرفهم فقد عرفني، بهم يحفظ الله دينه وبهم يعمر بلاده وبهم يرزق عباده وبهم ينزل القطر من السماء وبهم يخرج بركات الأرض، هؤلاء أوصيائي وخلفائي وأئمّة المسلمين وموالي المؤمنين.

قال: وحدَّثنا أبو الحسن أحمد بن ثابت الدواليبيّ بمدينة السلام قال: حدّثنا محمّد بن عليّ بن عبد الصمد الكوفيّ، عن عليّ بن عاصم، عن محمّد بن عليّ بن موسى، عن أبيه عليّ بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر بن محمّد، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ عليهما السلام قال: دخلت على رسول الله ﷺ وعنده أُبيّ بن كعب فقال لي رسول الله ﷺ: مرحباً يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرض، قال له أُبيّ: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرض أحدٌ غيرك؟ فقال: والذي

(١) في بعض النسخ [على وحيه].

بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ الحسين بن عليّ في السماء أكبر منه في الأرض وإنّه لمكتوب على يمين عرش الله مصباح هاد وسفينة نجاة وإمام غير وهن وعزّ وفخر وعلم وذخر وإنَّ الله عزَّ وجلَّ ركب في صلبه نطفة طيّبة مباركة زكيّة خلقت من قبل أن يكون مخلوق في الأرحام أو يجري ماء في الأصلاب أو يكون ليلٌ أو نهارٌ ولقد لقّن دعوات ما يدعو بهنَّ مخلوقٌ إلاّ حشره الله عزَّ وجلَّ معه وكان شفيعه في آخرته وفرَّج الله عنه كربه وقضى بها دينه ويسّر أمره وأوضح سبيله وقوّاه على عدوّه ولم يهتك ستره، فقال له أُبي: وما هذه الدعوات يا رسول الله؟ قال: تقول إذا فرغت من صلواتك وأنت قاعدٌ: «اللّهم إنّي أسألك بكلماتك ومعاقد عزّك وسكّان سماواتك وأنبيائك ورسلك أن تستجيب لي فقد رهقني من أمري عسراً فأسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تجعل لي فرجاً ومخرجاً[(١)]» فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يسهّل أمرك ويشرح صدرك ويلقّنك شهادة أن لا إله إلاّ الله عند خروج نفسك.

قال له أُبيّ: يا رسول الله فما هذه النطفة التي في صلب الحسين عليه السلام؟ قال: مثل هذه النطفة كمثل القمر وهي نطفة تبيين وبيان يكون من اتّبعه رشيداً ومن ضلَّ عنه غويّاً، قال: فما اسمه وما دعاؤه؟ قال: اسمه عليٌّ ودعاؤه «يا دائم يا ديموم يا حيُّ يا قيّوم يا كاشف الغمّ ويا فارج الهمّ ويا باعث الرُّسل ويا صادق الوعد» من دعا بهذا الدُّعاء حشره الله مع عليّ بن الحسين وكان قائده إلى الجنّة، قال له أُبيّ: يا رسول الله فهل له من خلف ووصيّ؟ قال: نعم له مواريث السماوات والأرض، قال: وما معنى مواريث السماوات والأرض؟ قال: القضاء بالحقّ والحكم بالدّيانة وتأويل الأحكام وبيان ما يكون، قال: فما اسمه؟ قال: محمّد وإنّ الملائكة لتستأنس به في السماوات ويقول في دعائه: «اللّهمَّ إن كان لي عندك رضوان وودٌّ فاغفر لي ولمن تبعني من إخواني وشيعتي وطيّب ما في صلبي» فركّب الله عزَّ وجلَّ في صلبه نطفة مباركة زكيّة وأخبرني أن الله تعالى طيّب هذه النطفة وسمّاها عنده جعفراً وجعله هادياً مهديّاً وراضياً مرضيّاً يدعو ربّه فيقول في دعائه: «يا دان[(٢)] غير متوانٍ يا أرحم الرّاحمين اجعل لشيعتي من النار وقاءً ولهم عندك رضاً واغفر ذنوبهم واستر عيوبهم ويسّر

---

(١) في بعض النسخ [أن تجعل لي من عسري يسراً].

(٢) في بعض النسخ [يا ديان].

أُمورهم واستر عوراتهم واقض ديونهم وهب لهم الكبائر التي بينك وبينهم، يا من لا يخاف الضيم ولا تأخذه سنة ولا نوم اجعل لي من كلّ غمّ فرجاً» من دعا بهذا الدّعاء حشره الله أبيض الوجه مع جعفر بن محمّد إلى الجنّة، يا أُبيّ إنَّ الله ركّب على هذه النطفة نطفة زكيّة مباركة طيّبة، أنزل عليها الرحمة وسمّاها عنده موسى، فقال له أُبيّ: يا رسول الله كأنّهم يتواصفون ويتناسلون ويتوارثون ويصف بعضهم بعضاً قال: وصفهم لي جبرئيل عن ربّ العالمين جلّ جلاله قال: فهل لموسى من دعوة يدعو بها سوى دعاء آبائه؟ قال: نعم يقول في دعائه: «يا خالق الخلق ويا باسط الرزق ويا فالق الحبّ والنوى ويا بارىء النسم ومحيي الموتى ومميت الأحياء ويا دائم الثبات ومخرج النبات افعل بي ما أنت أهله» من دعا بهذا الدُّعاء قضى الله حوائجه وحشره يوم القيامة مع موسى بن جعفر، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ ركّب في صلبه نطفة مباركة زكيّة مرضيّة وسمّاها عنده عليّاً وكان لله في خلقه رضيّاً في علمه وحكمه وجعله حجّة على خلقه إلى يوم القيامة وله دعاء يدعو به فيقول: «اللّهم أعطني الهدى وثبّتني عليه واحشرني مع الذين لا خوف عليهم ولا حزن ولا جزع إنّك أهل التقوى وأهل المغفرة» وإنَّ الله عزَّ وجلَّ ركّب في صلبه نطفة مباركة طيّبة زكيّة مرضيّة وسمّاها محمّد بن عليّ فهو شفيع شيعته ووارث علم جدّه له علامة بيّنة وحجّة ظاهرة إذا ولد يقول: لا إله إلاّ الله ويقول في دعائه: «يا من لا شبيه له ولا مثال أنت الله لا إله إلاّ أنت ولا خالق إلاّ أنت، تفني المخلوقين وتبقى أنت، حلمت عمّن عصاك وفي المغفرة رضاك» من دعا بهذا الدُّعاء كان محمّد بن عليّ شفيعه يوم القيامة، وإنّ الله تبارك وتعالى ركّب في صلبه نطفة لا باغية ولا طاغية بارّة مباركة طيّبة طاهرة سمّاها عنده عليّ بن محمّد فألبسها السكينة والوقار وأودعها العلوم وكلَّ سرّ مكتوم من لقيه وفي صدره شيء أنبأه به وحذّره من عدوه ويقول في دعائه: «يا نور يا برهان يا مبين يا منير يا ربّ اكفني شرَّ الشرور وآفات الدهور وأسألك النجاة يوم ينفخ في الصور» فمن دعا بهذا الدعاء كان عليُّ بن محمّد شفيعه وقائده إلى الجنّة، وإنَّ الله تعالى ركّب في صلبه نطفة وسمّاها عنده الحسن فجعله نوراً في بلاده وخليفة في أرضه وعزّاً لأُمّته وهادياً لشيعته وشفيعاً لهم عند ربّهم ونقمة على من خالفه وحجّة لمن والاه وبرهاناً لمن اتّخذه إماماً يقول في دعائه: «يا عزيز العزّ في عزّه يا عزيزاً أعزّني بعزّتك وأيّدني بنصرك وأبعد عنّي همزات الشيطان وادفع عنّي بدفعك وامنع

عنّي بصنعك[١] واجعلني من خيار خلقك يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد» من دعا بهذا الدُّعاء حشره الله عزَّ وجلَّ معه وله نجاة من النار ولو وجبت عليه، وإنَّ الله تعالى ركّب في صلبه نطفة زكيّة طيّبة طاهرة مطهّرة يرضى بها كلُّ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ممّن قد أخذ الله ميثاقه في الولاية ويكفر بها كلّ جاحد، فهو إمام تقيٌّ نقيٌّ سارّ مرضيٌّ هاد مهديّ، يحكم بالعدل ويأمر به ويصدق الله ويصدقه الله في قوله، يخرج من تهامة حتّى يظهر الدّلائل والعلامات وله بالطالقان كنوز لا ذهب ولا فضّة إلاّ خيول مطهّمة ورجال مسوَّمة[٢]، يجمع الله له من أقاصي البلاد على عدد أهل البدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً معه صحيفة مختومة فيها عدد أصحابه بأسمائهم وأنسابهم وبلدانهم وطبائعهم وكلامهم وكناهم، كرّارون مجدُّون في طاعته، فقال له أُبيّ: وما دلائله وعلاماته يا رسول الله؟ قال: له علم إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم من نفسه وأنطقه الله فناداه العلم: أُخرج يا وليّ الله واقتل أعداء الله وله رايتان وعلامتان وله سيف مغمد فإذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من غمده وأنطقه الله عزَّ وجلَّ فناداه السيف: أُخرج يا وليَّ الله وأمرني بأمرك يا حجّة الله فلا يحلّ لك أن تقعد عن أعداء الله، فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم ويقيم حدود الله ويحكم بحكم الله ويكون جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وشعيب وصالح على مقدّمته وسوف تذكرون ما أقول لكم وأُفوّض أمري إلى الله ولو بعد حين، يا أُبيّ طوبى لمن لقيه وطوبى لمن أحبّه وطوبى لمن قال به.

ينجيهم الله من الهلكة بالإقرار به وبرسول الله وبجميع الأئمّة يفتح لهم الجنّة مثلهم في الأرض كمثل المسك الذي تسطع ريحه فلا يتغيّر أبداً ومثلهم في السماء كمثل القمر المنير الّذي لا يطفأ أبداً نوره، قال أُبيُّ: يا رسول الله كيف حال هؤلاء الأئمّة من الله عزَّ وجلَّ؟ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل عليَّ اثنتي عشرة صحيفة باثني عشر خاتماً اسم كلّ إمام على خاتمه وصفته في صحيفته.

قال: وحدَّثنا محمّد بن عليّ ماجيلويه قال: حدَّثنا عمّي محمّد بن أبي القاسم،

---

(١) في بعض النسخ [بمنعك].

(٢) المطهم: ـ كمنظم ـ: السمين، والنحيف الجسم، والتام البارع الجمال من كل شيء ومنه «جواد مطهم» أي تام الحسن. و«رجال مسومة» أي ذوو علامات.

عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن محمّد بن عليّ القرشيّ، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، عن أبي حمزة الثماليّ، عن محمّد بن عليّ الباقر، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ عليهم السلام قال: دخلت أنا وأخي على جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجلسني على فخذه وأجلس أخي الحسن بن عليّ على فخذه الآخر ثمّ قبّلنا وقال: بأبي أنتما من إمامين صالحين اختاركما الله منّي ومن أبيكما وأُمّكما واختار من صلبك يا حسين تسعة أئمّة تاسعهم قائمهم وكلّكم في الفضل والمنزلة عند الله سواء.

قال: وحدَّثنا أبي، ومحمّد بن الحسن قالا: حدَّثنا سعد بن عبد الله، وعبد الله بن جعفر الحميريّ، ومحمّد بن يحيى العطّار، وأحمد بن إدريس جميعاً قالوا: حدَّثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي قال: حدَّثنا أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الثاني، قال: أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم ومعه الحسن بن عليّ وسلمان الفارسيّ وأمير المؤمنين عليه السلام متّكىءٌ على يد سلمان فدخل المسجد الحرام فجلس إذ أقبل رجلٌ حسن الهيئة واللّباس فسلّم على أمير المؤمنين فردَّ عليه السلام فجلس، ثمَّ قال: يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهنَّ علمت أنَّ القوم ركبوا من أمرك ما قضى عليهم أنّهم ليسوا بمأمونين في دنياهم ولا في آخرتهم وإن تكن الأُخرى علمت أنّك وهم شرع سواء فقال له أمير المؤمنين: سلني عمّا بدا لك، فقال: أسألك عن الرّجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرَّجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرَّجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟ فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن فقال: يا أبا محمّد أجبه.

فقال: أمّا ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه فإنَّ روحه متعلّقة بالريح والريح متعلّقة بالهواء إلى وقت ما يتحرَّك صاحبها لليقظة فإن أذن الله عزَّ وجلَّ بردّ تلك الرّوح على صاحبها جذبت تلك الرُّوح الرّيح وجذبت تلك الرّيح الهواء فرجعت الروح فأسكنت في بدن صاحبها، وإن لم يأذن الله عزَّ وجلَّ بردّ تلك الروح على صاحبها جذب الهواء الريح وجذبت الريح الروح فلم تردَّ على صاحبها إلى وقت ما يبعث.

وأما ما ذكرت من الذكر والنسيان فإنَّ قلب الرَّجل في حقّ وعلى الحقّ طبق فإن

صلّى عند ذلك على محمّد وآل محمّد صلاة تامّة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحقّ فأضاء القلب وذكر الرّجل ما كان نسي وإن لم يصلّ على محمّد وآل محمّد أو نقص من الصلاة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحقّ وأظلم القلب ونسي الرَّجل.

وأما ما ذكرت من أمر المولود الّذي يشبه أعمامه وأخواله فإنّ الرَّجل إذا أتى أهله فجامعها بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن غير مضطرب فأُسكنت بذلك تلك النطفة في جوف الرَّحم[١] خرج الولد يشبه أباه وأُمّه وإذا أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادئة وبدن مضطرب اضطربت تلك النطفة فوقعت في حال اضطرابها على بعض العروق فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه الولد أخواله.

فقال الرَّجل أشهد أن لا إله إلاّ الله ولم أزل أشهد بها وأشهد أنَّ محمّداً رسول الله ولم أزل أشهد بذلك وأشهد أنّك وصيُّ رسول الله والقائم بحجّته وأشار إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم أزل أشهد بذلك. وأشهد أنّك وصيّه والقائم بحجّته وأشار إلى الحسن بن عليّ، وأشهد أنَّ الحسين بن عليّ أخيك وصيُّ أبيك والقائم بحجّته بعدك، وأشهد على عليّ بن الحسين أنّه القائم بأمر الحسين من بعده وأشهد على محمّد بن عليّ أنّه القائم بأمر عليّ بن الحسين وأشهد على جعفر بن محمّد أنّه القائم بأمر محمّد بن عليّ، وأشهد على موسى بن جعفر أنّه القائم بأمر جعفر بن محمّد، وأشهد على عليّ بن موسى أنّه القائم بأمر موسى بن جعفر، وأشهد على محمّد بن عليّ أنّه القائم بأمر عليّ بن موسى، وأشهد على عليّ بن محمّد أنّه القائم بأمر محمّد بن عليّ، وأشهد على الحسن بن عليّ أنّه القائم بأمر عليّ بن محمّد، وأشهد على رجل من ولد الحسن بن عليّ لا يكنّى ولا يسمّى حتّى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً أنّه القائم بأمر الحسن بن عليّ والسلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

ثم قام ومضى فقال أمير المؤمنين: يا أبا محمّد اتبعه فانظر أين يقصد؟ فخرج الحسن بن عليّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ على إثره قال: فما كان إلاّ أن وضع رجله خارج المسجد فما رأيت أين أخذ من أرض الله فرجعت إلى أمير المؤمنين فأعلمته فقال: يا أبا محمّد

(١) في كمال الدين «وانسكبت تلك النطفة فوقعت في جوف الرحم».

أتعرفه؟ فقلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم، فقال: هو الخضر عليه السلام.

قال: وحدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمدانيّ قال: حدَّثنا عليُّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن عبد السلام بن صالح الهرويّ قال: أخبرنا وكيع، عن الربيع بن سعد، عن عبد الرحمن بن سليط، قال: قال الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام: منّا اثنا عشر مهديّاً أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وآخرهم التاسع من ولدي وهو القائم بالحقّ يحيي الله به الأرض بعد موتها ويظهر به الدّين يحقُّ الحقَّ ولو كره المشركون، له غيبة يرتدُّ فيها قوم ويثبت على الدين فيها آخرون فيؤذون، ويقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، أما إنَّ الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: وحدّثنا عليّ بن عبد الله الورَّاق قال: حدَّثنا محمّد بن هارون الصوفيّ، عن عبد الله بن موسى، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ قال: حدّثنا صفوان بن يحيى، عن إبراهيم بن أبي زياد، عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي خالد الكابليّ قال: دخلت على سيّدي عليّ بن الحسين زين العابدين فقلت له: يا ابن رسول الله أخبرني بالّذين فرض الله طاعتهم ومودَّتهم وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: يا كنكر[1] إنَّ أُولي الأمر الذين جعلهم الله أئمّة للنّاس وأوجب عليهم طاعتهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ثمَّ الحسن ثمَّ الحسين ابنا عليّ بن أبي طالب ثمّ انتهى الأمر إلينا، ثمّ سكت، فقلت له: يا سيّدي روي لنا عن أمير المؤمنين أنَّ الأرض لا تخلو من حجّة لله على عباده، فمن الحجّة والإمام بعدك؟ فقال ابني محمّد واسمه في التوراة باقر، يبقر العلم بقراً هو الحجّة والإمام بعدي، ومن بعد محمّد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق، فقلت: يا سيّدي فكيف صار اسمه الصادق وكلّكم صادقون؟ فقال: حدّثني أبي، عن أبيه عليهما السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب فسمّوه الصادق لأنّ الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدَّعي الإمامة افتراء على الله وكذباً عليه فسمّوه جعفر الكذّاب المفتري على الله والمدَّعي بما ليس

(١) اسم أبي خالد الكابلي.

له بأهل، المخالف على أبيه والحاسد على أخيه ذلك اليوم الذي يروم كشف سرّ الله عند غيبة وليّه.

ثمّ بكى عليُّ بن الحسين عليه السلام بكاء شديداً، ثمّ قال: كأنّي بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله والمغيب في حفظ الله والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته وحرصاً على قتله إن ظفر به طمعاً في ميراث أبيه حتّى يأخذه بغير حقّه.

قال أبو خالد: فقلت له: يا ابن رسول الله وإنَّ ذلك لكائنٌ؟ فقال: إي وربّي إنَّ ذلك لمكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن الّتي تجري علينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فقلت له: يا ابن رسول الله ثمَّ يكون ماذا؟ قال: ثمَّ تمتدُّ الغيبة بوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام بعده، يا أبا خالد إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كلّ زمان لأنَّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة فصارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف، أولئك المخلصون حقّاً، وشيعتنا صدقاً، والدُّعاة إلى الله سرًّا وجهراً.

قال: وحدَّثنا محمّد بن عليّ ماجيلويه، ومحمّد بن موسى بن المتوكّل قالا: حدَّثنا محمّد بن يحيى العطّار، ومحمّد بن الحسن الصفّار، عن عبد الله بن الصلت القمّيّ، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران قال: كنت أنا وأبو بصير ومحمّد بن عمران مولى أبي جعفر في منزل بمكّة فقال محمّد بن عمران: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن اثنا عشر محدَّثاً، فقال له أبو بصير: تالله لقد سمعت ذلك من أبي عبد الله عليه السلام؟ فحلف مرَّة أو مرَّتين أنّه سمعه منه، فقال أبو بصير: لكنّي سمعته من أبي جعفر عليه السلام.

قال: وحدَّثنا الحسن بن أحمد بن إدريس قال: حدَّثنا أبي، عن محمّد بن الحسين بن زيد الزّيّات، عن الحسن بن موسى الخشّاب، عن عليّ بن سماعة، عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن رباط، عن أبيه، عن المفضّل بن عمر قال: قال الصادق عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا فقيل له: يا ابن رسول الله، ومن الأربعة عشر؟ فقال:

محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ولد الحسين، آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته ويطهّر الأرض من كلّ جور وظلم.

قال: وحدَّثنا عبد الواحد بن محمّد بن عبدوس العطّار قال: حدَّثنا عليُّ بن محمّد قال: حدَّثنا أحمد بن سليمان، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن حيّان السرَّاج، عن السيّد بن محمّد الحميريّ في حديث طويل يقول فيه: قلت للصادق: يا ابن رسول الله روي لنا أخبار عن آبائك في الغيبة وصحّة كونها فأخبرني بمن تقع؟ فقال: إنَّ الغيبة ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمّة الهداة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم القائم بالحقّ بقيّة الله في الأرض وصاحب الزمان، ولو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدُّنيا حتّى يظهر فيخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وقد تقدّم ذكر هذا الحديث في أخبار الصادق عليه السلام وكرّرته ههنا للحاجة إليه وأمثال هذه الأخبار كثيرة لا يحتمل هذا الكتاب أكثر ممّا ذكرناه وقد ذكر كثيراً منها الشيخ أبو جعفر بن بابويه في كتاب كمال الدّين وتمام النعمة في إثبات الغيبة وكشف الحيرة فمن أراد الزيادة فليطلب من هناك، وقد صنّف الشيخ المفيد أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان في ذلك كتاباً مفرداً ذكر فيه الأخبار الواردة في هذا المعنى بأسانيدها على التفصيل.

الفصل الثالث

من القسم الأول

في ذكر جمل من الدلائل على إمامة أئمّتنا عليهم السلام سوى ما ذكرنا فيما تقدّم من الكتاب.

أحد الدلائل على إمامتهم ما ظهر منهم من العلوم التي تفرّقت في فرق العالم فحصل في كلّ فرقة منهم فنٌّ منها فاجتمعت فنونها وسائر أنواعها في آل محمّد، ألا ترى إلى ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في أبواب التوحيد والكلام الباهر المفيد

من الخطب وعلوم الدّين وأحكام الشريعة وتفسير القرآن وغير ذلك ما زاد على كلام جميع الخطباء والعلماء والفصحاء حتّى أخذ عنه المتكلّمون والفقهاء والمفسّرون ونقل عنه أهل العربيّة أصول الإعراب ومعاني اللّغات وقال في الطبّ ما استفادت منه الأطبّاء وفي الحكمة والوصايا والآداب ما أربى على كلام جميع الحكماء وفي النجوم وعلم الآثار ما استفاده من جهته جميع أهل الملك والآراء، ثمّ قد نقلت الطوائف عمّن ذكرناه من عترته وأبنائه عليهم السلام مثل ذلك من العلوم في جميع الأنحاء ولم يختلف في فضلهم وعلوّ درجتهم في ذلك من أهل العلم اثنان، فقد ظهر عن الباقر والصادق عليهما السلام لمّا تمكّنا من الإظهار وزالت عنهما التقيّة الّتي كانت على سيّد العابدين من الفتاوي في الحلال والحرام والمسائل والأحكام، وروى الناس عنهما من علوم الكلام وتفسير القرآن وقصص الأنبياء والمغازي والسير وأخبار العرب وملوك الأمم ما سمّي أبو جعفر لأجله باقر العلم، وروى عن الصادق في أبوابه من مشهوري أهل العلم أربعة آلاف إنسان، وصنّف من جواباته في المسائل أربع مائة كتاب هي معروفة بكتب الأصول رواها أصحابه وأصحاب أبيه من قبله وأصحاب ابنه أبي الحسن موسى عليه السلام، ولم يبق فنٌّ من فنون العلم إلاّ روي عنه فيه أبواب وكذلك كانت حال ابنه موسى من بعده في إظهار العلوم إلى أن حبسه الرّشيد ومنعه من ذلك وقد انتشر أيضاً عن الرّضا وابنه أبي جعفر عليهما السلام من ذلك ما شهرة جملته تغني عن التفصيل، وكذلك كانت سبيل أبي الحسن وأبي محمّد العسكريّين عليهما السلام وإنّما كانت الرّواية عنهما أقلّ لأنّهما كانا محبوسين في عسكر السلطان ممنوعين من الانبساط والمعاشرة[1] وأن يلقاهما كلُّ أحد من الناس، وإذا ثبت بما ذكرناه بينونة أئمّتنا عليهم السلام بما وصفناه عن جميع الأنام ولم يمكن لأحد أن يدّعي أنّهم أخذوا العلم عن رجال العامّة أو تلقّوه من رواتهم وفقهائهم لأنّهم لم يروا قط مختلفين إلى أحد من العلماء في تعلّم شيء من العلوم ولأنّ ما أُثر عنهم أكثره لم يعرف إلاّ منهم ولا يظهر إلاّ عنهم فعلمنا أنّ هذه العلوم بأسرها قد انتشرت عنهم مع غناهم عن سائر الناس وتيقّنّا زيادتهم في ذلك على كافّتهم ونقصان جميع العلماء عن رتبتهم ثبت أنّهم أخذوها عن النبيّ صلى الله عليه وآله خاصّة وأنّه قد أفردهم بها ليدلّ على

(١) في بعض النسخ [من الانبساط في الفتيا].

إمامتهم بافتقار الناس إليهم فيما يحتاجون إليه وغناهم عنهم وليكونوا مفزعاً لأُمّته في الدين وملجأً لهم في الأحكام وجروا في هذا التخصيص مجرى النبيّ في تخصيص الله تعالى بإعلامه أحوال الأُمم السالفة وإفهامه ما في الكتب المقدّمة من غير أن يقرأ كتاباً أو يلقى أحداً من أهله.

هذا وقد ثبت في العقول أنَّ الأعلم الأفضل أولى بالإمامة من المفضول وقد بيّن الله سبحانه ذلك بقوله: **﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقُّ أن يتّبع أم من لا يهدّي إلاّ أن يهدى﴾**[1]، وقوله: **﴿هل يستوي الّذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾**[2] ودلّ بقوله سبحانه في قصّة طالوت: **﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾**[3] أنَّ التقدُّم في العلم والشجاعة موجب للتقدّم في الرّئاسة، وإذا كانت أئمّتنا** عليهم السلام أعلم الأُمّة بما ذكرناه فقد ثبت أنّهم أئمّة الإسلام الذين استحقّوا الرئاسة على الأنام على ما قلناه.

دلالة أُخرى وممّا يدلُّ على إمامتهم أيضاً إجماع الأُمّة على طهارتهم وظاهر عدالتهم وعدم التعلّق عليهم أو على أحد منهم بشيء يشينه في ديانته مع اجتهاد أعدائهم وملوك أزمنتهم في الغضّ[4] منهم والوضع من أقدارهم والتطلّب لعثراتهم حتّى أنّهم كانوا يقرّبون من يظهر عداوتهم ويقصون بل يجفون وينفون ويقتلون من يتحقّق بولايتهم وهذا أمر ظاهر عند من سمع بأخبار الناس، فلولا أنهم عليهم السلام كانوا على صفات الكمال من العصمة والتأييد من الله تعالى بمكان فإنّه سبحانه منع بلطفه كلَّ أحد من أن يتخرَّص عليهم باطلاً أو يتقوَّل فيهم زوراً لما سلموا عليهم السلام من ذلك على الحدّ الذي شرحناه لا سيّما وقد ثبت أنّهم لم يكونوا ممّن لا يؤبه بهم وممّن لا يدعو الدّاعي إلى البحث عن أخبارهم لخمولهم وانقطاع آثارهم، بل كانوا على أعلى مرتبة من تعظيم الخلق إيّاهم وفي الدّرجة الرّفيعة التي يحسدهم عليها الملوك ويتمنّونها لأنفسهم لأنّ شيعتهم مع كثرتها في الخلق وغلبتها على أكثر البلاد اعتقدت فيهم الإمامة التي تشارك النبوّة وادّعت عليهم الآيات والمعجزات والعصمة عن

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) البقرة: ٢٤٩.

(٤) غض من فلان. وضع من قدره.

الزّلاّت حتّى أنَّ الغلاة قد اعتقدت فيهم النبوَّة والإلهيّة وكان أحد أسباب اعتقادهم ذلك فيهم حسن آثارهم وعلوّ أحوالهم وكمالهم في صفاتهم، وقد جرت العادة فيمن حصل له جزء من هذه النباهة أن لا يسلم من ألسنة أعدائه ونسبتهم إيّاه إلى بعض العيوب القادحة في الدّيانة والأخلاق فإذا ثبت أنَّ أئمّتنا نزّههم الله عن ذلك ثبت أنّه سبحانه هو المتولّي لجميع الخلائق على ذلك بلطفه وجميل صنعه ليدلّ على أنّهم حججه على عباده والسفراء بينه وبين خلقه والأركان لدينه والحفظة لشرعه وهذا واضح لمن تأمّله.

دلالة أُخرى وممّا يدلُّ أيضاً على إمامتهم عليهم السلام ما حصل من الاتفاق على برّهم وعدالتهم وعلوّ قدرهم وطهارتهم، وقد ثبت بلا شكّ معرفتهم عليهم السلام بكثير ممّن يعتقد إمامتهم في أيّامهم ويدين الله تعالى بعصمتهم والنصّ عليهم، ويشهد بالمعجز لهم ووضح أيضاً اختصاص هؤلاء بهم وملازمتهم إيّاهم ونقلهم الأحكام والعلوم عنهم وحملهم الزكوات والأخماس إليهم ومن أنكر هذا أو دفع كان مكابراً دافعاً للعيان، بعيداً عن معرفة أخبارهم، وقد علم كلُّ محصّل نظر في الأخبار أنَّ هشام بن الحكم وأبا بصير وزرارة بن أعين وحمران وبكير ابني أعين، ومحمّد بن النعمان الذي يلقّبه العامّة شيطان الطاق وبريد بن معاوية العجليّ وأبان بن تغلب ومحمّد بن مسلم الثقفيّ ومعاوية بن عمّار الدُّهنيّ وغير هؤلاء ممّن بلغوا الجمع الكثير والجمّ الغفير من أهل العراق والحجاز وخراسان وفارس كانوا في وقت الإمام جعفر بن محمّد عليهما السلام رؤساء الشيعة في الفقه ورواية الحديث والكلام وقد صنّفوا الكتب وجمعوا المسائل والروايات وأضافوا أكثر ما اعتمدوه من الرّواية إليه وإلى أبيه محمّد عليهما السلام وكان لكلّ إنسان منهم أتباع وتلامذة في المعنى الذي يتفرَّد به وإنّهم كانوا يرحلون من العراق إلى الحجاز في كلّ عام أو أكثر أو أقلّ ثمّ يرجعون ويحكون عنه الأقوال ويسندون إليه الدلالات، وكانت حالهم في وقت الكاظم والرّضا عليهما السلام على هذه الصفة وكذلك إلى وفاة أبي محمّد العسكريّ عليه السلام وحصل العلم باختصاص هؤلاء بأئمّتنا عليهم السلام كما نعلم اختصاص أبي يوسف ومحمّد بن الحسن بأبي حنيفة وكما نعلم اختصاص المزني والربيع بالشافعي واختصاص النظّام بأبي الهذيل والجاحظ والأسواريّ بالنظّام، ولا فرق بين من دفع الإماميّة عمّن ذكرناه ومن دفع من سمّيناه عمّن وصفناه في الجهل بالأخبار والعناد والإنكار، وإذا كان الأمر

على ما ذكرناه لم تخل الإماميّة في شهادتها بإمامة هؤلاء عليهم السلام من أحد أمرين إمّا أن تكون محقّة في ذلك صادقة أو مبطلة في شهادتها كاذبة فإن كانت محقّة صادقة في نقل النصّ عنهم على خلفائهم مصيبة فيما اعتقدته فيهم من العصمة والكمال فقد ثبتت إمامتهم على ما قلناه وإن كانت كاذبة في شهادتها مبطلة في عقيدتها فلن يكون كذلك إلاّ ومن سمّيناهم من أئمّة الهدى ضالّون برضاهم بذلك، فاسقون بترك النكير عليهم، مستحقّون البراءة من حيث تولّوا الكذابين، مضلّون للأُمّة لتقريبهم إيّاهم واختصاصهم بهم من بين الفرق كلّها، ظالمون في أخذ الزّكوات والأخماس منهم وهذا ما لا يطلقه مسلم فيمن نقول بإمامته وإذا كان الإجماع المقدَّم ذكره حاصلاً على طهارتهم وعدالتهم ووجوب ولايتهم ثبتت إمامتهم بتصديقهم لمن أثبت ذلك وبما ذكرناه من اختصاصهم بهم وهذا واضح والمنّة لله.

دلالة أُخرى وممّا يدلّ أيضاً على إمامتهم عليهم السلام أنّهم أفضل الخلق بعد النبيّ ما نجده من تسخير الله الوليّ لهم في التعظيم لمنزلتهم والعدوّ لهم في الإجلال لمرتبتهم وإلهامه سبحانه جميع القلوب إعلاء شأنهم ورفع مكانهم على تباين مذاهبهم وآرائهم واختلاف نحلهم وأهوائهم فقد علم كلُّ من سمع الأخبار وتتبّع الآثار أنَّ جميع المتقلّبين عليهم المظهرين لاستحقاق الأمر دونهم لم يعدلوا قطّ عن تبجيلهم وإجلال قدرهم ولا أنكروا فضلهم وإن كان بعض أعدائهم قد بارز بينهم بالعداوة لدواع دعتهم إلى ذلك، ألا ترى أنَّ المتقدّمين على أمير المؤمنين قد أظهروا تقديمه وتعظيم ولديه الحسن والحسين في زمان إمامته ثمَّ على الأُمّة وكذلك الناكثين لبيعته لم يتمكّنوا مع ذلك من إنكار فضله ولا امتنعوا من الشهادة له بفضله ولا فسّقوه في فعله وكذلك معاوية وإن كان قد أظهر عداوته وبنى أكثر أُموره على العناد لم ينكر جميع حقوقه ولا دفع عظيم منزلته في الدّين بل قفى أثر طلحة والزبير في التعلّل بطلب دم عثمان، وكان يظهر القناعة منه بأن يقرّه على ولايته الّتي ولاّها إيّاه من كان قبله فيكفّ عن خلافه ويصير إلى طاعته ولم يمكنه الدَّفع لكونه الأفضل في الإسلام والشرف والوصلة بالنبيّ والعلم والزهد ولا الإنكار لشيء من ذلك ولا الإدّعاء لنفسه مساواته فيه أو مقارنته ومداناته، وقد كان يحضره الجماعة كالحسن بن عليّ وابن عبّاس وسعد بن مالك فيحتجّون عليه بفضل أمير المؤمنين عليه السلام على جميع الصحابة فلا يقدم على الإنكار عليهم مع إظهاره البراءة منه والخلاف عليه وكان تقدم

عليه وفود أهل العراق من شيعة أمير المؤمنين فيجرعونه السمَّ الذعاف من مدح إمام الهدى وذمّه في أثناء ذلك فلا يكذّبهم ولا يناقض احتجاجاتهم، وكان من أمر الوافدات عليه في هذا المعنى ما هو مشهور مدوّن في كتب الآثار مسطورٌ، ثمَّ قد كان من أمر ابنه يزيد مع الحسين بن عليّ عليهما السلام على ما كان من القتل والسبي والتنكيل ومع ذلك فلم يحفظ عنه ذمّه بما يوجب إخراجه عن موجب التعظيم بل قد أظهر الندم على ذلك ولم يزل يعظّم سيّد العابدين عليه السلام بعده ويوصي به حتّى أنّه آمنه من بين أهل المدينة كلّهم في وقعة الحرَّة وأمر مسلم بن عقبة بإكرامه ورفع محلّه وأمانه مع أهل بيته ومواليه ومثل ذلك كانت حال من بعده من بني مروان أيضاً مع عليّ بن الحسين عليهما السلام حتّى أنّه كان أجلَّ أهل الزمان عندهم وكذلك كانت حال الباقر عليه السلام مع بقيّة بني مروان ومع أبي العبّاس السفّاح، وحال الصادق عليه السلام مع أبي جعفر المنصور، وحال أبي الحسن موسى عليه السلام مع الهادي والرشيد حتّى أنَّ هارون الرَّشيد لما قتله تبرَّأ من قتله وأحضر الشهود ليشهدوا بوفاته على السلامة وإن كان الأمر على خلافه، وكان حال المأمون مع الرضا عليه السلام ما هو مشهور، وكذلك حال ابنه أبي جعفر عليه السلام معه مع صغر سنّه وحلوكة لونه من التعظيم ومبالغته في رفع القدر حتّى أنّه زوّجه ابنته أمَّ الفضل ورفعه في المجلس على سائر بني العبّاس والقضاة وكذلك كانت حال المتوكّل يعظّم عليّ بن محمّد عليه السلام مع ظهور عداوته لأمير المؤمنين ومقته له وطعنه على آل أبي طالب، وكذا حال المعتمد مع أبي محمّد عليه السلام في إكرامه والمبالغة فيه هذا وهؤلاء الأئمّة عليهم السلام في قبضة من عدَّدناه من الملوك على الظاهر وتحت طاعتهم وقد اجتهدوا كلّ الاجتهاد في أن يعثروا على عيب يتعلّقون به في الحطّ عن منازلهم وأصرُّوا في البحث عن أسرارهم وأحوالهم في خلواتهم لذلك فعجزوا عنه فعلمنا أنَّ تعظيمهم إيّاهم مع ظاهر عداوتهم لهم وشدَّة محبّتهم للغضّ منهم وإجماعهم على ضدّ مرادهم فيه من التبجيل والإكرام تسخير من الله سبحانه لهم ليدلَّ بذلك على اختصاصهم منه جلّت قدرته بالمعنى الذي يوجب طاعتهم على جميع الأنام وما هذه إلاّ كالأمور غير المألوفة والأشياء الخارقة للعادة.

ويؤيد ما ذكرناه من تسخير الله سبحانه الخلق لتعظيمهم ما شاهدنا الطوائف المختلفة والفرق المتباينة في المذاهب والآراء قد أجمعوا على تعظيم قبورهم وفضل

مشاهدهم حتّى أنّهم يقصدونها في البلاد الشاسعة ويلمّون بها، ويتقرَّبون إلى الله سبحانه بزيارتها، ويستنزلون عندها من الله الأرزاق، ويستفتحون الأغلاق، ويطلبون ببركتها الحاجات ويستدفعون الملمّات وهذا هو المعجز الخارق للعادة وإلاّ فما الحامل للفرقة المتجاوزة عن هذه الجهة المتخالفة لهذه الحيثيّة على ذلك[1] ولم لم يفعلوا بعض ما ذكرناه بمن يعتقدون إمامته وفرض طاعته وهو في الدّين موافق لهم مساعد غير مخالف معاند، ألا ترى أنَّ ملوك بني أُميّة وخلفاء بني العبّاس مع كثرة شيعتهم وكونهم أضعاف شيعة أئمّتنا وكون الدُّنيا أو أكثرها لهم وفي أيديهم وما حصل لهم من تعظيم الجمهور في حياتهم والسلطنة على العالمين والخطبة فوق المنابر في شرق الأرض وغربها لهم بإمرة المؤمنين لم يلمّ أحد من شيعتهم وأوليائهم فضلاً من أعدائهم بقبورهم بعد وفاتهم ولا قصد أحد تربة لهم متقرّباً بذلك إلى ربّه ولا نشط لزيارتهم، وهذا لطف من الله سبحانه لخلقه في الإيضاح عن حقوق أئمّتنا عليهم السلام ودلالة على منزلتهم منه جلّ اسمه، لا سيّما ودواعي الدنيا ورغباتها معدومة عند هذه الطائفة مفقودة وعند أولئك موجودة فمن المحال أن يكونوا فعلوا ذلك لداع من دواعي الدُّنيا ولا يمكن أيضاً أن يكونوا فعلوه لتقيّة فإنَّ التقيّة هي فيهم لا منهم ولا خوف في ذلك من الناس عليهم، فلم يبق إلاّ داعي الدّين وهذا هو الأمر العجيب الذي لا ينفذ فيه إلاّ قدرة القادر وقهر القاهر الذي يذلّل الصعاب ويسبّب الأسباب ليوقظ به الغافلين ويقطع به المتجاهلين، وأيضاً فقد شارك أئمّتنا غيرهم من أولاد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حسبهم ونسبهم وقرابتهم وكان لكثير منهم عبادات ظاهرة وزهد وعلم ولم يحصل من الاجتماع على تعظيمهم وزيارة قبورهم ما وجدنا قد حصل فيهم عليهم السلام فإنّ من عداهم من صلحاء العترة بين من يعظّمه فريق من الأُمّة ويعرض عنه فريق ومن عظّمه منهم لا يبلغ بهم في الإجلال والإعظام الغاية التي يبلغها من ذكرناه وهذا يدلُّ على أنّ الله تعالى خرق في أئمّتنا عليهم السلام العادات وقلب الجبلّات للإبانة عن علوّ درجتهم والتنبيه على شرف مرتبتهم والدلالة على إمامتهم صلوات الله عليهم أجمعين.

(١) في بعض النسخ [لهذه الجنبة على ذلك].

ذكر القسم الثاني من الركن الرابع
وهو الكلام في إمامة صاحب الزمان

الثاني عشر من الأئمّة ابن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا عليهم السلام وتاريخ مولده ودلائل إمامته وذكر طرف من أخباره وغيبته وعلامات وقت قيامه ومدَّة دولته ووصفه وسيرته، ويشتمل على خمسة أبواب.

الباب الأول

منه في ذكر اسمه وكنيته ولقبه ومولده ووقت ولادته واسم أمه ومن شاهده أو رآه في ثلاثة فصول

الفصل الأول

في ذكر اسمه وكنيته ولقبه

وهو المسمّى باسم رسول الله المكنّى بكنيته وقد جاء في الأخبار أنّه لا يحلُّ لأحد أن يسمّيه باسمه ولا يكنّيه بكنيته إلى أن يزيّن الله تعالى الأرض بظهوره وظهور دولتِهِ، ويلقّب بالحجّة، والقائم، والمهديّ، والخلف الصالح، وصاحب الزَّمان، والصاحب، وكانت الشيعة في غيبته الأُولى تعبر عنه وعن غيبته بالناحية المقدَّسة وكان ذلك رمزاً بين الشيعة يعرفونه به، وكانوا يقولون أيضاً على سبيل الرَّمز والتقية: القائم ـ ويعنونه ـ وصاحب الأمر.

الفصل الثاني

في ذكر مولده واسم أمه

ولد عليه السلام بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة روى ذلك محمّد بن يعقوب الكلينيّ، عن عليّ بن محمّد، وكان سنّه عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله سبحانه الحكم صبيّاً كما آتاه يحيى، وجعله في حال الطفوليّة إماماً كما جعل عيسى نبيّاً في المهد صبيّاً.

فمن الأخبار التي جاءت في ميلاده عليه السلام ما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه، عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن الحسين بن رزق الله، عن موسى بن محمّد بن القاسم بن حمزة [عن حكيمة بنت محمّد بن عليّ[1]] بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: حدَّثتني حكيمة بنت محمّد بن الرضا عليهما السلام قالت: بعث إليَّ أبو محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام فقال: يا عمّة اجعلي إفطارك اللّيلة عندنا فإنّها ليلة النصف من شعبان وإنَّ الله تعالى سيظهر في هذه اللّيلة الحجّة وهو حجّة في أرضه، قال: فقلت له: ومن أُمّه؟ قال: نرجس، فقلت له: جعلني الله فداك ما بها أثر، فقال: هو ما أقول لك، قالت: فجئت فلمّا سلّمت وجلست جاءت تنزع خفّي وقالت لي: يا سيّدتي كيف أمسيت؟ فقلت: بل أنت سيّدتي وسيّدة أهلي، قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا، فقلت لها: يا بنيّة إنَّ الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيّداً في الدُّنيا والآخرة، قالت: فخجلت واستحت، فلمّا أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت فلمّا كان في جوف اللّيل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي قائمة ليس بها حادث، ثمَّ جلست معقّبة ثمَّ اضطجعت ثمَّ انتبهت أُخرى وهي راقدة، ثمَّ قامت فصلّت ونامت، قالت حكيمة: وخرجت أتفقّد الفجر فإذا أنا بالفجر الأوّل كذنب السرحان وهي نائمة قالت حكيمة: فدخلتني الشكوك فصاح بي أبو محمّد من المجلس فقال: لا تعجلي يا عمّة فإنَّ الأمر قد قرب، قالت: فجلست فقرأت «الم السجدة» و«يس» فبينا أنا كذلك إذ انتبهت فزعة

(١) ليست هذه الجملة في كمال الدين.

فوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك ثمَّ قلت لها: تحسّين شيئاً قالت: نعم، فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك، قالت حكيمة: ثمَّ أخذتني فترة وأخذتها فترة فانتبهت بحسّ سيّدي فكشفت الثوب عنها فإذا به عَلَيْهِ السَّلَامُ ساجداً يتلقّى الأرض بمساجده فضممته إليَّ فإذا أنا به نظيف منظّف فصاح بي أبو محمّد: هلمّي إليَّ ابني يا عمّة فجئت به إليه فوضع يديه تحت أليتيه وظهره ووضع قدميه على صدره، ثمَّ أدلى لسانه في فيه وأمرَّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثمَّ قال: تكلّم يا بنيّ فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنَّ محمّداً رسول الله ثمّ صلّى على أمير المؤمنين وعلى الأئمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلى أن وقف على أبيه ثمَّ أحجم[1] ثمَّ قال أبو محمّد: يا عمّة اذهبي به إلى أُمّه ليسلّم عليها وائتني به فذهبت به فسلّم ورددته ووضعته في المجلس، ثمَّ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا عمّة إذا كان يوم السابع فائتينا، قالت حكيمة: فلمّا أصبحت جئت لأُسلّم على أبي محمّد وكشفت الستر لأتفقّد سيّدي فلم أره فقلت له: جعلت فداك ما فعل سيّدي؟ قال: يا عمّة استودعناه الّذي استودعت أُمّ موسى موسى. قالت حكيمة: فلمّا كان يوم السابع جئت وسلّمت على أبي محمّد فقال: هلمّي إليّ ابني فجئت بسيّدي وهو في الخرقة ففعل به كفعلته الأولى ثمَّ أدلى لسانه في فيه كأنّما يغذّيه لبناً أو عسلاً ثم قال: تكلّم يا بنيَّ، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وثنّى بالصلاة على محمّد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة حتّى وقف على أبيه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثمَّ تلا هذه الآية ﴿**ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون**﴾، وقال موسى: وسألت عقبة الخادم عن هذا فقال: صدقت حكيمة.

وروى الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ـ ره ـ قال: أخبرنا أبو الحسن محمّد بن أحمد بن الحسن بن شاذان القمّي قال: حدَّثني أبو عبد الله الحسن بن يعقوب قال: حدَّثنا محمّد بن يحيى العطّار قال: حدَّثنا الحسين بن عليّ النيسابوريّ قال: حدَّثني إبراهيم بن محمّد بن عبد الله بن موسى بن جعفر قال: حدَّثني نسيم ومارية خادم الحسن بن عليّ وهما قالا: لمّا سقط صاحب الزّمان من

---

(١) أي كف، حجمته عن الشيء فأحجم أي كففته فكف.

بطن أُمّه سقط جاثياً على ركبتيه رافعاً سبّابتيه إلى السماء ثمّ عطس فقال: الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله، زعمت الظلمة أنّ حجّة الله داحضة ولو أُذن لنا في الكلام لزال الشكُّ.

قال إبراهيم بن محمّد: وحدَّثني نسيم الخادم قال: قال لي صاحب الزّمان ـ وقد دخلت عليه بعد مولده بليلة فعطست ـ فقال: يرحمك الله، قال نسيم: ففرحت بذلك، فقال: ألا أُبشّرك بالعطاس؟ فقلت: بلى فقال: هو أمان من الموت إلى ثلاثة أيّام.

الفصل الثالث
في ذكر من رآه

محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر وكان أسنَّ شيخ من ولد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالعراق قال: رأيت ابن الحسن بن عليّ بن محمّد بين المسجدين وهو غلام.

وعنه، عن محمّد بن يحيى، عن الحسن بن عليّ النيسابوريّ، عن إبراهيم بن محمّد، عن أبي نصر ظريف الخادم أنّه رآه عليه السلام.

وعنه، عن محمّد بن عبد الله، ومحمّد بن يحيى جميعاً، عن عبد الله بن جعفر الحميريّ قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو عند أحمد بن إسحاق فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف فقلت له: يا أبا عمرو إنّي أُريد أن أسألك عن شيء وما أنا بشاكّ فيما أُريد أن أسألك عنه فإنَّ اعتقادي وديني أنَّ الأرض لا تخلو من حجّة إلاّ إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوماً انقطعت الحجّة وأُغلق باب التوبة فلم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً فأُولئك أشرار من خلق الله ولكنّي أحببت أن أزداد يقيناً فإنَّ إبراهيم سأل ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى فقال: أو لم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئنّ قلبي. وقد أخبرني أبو عليّ أحمد بن إسحاق، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته وقلت: عمّن آخذ وقول من أقبل، فقال له: العمريّ ثقتي فما أدَّى إليك فعنّي يؤدّي، وما قال لك فعنّي يقول، فاسمع له وأطع فإنّه الثقة المأمون.

وأخبرني أبو عليّ أنّه سأل أبا محمّد عن مثل ذلك فقال له: العمريُّ وابنه ثقتان فما أدّيا إليك فعنّي يؤدّيان، وما قالا لك فعنّي يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنّهما الثقتان المأمونان فهذا قول إمامين فيك[١]، قال: فخرَّ أبو عمرو ساجداً وبكى ثمّ قال: سل، فقلت: رأيت أبا محمّد؟ فقال إي والله، ورقبته مثل ذا ـ وأومأ بيده إلى عنقه ـ فقلت له: قد بقيت واحدةٌ، قال لي: هات، قلت: الاسم؟ قال محرَّم عليكم أن تسألوا عن ذلك ولا أقول هذا من عندي فليس لي أن أُحلّل ولا أُحرّم ولكن عنه وإنَّ الأمر عند السلطان في أمر أبي محمّد أنّه مضى ولم يخلّف ولداً وقسّم ميراثه وأخذه من لا حقَّ له فيه وصبر على ذلك وهو ذو عيال يجولون وليس أحد يجسر أن يتعرَّف إليهم أو ينيلهم شيئاً وإذا وقع الاسم وقع الطّلب فاتّقوا الله وأمسكوا عن ذلك.

وعنه، عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن شاذان بن نعيم، عن خادمة لإبراهيم بن عبدة النيسابوريّ وكانت من الصالحات أنّها قالت: كنت واقفة مع إبراهيم على الصفا فجاء صاحب الأمر حتّى وقف معه وقبض على كتاب مناسكه وحدّثه بأشياء.

وعنه، عن عليّ بن محمّد، عن أبي عليّ أحمد بن إبراهيم بن إدريس، عن أبيه قال: رأيته بعد مضيّ أبي محمّد حين أيفع[٢] وقبّلت يده ورأسه.

وعنه، عن عليّ بن محمّد، عن أبي عبد الله بن صالح، وأحمد بن النضر، عن القنبريّ رجلٌ من ولد قنبر الكبير مولى أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: جرى حديث جعفر بن عليّ فذمّه، فقلت: فليس غيره، فذكر الحجّة، فقلت: هل رأيته؟ قال: قد رآه جعفر مرَّتين.

وعنه، عن عليّ بن الحسين بن الفرج المؤدّب، عن محمّد بن الحسن الكرخيّ قال: سمعت أبا هارون رجلاً من أصحابنا يقول: رأيت صاحب الزّمان ووجهه كأنّه القمر ليلة البدر ورأيت على سرَّته شعراً يجري كالخطّة، فكشفت الثوب عنه فوجدته

---

(١) في الكافي «قول إمامين قد مضيا فيك».

(٢) أيفع الغلام أي راهق وشارف الاحتلام.

مختوناً فسألت مولانا الحسن بن عليّ عن ذلك فقال هكذا ولد وهكذا ولدنا ولكنّا سنمرّ الموسى لإصابة السنّة.

ولو ذكرنا جميع أسماء الّذين رأوه لطال الكتاب وامتنع الخطاب وسيأتي ذكر بعضهم فيما يأتي من الأخبار وفيما أوردناه كفاية في الغرض الذي نحوناه.

الباب الثاني

في ذكر النصوص الدالة على إمامته من آبائه عليهم السلام سوى ما تقدم ذكره من جملة الاثني عشر في ثلاثة فصول

الفصل الأول

في ذكر إثبات النص على إمامته من طريق الاعتبار

إذا ثبت بالدَّليل العقليّ وجوب الإمامة واستحالة أن يخلّي الحكيم سبحانه عباده المكلّفين وقتاً من الأوقات من وجود إمام معصوم من القبائح كامل غني عن رعاياه في العلوم ليكونوا بوجوده أقرب إلى الصّلاح وأبعد من الفساد وثبت وجوب النصّ على من هذه صفته في الأنام أو ظهور المعجز الدّال عليه المميّز له عمّن سواه وعدم هذه الصّفات من كلّ أحد بعد وفاة أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ ممّن ادّعيت الإمامة له في تلك الحال سوى من أثبت إمامته أصحابه عليه السلام وهو ابنه القائم مقامه ثبتت إمامته وإلاّ أدّى إلى خروج الحقّ عن أقوال الأُمّة، وهذا الأمر لا يحتاج معه في الإمامة إلى رواية النّصوص وتعداد ما جاء فيها من الرّوايات والأخبار لقيامه بنفسه في قضيّة العقل وثبوته بصحيح الاعتبار، على أنّه قد سبق النصُّ عليه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ من أمير المؤمنين ثمَّ من الأئمّة واحداً بعد واحد إلى أبيه عليهم السلام وإخبارهم بغيبته قبل وجوده وبدولته بعد غيبته ونحن نذكر ذلك في الفصل الذي يلي هذا الفصل ثمَّ نذكر بعد ذلك الأخبار الواردة وأنّه نصّ عليه أبوه عند خواصّه وثقاته وشيعته وأشار إليه بالإمامة من بعده استظهاراً في الحجّة وتثبيتاً على المحجّة.

الفصل الثاني

في ذكر الأخبار الواردة عن آبائه في ذلك سوى ما ذكرناه فيما تقدَّم من الكتاب حذفنا أسانيدها تحرّياً للاختصار فمن أرادها فليطلبها في كتاب كمال الدّين للشيخ أبي جعفر بن بابويه.

فممّا جاء عن النبيّ من ذلك ما رواه جابر بن يزيد الجعفيّ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: المهديُّ من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، أشبه النّاس بي خلقاً وخُلقاً يكون له غيبة وحيرة تضلُّ فيها الأُمم، ثمَّ يقبل كالشهاب الثّاقب يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وروى أبو بصير، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: المهديّ من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه النّاس بي خلقاً وخُلقاً يكون له غيبة وحيرة حتّى يضل الخلق عن أديانهم فعند ذلك يقبل كالشّهاب الثّاقب فيملأها عدلاًوقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وروى محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن أبيه، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: المهدي من ولدي يكون له غيبة وحيرة تضلّ فيها الأُمم يأتي بذخيرة الأنبياء، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وروى ثابت بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمام أُمّتي وخليفتي عليها بعدي ومن ولده القائم المنتظر الّذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والّذي بعثني بالحقّ بشيراً إنَّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزُّ من الكبريت الأحمر فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاريّ فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: إي وربّي ويمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، يا جابر إنَّ هذا أمر من أمر الله وسرٌّ من سرّ الله علّته مطويّة عن عباد الله، فإيّاك والشكّ فإنّ الشكّ في أمر الله كفر.

وروى هشام بن سالم، عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: القائم من ولدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشمائله شمائلي، وسنّته سنّتي، يقيم الناس على ملّتي وشريعتي يدعوهم إلى كتاب الله ربّي من أطاعه أطاعني ومن عصاه عصاني ومن أنكر غيبته فقد أنكرني ومن كذّبه فقد كذّبني ومن صدّقه فقد صدّقني، إلى الله أشكو المكذّبين لي في أمره، والجاحدين لقولي في شأنه، والمضلّين لأُمّتي عن طريقته ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون**﴾.

ومما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك ما رواه الحارث بن المغيرة النصري عن الأصبغ بن نباتة قال: أتيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فوجدته متفكّراً ينكت في الأرض فقلت: ياأمير المؤمنين ما لي أراك متفكّراً تنكت في الأرض أرغبةً فيها؟ فقال: لا والله ما رغبت فيها ولا في الدُنيا يوماً قطّ لكنّي فكّرت في مولود يكون من ظهري، الحادي عشر من ولدي، هو المهديّ يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً له حيرة وغيبة، يضلُّ فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون، فقلت: يا أمير المؤمنين وإنّ هذا لكائن؟ قال: نعم كما أنّه مخلوق وأنّى لك العلم بهذا الأمر يا أصبغ؟ أُولئك خيار هذه الأُمّة مع أبرار هذه العترة، قلت: وما يكون بعد ذلك؟ قال: ثمَّ يفعل الله ما يشاء وإنّ له إرادات وغايات ونهايات.

ومن كلامه المشهور لكميل بن زياد اللّهمّ إنّك لا تخلي الأرض من قائم بحجّة إمّا ظاهر مشهور أو خائف مغمور لئلاّ تبطل حججك وبيّناتك.

وروى سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه ذكر القائم فقال: أما ليغيبنَّ حتّى يقول الجاهل: ما لله في آل محمّد حاجة.

وروى عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ، عن أبي جعفر الثاني، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: للغائب منّا غيبة أمدها طويل، كأنّي بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول مدّة غيبة إمامه فهو معي وفي درجتي يوم القيامة.

وقال: إنَّ القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه.

وروى عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن الحسين بن خالد عن الرضا، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحقّ، والمظهر للدّين، والباسط للعدل، قال الحسين عليه السلام: فقلت له: وإنَّ ذلك لكائن؟ فقال: إي والّذي بعث محمّداً بالنبوّة واصطفاه على جميع البريّة ولكن بعده غيبة وحيرة لا يثبت فيهما على دينه إلاّ المخلصون والمباشرون لروح اليقين الّذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه.

ومما جاء عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ما رواه حنان بن سدير، عن أبيه سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفيّ، عن أبيه، عن أبي سعيد عقيصا قال: لمّا صالح الحسن بن عليّ عليه السلام معاوية دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته، فقال: ويحكم ما تدرون ما عملت، والله الّذي عملت خيرٌ لشيعتي ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنّي إمامكم ومفترض الطاعة عليكم وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة بنصّ من رسول الله عليّ؟ قالوا: بلى، قال: أما علمتم أنَّ الخضر لمّا خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار كان ذلك سخطاً لموسى إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً؟ أما علمتم أنّه ما منّا أحد إلاّ ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلاّ القائم الذي يصلّي روح الله عيسى ابن مريم خلفه، فإنّ الله عزَّ وجلَّ يخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج. ذلك التّاسع من ولد أخي الحسين ابن سيّدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثمَّ يظهره بقدرته في صورة شابّ دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أنَّ الله على كلّ شيء قدير.

ومما جاء عن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ما رواه محمّد بن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن الصّادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قال الحسين عليه السلام: في التّاسع من ولدي سنّة من يوسف، وسنّة من موسى بن عمران، وهو قائمنا أهل البيت، يصلح الله تعالى أمره في ليلة واحدة.

وروى الهمداني عنه عليه السلام قال: هو قائم هذه الأُمّة التّاسع من ولدي صاحب الأمر وهو الذي يقسّم ميراثه وهو حيٌّ.

وروى يحيى بن وثّاب، عن عبد الله بن عمر قال: سمعت الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: لو لم يبق من الدُّنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، كذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول.

ومما جاء فيه عن عليّ بن الحسين عليه السلام ما رواه حمزة بن حمران، عن أبيه حمران بن أعين، عن سعيد بن جبير قال: سمعته يقول: في القائم منّا سنن من ستّة من الأنبياء عليهم السلام، سنّة من نوح، وسنّة من إبراهيم، وسنّة من موسى، وسنّة من عيسى، وسنّة من أيّوب، وسنّة من محمّد، فأمّا من نوح فطول العمر، وأمّا من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأمّا من موسى فالخوف والغيبة، وأمّا من عيسى فاختلاف الناس فيه، وأمّا من أيّوب فالفرج بعد البلوى، وأمّا من محمّد فالخروج بالسيف.

قال: وسمعته عليه السلام يقول: القائم منّا تخفى على الناس ولادته حتّى يقولوا: لم يولد بعد ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة.

وروى عليُّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن بسطام بن مرّة، عن عمرو بن ثابت قال: قال عليُّ بن الحسين سيّد العابدين عليه السلام: من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر.

ومما جاء فيه عن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام ما رواه عبد الله بن عطاء قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنَّ شيعتك بالعراق كثير ووالله ما في أهل بيتك مثلك، فقال: يا عبد الله قد أمكنت الحشوة[1] من أُذنيك، والله ما أنا بصاحبكم، قلت: فمن صاحبنا؟ قال: انظر من يخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم.

وروى أبو الجارود زياد بن المنذر عنه قال: قال لي: يا أبا الجارود إذا دار الفلك وقال الناس: مات القائم أو هلك، بأيّ واد سلك، وقال الطالب: أنّى يكون

---

(١) في الصحاح فلان من حشوة بني فلان ـ بالكسر ـ أي رذالهم والمراد أنك تسمع كلام أرذال الشيعة وتقبل منهم في توهمهم أن لنا أنصاراً كثيرة وأنه لا بد لنا من الخروج وأني القائم الموعود.

ذلك وقد بليت عظامه؟ فعند ذلك فارجوه فإذا سمعتم به فأتوه ولو حبواً على الثلج[1].

أبو بصير عنه قال: في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء، سنّة من موسى، وسنّة من عيسى، وسنّة من يوسف، وسنّة من محمّد ﷺ، فأمّا من موسى فخائف يترقّب، وأمّا من يوسف فالسّجن، وأمّا من عيسى فيقال: إنّه مات ولم يمت، وأمّا من محمّد فالسيف.

محمد بن مسلم الثقفيّ قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن القائم من آل محمّد ﷺ فقال لي مبتدئاً: يا محمّد بن مسلم إنَّ في القائم من آل محمّد شبهاً بخمسة من الأنبياء: يونس بن متّى ويوسف بن يعقوب، وموسى، وعيسى، ومحمّد، فأمّا شبهه الّذي من يونس فرجوعه من غيبته وهو شابٌّ مع كبر السنّ، وأمّا شبهه من يوسف فلغيبته من خاصّته وعامّته، واختفائه من إخوته وإشكال أمره مع أبيه يعقوب مع قرب من المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته، وأمّا شبهه من موسى فدوام خوفه وطول غيبته وخفاء ولادته وتعب شيعته من بعده ممّا لقوا من الأذى والهوان إلى أن أذن الله في ظهوره وأيّده على عدوّه، وأمّا شبهه من عيسى فاختلاف من اختلف فيه حتّى قالت طائفة: ما ولد وطائفة قالت: قتل وصلب، وأمّا شبهه من جدّه المصطفى فتجريده السيف وقتل أعداء الله وأعداء رسوله والجبّارين والطواغيت وأنّه ينصر بالسيف وبالرُّعب وأنّه لا تردُّ له راية، ومن علامات خروجه خروج السفياني من الشام، وخروج اليماني، وصيحة من السماء في شهر رمضان ومناد ينادي باسمه واسم أبيه.

ومما جاء عن الصادق عليه السلام في ذلك ما رواه محمّد بن سنان، عن صفوان بن مهران عنه قال: من أقرَّ بجميع الأئمّة وجحد المهديّ كان كمن أقرَّ بجميع الأنبياء وجحد محمّداً ﷺ نبوّته، فقيل له: يا ابن رسول الله فمن المهديّ من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع يغيب عليكم شخصه ولا يحلُّ لكم تسميته.

---

(١) والحبوة: المشي بأطراف القدم كمشي الصبي.

وروى الحسن بن محبوب، عن عبد العزيز العبديّ، عن عبد الله بن أبي يعفور عنه مثل ذلك.

وروى أحمد بن هلال، عن أُميّة بن عليّ، عن أبي الهيثم بن أبي حيّة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا اجتمعت ثلاثة أسماء متوالية محمّد وعليّ والحسن فالرابع القائم.

وروى المفضّل بن عمر قال: دخلت على سيّدي جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقلت: يا سيّدي لو عهدت إلينا من الخلف من بعدك؟ فقال: يا مفضّل الإمام من بعدي موسى والخلف المنتظر م ح م د بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى عليهم السلام.

وروى محمّد بن خالد البرقيّ، عن محمّد بن سنان، وأبي عليّ الزرّاد جميعاً، عن إبراهيم الكرخيّ قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فإنّي لجالس عنده إذ دخل أبو الحسن موسى وهو غلامٌ فقمت إليه فقبّلته وجلست فقال أبو عبد الله عليه السلام: ياإبراهيم أما إنّه صاحبك من بعدي، أما لتهلكنَّ فيه أقوامٌ ويسعد آخرون، فلعن الله قاتله وضاعف على روحه العذاب، أما ليخرجنَّ الله من صلبه خير أهل الأرض في زمانه، سميُّ جدّه محمّد، قائماً مقامه في أحكامه وقضاياه، معدن الإمامة وأحكامها، ورأس الحكمة، يقتله جبّار بني فلان بعد عجائب طريفة حسداً له ولكنَّ الله تعالى بالغ أمره ولو كره المشركون، يخرج الله من صلبه مكمّلة[1] اثني عشر إماماً مهديّاً، اختصّهم الله بكرامته وأحلّهم دار قدسه، المنتظر[2] الثاني عشر منهم كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذبُّ عنه، قال: ودخل رجل من موالي بني أُميّة فانقطع الكلام فعدت إلى أبي عبد الله إحدى عشرة مرَّة أُريد منه أن يتمَّ الكلام فما قدرت على ذلك فلمّا كان من قابل ـ السنة الثانية ـ دخلت عليه وهو جالسٌ فسلّمت وردَّ سلامي فقال: يا إبراهيم هو المفرّج للكرب من شيعته بعد ضنك شديد وبلاء طويل وجزع وخرق فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان حسبك يا إبراهيم؟ قال إبراهيم:

(١) في كمال الدين «تكملة اثني عشر».
(٢) في البحار ج١٣ ص٣٦ «المقر بالثاني عشر».

فما رجعت بشيء هو أسرُّ من هذا لقلبي ولا أقرُّ لعيني.

وروى محمّد بن خالد البرقيّ، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: أقرب ما يكون العباد من الله عزَّ وجلَّ وأرضى ما يكون عنهم إذا فقدوا حجّة الله، فلم يظهر لهم ولم يعلموا مكانه وهم في ذلك يعلمون أنّه لن تبطل حجّة الله ولا ميثاقه، فعندها فتوقّعوا الفرج صباحاً ومساءً، وإنَّ أشدَّ ما يكون غضب الله على أعداء الله تعالى إذا افتقدوا حجّته فلم يظهر لهم وقد علم أنَّ أولياء الله لا يرتابون ولو علم أنّهم يرتابون ما غيّب عنهم حجّته طرفة عين ولا يكون ذلك إلاّ على رأس شرار النّاس.

وروى الحسن بن محبوب، عن محمّد بن النعمان، عن أبي عبد الله مثله.

وروى عبد الرّحمن بن أبي نجران، عن فضالة بن أيّوب، عن سدير الصيرفيّ قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: إنَّ في القائم سنّة من يوسف، قلت: كأنّك تذكر حيرته أو غيبته؟ فقال لي: وما تنكر من ذلك هذه الأُمّة أشباه الخنازير إنَّ إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء تاجروا يوسف وبايعوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتّى قال لهم: «أنا يوسف وهذا أخي» فما تنكر هذه الأُمّة أن يكون الله تعالى في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجّته، لقد كان يوسف له ملك مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً فلو أراد الله عزَّ وجلَّ أن يعرّفه مكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيّام من بلدهم إلى مصر فما تنكر هذه الأُمّة أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بُسُطهم وهم لا يعرفونه حتّى يأذن الله تعالى له أن يعرّفهم نفسه كما أذن ليوسف حتّى قال لهم: **﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا أئنّك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي﴾**.

وروى أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عثمان بن عيسى الكلابي، عن خالد بن نجيح، عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: إنَّ للقائم غيبة قبل أن يقوم قلت: ولم؟ قال: يخاف وأومأ بيده إلى بطنه، ثمَّ قال: يا زرارة وهو المنتظر وهو الّذي يشكُّ النّاس في ولادته منهم من يقول، هو حملٌ، ومنهم من يقول: هو غائبٌ، ومنهم من يقول: ما ولد، ومنهم من يقول: قد ولد قبل وفاة أبيه

بسنتين، وهو المنتظر، غير أنَّ الله يحبُّ أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون، قال زرارة: قلت: جعلت فداك فإن أدركت ذلك الزّمان فأيَّ شيء أعمل؟ قال: يا زرارة إن أدركت ذلك الزّمان فأدم هذا الدعاء «اللّهمّ عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللّهمّ عرّفني رسولك، فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللّهمّ عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني، ثم قال: يا زرارة لا بدّ من قتل غلام بالمدينة، قلت: جعلت فداك أليس يقتله جيش السفيانيّ؟ قال: لا ولكن يقتله جيش بني فلان يدخل المدينة فلا يدري النّاس في أيّ شيء دخل فيأخذ الغلام فيقتله فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لم يمهلهم الله عزَّ وجلَّ فعند ذلك فتوقّعوا الفرج.

وروى هذا الحديث من طرق عن زرارة.

وروى يونس بن عبد الرّحمن، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى ولا إمام هدى، لا ينجو منها إلاّ من دعا بدعاء الغريق قلت: كيف دعاء الغريق؟ قال: تقول: «يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك» فقلت: يا مقلّب القلوب والأبصار ثبّت قلبي على دينك، فقال: إنَّ الله عزَّ وجلّ مقلّب القلوب والأبصار ولكن قل كما أقول: يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك».

وروى سدير الصيرفيّ، عن أبي عبد الله في حديث طويل قال: قال: أمّا العبد الصّالح أعني الخضر، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ ما طوَّل عمره لنبوّة قدَّرها له، ولا لكتاب ينزل عليه ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة فرضها له بل إنَّ الله تعالى لمّا كان في سابق علمه أن يقدّر من عمر القائم في أيّام غيبته ما يقدر وعلم ما يكون من إنكار الأمّة له أراد أن يطوّل عمره ذلك الطّول طول عمر عبده الصّالح من غير سبب أوجب ذلك إلاّ لأجل الاستدلال به على عمر القائم وليقطع بذلك حجّة المعاندين لئلاّ يكون للنّاس حجّة.

فهذا طريق ممّا روي عن الصّادق عليه السلام في هذا المعنى.

ومما جاء عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام في مثله ما رواه سعد بن

عبد الله، عن الحسن بن عيسى بن محمّد بن عليّ بن جعفر، عن جدّه محمّد، عن عليّ بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم، لا يزيلكم أحدٌ عنها، يا أخي إنّه لا بدَّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتّى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنّما هي محنة من الله عزّ وجلّ امتحن بها خلقه ولو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً أصحَّ من هذا لاتّبعوه، فقلت: يا سيّدي من الخامس من ولد السابع؟ فقال: يا أخي عقولكم تصغر عن هذا وأحلامكم تضيق عن ذلك ولكن إن تعيشوا فسوف تدركونه.

وروى عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن صالح بن السنديّ، عن يونس بن عبد الرّحمن قال: دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله أنت القائم بالحقّ؟ قال: أنا القائم بالحق ولكنّ القائم الذي يطهّر الأرض من أعداء الله ويملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتدّ فيها قوم ويثبت فيها آخرون، وقال: طوبى لشيعتنا المتمسّكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا أولئك منّا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمّة ورضينا بهم شيعة فطوبى لهم، هم والله معنا في درجتنا يوم القيامة.

ومما روى عن الرّضا عليه السلام في ذلك ما رواه محمّد بن الحسن الصفّار، عن يعقوب بن يزيد، عن أيّوب بن نوح قال: قلت للرّضا عليه السلام: إنّا نرجو أن تكون صاحب هذا الأمر وأن يسديه الله إليك[1] من غير سيف فقد بويع لك وضربت الدَّراهم باسمك، فقال: ما منّا أحدٌ اختلفت إليه الكتب وسئل عن المسائل وأشارت إليه الأصابع وحملت إليه الأموال إلاّ اغتيل[2] أو مات على فراشه حتّى يبعث الله عزَّ وجلَّ بهذا الأمر رجلاً خفيّ المولد والمنشأ غير خفيّ في نسبه.

وروى عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الرَّيان بن الصلت قال: قلت للرّضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: أنا صاحب هذا الأمر ولكنّي لست بالّذي أملأها عدلاً كما ملئت جوراً وكيف أكون ذلك على ما ترى من ضعف بدني

(١) في الكافي «يسوقه الله إليك».

(٢) اغتاله أي أخذه من حيث لم يدر.

وإنَّ القائم هو الّذي إذا خرج كان في سنّ الشيوخ ومنظر الشبّان، قويّاً في بدنه حتّى لو مدَّ يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها، يكون معه عصا موسى وخاتم سليمان، ذلك الرّابع من ولدي، يغيّبه الله في ستره ما شاء ثمَّ يظهر فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، كأنّي بهم آيس ما كانوا قد نودوا نداء يسمع من بُعد كما يسمع من قرب، يكون رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين.

عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين بن خالد قال: قال الرّضا عليه السلام: لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقيّة له، وإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم وأعملكم بالتقيّة، فقيل له: يا ابن رسول الله إلى متى؟ قال: إلى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا فمن ترك التقيّة قبل خروج قائمنا فليس منّا، فقيل له: يا ابن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟ قال: الرابع من ولدي ابن سيّدة الإماء يطهّر الله به الأرض من كلّ جور ويقدّسها من كلّ ظلم وهو الذي يشكُّ الناس في ولادته، وهو صاحب الغيبة قبل خروجه، فإذا خرج أشرقت الأرض بنوره ووضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحد أحداً، وهو الذي تطوى له الأرض ولا يكون له ظلٌّ، وهو الّذي ينادي مناد من السماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدُّعاء إليه ألا إنّ حجّة الله قد ظهر عند بيت الله فاتّبعوه فإنّ الحقّ معه وفيه، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين**﴾.

وقد ذكرنا حديث دعبل بن عليّ الخزاعي عنه في هذا المعنى فيما تقدّم من الكتاب(١).

ومما روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في مثله ما رواه عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ قال: دخلت على سيّدي محمّد بن عليّ وأنا أريد أن أسأله عن القائم عليه السلام أهو المهديّ أو غيره، فابتدأني فقال: يا أبا القاسم إنَّ القائم منّا هو المهديّ الذي يجب أن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمّداً بالنبوّة وخصّنا بالإمامة إنّه لو لم يبق من الدُّنيا إلاّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً وإنّ الله

---

(١) راجع ص ٣٢٨.

تعالى يصلح له أمره في ليلة واحدة كما أصلح أمر كليمه موسى إذ ذهب ليقتبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول الله ثمّ قال: أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج.

وعنه أيضاً قال: قلت لمحمّد بن عليّ عليه السلام: إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمّد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فقال: يا أبا القاسم ما منّا إلاّ قائم بأمر الله وهاد إلى دين الله ولكنّ القائم منّا هو الذي يطهّر الله الأرض به من أهل الكفر والجحود ويملأها عدلاً وقسطاً، هو الذي تخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ويحرّم عليهم تسميته، وهو سميُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنيّه وهو الذي تطوى له الأرض ويذلّ له كلّ صعب، يجتمع إليه من أصحابه عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إنّ الله على كلّ شيء قدير**﴾ فإذا اجتمعت له هذه العدَّة من أهل الإخلاص أظهر أمره وإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عزَّ وجلَّ فلا يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضى الله تبارك وتعالى، فقلت له: يا سيّدي وكيف يعلم أنّ الله قد رضي؟ قال: إنّ الله يلقي في قلبه الرَّحمة فإذا دخل المدينة أخرج اللاّت والعزّى فأحرقهما.

وروى حمدان بن سليمان قال: حدَّثنا الصقر بن أبي دلف قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ الرضا يقول: إنّ الإمام بعدي عليٌّ، أمره أمري وقوله قولي وطاعته طاعتي والإمام بعده ابنه الحسن العسكريّ أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه، ثمّ سكت فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى بكاء شديداً ثمّ قال: إنّ الإمام من بعد الحسن ابنه القائم بالحقّ المنتظر، فقلت له: يا ابن رسول الله ولم سمّي القائم؟ قال: لأنّه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته، فقلت له: ولم سمّي المنتظر؟ قال: لأنّ له غيبة تكثر أيّامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزىء بذكره الجاحدون ويكذب فيه الوقّاتون ويهلك فيه المستعجلون وينجو فيه المسلّمون.

ومما روي عن أبي الحسن علي بن محمّد العسكريّ عليه السلام في ذلك ما رواه عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ قال: دخلت على سيّدي ومولاي عليّ بن محمّد فلمّا أبصرني قال لي: مرحباً بك يا أبا القاسم أنت وليّنا حقّاً، فقلت له: يا ابن رسول الله

إنّي أُريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضيّاً ثبتُّ عليه حتّى ألقى الله عزَّ وجلَّ فقال: هات يا أبا القاسم، فقلت: إنّي أقول: إنّ الله تبارك وتعالى واحدٌ ليس كمثله شيء، خارج من الحدَّين حدّ الإبطال وحدّ التشبيه وإنّه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر بل مجسّم الأجسام ومصوّر الصور وخالق الأعراض والجواهر وربُّ كلّ شيء ومالكه وجاعله ومحدثه، وإنّ محمّداً عبده ورسوله وخاتم النبيّين فلا نبيّ بعده إلى يوم القيامة، وإنَّ شريعته خاتمة الشرائع فلا شريعة بعدها إلى يوم القيامة وإنّ الإمام والخليفة وولي الأمر بعده أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب، ثمَّ الحسن، ثمَّ الحسين، ثمَّ عليُّ بن الحسين، ثمَّ محمّد بن عليّ، ثمَّ جعفر بن محمّد، ثمَّ موسى بن جعفر، ثمَّ علي بن موسى ثمَّ محمّد بن عليّ عليهم السلام ثمّ أنت يا مولاي، فقال: ومن بعدي الحسن فكيف للناس بالخلف من بعده، قال: فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟ قال: لأنّه لا يرى شخصه ولا يحلُّ ذكره باسمه حتّى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، قال: فقلت: أقررت وأقول: إنّ وليّهم وليُّ الله وعدوَّهم عدوُّ الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، وأقول: إنَّ المعراج حقٌّ والمسألة في القبر حقٌّ، وإنَّ الجنّة حقٌّ، والنّار حقٌّ، والصّراط حقٌّ، والميزان حقٌّ، وإنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وإنَّ الله يبعث من في القبور، وأقول: إنَّ الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة والزّكاة والصوم والحجُّ والجهاد والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فقال عليُّ بن محمّد عليه السلام: يا أبا القاسم هذا والله دين الله الّذي ارتضاه لعباده فاثبت عليه، ثبّتك الله بالقول الثابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة.

وروى عليُّ بن إبراهيم، عن عبد [الله] بن أحمد الموصليّ، عن الصقر بن أبي دلف قال: لمّا حمل المتوكّل سيّدنا أبا الحسن جئت أسأل عن خبره قال: فنظر إليّ حاجب المتوكّل فأمر أن أدخل إليه فأُدخلت فقال: يا صقر ما شأنك فقلت: خيراً أيّها الأُستاذ، قال: اقعد، قال الصقر: وأخذ بي ما تقدَّم وما تأخّر[1] وقلت: أخطأت في المجيء وقال: فوحى النّاس عنه[2] ثمّ قال: ما شأنك وفيم جئت؟ لعلّك جئت تسأل

(١) أي سأل عني سؤالات مختلفة. ويحتمل أن يكون «أخذني» أي صرت متفكراً فيما يترتب على مجيئي من المفاسد فندمت.

(٢) أي أشار إليهم أن ابعدوا.

عن خبر مولاك؟ فقلت له: ومن مولاي؟ مولاي أمير المؤمنين فقال: اسكت مولاك هو الحقّ فلا تحتشمني فإنّي على مذهبك فقلت: الحمد لله، فقال: تحبُّ أن تراه؟ فقلت: نعم، فقال: اجلس حتّى يخرج صاحب البريد قال: فلمّا خرج قال الغلام له: خذ بيد الصقر فأدخله إلى الحجرة التي فيها العلوي المحبوس وخلّ بينه وبينه قال: فأدخلني الحجرة وأومأ إلى بيت فدخلت فإذا هو جالسٌ على صدر حصير وبحذاه قبر محفور، قال: فسلّمت فردَّ ثمَّ أمرني بالجلوس فجلست، ثم قال لي: يا صقر ما أتى بك؟ قلت: يا سيّدي جئت أتعرّف خبرك؟ قال: ثمَّ نظرت إلى القبر فبكيت، فنظر إليَّ ثمَّ قال: يا صقر لا عليك لن يصلوا إلينا بسوء، فقلت: الحمد لله ثمَّ قلت: يا سيّدي حديث يروى عن النبيّ لا أدري معناه، قال: وما هو؟ قلت: قوله: «لا تعادوا الأيّام فتعاديكم» ما معناه؟ فقال: نعم الأيّام نحن ما قامت السّماوات والأرض فالسبت اسم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، والأحد أمير المؤمنين، والاثنين الحسن والحسين، والثلثاء عليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، والأربعاء موسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمّد بن عليّ، وأنا، والخميس ابني الحسن، والجمعة ابن ابني، إليه يجتمع عصابة الحقّ وهو الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فهذا معنى الأيّام فلا تعادوهم فيعادوكم في الآخرة، ثمَّ قال: ودع واخرج فلا آمن عليك.

وبهذا الإسناد عن الصقر بن أبي دلف قال: سمعت عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام يقول: الإمام بعدي الحسن ابني وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وروى عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ بن صدقة، عن عليّ بن عبد الغفّار قال: لمّا مات أبو جعفر الثّاني كتبت الشيعة إلى أبي الحسن صاحب العسكر يسألونه عن الأمر فكتب عليه السلام: الأمر لي ما دمت حيّاً فإذا نزلت بي مقادير الله تبارك وتعالى أتاكم الخلف منّي فأنّى لكم بالخلف من بعد الخلف.

وروى إسحاق بن محمّد بن أيّوب قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام يقول: صاحب هذا الأمر من يقول الناس: لم يولد بعد.

والأخبار في هذا الباب كثيرة ظاهرة في الشيعة متواترة ثابتة في أُصولها

المتقدِّمة لزمان الحسن العسكريّ وذلك أصحّ دليل وبرهان على إمامة القائم ابن الحسن عليه السلام.

الفصل الثالث

في ذكر النصوص عليه من جهة أبيه الحسن بن علي خاصة

الشيخ أبو جعفر بن بابويه، عن عليّ بن عبد الله الورّاق، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعريّ قال: دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ وأنا أُريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق إنَّ الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجّة لله على خلقه به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض، قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الخليفة والإمام بعدك؟ فنهض مسرعاً فدخل البيت ثمَّ خرج وعلى عاتقه غلامٌ كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين وقال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا إنّه سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنيّه، الذي يملأ الأرض قسطاًوعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأُمّة مثل الخضر ومثله مثل ذي القرنين والله ليغيبنّ غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلاّ من ثبّته الله على القول بإمامته ووفّقه للدُّعاء بتعجيل فرجه، قال أحمد بن إسحاق فقلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئنّ إليها قلبي؟ فنطق الغلام بلسان عربيّ فصيح فقال: أنا بقيّة الله في أرضه والمنتقم من أعدائه فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق، قال أحمد: فخرجت مسروراً فرحاً، فلمّا كان من الغد عدت إليه فقلت له: يا ابن رسول الله، لقد عظم سروري بما مننت عليّ فما السنّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟ فقال: طول الغيبة يا أحمد، فقلت له: يا ابن رسول الله وإنَّ غيبته لتطول؟ قال: إي وربّي حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به فلا يبقى إلاّ من أخذ الله عهده بولايتنا وكتب في قلبه الإيمان وأيّده بروح منه، يا أحمد بن إسحاق هذا أمر من الله وسرٌّ من سرّ الله وغيبٌ من غيب الله فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكن معنا غداً في علّيين.

ويؤيد هذا الخبر ما رواه محمّد بن مسعود، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد الجعفيّ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجّة على عباده فدعا قومه إلى الله عزَّ وجلَّ وأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه فغاب عنهم زماناً حتّى قيل: مات أو هلك، بأيّ واد سلك. ثمَّ ظهر ورجع إلى قومه فضربوه على قرنه الآخر، وفيكم من هو على سنّته وإنَّ الله عزَّ وجلَّ مكّن لذي القرنين في الأرض وجعل له من كلّ شيء سبباً وبلغ المشرق والمغرب وإنَّ الله تعالى سيجري سنّته في القائم من ولدي وليبلغه شرق الأرض وغربها حتّى لا يبقى منهلٌ ولا موضعٌ من سهل أو جبل وطئه ذو القرنين إلاّ وطئه، ويظهر الله له كنوز الأرض ومعادنها وينصره بالرعب ويملأ الأرض به عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.

محمد بن مسعود العيّاشي، عن أبيه، عن آدم بن محمّد البلخيّ، عن عليّ بن الحسين بن هارون الدّقّاق، عن جعفر بن محمّد بن عبد الله بن القاسم بن إبراهيم بن الأشتر، عن يعقوب بن منقوش قال: دخلت على أبي محمّد وهو جالسٌ على دكان في الدّار وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل، فقلت له: سيّدي من صاحب هذا الأمر؟ فقال: ارفع الستر فرفعته فخرج إلينا غلام خماسيّ له عشر أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، دريُّ المقلتين شثن الكفّين، معطوف الركبتين[1] في خدّه الأيمن خال وفي رأسه ذوائب فجلس على فخذ أبي محمّد فقال لي: هذا صاحبكم ثمَّ وثب فقال له: يا بنيّ ادخل إلى الوقت المعلوم فدخل البيت وأنا أنظر إليه، ثمّ قال لي: يا يعقوب انظر من في البيت فدخلت فيه فما رأيت أحداً.

محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن عليّ بن بلال قال: خرج إليَّ من أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام قبل مضيّه بسنين يخبرني بالخلف من بعده، ثمَّ خرج إليَّ من قبل مضيّه بثلاثة أيّام يخبرني بالخلف من بعده.

---

(١) قوله: «دريّ المقلتين» المراد به شدة بياض العين أو تلألؤ جميع الحدقة من قولهم: «كوكب دري» بالهمز ودونها وقوله: «شثن الكفين» بمفتوحة فساكنة أي أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر. و«معطوف الركبتين» أي كانتا مائلتين إلى القدم لغلظهما وعظمهما.

وعنه عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن إسحاق، عن أبي هاشم الجعفريّ قال: قلت لأبي محمّد عليه السلام: جلالتك تمنعني عن مسألتك فتأذن لي أن أسألك؟ فقال: سل فقلت: يا سيّدي هل لك ولد؟ قال: نعم، قلت: فإن حدث أمرٌ فأين أسأل عنه؟ قال: بالمدينة.

وعنه عن الحسين بن محمّد الأشعريّ، عن معلّى بن محمّد، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله قال: خرج عن أبي محمّد حين قتل الزُّبيري[١]: «هذا جزاء من اجترأ على الله في أوليائه زعم أنّه يقتلني وليس لي ولدٌ فكيف رأى قدرة الله فيه» قال: وولد له ولدٌ وسمّاه باسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك في سنة ستّ وخمسين ومائتين.

وعنه، عن عليّ بن محمّد، عن جعفر بن محمّد الكوفي، عن جعفر بن محمّد المكفوف عن عمرو الأهوازي قال: أراني أبو محمّد ابنه وقال: هذا صاحبكم بعدي.

الشيخ أبو جعفر، عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن جعفر بن محمّد بن مالك، عن محمّد بن معاوية بن حكيم، ومحمّد بن أيّوب بن نوح، ومحمّد بن عثمان العمريّ قالوا: عرض علينا أبو محمّد ابنه ونحن في منزله وكنّا أربعين رجلاً فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم فاتّبعوه وأطيعوه ولا تتفرّقوا فتهلكوا في أديانكم، أما إنّكم لا ترونه[٢] بعد يومكم هذا قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت إلاّ أيّام قلائل حتّى مضى أبو محمّد عليه السلام.

وعنه عن أحمد بن محمّد بن يحيى العطّار، عن سعد بن عبد الله، عن موسى بن جعفر بن وهب البغداديّ قال: سمعت أبا محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام يقول: كأني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف منّي، أما إنّ المقرّ بالأئمّة بعد

---

(١) قال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ في مرآة العقول: الزبيري كان لقب بعض الأشقياء من ولد الزبير كان في زمانه عليه السلام فهدده وقتله الله على يد الخليفة أو غيره. وصحف بعضهم وقرأ بفتح الزاي وكسر الباء من الزبير بمعنى الداهية كناية عن المهتدي العباسي حيث قتله الموالي.

(٢) أي أكثركم وإلا فالعمري من سفرائه عليه السلام.

رسول الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدي كمن أقرّ بجميع أنبياء الله ورسله ثمّ أنكر نبوّة محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله والمنكر لرسول الله كمن أنكر جميع الأنبياء لأنّ طاعة آخرنا كطاعة أولنا والمنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا، أما إنّ لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلاّ من عصمه الله.

وعنه، عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق، عن أبي عليّ بن همّام قال: سمعت محمّد بن عثمان العمريّ يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام أنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله على خلقه إلى يوم القيامة ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة، فقال: إنّ هذا حقٌّ، فقيل له: يا ابن رسول الله فمن الحجّة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمّد هو الإمام بعدي من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة، أما إنّ له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون ويكذب فيها الوقّاتون، ثمّ يخرج فكأنّي أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه.

الباب الثالث

في بيان وجه الاستدلال بهذه الأخبار الواردة في النصوص على إمامته وذكر أحوال غيبته وما شوهد من دلالاته وبيناته وبعض ما خرج من توقيعاته في أربعة فصول

الفصل الأول

في ذكر الدلالة على إثبات غيبته عليه السلام وصحة إمامته من جهة الأخبار التي تقدم ذكرها وذكر أحوال غيبته

يدلُّ على إثبات إمامته ما أثبتناها من أخبار النصوص وهي ثلاثة أوجه أحدها النصُّ على عدد الأئمّة الاثني عشر، وقد جاءت تسميته في بعض تلك الأخبار ودلَّ البعض على إمامته بما فيه من ذكر العدد من قبل أنّه لا قائل بهذا العدد في الأُمّة إلاّ

من قال بإمامته وكلُّ ما طابق الحقَّ فهو حقٌّ، والوجه الثاني النصُّ عليه من جهة أبيه خاصّة، والوجه الثالث النصُّ عليه بذكر غيبته وصفتها التي يخصّها ووقوعها على الحدّ المذكور من غير اختلاف حتّى لم يخرم منه شيئاً وليس يجوز في العادات أن تواطىء جماعة كثيرة كذباً يكون خبراً عن كائن فيتّفق ذلك على حسب ما وصفوه وإذا كانت أخبار الغيبة قد سبقت زمان الحجّة بل زمان أبيه وجدّه حتى تعلّقت الكيسانيّة بها في إمامة ابن الحنفيّة والناووسيّة والممطورة في أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليه السلام وخلّدها المحدّثون من الشيعة في أُصولهم المؤلّفة في أيّام السيّدين الباقر والصادق عليهما السلام وآثروها عن النبي والأئمّة واحداً بعد واحد صحَّ بذلك القول في إمامة صاحب الزَّمان لوجود هذه الصفة له والغيبة المذكورة في دلائله وإعلام إمامته، وليس يمكن أحداً دفع ذلك ومن جملة ثقات المحدّثين والمصنّفين من الشيعة الحسن بن محبوب الزرَّاد وقد صنّف كتاب المشيخة الذي هو في أُصول الشيعة أشهر من كتاب المزني وأمثاله قبل زمان الغيبة بأكثر من مائة سنة تذكّر فيه بعض ما أوردناه من أخبار الغيبة فوافق الخُبر الخبر وحصل كلُّ ما تضمّنه الخبر بلا اختلاف ومن جملة ذلك ما رواه «عن إبراهيم الخارقي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: لقائم آل محمّد غيبتان واحدة طويلة والأُخرى قصيرة. قال: فقال لي: نعم يا أبا بصير إحداهما أطول من الأُخرى، ثمَّ لا يكون ذلك يعني ظهوره حتّى يختلف ولد فلان وتضيق الخلقة ويظهر السفياني ويشتدُّ البلاء ويشتمل الناس موت وقتل ويلجأون منه إلى حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم» فانظر كيف قد حصلت الغيبتان لصاحب الأمر على حسب ما تضمّنت الأخبار السابقة لوجوده عن آبائه وجدوده أمّا غيبته الصغرى منهما فهي التي كانت فيها سفراؤه موجودين وأبوابه معروفين، لا تختلف الإماميّة القائلون بإمامة الحسن بن عليّ فيهم فمنهم أبوهاشم داود بن القاسم الجعفريّ، ومحمّد بن عليّ بن بلال، وأبو عمرو عثمان بن سعيد السمّان، وابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان، وعمر الأهوازي، وأحمد بن إسحاق، وأبو محمّد الوجناني وإبراهيم بن مهزيار، ومحمّد بن إبراهيم في جماعة أُخرى ربّما يأتي ذكرهم عند الحاجة إليهم في الرّواية عنهم وكانت مدَّة هذه الغيبة أربعاً وسبعين سنة، وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري باباً لأبيه وجدّه من قبل وثقة لهما، ثمَّ تولّى الباقية من قبله وظهرت

المعجزات على يده، ولمّا مضى لسبيله قام ابنه أبو محمّد مقامه رحمهما الله بنصّه عليه ومضى على منهاج أبيه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع أو خمس وثلاثمائة، وقام مقامه أبو القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت بنصّ أبي جعفر محمّد بن عثمان عليه، وأقامه مقام نفسه ومات في شعبان سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة وقام مقامه أبو الحسن عليّ بن محمّد السمري بنصّ أبي القاسم عليه وتوفّي للنصف من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

فروى عن أبي محمّد الحسن بن أحمد المكتب أنّه قال: كنت بمدينة السّلام في السّنة التي توفّي فيها عليُّ بن محمّد السمري فحضرته قبل وفاته بأيّام فخرج وأخرج إلى النّاس توقيعاً نسخته بسم الله الرَّحمن الرّحيم يا عليَّ بن محمّد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامّة فلا ظهور إلاّ بعد أن يأذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي شيعتي من يدَّعي المشاهدة ألا فمن يدَّعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، قال: فانتسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده فلمّا كان اليوم السادس عدناإليه وهو يجود بنفسه فقيل له: من وصيّك؟ قال: لله أمر هو بالغه فقضى، فهذا آخر كلام سمع منه ثمَّ حصلت الغيبة الطولى التي نحن في أزمانها والفرج يكون في آخرها بمشيئة الله تعالى.

الفصل الثاني

في ذكر بعض ما روي من دلائله وبيناته

محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن جمهور، عن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار[١] قال: شككت عند مضيّ أبي محمّد واجتمع عند أبي مالٌ جليلٌ فحمله وركب السفينة وخرجت معه مشيّعاً فوعك وعكاً شديداً فقال: يا بنيّ ردّني فهو الموت وقال لي: اتّق الله في هذا المال وأوصى إليّ فمات، فقلت في نفسي: لم

(١) في الكافي «علي بن محمد بن حمدويه السويداوي عن محمد بن إبراهيم بن مهزيار».

يكن أبي ليوصي بشيء غير صحيح أحمل هذا المال إلى العراق وأكتري داراً على الشطّ ولا أُخبر أحداً بشيء فإن وضح لي شيء كوضوحه في أيّام أبي محمّد أنفذته وإلاّ قصفت به[١]. فقدمت العراق واكتريت داراً على الشطّ وبقيت أيّاماً فإذا أنا برقعة مع رسول فيها: يا محمّد معك كذا وكذا حتّى قصّ عليّ جميع ما معي ممّا لم أُحط به علماً فسلّمت المال إلى الرسول وبقيت أيّاماً لا يرفع لي رأس واغتممت فخرج إليَّ قد أقمناك مقام أبيك فاحمد الله.

وعنه عن محمّد بن أبي عبد الله، عن أبي عبد الله الشيباني[٢] قال: أوصلت أشياء للمرزباني الحارثيّ وكان فيها سوار ذهب، فقبلت ورُدَّ عليَّ السوار وأُمرت بكسره، فكسّرته فإذا في وسطه مثاقيل حديد نحاس [أ] وصفر فأخرجت ذلك منه وأنفذت الذهب فقبل.

وعنه عن عليّ بن محمّد قال: أوصل رجل من أهل السواد مالاً فردَّ عليه وقيل له: أخرج حقَّ بني عمّك منه وهو أربعمائة درهم وكان الرَّجل في يده ضيعة لبني عمّه فيها شركة قد حبسها عليهم، فنظر فإذا لولد عمّه في ذلك أربعمائة درهم فأخرجها وأنفذ الباقي فقبل.

وعنه عن عليّ بن محمّد، عن عليّ بن الحسين اليماني قال: كنت ببغداد فاتّفقت قافلة اليمانيّين فأردت الخروج معها فكتبت ألتمس الإذن في ذلك فخرج «لا تخرج معهم فليس لك في الخروج معهم خيرة وأقم بالكوفة» فأقمت وخرجت القافلة فخرجت عليهم بنو حنظلة فاجتاحتهم[٣] قال: وكتبت أستأذن في ركوب البحر فلم يؤذن لي فسألت عن المراكب التي خرجت تلك السنة في البحر فما سلم منها مركب، خرج عليها قوم من الهند يقال لهم: البوارح فقطعوا عليها[٤].

وعنه عن القاسم بن العلاء قال: ولد لي عدّة بنين فكنت أكتب وأسأل الدُّعاء

(١) القصوف: الإقامة في الأكل والشرب.

(٢) في بعض نسخ الكافي «النسائي» وفي بعضها «النسابي» وفي الإرشاد «السياري».

(٣) في الكافي بدون لفظ «بنو» وهم قبيلة من تميم. والاجتياح ـ بالجيم ثم الحاء المهملة ـ: الإهلاك والاستئصال.

(٤) البوارح بالموحدة والمهملتين يقال للشدائد والدواهي كأنهم شبهوا بها (الوافي).

لهم فلا يكتب إليّ لهم بشيء فماتوا كلّهم فلمّا ولد لي ابني الحسن كتبت أسأل الدُّعاء فأُجبت يبقى والحمد لله.

وعنه عن الحسن بن الفضل بن يزيد اليماني قال: كتب أبي بخطّه كتاباً فورد جوابه ثمّ كتب بخطّي فورد جوابه ثمّ كتب بخطّ رجل جليل من فقهاء أصحابنا فلم يرد جوابه فنظرنا فإذا العلّة في ذلك أنّ الرجل تحوّل قرمطيّاً.

قال الحسن بن الفضل: وزرت العراق وزرت طوس وعزمت أن لا أخرج إلاّ عن بيّنة من أمري ونجاح من حوائجي ولو احتجت أن أُقيم بها حتّى أتصدّق[١] قال: وفي خلال ذلك يضيق صدري بالمقام وأخاف أن يفوتني الحجّ قال: فجئت يوماً إلى محمّد بن أحمد وكان السفير يومئذ أتقاضاه فقال لي: سر إلى مسجد كذا وكذا فإنّه يلقاك رجلٌ قال: فصرت إليه فدخل عليَّ رجلٌ فلمّا نظر إليَّ ضحك وقال: لا تغتمّ فإنّك ستحجّ في هذه السنة وتنصرف إلى أهلك وولدك سالماً قال: فاطمأننت وسكن قلبي وقلت: أرى مصداق ذلك إن شاء الله قال: ثمَّ وردت العسكر فخرجت إليَّ صرَّة فيها دنانير وثوب فاغتممت وقلت في نفسي: جزائي عند القوم هذا واستعملت الجهل فرددتها وكتبت رقعة [ولم يشر الذي قبضها منّي عليَّ بشيء ولم يتكلّم فيها بحرف] ثمَّ ندمت بعد ذلك ندامة شديدة وقلت في نفسي: كفرت بردّي على مولاي وكتبت رقعة أعتذر فيها من فعلي وأبوء بالاثم وأستغفر عن زلّتي وأنفذتها وقمت أتمسّح[٢] وأنا في ذلك أُفكّر في نفسي وأقول: إن ردَّت عليَّ الدنانير لم أحلل صرارها[٣] ولم أحدث فيها حدثاً حتّى أحملها إلى أبي فإنّه أعلم منّي ليعمل فيها بما شاء، فخرج إلى الرَّسول الذي حمل إليَّ الصرَّة: أسأت إذ لم تعلم الرَّجل أنّا ربّما فعلنا ذلك بموالينا من غير مسألة ليتبرَّكوا به وخرج إليَّ: «أخطأت في ردّك برّنا فإذ استغفرت الله فالله يغفر لك، فأمّا إذا كانت عزيمتك وعقد نيّتك أن لا تحدث فيها حدثاً ولا تنفقها في طريقك فقد صرفناها عنك وأمّا الثوب فلا بدَّ منه لتحرم فيه،

(١) أي أسأل الصدقة وهو كلام عامي غير فصيح كما قاله ابن قتيبة (الوافي).

(٢) اتمسح أي أمر باطن كل من الكفين على باطن الأخرى مكرراً كما يفعله النادم الحزين، وقيل: أي قمت أسير في الأرض يقال: مسح الأرض أي قطعها (المجمع).

(٣) الصرار خيط يشد به فوق الخلف والتودية لئلا يرتضع الناقة ولدها (الصحاح).

قال: وكتبت في معنيين وأردت أن أكتب في ثالث فامتنعت عنه مخافة أن يكره ذلك، فورد جواب المعنيين والثالث الذي طويت مفسّراً والحمد لله.

وعنه عن عليّ بن محمّد، عن الحسن بن عبد الحميد قال: شككت في أمر حاجز بن يزيد[١] فجمعت شيئاً وصرت إلى العسكر فخرج «ليس فينا شكٌّ ولا في من يقوم مقامنا بأمرنا فاردد ما معك إلى حاجز بن يزيد».

وعنه، عن عليّ بن محمّد، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن الحسن، والعلاء بن رزق الله، عن بدر غلام أحمد بن الحسن قال: وردت الجبل[٢] وأنا لا أقول بالإمامة ولا أُحبّهم جملة حتّى أن مات يزيد بن عبد الله فأوصى إليّ في علّته أن يدفع الشّهري السمند وسيفه ومنطقته[٣] إلى مولاه فخفت إن لم أدفع الشهري إلى إذكوتكين[٤] نالني منه استخفاف فقوّمت الدّابّة والسيف والمنطقة بسبعمائة دينار في نفسي ولم أُطلع عليه أحداً ودفعت الشهري إلى إذكوتكين فإذا الكتاب قد ورد عليَّ من العراق أن وجّه السبع مائة دينار الّتي لنا قبلك من ثمن الشهري والسيف والمنطقة.

وعنه عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن شاذان النيسابوري قال: اجتمع عندي خمس مائة درهم تنقص عشرين درهماً فأنفت[٥] أن أبعث بها ناقصة فوزنت من عندي عشرين درهماً وبعثت إلى الأسدي ولم أكتب ما لي فيها فورد «وصلت خمسمائة درهم، لك منها عشرون درهماً».

وعنه عن الحسين بن محمّد الأشعريّ قال: كان يرد كتاب أبي محمّد في الإجراء على الجنيد قاتل فارس وأبي الحسن وآخر فلمّا مضى أبو محمّد ورد استئناف من الصاحب لإجراء أبي الحسن وصاحبه ولم يرد في أمر الجنيد شيء فاغتممت

---

(١) يعني في وكالته للصاحب عليه السلام أو ديانته (الوافي).

(٢) الجبل كورة بين بغداد وآذربيجان.

(٣) الشهري: ضرب من البراذين. والسمند: فرس له لون، معروف.

(٤) كان من أمراء الترك من أتباع بني العباس.

(٥) الأنفة: الاستنكاف.

لذلك فورد نعي الجنيد بعد ذلك. وإنَّ قطع جرايته إنّما كان لوفاته[١].

وعنه عن عليّ بن محمّد، عن أبي عقيل عيسى بن نصر قال: كتب عليُّ بن زياد الصيمري يسأل كفناً، فكتب إليه إنّك تحتاج إليه في سنة ثمانين فمات في سنة ثمانين وبعث إليه بالكفن قبل موته.

وعنه عن محمّد بن هارون بن عمران الهمدانيّ قال: كان للناحية عليَّ خمسمائة دينار وضقت بها ذرعاً. ثمّ قلت في نفسي: لي حوانيت اشتريتها بخمس مائة دينار وثلاثين ديناراً قد جعلتها للناحية بخمسمائة دينار ولا والله ما نطقت بذلك فكتب إلى محمّد بن جعفر اقبض الحوانيت من محمّد بن هارون بخمسمائة دينار التي لنا عليه.

وعنه عن الحسين بن الحسن العلويّ قال: أُلقي إلى عبد الله بن سليمان الوزير أنّ له وكلاء وأنّه يجبى إليهم الأموال وسمّوا الوكلاء في النواحي، فهمّ بالقبض عليهم، فقيل له: ولكن دسّوا لهم قوماً لا يعرفون بالأموال فمن قبض منهم شيئاً قُبض عليه فلم يشعر الوكلاء بشيء حتّى خرج أن لا يأخذوا من أحد شيئاً وأن يتجاهلوا بالأمر وهم لا يعلمون ما السبب في ذلك فاندسَّ لمحمّد بن أحمد رجلٌ لا يعرفه وقال: معي مالٌ أُريد أن أوصله، فقال له محمّد: غلطت أنا لا أعرف من هذا شيئاً فلم يزل يتلطّف به، ومحمّد يتجاهل وبثّوا الجواسيس فامتنع الوكلاء كلّهم بما كان تقدَّم إليهم فما يظفر بأحد منهم ولم تتمّ الحيلة لهم بذلك.

وعنه عن عليّ بن محمّد قال: خرج النهي عن زيارة مقابر قريش والحائر على ساكنهما التحيّة والسلام فلمّا كان بعد شهر دعا الوزير الباقطائي فقال له: إلق بني الفرات والبرسيّين وقل لهم: لا يزوروا مقابر قريش فقد أمر الخليفة أن يتفقّد كلَّ من زار فيقبض.

الشيخ أبو جعفر بن بابويه قال: حدَّثنا محمّد بن إبراهيم الطالقانيّ، عن أبي القاسم عليّ بن محمّد الخديجي الكوفيّ قال: حدَّثنا الأودي[٢] قال: بينا أنا في

---

(١) قوله: «وإن قطع جرايته» ليس في الكافي ولعله من كلام الطبرسي.

(٢) في غيبة الشيخ ص ١٦٢ «عن الفدكي عن الأودي» وفي كمال الدين ص ٢٤٧ «عن الخديجي عن الأزدي».

الطواف وقد طفت ستّاً وأُريد السابع فإذا بحلقة عن يمين الكعبة وشابّ حسن الوجه طيّب الرّائحة هيوب مع هيبته متقرّب إلى الناس يتكلّم فلم أر أحسن من كلامه ولا أعذب من منطقه في حسن جلوسه، فذهبت أُكلّمه فزبرني الناس فسألت بعضهم من هذا؟ فقالوا: هذا ابن رسول الله يظهر للنّاس في كلّ سنة يوماً لخواصّه يحدّثهم فقلت: سيّدي! مسترشداً أتيتك فأرشدني فناولني حصاة وكشفت يدي عنها فإذا بسبيكة ذهب فذهبت فإذا أنا به عليه السلام قد لحقني فقال لي ثبتت عليك الحجّة فظهر لك الحقُّ وذهب عنك العمى، أتعرفني؟ فقلت: لا فقال: أنا المهديّ وأنا قائم الزمان، أنا الذي أملأها عدلاً كما ملئت جوراً، إنَّ الأرض لا تخلو من حجّة ولا يبقى الناس في فترة وهذه أمانة فحدّث بها إخوانك من أهل الحقّ.

قال: وحدَّثنا أبي عن سعد بن عبد الله، عن عليّ بن محمّد الرازي قال: حدَّثنا جماعة من أصحابنا أنّه بعث إلى عبد الله بن الجنيد وهو بواسط غلاماً وأمر ببيعه فباع وقبض ثمنه فلمّا عيّر الدّنانير نقصت في التعيير ثمانية عشر قيراطاً وحبّة، فوزن من عنده ثمانية عشر قيراطاً وحبّة وأنفذها، فردَّ عليه ديناراً وزنه ثمانية عشر قيراطاً وحبّة.

قال: وحدَّثنا أبو جعفر محمّد بن عليّ الأسود أنَّ أبا جعفر العمريّ حضر لنفسه قبراً وسوَّاه بالساج فسألته عن ذلك فقال: قد أمرني أن أجمع أمري، فمات بعد ذلك بشهرين.

قال: وحدّثنا محمّد بن عليّ الأسود قال: سألني عليُّ بن الحسين بن موسى بن بابويه بعد موت محمّد بن عثمان العمريّ أن أسأل أبا القاسم الروحي أن يسأل مولانا صاحب الزمان أن يدعو الله أن يرزقه ولداً قال: فسألته فأنهى ذلك ثمَّ أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيّام أنه قد دعا لعليّ بن الحسين وأنّه سيولد له ولد مباركٌ ينفع الله به وبعده أولاد، قال أبو جعفر محمّد بن عليّ الأسود: وسألته في أمر نفسي أن يدعو لي أن أُرزق ولداً فلم يجبني إليه وقال لي: ليس إلى هذا سبيل قال: فولد لعليّ بن الحسين تلك السنة ابنه محمّد بن عليّ وبعده أولاد ولم يولد لي شيء.

قال الشيخ: كان أبو جعفر محمّد بن عليّ الأسود كثيراً ما يقول لي إذا رآني أختلف إلى مجلس شيخنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد وأرغب في كتب

العلم وحفظه: ليس بعجب أن تكون لك هذه الرّغبة في العلم وأنت ولدت بدعاء الإمام عليه السلام.

قال: حدَّثنا صالح بن الشعيب الطالقاني، عن أحمد بن إبراهيم بن عليّ قال: حضرت بغداد عند المشايخ فقال الشيخ عليُّ بن محمّد السمري ـ قدس الله روحه ورضي عنه ـ: رحم الله عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي قال: فكتب المشايخ تاريخ هذا اليوم فورد الخبر أنّه توفّي ذلك اليوم.

فهذا طرف يسير ممّا جاء في هذا المعنى وإيراد سائره يخرج عن الغرض في الاختصار، وفيما أوردناه كفاية إن شاء الله.

الفصل الثالث

في ذكر بعض التوقيعات الواردة منه عليه السلام

الشيخ أبو جعفر بن بابويه، عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق قال: سمعت أبا عليّ محمّد بن همّام قال: سمعت محمّد بن عثمان العمريّ يقول: خرج توقيع بخطّ أعرفه «من سمّاني في مجمع من النّاس باسمي فعليه لعنة الله» قال أبو عليّ محمّد بن همّام: وكتبت أسأله عن ظهور الفرج متى يكون؟ فخرج التوقيع كذب الوقّاتون.

محمّد بن يعقوب الكلينيّ، عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمّد بن عثمان العمريّ رحمه الله أن يوصل إليَّ كتاباً سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام:

«أمّا ما سألت عنه ـ أرشدك الله وثبّتك ـ من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا، فاعلم أنّه ليس بين أحد قرابة من أنكرني فليس منّي وسبيله سبيل ابن نوح عليه السلام.

وأمّا سبيل عمّي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام.

وأمّا الفقّاع فشربه حرامٌ ولا بأس بالشلماب.

وأمّا أموالكم فلا نقبلها إلاّ لتطهروا فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع فما آتانا الله خيرٌ ممّا آتاكم.

وأمّا ظهور الفرج فإنّه إلى الله تعالى ذكره وكذب الوقّاتون.

وأمّا قول من زعم أنَّ الحسين لم يقتل فكفر وتكذيب وضلال.

وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله وأمّا محمّد بن عثمان العمريّ فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنّه ثقتي وكتابه كتابي.

وأمّا محمّد بن عليّ بن مهزيار الأهوازيّ فسيصلح الله قلبه ويزيل عنه شكّه.

وأمّا ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلاّ لما طاب وطهر، وثمن المغنيّة حرام.

وأمّا محمّد بن شاذان بن نعيم فهو رجل من شيعتنا أهل البيت.

وأمّا أبو الخطّاب محمّد بن أبي زينب الأجدع فهو ملعون وأصحابه ملعونون، فلا تجالس أهل مقالتهم فإنّي بريء منهم وآبائي عليهم السلام براء منهم.

وأمّا المتلبّسون بأموالنا فمن استحلّ منها شيئاً فأكله فإنّما يأكل النيران.

وأمّا الخمس فقد أُبيح لشيعتنا وجعلوا منه في حلّ إلى وقت ظهور أمرنا لتطيب ولادتهم ولا تخبث.

وأمّا ندامة قوم شكوا في دين الله على ما وصلونا به فقد أقلنا من استقال ولا حاجة لنا في صلة الشاكّين.

وأمّا علّة ما وقع من الغيبة فإنَّ الله تعالى عزَّ وجلَّ يقول: ﴿**لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾ إنّه لم يكن أحد من آبائي إلاّ وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه وإنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي.

وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، وإنّي أمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمانٌ لأهل السماء، فأغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم ولا تتكلّفوا علم ما قد كفيتم وأكثروا الدُّعاء بتعجيل الفرج فإنَّ

ذلك فرجكم والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتّبع الهدى.

الشيخ أبو جعفر بن بابويه، عن أبيه، ومحمّد بن الحسن، عن عبد الله بن جعفر الحميريّ، عن محمّد بن صالح الهمدانيّ قال: كتبت إلى صاحب الزمان إنَّ أهل بيتي يؤذونني ويفزعونني بالحديث الذي روي عن آبائك أنّهم قالوا: خدّامنا وقوّامنا شرار خلق الله، فكتب «أما يقرؤون قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة**﴾ ونحن والله القرى التي بارك الله فيها وأنتم القرى الظاهرة».

الفصل الرابع

في ذكر أسماء الذين شاهدوه ورأوا دلائله وخرج إليهم توقيعاته وبعضهم وكلاء

الشيخ أبو جعفر ـ رحمه الله ـ قال: حدَّثنا محمّد بن محمّد الخزاعيّ، عن أبي عليّ الأسدي، عن أبيه محمّد بن أبي عبد الله الكوفي أنّه ذكر عدد من انتهى إليه ممّن وقف على معجزات صاحب الزَّمان ورآه من الوكلاء ببغداد: العمريّ وابنه وحاجز والبلالي والعطّار ومن أهل الكوفة العاصميّ، ومن أهل الأهواز محمّد بن إبراهيم بن مهزيار، ومن أهل قمّ أحمد بن إسحاق، ومن أهل همدان محمّد بن صالح، ومن أهل الرَّيّ البسامي[١] والأسدي ـ يعني نفسه ـ، ومن أهل أذربيجان القاسم بن العلاء، ومن نيسابور محمّد بن شاذان، ومن غير الوكلاء من أهل بغداد أبو القاسم بن أبي حابس، وأبو عبد الله الكندي، وأبو عبد الله الجنيدي، وهارون الفزاز والنيلي وأبو القاسم بن دبيس، وأبو عبد الله بن فرُّوخ، ومسرور الطبّاخ مولى أبي الحسن عليه السلام، وأحمد، ومحمّد ابنا [أبي] الحسن، وإسحاق الكاتب من بني نوبخت وصاحب الفرّاء، وصاحب الصرّة المختومة، ومن حمدان محمّد بن كشمرد وجعفر بن حمدان ومحمّد بن هارون بن عمران، ومن الدّينور حسن بن هارون، وأحمد بن أخيه، وأبو الحسن، ومن أصفهان ابن بادشاله، ومن الصيمرة زيدان،

(١) في رجال المامقاني ص٢١١ من الجزء الأول وكمال الدين ص ٢٤٧ «الشامي».

ومن قمّ الحسن بن النضر، ومحمّد بن محمّد، وعليّ بن محمّد بن إسحاق، وأبوه، والحسن بن يعقوب، ومن أهل الرَّيّ القاسم بن موسى، وابنه، وأبو محمّد بن هارون، وصاحب الحصاة، وعليُّ بن محمّد، ومحمّد بن محمّد الكليني، وأبو جعفر الرفا، ومن قزوين مرداس، وعليّ بن أحمد ومن قابس رجلان، ومن شهر زور ابن الخال، ومن فارس المجروح، ومن مرو صاحب الألف دينار، وصاحب المال والرُّقعة البيضاء، وأبو ثابت، ومن نيسابور محمّد بن شعيب بن صالح، ومن اليمن الفضل بن يزيد، والحسن ابنه، والجعفري، وابن الأعجمي والشمشاطي، ومن مصر صاحب المولودين، وصاحب المال بمكّة، وأبو رجاء، ومن نصيبين أبو محمّد بن الوجناء، ومن الأهواز الحصيني.

الباب الرابع

في ذكر علامات قيام القائم ومدة أيام ظهوره وطريقة أحكامه وسيرته عند قيامه وصفته وحليته في أربعة فصول

الفصل الأول

في ذكر علامات خروجه

قد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان قيامه، فمن ذلك ما رواه صفوان بن يحيى، عن محمّد بن حكيم، عن ميمون البان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خمس قبل قيام القائم: اليماني والسفياني والمنادي ينادي من السماء وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكيّة.

ومنه ما رواه عليُّ بن عاصم، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تقوم السّاعة حتّى يخرج المهديّ من ولدي ولا يخرج المهديّ حتّى يخرج ستّون كذّاباً كلّهم يقول: أنا نبيٌّ.

وروى الفضل بن شاذان، عمّن رواه، عن أبي حمزة قال: قلت لأبي

جعفر عليه السلام: خروج السفياني من المحتوم؟ قال: نعم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من مغربها من المحتوم، وقتل النفس الزكيّة من المحتوم، وخروج القائم من آل محمّد من المحتوم، قلت له: وكيف يكون النداء؟ فقال: ينادي مناد من السماء أوّل النهار ألا إنّ الحقَّ مع آل عليّ وشيعته، ثمّ ينادي إبليس في آخر النّهار ألا إنَّ الحقَّ مع عثمان وشيعته فعند ذلك يرتاب المبطلون.

وروى الحسن بن عليّ الوشّاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يخرج القائم حتّى يخرج قبله اثنا عشر من بني هاشم كلّهم يدّعي الإمامة.

وروى صالح بن عقبة، عن عبد الله بن محمّد الجعفيّ، عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: توقّوا آخر دولة بني العبّاس فإنّ لهم في شيعتنا لذعات وفي آخر دولتهم علامات أمضُّ من الحريق الملتهب.

وروى عمّار الساباطيّ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال: إنَّ بني العبّاس ضرام عرفج تلتهب، فتوقّهم فإنَّ المتوقّي لهم فائز.

وروى الحسن بن محبوب، عن أبي أيّوب الخزّاز، والعلاء بن رزين، عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ قدّام القائم علامات تكون من الله تعالى للمؤمنين، قلت: فما هي جعلني الله فداك؟ قال: قول الله عزَّ وجلّ: ﴿**ولنبلونّكم (يعني المؤمنين قبل خروج القائم) بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين**﴾ قال: يبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم، والجوع بغلاء أسعارهم، ونقص من الأموال بكساد التجارات وقلّة الفضل، ونقص من الأنفس بالموت الذّريع، ونقص من الثّمرات قلّة ريع ما يزرع وقلّة بركات الثمرات وبشّر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم، قال: بلى يا محمّد هذا تأويله إنَّ الله تعالى يقول: ﴿**وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم**﴾.

وروى عليّ بن مهزيار، عن عبد الله بن محمّد الحجّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن شعيب الحذّاء، عن أبي صالح مولى بني العذار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام

يقول: ليس بين قائم آل محمّد وبين قتل النفس الزكيّة إلاّ خمس عشرة ليلة.

وروى محمّد بن أبي البلاد، عن عليّ بن محمّد الأودي، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: بين يدي القائم موت أحمر وموت أبيض وجراد في حينه وجراد في غير حينه كألوان الدّم، فأمّا الموت الأحمر فالسيف، وأمّا الموت الأبيض فالطّاعون.

وروى الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الزم الأرض ولا تحرّك يداً ولا رجلاً حتّى ترى علامات أذكرها لك، وما أراك أن تدرك ذلك: اختلاف بني العباس، ومناد ينادي من السماء، وخسف قرية من قرى الشّام تسمّى الجابية، ونزول الترك الجزيرة، ونزول الرّوم الرّملة، واختلاف كثير عند ذلك في كلّ أرض حتّى تخرب الشّام ويكون سبب خرابها اجتماع ثلاث رايات فيها: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني.

وروى قتيبة بن محمّد بن عبد الله بن منصور البجليّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اسم السفياني فقال: ما تصنع باسمه إذا ملك كور الشّام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن وقنّسرين فتوقّعوا عند ذلك فرجاً، قلت: يملك تسعة أشهر؟ قال: لا لكن يملك ثمانية أشهر لا تزيد يوماً.

وروى محمّد بن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن الصّادق، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام أنّه قال: يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس وهو رجلٌ قبيح الوجه ضخم الهامة، بوجهه أثر جدري، إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان وأبوه عيينة وهو من ولد أبي سفيان حتّى يأتي أرضاً ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها.

وروى عليُّ بن أبي حمزة، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في قوله: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقُّ**﴾ قال: الفتن في آفاق الأرض والمسخ في أعداء الحقّ.

وهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿**إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين**﴾ قال: سيفعل الله ذلك بهم قال: فقلت: من هم؟ قال: بنو أُميّة وشيعتهم، قلت: وما الآية؟ قال: ركود الشمس

ما بين زوال الشمس إلى وقت العصر، وخروج صدر رجل ووجهه في عين الشمس يعرف بحسبه ونسبه ذلك في زمان السفياني وعندها يكون بواره وبوار قومه.

العلاء بن رزين، عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال: إذا رأيتم ناراً من المشرق كهيئة المرد العظيم[١] يطلع ثلاثة أيّام أو سبعة ـ الشكُّ من العلاء ـ فتوقّعوا فرج آل محمّد إنّ الله عزيزٌ كريمٌ.

علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ قدَّام القائم لسنة غيداقة[٢] تفسد الثمر في النخل فلا تشكّوا في ذلك.

سيف بن عميرة، عن بكر بن محمّد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خروج الثلاثة: السفياني والخراساني واليماني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني لأنّه يدعو إلى الحقّ.

عليُّ بن أسباط، عن الحسن بن الجهم قال: سأل رجلٌ أبا الحسن عن الفرج، فقال: تريد الإكثار أم أُجمل لك؟ قال: بل تجمل لي، قال: إذا ركزت رايات قيس بمصر، ورايات كندة بخراسان.

إبراهيم بن محمّد بن جعفر، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سنة الفتح تنشقُّ الفرات حتّى تدخل أزقّة الكوفة.

الحسن بن يزيد[٣]، عن منذر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يزجر النّاس قبل قيام القائم عن معاصيهم بنار تظهر في السماء، وحمرة تجلّل السماء، وخسف ببغداد وخسف ببلد البصرة، ودماء تسفك بها، وخراب دورها، وفناء يقع في أهلها، وشمول أهل العراق خوف لا يكون معه قرار.

الفضل بن شاذان، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن ثعلبة الأزدي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: آيتان تكونان قبل قيام القائم: كسوف الشمس في النصف من رمضان وخسوف القمر في آخره، قال: فقلت: يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في

---

(١) في غيبة النعماني «الهروي العظيم».

(٢) أي كثيرة الانتظار.

(٣) في الإرشاد «الحسين بن سعيد».

النصف من الشهر والقمر في آخر الشهر؟ فقال: نعم أنا أعلم بما قلت، إنّهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم.

عبد الله بن بكير، عن عبد الملك بن إسماعيل، عن أبيه، عن سعيد بن جبير قال: إنَّ السنة التي يقوم فيها القائم المهديّ تمطر الأرض أربعاً وعشرين مطرة ترى آثارها وبركتها إن شاء الله.

الفصل الثاني

في ذكر السنة التي يقوم فيها القائم عليه السلام واليوم الذي يقوم فيه

روى الحسن بن محبوب، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يخرج القائم إلاّ في وتر من السنين سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع.

الفضل بن شاذان، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ينادى باسم القائم في يوم ستّ وعشرين من شهر رمضان، ويقوم في يوم عاشوراء وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن عليّ عليهما السلام لكأنّي به في يوم السبت العاشر من المحرَّم قائماً بين الركن والمقام، جبرئيل بين يديه ينادي بالبيعة له فتصير شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طيّاً حتّى يبايعوه فيملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

الفصل الثالث

في ذكر نبذ من سيرته عند قيامه وطريق أحكامه ووصف زمانه ومدة أيامه

روى الحجّال عن ثعلبة، عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كأنّي بالقائم على نجف الكوفة وقد سار إليها من مكّة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، والمؤمنون بين يديه، وهو يفرّق الجنود في الأمصار.

وفي رواية عمرو بن شمر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذكر المهديّ فقال: يدخل الكوفة وفيها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفو له ويدخل حتّى يأتي المنبر فيخطب فلا يدري النّاس ما يقول من البكاء، فإذا كانت الجمعة الثانية سأله الناس أن يصلّي بهم الجمعة فيأمر أن يخطّ مسجد على الغريّ ويصلّي بهم هناك، ثمَّ يأمر من يحفر من ظهر مشهد الحسين عليه السلام نهراً يجري إلى الغريّين حتّى ينزل الماء في النجف ويعمل على فوهته القناطير والأرحاء، فكأنّي بالعجوز على رأسها مكتل فيه برٌّ تأتي تلك الأرحاء فتطحنه بلا كراء.

وفي رواية المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا قام قائم آل محمّد بنى في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب واتّصلت بيوت الكوفة بنهر كربلاء، قال: وسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا أذن الله تعالى للقائم بالخروج صعد المنبر فدعا النّاس إلى الله عزَّ وجلَّ وخوَّفهم بالله ودعاهم إلى حقّه على أن يسير فيهم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعمل فيهم بعمله، فيبعث الله عزَّ وجلَّ جبرئيل حتّى يأتيه ويسأله ويقول له: إلى أيّ شيء تدعو؟ فيخبره القائم فيقول جبرئيل: فأنا أوّل من يبايع، ثمَّ يقول له: مدَّ كفّك فيمسح على يده وقد وافاه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيبايعونه فيقيم بهم بمكّة حتّى يتمّ أصحابه عشرة آلاف أنفس ثمَّ يسير إلى المدينة.

وروى محمّد بن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديداً وهداهم إلى أمر قد دثر وضلَّ عنه الجمهور، وإنّما سمّي المهديُّ مهديّاً [لأنّه يهدي إلى أمر مضلول عنه وسمّي بالقائم] لقيامه بالحقّ.

وروى عبد الله بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام القائم من آل محمّد أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثمّ أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثمَّ خمسمائة أُخرى حتّى يفعل ذلك ستَّ مرّات، قلت: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال: نعم منهم ومن مواليهم.

وروى أبو بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا قام القائم هدم المسجد الحرام حتّى يردَّه إلى أساسه، وحوّل المقام إلى الموضع الذي كان فيه، وقطع أيدي

بني شيبة وعلّقها بالكعبة وكتب عليها هؤلاء سرّاق الكعبة.

وروى عليّ بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام القائم نزلت ملائكة بدر ثلث على خيول شهب وثلث على خيول بلق وثلث على خيول حُوّ[١]، قلت: يا ابن رسول الله وما الحُوّ؟ قال: الحمر.

وروى محمّد بن عطاء، عن سلاّم بن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ لصاحب هذا الأمر بيتاً يقال له: الحمد فيه سراج يزهر منذ يوم ولد إلى يوم يقوم بالسيف.

وروى أبو الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل أنّه قال: إذا قام القائم سار إلى الكوفة فيخرج منه بضع عشر ألف نفس يدعون البترية عليهم السلاح فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتّى يأتي على آخرهم ثمَّ يدخل الكوفة فيقتل بها كلَّ منافق مرتاب، ويهدم قصورها ويقتل مقاتليها حتّى يرضى الله عزَّ وجلَّ.

وروى عليّ بن عقبة، عن أبيه قال: إذا قام القائم حكم بالعدل، وارتفع في أيّامه الجور، وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، وردَّ كلَّ حقّ إلى أهله ولم يبق أهل دين حتّى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان أما سمعت الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿**وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون**﴾ وحكم بين الناس بحكم داود وحكم محمّد صلى الله عليه وآله فحينئذ تظهر الأرض كنوزها وتبدي زينتها فلا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولا لبرّه لشمول الغنى جميع المؤمنين، ثمَّ قال: إنَّ دولتنا آخر الدول ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا لئلاّ يقولوا إذا رأوا سيرتنا: لو ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**والعاقبة للمتّقين**﴾.

وروى عبد الكريم الخثعمي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم يملك القائم؟ قال: سبع سنين، يطول له الأيّام واللّيالي حتّى تكون السنة من سنيه مكان عشر سنين من سنيكم مدَّة فيكون سني ملكه سبعين سنة من سنيكم هذه وإذا آن قيامه مطر الناس في جمادى الآخرة وعشرة أيّام من رجب مطراً لم ير الناس مثله فينبت الله

---

(١) الحوة ـ بالشد ـ: سواد إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد مثل صدء الحديد.

به لحوم المؤمنين في أبدانهم في قبورهم فكأنّي أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون رؤوسهم من التراب.

وروى أبو بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة وهدم بها أربع مساجد ولم يبق مسجد على وجه الأرض له شرف إلاّ هدمه وجعلها جمّاً ووسع الطريق الأعظم وكسر كلّ جناح خارج في الطريق وأبطل الكنف والميازيب، ولا يترك بدعة إلاّ أزالها ولا سنّة إلاّ أقامها، ويفتح قسطنطينية والصين وجبال الديلم ويمكث على ذلك سبع سنين من سنيكم هذه، ثمَّ يفعل الله ما يشاء، قال: قلت له: جعلت فداك وكيف يطول السنين؟ قال: يأمر الله تعالى الفلك بالثبوت وقلّة الحركة فتطول الأيام لذلك والسنون قال: قلت: إنّهم يقولون: إنَّ الفلك إن تغيّر فسد؟ قال: ذلك قول الزنادقة فأمّا المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك وقد شقَّ الله لنبيّه القمر وردَّت الشمس ليوشع بن نون وأخبر بطول يوم القيامة وأنّه كألف سنة ممّا تعدُّون.

وروى عاصم بن حميد الحنّاط، عن محمّد بن مسلم الثقفيّ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: القائم منّا منصور بالرُّعب، مؤيّدٌ بالنصر، تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز يبلغ سلطانه المشرق والمغرب ويظهر به الله دينه على الدّين كلّه ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلاّ عمر، وينزل روح الله عيسى ابن مريم فيصلّي خلفه، قال: فقلت: يا ابن رسول الله ومتى يخرج قائمكم؟ قال: إذا تشبّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وتركب ذوات الفروج السروج، وقبلت شهادة الزور وردَّت شهادة العدل واستخف الناس بالدماء وارتكاب الزنا وأكل الربا واتّقي الأشرار مخافة ألسنتهم، وخرج السفيانيُّ من الشام واليمانيّ وخسف بالبيداء وقتل غلام من آل محمّد بين الرُّكن والمقام اسمه محمّد بن الحسن النفس الزكيّة ومناد ينادي من السماء بأنَّ الحقَّ فيه وفي شيعته فعند ذلك خروج قائمنا فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فأوَّل ما ينطق به هذه الآية ﴿**بقيّة الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين**﴾ ثمَّ يقول: أنا بقية الله وخليفته وحجّته عليكم، فلا يسلّم عليه مسلم إلاّ قال: السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه فإذا اجتمع له العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى في الأرض معبود دون الله

من صنم ولا وثن إلاّ وقعت فيه نار فاحترق، ذلك بعد غيبة طويلة ليعلم الله من يطيعه بالغيب ويؤمن به.

وروى المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يخرج إلى القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحقّ وبه يعدلون، وسبعة من أصحاب الكهف ويوشع بن نون وسلمان وأبو دجانة الأنصاريّ والمقداد بن الأسود ومالك الأشتر فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً.

وروى عبد الله بن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام قائم آل محمّد حكم بين الناس بحكم داود لا يحتاج إلى بيّنة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه ويخبر كلَّ قوم بما استبطنوه ويعرف وليّه من عدوّه بالتوسّم، قال الله تعالى: **﴿إنَّ في ذلك لآيات للمتوسّمين﴾**.

وقد روي أنَّ مدّة دولة القائم تسع عشر سنة يطول أيّامها وشهورها على ما تقدَّم ذكره.

وروي أيضاً أنّه يملك ثلاثمائة وتسع سنين قدر ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم وهذا أمرٌ مغيّب عنّا والله أعلم بحقيقة ذلك.

روى المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها واستغنى العباد عن ضوء الشمس وذهبت الظلمة ويعمر الرجل في ملكه حتّى يولد له ألف ولد ذكر لا يولد فيهم أنثى، وتظهر الأرض كنوزها حتّى يراها النّاس على وجهها، ويطلب الرَّجل منكم من يصله بماله، ويأخذ منه زكاته فلا يجد أحداً يقبل منه ذلك لاستغناء الناس بما رزقهم الله من فضله.

الفصل الرابع
في ذكر صفة القائم وحليته

روى عمرو بن شمر، عن جابر الجعفيّ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: سأل عمر بن الخطّاب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن المهديّ ما اسمه؟

فقال: أمّا اسمه فإنّ حبيبي رسول الله ﷺ عهد إليّ أن لا أُحدّث به حتّى يبعثه الله تعالى، قال: فأخبرني عن صفته فقال: هو شابٌ مربوع[١]، حسن الوجه، حسن الشعر، يسيل شعره على منكبيه، ويعلو نور وجهه سواد شعر لحيته ورأسه، بأبي ابن خيرة الإماء.

وروى محمّد بن سنان، عن أبي الجارود زياد بن منذر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أبيه، عن جدّه قال: قال أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام على المنبر: يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض مشرب حمرة، مبدح البطن[٢]، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين[٣]، بظهره شامتان شامة على لون جلده وشامة على لون شامة النبيّ ﷺ، له اسمان اسم يخفى واسم يعلن، فأمّا الذي يخفى فأحمد وأمّا الذي يعلن فمحمّد، فإذا هزَّ رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب، ووضع يده على رؤوس العباد فلا يبقى مؤمن إلاّ صار قلبه أشد من زبر الحديد، وأعطاه الله عزَّ وجلَّ قوّة أربعين رجلاً ولا يبقى مؤمن[٤] إلاّ دخل عليه تلك الفرحة في قلبه وفي قبره، فهم يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم.

وروى أبو الصلت الهرويّ قال: قلت للرّضا: ما علامة القائم منكم إذا خرج؟ فقال: علامته أن يكون شيخ السنّ شاب المنظر حتّى أنّ الناظر إليه يحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإنّ من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيّام واللّيالي عليه حتّى يجيء أجله.

وجاءت الرواية الصحيحة بأنّه ليس بعد دولة القائم دولة لأحد إلاّ ما روي من قيام ولده إن شاء الله ذلك ولم ترد به الرواية على القطع والثبات وأكثر الروايات أنّه

---

(١) أي متوسط القامة.

(٢) «مبدح البطن» أي واسعه وعريضه، قال الفيروزآبادي: البداح ـ كسحاب ـ المتسع من الأرض، أو اللينة الواسعة.

(٣) في القاموس المشاشة ـ بالضم ـ: رأس العظم الممكن المضغ والجمع مشاش، والشامة علامة تخالف البدن الذي هي فيه وهي هنامطلق العلامة وإن لم تخالف في اللون ولعل المراد ما بان بكونه أرفع من سائر الأجزاء أو أخفض.

(٤) في بعض النسخ [لا يبقى ميت].

لن يمضي من الدنيا إلاّ قبل القيامة بأربعين يوماً يكون فيها الهرج وعلامة خروج الأموات وقيام الساعة والله أعلم.

الباب الخامس

في ذكر مسائل يسأل عنها أهل الخلاف في غيبة صاحب الزمان وحل الشبهات فيها بواضح الدليل ولائح البرهان وهي سبع مسائل

مسألة قالوا: ما الوجه في غيبته على الاستمرار والدَّوام حتّى صار ذلك سبباً لإنكار وجوده ونفي ولادته وكيف يجوز أن يكون إماماً للخلق ولم يظهر قطّ لأحد منهم وآباؤه وإن لم يظهروا الدُّعاء إلى نفوسهم فيما يتعلّق بالإمامة فقد كانوا ظاهرين يفتون في الأحكام فلا يمكن لأحد نفي وجودهم؟.

الجواب قد ذكر الأجلُّ المرتضى ـ قدَّس الله روحه ـ في ذلك طريقة لم يسبقه إليها أحدٌ من أصحابنا فقال: إنَّ العقل إذا دلَّ على وجوب الإمامة فإنَّ كلَّ زمان كلّف المكلّفون الذين يقع منهم القبيح والحسن ويجوز عليهم الطاعة والمعصية لا يخلو من إمام لأنّ خلوّه من الإمام إخلال بتمكينهم وقادح في حسن تكليفهم، ثمَّ دلَّ العقل على أنَّ ذلك الإمام لا بدَّ أن يكون معصوماً من الخطأ مأموناً منه كلّ قبيح وثبت أنَّ هذه الصفة التي دلّ العقل على وجوبها لا توجد إلاّ فيمن تدّعي الإماميّة إمامته ويعرى منها كل من يدّعى له الإمامة سيّما العصمة فتعيّنت إمامته.

وأما غيبته وسببها واضح بعد أن تقرّرت إمامته لأنّا إذا علمنا أنّه الإمام بالضرورة وكان غائباً عن الأبصار علمنا أنّه لم يغب مع عصمته وتعيّن فرض الإمامة فيه إلاّ لأمر اقتضى ذلك ومصلحة استدعته وضرورة حملت عليه وإن لم يعلم وجهه على التفصيل لأنَّ ذلك ممّا لا يلزم علمه وجرى الكلام في الغيبة ووجهها مجرى العلم بمراد الله تعالى فيها من المتشابهات في القرآن التي ظاهرها الجبر أو التشبيه فإنّا

نقول: إذا علمنا حكمة الله سبحانه وأنّه لا يجوز أن يخبر بخلاف ما هو عليه من الصفات علمنا على الجملة أنّ لهذه الآيات وجوهاً صحيحة بخلاف ظواهرها وتطابق مدلول أدلّة العقل وإن غاب عنّا العلم بذلك مفصّلاً فإن تكلّفنا الجواب عن ذلك فهو فضل منّا غير واجب وكذلك الجواب لمن سأل عن الوجه في إيلام الأطفال وجهة المصلحة في رمي الجمار والطواف بالبيت وما أشبه ذلك من العبادات على التفصيل والتعيين فإنّا إذا عوّلنا على حكمة القديم وأنّه لا يجوز أن يفعل قبيحاً فلا بدَّ من وجه حسن في جميع ذلك وإن جهلناه بعينه فليس يجب علينا بيان ذلك الوجه وأنّه ما هو وفي هذا سدُّ الباب على مخالفينا في سؤالاتهم وقطع التطويلات عنهم والاشتباهات إلاّ أن نتبرّع بإيراد الوجه في غيبته عليه السلام على سبيل الاستظهار وبيان الاقتدار وإن كان ذلك غير واجب علينا في حكم النظر والاعتبار.

فنقول: الوجه في غيبته هو خوفه على نفسه ومن خاف على نفسه احتاج إلى الاستتار فأمّا لو كان خوفه على ماله أو على الأذى في نفسه لوجب عليه أن يتحمّل ذلك لتنزاح علّةُ المكلّفين في تكليفهم وهذا كما نقوله في النبيّ في أنّه يجب عليه أن يتحمّل كلّ أذى في نفسه حتّى يصحَّ منه الأداء إلى الخلق ما هو لطف لهم وإنّما يجب عليه الظهور وإن أدّى إلى قتله كما ظهر كثير من الأنبياء وإن قتلوا لأنَّ هناك كان في المعلوم أنّ غير ذلك النبيّ يقوم مقامه في تحمّل أعباء النبوّة أوأنَّ المصالح التي كان يؤدّيها ذلك النبيّ قد تغيّرت وليس كذلك حال إمام الزَّمان فإنّ الله تعالى قد علم أنّه ليس بعده من يقوم مقامه في باب الإمامة والشريعة على ما كانت عليه واللّطف بمكانه لم يتغيّر ولا يصحّ تغيره فلا يجوز ظهوره إذا أدّى إلى قتله، وإنّما كان آباؤه، ظاهرين بين الناس يفتونهم ويعاشرونهم، ولم يظهر هو لأنّ خوفه أكثر فإنَّ الأئمّة الماضين من آبائه أخبروا بأنَّ الإمام صاحب السيف هو الثاني عشر منهم وأنّه الذي يملأ الأرض عدلاً وشاع ذلك القول منهم حتّى ظهر ذلك القول بين أعدائهم فكانت السلاطين الظلمة يتوقّفون عن قتل آبائه لعلمهم بأنّهم لا يخرجون بالسيف ويتشوّقون إلى حصول الثاني عشر ليقتلوه ويبيدوه، ألا ترى أنَّ السلطان في الوقت الذي توفّي فيه العسكريّ وكّل بحرمه وبجواريه من يتفقّد حملهنَّ لكي يظفر بولده ويقتله كما أنّ فرعون موسى لمّا علم أنَّ ذهاب ملكه على يد موسى منع الرجال من أزواجهم ووكّل بذوات الأحمال منهنَّ ليظفر به، وكذلك نمرود لمّا علم أنَّ ملكه يزول على يد

إبراهيم وكّل بالحبالى من نساء قومه وفرّق بين الرّجال وأزواجهم فستر الله سبحانه ولادة إبراهيم وموسى كما ستر ولادة القائم لما علم في ذلك من التدبير وأمّا كون غيبته سبباً لنفي ولادته فإن ذلك لضعف البصيرة والتقصير عن النظر وعلى الحقّ فيه دليل واضح لمن أراده ظاهر لمن قصده.

مسألة ثانية قالوا: إذا كان الإمام غائباً بحيث لا يصل إليه أحدٌ من الخلق ولا ينتفع به فما الفرق بين وجوده وعدمه؟ وإلاّ جاز أن يميته الله تعالى أو يعدمه حتّى إذا علم أنَّ الرعيّة تمكّنه وتسلّم له أوجده أو أحياه كما جاز أن يبيحه الاستتار حتّى يعلم منهم التمكين له فيظهره.

الجواب أوّل ما نقوله: إنّا لا نقطع على أنَّ الإمام لا يصل إليه أحدٌ فهذا أمر غير معلوم ولا سبيل إلى القطع به، ثمَّ إن الفرق بين وجوده غائباً عن أعدائه للتقيّة وهو في أثناء تلك الغيبة منتظر أن يمكّنوه فيظهر ويتصرّف وبين عدمه واضح وهو أنَّ الحجّة هناك فيما فات من مصالح العباد لازمة لله تعالى وههنا لازمة للبشر لأنّه إذا خيف فغيّب شخصه عنهم كان ما يفوتهم من المصلحة عقيب فعل كانوا هم السبب فيه، منسوباً إليهم فيلزمهم في ذلك الذمّ وهم المؤاخذون به الملومون عليه وإذا أعدمه الله تعالى كان ما يفوت العباد من مصالحهم ويحرمونه من لطفهم وانتفاعهم به منسوباً إلى الله تعالى ولا حجّة فيه على العباد ولا لوم يلزمهم لأنّه لا يجوز أن يسبّبوا فعلاً لله تعالى[(١)].

مسألة ثالثة: قالوا: الحدود التي تجب على الجناة في حال الغيبة ما حكمها؟ فإن قلتم: يسقط من أهلها صرّحتم بنسخ الشريعة وإن كانت ثابتة فمن أين الحكم بها وهو مستتر غائب.

الجواب الحدود المستحقّة ثابتة في جنوب جناة ما يوجبها من الأفعال فإن ظهر الإمام ومستحقّوها أحياء ويثبت بالبيّنة أو الإقرار أقامها عليهم وإن فات ذلك بموتهم كان الإثم في تفويت إقامتها على المخيفين الإمام المحوجين إيّاه إلى الغيبة وليس هذا بنسخ لإقامة الحدود لأنّ الحدَّ إنّما يجب إجراؤه مع التمكّن وزوال المانع وليس

---

(١) كذا في النسخ وفي محكيه في كشف الغمة «لأنه لا يجوز أن يكون إخافتهم إياه فعلاً لله».

سقوط فرض إقامته مع الموانع وزوال التمكّن نسخاً للشرع المتقرّر لأنّ الشرط في الوجوب لم يحصل وإنّما يكون ذلك نسخاً حيث سقط فرض إقامتها عن الإمام مع تمكّنه على أنّ هذا أيضاً يلزم مخالفينا إذا قيل لهم: كيف الحكم في الحدود في الأحوال الّتي لا يتمكّن فيها أهل الحلّ والعقد من اختيار الإمام ونصبه وهل تبطل أو تثبت من تعذّر إقامتها وهل يقتضي هذا التعذّر نسخ الشريعة؟ فكلُّ ما أجابوا به عن ذلك فهو جوابنا بعينه.

مسألة رابعة فإن قالوا: الحقّ مع غيبة الإمام كيف يدرك؟ فإن قلتم: لا يدرك ولا يوصل إليه فقد جعلتم الناس في حيرة وضلال مع الغيبة وإن قلتم: يدرك الحقّ من جهة الأدلّة المنصوص بها عليه فقد صرّحتم بالاستغناء عن الإمام بهذه الأدلّة وهذا يخالف مذهبكم.

الجواب أنّ الحقَّ على ضربين عقليٌّ وسمعيٌّ فالعقليُّ يدرك ولا يؤثر فيه وجود الإمام ولا فقده، والسمعيُّ عليه أدلّة منصوبة من أقوال النبيّ ﷺ ونصوصه وأقوال الأئمّة الصادقين عليهم السلام قد بيّنوا ذلك وأوضحوه غير أنَّ ذلك وإن كان على ما قلناه فالحاجة إلى الإمام مع ذلك ثابتة لأنّ جهة الحاجة المستمرّة في كلّ عصر وعلى كلّ حال هي كونه لطفاً لنا في الفعل الواجب العقليّ من الإنصاف والعدل واجتناب الظلم والبغي وهذا ممّا لا يقوم غيره مقامه فيه، فأمّا الحاجة إليه من جهة الشرع فهي أيضاً ظاهرة لأنَّ النقل الوارد عن النبيّ والأئمّة عليهم السلام يجوز أن يعدل الناقلون[1] عن ذلك إمّا بتعمّد أو لشبهة فينقطع النقل أو يبقى فيمن ليس نقله حجّة ولا دليلاً فيحتاج حينئذ إلى الإمام ليكشف ذلك ويبيّنه، وإنّما يثق المكلّفون بما نقل إليهم وأنّه جميع الشرع إذا علموا أنَّ وراء هذا النقل إماماً متى اختلَّ سدَّ خلله وبيّن المشتبه فيه، فالحاجة إلى الإمام ثابتة مع إدراك الحقّ في أحوال الغيبة من الأدلّة الشرعيّة على أنّا إذا علمنا بالإجماع أنّ التكليف لازم لنا إلى يوم القيامة ولا يسقط بحال علمنا أنَّ النقل ببعض الشريعة لا تنقطع في حال تكون تقيّة الإمام فيه مستمرّة وخوفه من الأعداء باقياً ولو اتّفق ذلك لما كان إلاّ في حال يتمكّن فيها الإمام من البروز والظهور والإعلام وغير ذلك.

---

(١) في بعض النسخ [يجوز أن يغفل الناقلون].

مسألة خامسة فإن قالوا: إذا كانت العلّة في غيبة الإمام خوفه من الظالمين من أعدائه والمخالفين فهذه العلّة منفيّة عن أوليائه فيجب أن يكون ظاهراً لهم أو يجب أن يسقط عنهم التكليف الذي إمامته لطف فيه.

الجواب قد أجاب أصحابنا عن هذا السؤال بأجوبة: أحدها أنَّ الإمام ليس في تقيّة من أوليائه وإن غاب عنهم كغيبته عن أعدائه لخوفه من إيقاعهم الضرر به وعلمه بأنّه لو ظهر لهم لسفكوا دمه، وغيبته عن أوليائه لغير هذه العلّة وهو أنّه أشفق من إشاعتهم خبره والتحدّث منهم كذلك على وجه التشرُّف بذكره والاحتجاج بوجوده فيؤدّي ذلك إلى علم أعدائه بمكانه فيعقّب علمهم بذلك ما ذكرناه من وقوع الضرر به، وثانيها أنّ غيبته عن أعدائه للتقيّة منهم وغيبته عن أوليائه للتقيّة عليهم والإشفاق من إيقاع الضرر بهم إذ لو ظهر للقائلين بإمامته وشاهده بعض أعدائه وأذاع خبره طولب أولياؤه به فإذا فات الطالب بالاستتار أعقب ذلك عظيم المكروه والضرر بأوليائه وهذا معروف بالعادات، وثالثها أنّه لا بدَّ من أن يكون في المعلوم أنَّ في القائلين بإمامته من لا يرجع عن الحقّ من اعتقاد إمامته والقول بصحّتها على حال من الأحوال فأمره الله بالاستتار ليكون المقام على الإقرار بإمامته مع الشُبه في ذلك وشدَّة المشقّة أعظم ثواباً من المقام على الإقرار بإمامته مع المشاهدة له، فكانت غيبته عن أوليائه لهذا الوجه ولم يكن للتقيّة منهم، ورابعها وهو الذي عليه المرتضى ـ قدّس سرّه ـ قال: أوّلاً: نحن لا نقطع على أنّه لا يظهر لجميع أوليائه فإنَّ هذا الأمر مغيّب عنّا ولا يعرف كلٌّ منّا إلاّ حال نفسه فإذا جوَّزنا ظهوره لهم كما جوَّزنا غيبته عنهم فنقول في علّة غيبته عنهم إنّ الإمام عند ظهوره من الغيبة إنّما يميّز شخصه كما يعرف عينه بالمعجز الذي يظهر على يده لأنَّ النصوص الدالّة على إمامته لا تميّز شخصه من غيره كما ميّزت أشخاص آبائه، والمعجز إنّما يعلم دلالته بضرب من الاستدلال والشبه تدخل في ذلك فلا يمتنع أن يكون كلُّ من لم يظهر له من أوليائه فإنّ المعلوم من حاله أنّه متى ظهر له قصر في النظر في معجزه ولحق لهذا التقصير بمن يخاف منه من الأعداء، على أنَّ أولياء الإمام وشيعته منتفعون به في حال غيبته لأنّهم مع علمهم بوجوده بينهم وقطعهم بوجوب طاعته عليهم لا بدَّ أن يخافوا إيّاه في ارتكاب القبيح ويرهبوا عن تأديبه وانتقامه ومؤاخذته فيكثر منهم فعل الواجب ويقلُّ ارتكاب المعصية

أو يكونوا إلى ذلك أقرب فيحصل لهم اللّطف به مع غيبته بل ربّما كانت الغيبة في هذا الباب أقوى لأنّ المكلّف إذا لم يعرف مكانه ولم يقف على موضعه جوّز فيمن لا يعرفه أنّه الإمام يكون إلى فعل الواجب أقرب منه إلى ذلك لو عرفه أو لم يجوّز فيه كونه إماماً، فإن قالوا: إنَّ هذا تصريح منكم بأنّ ظهور الإمام كاستتاره في الانتفاع به والخوف منه، فنقول: إنَّ ظهوره لا يجوز أن يكون في المنافع كاستتاره وكيف يكون ذلك وفي ظهوره وقوّة سلطانه انتفاع الوليّ والعدوّ والمحبّ والمبغض ولا ينتفع به في حال الغيبة إلاّ وليّه دون عدوّه وأيضاً إنَّ في انبساط يده منافع كثيرة لأوليائه وغيرهم [و]لأنّه يحمي حوزتهم ويسدُّ ثغورهم ويؤمن طرقهم فيتمكّنون من التجارات والمغانم ويمنع الظالمين من ظلمهم فتتوفّر أموالهم وتصلح أحوالهم غير أنَّ هذه منافع دنيويّة لا يجب إذا فاتت بالغيبة أن يسقط التكليف معها والمنافع الدينيّة الواجبة في كلّ حالة بالإمامة قد بيّنّا أنّها ثابتة لأوليائه مع الغيبة فلا يجب سقوط التكليف بها[1].

مسألة سادسة قالوا: لا يمكن أن يكون في العالم بشرٌ له من السنّ ما تصفونه لإمامكم وهو مع ذلك كاملٌ صحيح الحسّ، وأكثروا التعجّب من ذلك وشنّعوا به علينا.

الجواب أنَّ من لزم طريق النظر وفرّق بين المقدور والمحال لم ينكر ذلك إلاّ أن يعدل عن الإنصاف إلى العناد والخلاف، وطول العمر وخروجه من المعتاد لا اعتراض به لأمرين أحدهما أن لا نسلّم أنَّ ذلك خارق للعادة لأنَّ تطاول الزمان لا ينافي وجود الحياة وإنَّ مرور الأوقات لا تأثير له في العلوم والقدر ومن قرأ الأخبار ونظر فيما سطر في الكتب من ذكر المعمّرين علم أنَّ ذلك ممّا جرت العادة به وقد نطق القرآن بذكر نوح وأنّه لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً وقد صنّف الكتب في أخبار المعمّرين من العرب والعجم وقد تظاهرت الأخبار في أنَّ أطول بني آدم عمراً الخضر، وأجمعت الشيعة وأصحاب الحديث بل الأُمّة بأسرها ما خلا المعتزلة

(١) لخص المؤلف هذا الكلام من الشافي للشريف المرتضى ص٢٤ والنسخ التي بأيدينا في غاية التشويش بحيث لا يسعنا تصحيحه كما أن الأربلي أوردها من المؤلف في كشف الغمة ص ٣٤٧ كذلك وقد لخصه الشيخ الطوسي أيضاً راجع تلخيص الشافي ص٣٠٢.

والخوارج على أنّه موجود في هذا الزمان حيٌّ كامل العقل ووافقهم على ذلك أكثر أهل الكتاب ولا خلاف في أنَّ سلمان الفارسيّ أدرك رسول الله ﷺ وقد قارب من عمره أربعمائة عام، فهب أنَّ المعتزلة والخوارج يحملون أنفسهم على دفع الأخبار فكيف يمكنهم دفع قرآن ناطقهم بدوام أهل الجنّة والنار وجاءت الأخبار بلا خلاف بين الأُمّة فيها بأنَّ أهل الجنّة لا يهرمون ولا يضعفون ولا يحدث بهم نقصان في الأنفس والحواسّ ولو كان ذلك منكراً من جهة العقول لما جاء به القرآن ولا حصل عليه الإجماع ومن اعترف بالخضر لا يصحّ منه هذا الاستبعاد ومن أنكر الخضر حجّته الأخبار وجاءت الرواية عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: لمّا بعث الله نوحاً إلى قومه بعثه وهو ابن خمسين ومائتي سنة ولبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان مائتي سنة[١] فلمّا أتاه ملك الموت قال له: يا نوح يا أكبر الأنبياء ويا طويل العمر ويا مجاب الدعوة كيف رأيت الدنيا؟ قال: مثل رجل له بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من واحد، وكان لقمان بن عاد الكبير أطول الناس عمراً بعد الخضر وذلك أنّه عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ويقال: إنّه عاش عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ فرخ النسر الذكر فيجعله في الجبل فيعيش النسر منها ما عاش فإذا مات أخذ آخر فربّاه حتّى كان آخرها لبد وكان أطولها عمراً فقيل: أتى أبد على لبد.

وعاش الربيع بن ضبع الفزاري ثلاثمائة سنة وأدرك النبيّ وهو الذي يقول:

ها أنا ذا آمل الخلود فقد أدرك عمري ومولدي حجرا
أمّا امرؤ القيس قد سمعت به هيهات هيهات طال ذا عمرا

وهو القائل:

إذا عاش الفتى مائتين عاماً فقد ذهب المسرّة والغناء

وله حديث طويل مع عبد الملك بن مروان.

وعاش المستوعر بن ربيعة ثلاثمائة وثلاثاً وثلاثين سنة وهو الذي يقول:

---

(١) في بعض النسخ [مائتين وخمسين سنة].

ولقد سئمت من الحياة وطولها   وعمّرت من بعد المئين سنينا

وعاش أكثم بن صيفي الأسدي ثلاثمائة [وستّاً] وثلاثين سنة وهو الذي يقول:

وإن امرؤ قد عاش تسعين حجّة   إلى مائة لم يسأم العيش جاهل
خلت مائتان غير ستّ وأربع   وذلك من عد اللّيالي قلائل

وكان ممّن أدرك زمان النبيّ ومات قبل أن يلقاه.

وعاش دريد بن زيد أربعمائة سنة وستّاً وخمسين سنة فلمّا حضره الموت قال:

ألقى عليَّ الدَّهر رجلاً ويدا   والدَّهر ما أصلح يوماً أفسدا
يفسد ما يصلح اليوم غدا

وعاش من بعد ذلك مائتي سنة وقتل يوم حنين.

وعاش صيفي بن رياح بن أكثم مائتي سنة وسبعين سنة لا ينكر من عقله شيئاً وهو ذو الحلم، زعموا فيه ما قال المتلمّس:

لذي الحلم قبل اليوم ما يقرع العصا   وما علّم الإنسان إلاّ ليعلما

وعاش نصر بن دهمان بن سليم بن أشجع مائة وتسعين سنة حتّى سقط أسنانه وابيضّ رأسه فاحتاج قومه إلى رأيه فدعوا الله أن يردَّ إليه عقله، فعاد إليه شبابه واسودَّ شعره فقال في ذلك سلمة بن الخرشب الأنماريُّ:

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها   وتسعين حولاً ثمَّ قوّم فانصاتا
وعاد سواد الرأس بعد بياضه   وراجعه شرخ الشباب الذي فاتا

وعاش ضبيرة بن سعيد السهمي مائتين وعشرين سنة وكان أسود الرأس صحيح الأسنان.

وعاش عمرو بن حممة الدوسي أربعمائة سنة وهو الذي يقول:

كبرت وطال العمر حتّى كأنّني   سليم أفاع ليلة غير مودع
فلا الموت أفناني ولكن تتابعت   عليَّ سنون من مصيف ومرتع

ثــلاث مئــات قــد مــررن كــوامــلاً   وهــا أنــا ذا أرتجــي مــرَّ أربــع

وروى الهيثم بن عديّ، عن مجاهد، عن الشعبي قال: كنّا عند ابن عبّاس في قبّة زمزم وهو يفتي الناس، فقال له أعرابيٌّ: قد أفتيت أهل الفتوى فأفت أهل الشعر، فقال: قل. قال: ما معنى قول الشاعر:

لذي الحلم قبل اليوم ما يقرع العصا   ومــا علّــم الإنســان إلاّ ليعلمــا

قال: ذلك عمرو بن حممة الدوسيّ، قضى على العرب ثلاثمائة سنة فلمّا كبر ألزموه السادس أو السابع من ولد ولده، فقال: إنَّ فؤادي بضعة منّي فربّما تغيّر عليّ في اليوم مراراً وأمثل ما أكون فهماً في صدر النهار فإذا رأيتني قد تغيّرت فاقرع العصا فكان إذا رأى منه تغيّراً قرع العصا فراجعه فهمه.

وعاش زهير بن حباب بن عبد الله بن كنانة بن عوف أربعمائة سنة وعشرين سنة وكان سيّداً مطاعاً شريفاً في قومه.

وعاش الحارث بن مضاض الجرهميّ أربع مائة سنة وهو القائل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا   أنيــس ولــم يسمــر بمكّــة ســامــر
بلــى نحــن كنّــا أهلهــا فــأبــادنــا   صــروف اللّيــالــي والجــدود العــواثــر

وعاش عمر بن الطفيل العدوانيّ[١] مائتي سنة وكان من حكماء العرب وله يقول ذو الأصبع:

ومنّــــا حكــــم يقضــــي   ولا ينقــــض مــــا يقضــــي

وهذا طرف ممّا ذكرناه من المعمّرين وفي إيراد أكثرهم إطالة في الكتاب، وإذا ثبت أنَّ الله سبحانه قد قرّر بحكمته ما ذكرناه من الأعمار وبعضهم حجج الله تعالى وهم الأنبياء وبعضهم غير حجّة وبعضهم كفّار، ولم يكن ذاك محالاً في قدرته، ولا منكراً في حكمته، ولا خارقاً للعادة، وكان معروفاً على الأعصار، معروفاً عند جميع أهل الأديان فما الذي ينكر من عمر صاحب الزّمان أن يتطاول إلى غاية عمر بعض من

(١) في بعض الكتب «عامر بن الظرب العدواني».

سمّيناه، وهو حجّة الله على خلقه، وأمينه على سرّه، وخليفته في أرضه، وخاتم أوصياء نبيّه ﷺ وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «كلُّ ما كان في الأُمم السالفة فإنّه يكون في هذه الأُمّة مثله حذو النعل بالنعل، والقذَّة بالقذَّة» هذا وأكثر المسلمين يعترفون ببقاء المسيح حيّاً إلى هذه الغاية، شابّاً قويّاً، وليس في وجود الشباب مع طول الحياة إن لم يثبت ما ذكرناه أكثر من أنّه نقض للعادة في هذا الزمان وذلك غير منكر على ما نذكره، والأمر الآخر أن نسلّم لمخالفينا أنَّ طول العمر إلى هذا الحدّ مع وجود الشباب خارق للعادات عادة زماننا هذا وغيره وذلك جائز عندنا وعند أكثر المسلمين، فإنَّ إظهار المعجزات عندنا وعندهم يجوز على من ليس بنبيّ من إمام أو وليّ، لا ينكر ذلك من جميع الأُمّة إلاّ المعتزلة والخوارج وإن سمّى بعض الأُمّة ذلك كرامة لا معجزة، ولا اعتبار بالأسماء بل المراد خرق العادات، ومن أنكر ذلك في باب الأئمّة فإنّا لا نجد له فرقاً بينه وبين البراهمة في إنكارهم إظهار المعجزات ونقض العادات لأحد من البشر وإلاّ فليأت القوم بالفصل وهيهات.

مسألة سابعة قالوا: إذا حصل الإجماع على أن لا نبيَّ بعد رسول الله ﷺ وأنتم قد زعمتم أنَّ القائم إذا قام لم يقبل الجزية من أهل الكتاب وأنّه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقّه في الدين ويأمر بهدم المساجد والمشاهد وأنّه يحكم بحكم داود ولا يسأل عن بيّنة وأشباه ذلك ممّا ورد في آثاركم وهذا يكون نسخاً للشريعة، وإبطالاً لأحكامها فقد أثبتّم معنى النبوّة وإن لم تتلفّظوا باسمها فما جوابكم عنها؟

الجواب أنّا لا نعرف ما تضمنّه السؤال من أنّه عليه السلام لا يقبل الجزية من أهل الكتاب وأنّه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقّه في الدين فإن كان ورد بذلك خبر فهو غير مقطوع به، وأمّا هدم المساجد والمشاهد فما سمعناه ويجوز أن يختصَّ بهدم ما بني ذلك على غير تقوى الله وعلى خلاف ما أمر الله به وهذا مشروع قد فعله النبيُّ، وأمّا ما روي أنّه يحكم بحكم داود لا يسأل عن بيّنة فهذا أيضاً غير مقطوع به وإن صحَّ فتأويله أنّه يحكم بعلمه وإذا علم الإمام أو الحاكم أمراً من الأُمور فعليه أن يحكم بعلمه ولا يسأل البيّنة وليس في هذا نسخ للشريعة، على أنّ هذا الذي ذكروه من ترك قبول الجزية واستماع البيّنة لو صحَّ لم يكن ذلك نسخاً للشريعة لأنَّ النسخ هو ما تأخّر دليله عن حكم المنسوخ ولم يكن مصاحباً له فأمّا إذا اصطحب الدليلان فلا يكون

أحدهما ناسخاً لصاحبه وإن كان يخالفه في الحكم، ولهذا اتّفقنا على أنَّ الله لو قال: الزموا السبت إلى وقت كذا وكذا ثمَّ لا تلتزموه أنَّ ذلك لا يكون نسخاً لأنَّ الدَّليل الرافع مصاحب للدليل الموجب، وإذا صحّت هذه الجملة وكان النبيُّ قد أعلمنا بأنَّ القائم من ولده يجب اتّباعه وموافقته، فنحن إذا صرنا إلى ما يحكم به فينا وإن خالف بعض الأحكام المتقدّمة غير عاملين بالنسخ لأنَّ النسخ لا يدخل فيما يصطحب الدليل وهذا واضحٌ.

وهذا ما أردنا أن نبيّن من مسائل الغيبة وجواباتها واستقصاء الكلام في مسائل الإمامة والغيبة يخرج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب ومن تأمّل كتابنا هذا فنظر فيه بعين الإنصاف وتصفّح ما أثبتناه من الفصول والأبواب وصل إلى الحقّ والصواب ونحن نحمد الله على ما يسّره من ذلك وسهّله وأعان عليه ووفّق له ونسأله سبحانه أن يجعل ما عملناه خالصاً لوجهه وموصلاً إلى ثوابه ومنجياً من عقابه ويلحقنا دعاء من أوغل في شعابه وغاص في الدُّرر الثمينة من لجج عبابه واستفاد الغرر المبيّنة من خلل أبوابه، وحسبنا الله نعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير.

تمّ الكتاب، والحمد لله أوّلاً وآخراً

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الإمام الحسين بن علي (ع)

الإمام المهدي (عج)